المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
قسم العقيدة

آراء الإمام البقاعي الاعتقادية وجهوده في الرد على المخالفين

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة

إعداد الطالب

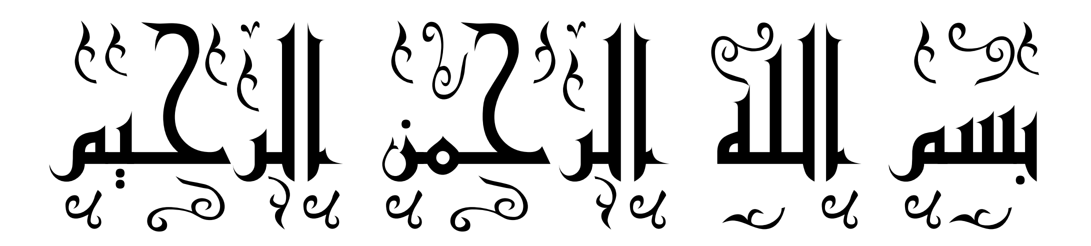
عثمان بن مسفر الزهراني

الرقم الجامعي : ٤٢٣٧٠١٤٤

إشراف

فضيلة أ.د / أحمد السيد رمضان

١٤٢٧ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فقد تكفل الله بحفظ هذا الدين العظيم ، ومن أكبر أسباب حفظه تعالى لهذا الدين ؛ أن قيض لـه علمـاء عاملين ، قضوا حياتهم في تعلمه وتعليمه ، وضحوا لأجل ذلك كثيراً ، وصبروا وصابروا ؛ فـضربوا لنـا أروع الأمثلة في الجد والاجتهاد في خدمة هذا الدين .

وإن من أقل الواجب علينا نحوهم أن نجتهد في بيان جهودهم وإظهار مآثرهم العظيمة ، قياماً بحقهم علينا من جهة ، وللاستفادة من علمهم وفكرهم من جهة أخرى ، ولكي نستنهض الهمم للأجيال التي أتـت بعـدهم للإقتداء بأولئك العظماء ؛ الذين ورثوا لنا تراثاً علمياً زاخراً ؛ برغم ماكان يعترضهم مـن عقبـات وعوائـق ومشاق ؛ وبرغم قلة الأسباب والوسائل المعينة لهم على تعلم العلم وتعليمه .

ومن أولئك العلماء الأفذاذ الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ٨٨٥ ، صاحب المؤلفات الغزيرة في شتى فنون العلم ، والجهود الطيبة في محاربة البدع .

ولذلك فقد اخترت أن يكون موضوع رسالتي لمرحلة الدكتوراه هو:

آراء الإمام البقاعي الاعتقادية وجهوده في الرد على المخالفين.

وتتكون الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس ، وقد بينت في المقدمة أهمية الموضـوع وخطـة البحث ومنهجي فيه ، وفي الباب الأول تحدثت عن عصر الإمام البقاعي وحياته.

وفي الباب الثاني: قمت بدراسة آرائه الاعتقادية في مختلف أركان الدين الحنيف ، وقد اشتمل هذا البـاب على تسعة فصول هي:

- الفصل الأول: التوحيـــد .
- الفصل الثاني: الإيمـان بالله .
- الفصل الثالث: الإيمان بالملائكة.
- الفصل الرابع: الإيمان بالكتب .
- الفصل الخامس : النبـوات .
- الفصل السادس: الإيمان باليوم الآخر .
- الفصل السابع: القضاء والقدر .
- الفصل الثامن: الموقف من الصحابة رضي الله عنهم .
- الفصل التاسع: الإمامة .

والباب الثالث تحدثت فيه عن جهود الإمام البقاعي في الرد على المخالفين ومحاربة بدعهم العقدية والعملي.

والبقاعي رحمه الله شديد العناية بالكتاب والسنة والتقيد بهما ، ومع ذلك فالعصمة لله عز وجـل ؛ فقـد جانب الصواب في بعض مسائل العقيدة حيث وافق فيها الأشاعرة .

وللبقاعي رحمه الله صولات وجولات في الذود عن السنة ومحاربة البدع العقدية والعملية ودون لأجلـها العديد من المؤلفات.ثم الخاتمة وقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا ثم الفهارس العلميـة .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطالب	المشرف	عميد الكلية
عثمان بن مسفر الزهراني	أ. د.أحمد رمضان	د. عبد الله الدميجي

المقدمـــــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

(يا أيها الناس اتقُوا ربكُم الذِي خلقَكُم مِن نفْسٍ واحِدةٍ وخلَق مِنها زوجها وبث مِنهما رِجالًا كَثِيرا ونساءً واتقُوا الله الذِي تساءَلُونَ بِهِ والْأَرحام إِن الله كَانَ علَيكُم رقِيبا ١)[1]، (يا أيها الذِين آمنوا اتقُوا الله حق تقَاتِهِ ولَا تموتن إِلا وأَنتم مسلِمونَ ١٠٢)[2] ، (يا أيها الذِين آمنوا اتقُوا الله وقُولُوا قَولًا سدِيدا ٧٠ يصلِح لَكُم أعمالَكُم ويغفِر لَكُم ذُنوبكُم ومن يطِعِ الله ورسولَه فَقَد فَاز فَوزا عظِيما ٧١)[3].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وبعد :

فإن الله تعالى وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب : أحدها الإيمان قال تعالى :(والراسِخونَ فِي الْعِلْمِ يقُولُونَ ءامنا بِهِ) [4] ، وثانيها : التوحيد والشهادة : (شهد الله أنه لَا إِلَه إِلا هو والْملَائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ) [5] ، وثالثها : البكاء (ويخِرونَ لِلأَذْقَانِ يبكُونَ) [6]، ورابعها :

---

(1)- النساء ١ .

(2)- آل عمران ١٠٢ .

(3)- الأحزاب ٧٠-٧١ .

(4)- آل عمران ٧ .

(5)- آل عمران ١٨ .

(6)- الإسراء ١٠٩.

الخشوع (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ١٠٧) [1] الآية ، وخامسها : الخشية (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [2] .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين "[3] ، وغير ذلك من النصوص الشرعية الدالة على فضل العلماء .

وممن نحسبه من أولئك العلماء ؛ الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي الذي قضى عمره بين كتاب الله وسنة رسوله ، وشغل وقته بتعلم العلم وتعليمه ، وبالدعوة إلى دينه ، والذب عن حياض سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ترك لنا البقاعي شاهدا على ذلك أكثر من خمسة وتسعين مؤلفا ؛ في فنون العلم المختلفة ، أهمها وأعظمها كتابه المعروف في التفسير.

وإن المرء ليعجب مما تركه لنا أولئك العلماء الأجلاء من مؤلفات عظيمة برغم مصاعب الحياة في زمنهم وقلة الوسائل المادية المعينة لهم .

لكنه الجد والاجتهاد والقيام بواجب التبليغ وبركة الوقت التي منحها الله لهم.

لقد كان البقاعي رحمه الله ذا شخصية علمية متعددة المواهب فهو مفسر محدث مؤرخ أديب وشاعر .

وكان رحمه الله صداحاً بالحق ، لم يمنعه من ذلك خوف عدو ، أو محاباة صديق ، فلقي من أجل ذلك الكثير من الأذى.

حتى اضطر لترك القاهرة والانتقال إلى دمشق لشدة الأذى الذي لقيه عندما رد على الإمام أبي حامد الغزالي قوله بالمقالة المشهورة (ليس في الإمكان أبدع مما

---

(1)- الإسراء ١٠٧ .

(2)- فاطر ٢٨ .

(3)- جزء من حديث أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، ٣٩/١ رقم ، ومسلم كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، ٧١٨/٢ رقم ١٠٣٧ ، كلاهما عن معاوية رضي الله عنه .



كان) ، وبعد أن استقبل في دمشق استقبالا حافلا ، انقلب الحال عليـه لأجـل إنكاره لنفس المقوله .

ومع كل هذه الفضائل التي تحلى ا الإمام البقاعي ، وبرغم شـدة عنايتـه واهتمامه بتعظيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا إن العـصمة ليست إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ وقع البقاعي – عفا الله – عنه في عدد من المخالفات العقدية حيث وافق فيها المذهب الأشعري .

فقد وافقهم في تعريف الإيمان إذ يرى أن الإيمان هو التصديق القلـبي أمـا اللسان فهو دليل عليه وترجمان معرف بما في القلب ، ونـصر قـول متـأخري الأشاعرة وهو أن الإقرار شرط للإيمان لا شطر ، ومثله أعمال الجوارح فهي وإن كان لابد من الإتيان ا لكنها شرط للإيمان ، ولذلك فالإيمان لايزيد ولايـنقص عنده ، وإذا سمي العمل إيمانا فهو عنده مجاز .

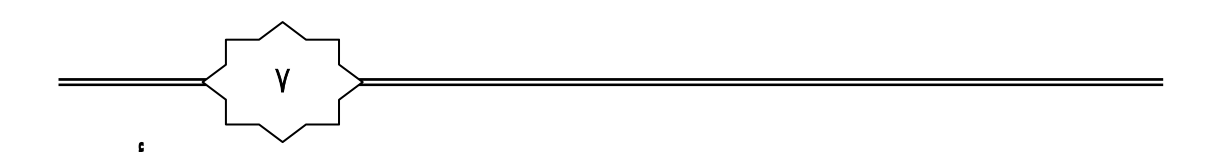
كما وافق الأشاعرة في موقفه من صفات الله تعالى ، حيث أثبـت الـصفات السبع التي يثبتو ا ونفى الباقي ، بحجة أ ا تستلزم التجسيم أو التشبيه ، وقـال بأن ظاهرها يكون مجازا ؛ فلا بد من تأويلها أو تفويض معناها .

كما أن البقاعي يرى أن آيات الصفات من المتشا ات ، وأيد المقولة الباطلـة وهي أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم .

ووافق البقاعي أهل السنة والجماعة في إثبات مراتب القدر الأربع ، إلا أنـه خافهم ووافق الأشاعرة في أنه ينسب أفعال العباد إلى الله تعلى ، وأنه ليس لهـم منها إلا الكسب ، وأن الاستطاعة من العبد لاتكون إلا مع الفعل ؛ لايجـوز أن تتقدمه ولا تتأخر عنه ، وأن قدرة العبد غير مؤثرة .

ومن أشد ماوقع فيه البقاعي رغم شدة محاربته للبدع ؛ أنه وافق غلاة المتصوفة في ضلالهم بقولهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول مخلـوق وأن الكـون مخلوق من نوره .

وإن من الفوائد العظيمة في دراسة شخصية مثـل الإمـام البقـاعي ؛ هـي



الإستفادة مما لديه من صواب وخير كثير ، والتنبيه على ماوقع فيه من خطأ وزلل ، دون غلو أو إجحاف .

ولهذا كنت حريصاً على اختيار هذا الموضوع وألخص أهم أسـباب اختيـار الموضوع فيما يلي:

القيام بحق علماء الأمة ؛ بالتعريف م وبجهودهم وجهادهم ؛ في نـشر هـذا الدين ، وتبليغ رسالة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

استنهاض الهمم للاقتداء م ؛ في الصبر ، والجلد ، والحرص على تعلم العلم وتعليمه .

تأصيل وغرس مبدأ العدل والإنصاف ؛ حيال أولئك العلماء الذين لهم جهود عظيمة في خدمة هذا الدين ؛ لكنهم جانبوا الصواب في بعض مسائل العقيـدة ، فخالفوا منهج أهل السنة والجماعة فيها عن حسن قصد ؛ إذ هـم يعتقـدون أن ماهم عليه هو الصواب ، فالواجب علينا أن لا ننسى جهـودهم وجهـادهم في خدمة لهذا الدين لأخطائهم تلك ، بل نعرف لهم حقهم ونسفيد مـن علمهـم ، ونبين في الوقت نفسه خطأهم ، دون غلو أو إجحاف ، وهذا خير مـن إهمـال علمهم ، أو أن يأتي من يمجدهم بإطلاق ، دون بيان لخطئهم.

مكانة البقاعي العلمية كما سيأتي من ثناء العلماء عليه ، وكونه مـن أبـرز تلاميذ العالم الجليل ابن حجر رحمهم الله جميعاً.

التأييد الذي وجدته من عدد من مشايخي حفظهم الله .

منهجي في البحث :

قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وجعلتها بين قوسين ( ).

قمت بتخريج الأحاديث النبوية مع ذكر الحكم عليها لأهل العلم ما أمكن ، وجعلتها بين قوسين صغيرين " " .

عزوت الآثار إلى مصادرها .

ذكرت معلومات المصدر في الحاشية كاملة ؛ عند أول ذكر له.

وقد كان منهجي في تخريج الأحاديث والآثار مايلي:

إخراج الحديث من الكتب الستة أولاً ، ثم ماعداها.

أبدأ بذكر من أخرج الحديث الأقدم فالذي يليه ، حسب تـاريخ وفـا م ، ماعدا أصحاب الكتب الستة ، فإني أقدمهم على من سواهم ، بالترتيب التـالي (البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، ابن ماجة) حسب الم لة.

١- اعتمدت في رسم النص على قواعد الإملاء المتعارف عليها الآن.

٢- قمت بشرح الكلمات الغريبة من معاجم اللغة ، وغريب الحديث من الكتب المختصة بذلك ، والمصطلحات العلمية ، وعرفت بالأعلام ماعدا بعض المشهورين ، وعرفت بالبلدان والفرق والكتب .

٣- قمت بعمل فهارس علمية.

خطة البحث:

لقد جعلت لبحثي هذا خطة تتكون مما يلي:

مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

فأما المقدمة: فهي هذه وقد بينت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياري لـه ، ومنهجي في البحث ، وخطتي فيه ، والصعوبات التي واجهتني أثنـاء إعـداده ، والشكر والتقدير لكل من أعانني فيه.

وأما الباب الأول: فيتكون من فصلين مع مباحثها وهي كالتالي:

الباب الأول : عصر الإمام البقاعي وحياته .

الفصل الأول : عصر البقاعي ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة الدينية .

المبحث الرابع : الحالة العلمية .

المبحث الخامس : الحالة الاقتصاية .

الفصل الثاني : حياة البقاعي ، وفيه مباحث :

سابعاً – الـاز في الصفات ، وموقف البقاعي منه .

ثامنا - موقف البقاعي من بعض الصفات بشكل تفصيلي :

أ – الصفات الذاتية ، ويشتمل الحديث فيها على مايلي :

صفة الوجه .

صفة اليد .

تأويل الأصابع .

صفة العلو .

صفة الكلام لله عز وجل .

رؤية المؤمنين لر م في الجنة .

ب – الصفات الفعلية ، ويشتمل الحديث فيها على مايلي :

صفة الاستواء .

صفة الـ ول .

صفة الـئ والإتيان .

صفة التعجب .

صفات الرحمة والمحبة والرضا .

صفة المكر : (وهي من الصفات الفعلية ؛ التي لا يجوز أن تطلق على الله إلا في مقابلة مكر الكافرين) .

الفصل الثاني : الإيمان بالله .

المبحث الأول : تعريف الإيمان .

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه .

المبحث الثالث : الاستثناء في الإيمان .

المبحث الرابع : الكبائر وأصحا ا .

المطلب الأول: مفهومها وأقسامها .

المطلب الثاني :حكم مرتكب الكبيرة ، ورأي البقاعي فيه .

الفصل الثاني:جهود البقاعي في الرد على بعض البدع العقدية .

المبحث الأول: الرد على بدعة الاتحاد عند غلاة الصوفية .

المبحث الثاني : بدعة ليس في الإمكان أبدع مما كان .

المبحث الثالث : جهوده في الرد على المعتزلة .

المبحث الرابع : رده على الجبرية .

الفصل الثالث:جهود البقاعي في الرد على بعض البدع العملية ، ويشمل الحديث فيه على مايلي :

١ - موقفه من الذكر والقراءة جماعة.

٢- بدعة رفع الصوت بالقراءة في المصحف عند اجتماع النـاس لانتظـار الصلاة .

٣- بدعة دخول المسجد مع رفع الصوت بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

٤- السؤال في المسجد .

٥- بيان البقاعي لحكم الرقص والتصفيق .

٦- بدعة الغناء والسماع .

٧- بدعة قراءة الفاتحة عقب الصلوات المفروضة .

٨ – بدعة صلاة الرغائب .

٩- التثويب في غير أذان الفجر .

١٠ - زيادة :" حي على خير العمل .

١١- بدعة زيادة كلمة"يا دائم المعروف" بعد أذان صلاة الفجر .

١٢- بدعة المصافحة عقب الصلوات .

١٣- موقفه من الشرك ووسائله .

١٤- موقفه من بدع متعلقة بالجنـائز .

١٥- بدعة صيام شهر رجب كاملا .

١٦- بدعة لباس الصوفية للشهرة .

الخاتمة ، وقد بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا .

الصعوبات التي واجهتني أثناء الدراسة:

من أهم الصعوبات التي واجهتني مايلي:

١- كثرة مصنفات البقاعي ؛ المطبوع منها والمخطوط .

٢-رداءة طباعة كتابه الأهم ؛ وهو نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، والذي يبلغ اثنين وعشرين مجلداً ٢٢ ، وصفحات مجلداته تتـراوح مـابين خمسمئة إلى ستمئة صفحة ، فكانت قراءتي له أشبه بالتحقيق له .

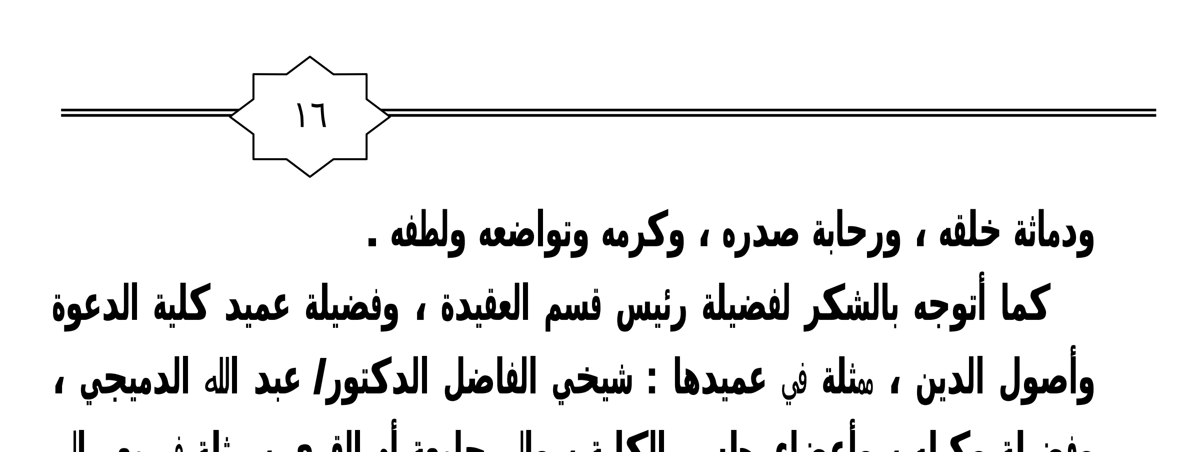
٣- عند رغبتي الحصول على نسخة من مخطوط المؤلف (النكت علـى شرح العقائد) من مكتبة الأسد بسوريا طُلب مني خطاباً مـن الجامعـة أو منحهم مخطوطة ؛ ليقوموا بتزويدي مقابل ذلك بالمخطوط المذكور ، ولم يكن لدي حينها لا هذا ولا ذاك ، فاضطررت إلى نسخ أغلـب المخطـوط ، ثم حصلت على المخطوط بعدها بزمن .

٤- صعوبة انفكاكي عن كثير من الارتباطات الاجتماعية ، أو التخلـي عن مشاركتي في بعض المناشط الاجتماعية والخيرية ، أو ارتباطي بعملي بعد عودتي إليه .

شكر وتقدير:

أحمدك ربي وأشكرك وأثني عليك ، على مامننت به علي من نعـم عظيمـة ، وآلاء جسيمة ، أشكرك على نعمة الإيمان أولاً ، ثم على أن يـسرت لي سـلوك طلب العلم في أشرف علم ، وأطهر بقعة ، فلك الحمد لا أحصي ثناءً عليـك ، وأستغفرك وأتوب إليك.

ثم أتوجه بالشكر لمشايخي وأساتذتي ، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور/أحمـد السيد علي رمضان المشرف على هذه الرسالة ، على حسن توجيهه وإرشـاده ،



ودماثة خلقه ، ورحابة صدره ، وكرمه وتواضعه ولطفه .

كما أتوجه بالشكر لفضيلة رئيس قسم العقيدة ، وفضيلة عميد كلية الدعوة وأصول الدين ، ممثلة في عميدها : شيخي الفاضل الدكتور/ عبد الله الدميجي ، وفضيلة وكيله ، وأعضاء مجلس الكلية ، وإلى جامعة أم القرى ، ممثلة في معالي مديرها ، ووكيليه ، وجميع القائمين عليها ، لما يبذله الجميع من جهود ملموسة في خدمة العلم وطلابه.

كما أتوجه بالشكر لأصحاب الفضيلة المناقشين الكريمين ، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتقييمها ، وتقويمها ، وأسأل الله تعالى أن يسبغ عليهما لباس الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر والتقدير للمسئولين في جهاز الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ على إتاحتهم الفرصة لي بمواصلة دراستي ، وعلى رأسهم معالي الرئيس العام فضيلة الشيخ / إبراهيم بن عبد الله الغيث ووكيليه ، وأدعو بالرحمة والمغفرة لفضيلة الشيخ/جابر الحكمي رحمه الله رحمة واسعة ؛ مدير فرع الهيئة بالمنطقة سابقاً.

وأتوجه بخالص الدعاء لكل من سبق ذكرهم ، أو الإشارة إليهم ، ولكل من لم أذكرهم ، ممن قدم لي عوناً أو تشجيعاً أو مشورة ، فجزى الله الجميع خير الجزاء وأوفاه ، ووفقهم الله وإيانا لما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عثمان بن مسفر الزهراني

الباب الأول :

عصر الإمام البقاعي وحياته .

الباب الثاني :

آراء البقاعي الاعتقادية .

الباب الثالث :

جهود البقاعي في الرد على المخالفين .

الباب الأول

عصر الإمام البقاعي وحياته

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : عصر البقاعي .

الفصل الثاني : حياة البقاعي .

الفصـــــل الأول

عصر البقاعـي

وفيه مباحث :

المبحـث الأول: الحالة السياسية.

المبحـث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحـث الثالث: الحالة الدينيـة.

المبحـث الرابع: الحالة العلميـة.

المبحث الخامس: الحالة الاقتصادية.

المبحث الأول

الحالة السياسية

عاش الحافظ البقاعي في **القرن التاسع الهجري،** في **الفترة الواقعة** بـين سنة **٨٠٩ - ٨٨٥هـ ،كان ذلك** في **مصر والشام ، وحيث كـان**

العالم الإسلامي قد انقسم إلى دويلات متعددة يحكمها السلاطين بـسياسات مختلفة، وكانت الدولة المملوكية هي الحاكمة في هذين البلدين(١).

والمماليك أصلهم من الرقيق الذين كانوا يجلبون إلى البلاد العربية، من بلاد القوقاز وفارس وآسيا الصغرى وغيرها، عن طريق الحروب والغـارات والسلب والاختطاف، فقد كان الخلفاء والوزراء يدفعون المـال الكـثير في سبيل شرائهم لاستخدامهم في أغراضهم(٢).

ويرجع ظهور المماليك في العالم الإسلامي إلى ما قبل قيام دولتهم بأمدٍ طويل، وكان أول من استخدمهم هو الخليفة العباسي المأمون، ثم سار على سنته أخوه الخليفة المعتصم بالله، فقد أكثر من استقدام المماليك لتدعيم سلطانه، وانصرافاً عن العنصر الفارسي.

ولما انتقلت السلطة إلى الأيوبيين في مصر جوا نفس السبيل، فأكثروا من شراء المماليك من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقـاز، وفـارس وآسـيا الوسطى، وكان الأيوبيون مخلصين في معاملة المماليك فأحـسنوا تربيتـهم، واهتموا بإعدادهم إعداداً عسكرياً(٣)، وعن طريق الأيوبيين انتقلت السلطة المباشرة إلى المماليك، وذلك بعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين في المحرم سنة ٦٤٨هـ ، على يد شجرة الدر زوجة أبيه نجم الدين أيـوب، فاعتلت شجرة الدر المملوكية العرش ونادت بقيام دولة المماليك، ولكـن

(1)- انظر : الخطط للمقريزي،دار صادر-بيروت-لبنان، (٢٣٦/٢)، وعصر سلاطين المماليك لمحمود رزق -مكتبة الآداب- الجمايز ط١٣٦٩هـ ، (١١/١) .

(2)- انظر : عصر سلاطين المماليك (١١/١-١٣) ، والعصر المماليكي، لسعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية-القاهرة-ط الأولى١٩٦٥م،ص١-٢.

(3)- انظر : العصر المماليكي ص٣-٤.

عارضها الشعب وعلى رأسهم العلماء، أنه لا يتولى أمر المسلمين امرأة، فما كان منها إلاّ أن تزوجت عز الدين أيبك أحد موالي وقواد زوجها السابق، وتنازلت له عن السلطة، وبذلك يكون عز الدين أيبك أول سلطان مملوكي حكم مصر وما جاورها من بلاد الشام[١].

أقسام المماليك ومدة حكمهم :

١- دولة المماليك البحرية[٢]: والتي استمر حكمها ما بين سنتي (٦٤٨- ٧٨٤هـ)، أي ما يقارب ١٣٦عاماً، بلغ عدد ملوكها خمسة وعشرين ملكاً، كان أولهم عز الدين أيبك التركماني، وآخرهم حاجي شعبان الأشرف، الملقب بالملك الصالح[٣].

٢- دولة المماليك البرجية[٤]:

والتي استمر حكمها ما بين (٧٨٤- ٩٢٣هـ)، أي ما يقارب ١٣٩ عاماً، بلغ عدد ملوكها ٢٢ ملكاً، كان أولهم الملك الظاهر سيف

---

(١)- انظر : السلوك للمقريزي ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة،ط الأولى١٩٥٨م،٣٦١/٣، سمط النجوم العوالي، عبد الملك بن حسين العصامي – المطبعة السلفية- ط١٣٨٠هـ ،١٥/٤.

(٢)- سموا بالبحرية:لأن الملك الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون لهم مقرا، وقيل:لأ م كانوا يجلبون عن طريق البحر. انظر:عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق٢٢/١ والعصر المماليكي لسعيد عبد الفتاح ص٥.

(٣)- انظر : عصر سلاطين المماليك(٢٢/١-٤٠) ، والعصر المماليكي ص٥.

(٤)- سموا بذلك نسبة إلى أبراج القلعة التي أنزلهم ا السلطان قلاوون.انظر : النجوم الزاهرة لابن تغري بردي(٣٣٠/٧) ، وعصر سلاطين المماليك٤١/١.

الدين أبو سعيد برقوق بن آنف، وآخرهم الدوادار الكبير طومان باي، والذي شهد عهده سقوط دولة المماليك في مصر[١].

وقد تميزت الحالة السياسية في عهد المماليك بما يلي:

أ- السياسة الخارجية :

كانت حياة البقاعي في القرن الذي سقطت فيه الخلافة الاسلامية في بغداد، على يد هولاكو، الذي اجتاح البلاد الإسلامية، فأسقط دويلاتها واحدة تلو الأخرى، ابتداءً من سنة ٦١٧هـ واستطاع في سنة ٦٥٦هـ إسقاط بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وقتل خليفتها المستعصم بالله غدراً بعد أن أعطاه الأمان، ونهب الأموال وسبى النساء وأتلف الكتب.

وبسقوط الخلافة الإسلامية في بغداد شهدت البلاد الإسلامية انقساماً، وأصبحت بين المغول والعرب والأتراك، وكان نصيب المماليك مصر والشام[٢].

وفي سنة ٦٥٨هـ استطاع المغول إسقاط دمشق وكثير من مدن الشام، ثم زحفوا تجاه مصر، بعد إرسال رسائل الوعيد والتهديد لسلطان المماليك قطز، ولكن قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس لم يأبها بوعيدهم، وأرسلا رسالة عاجلة لهولاكو، ملك المغول، وذلك بإعدام رسله الذين أرسلهم برسائل التهديد والوعيد، فامتلأ هولاكو غضباً، وزحف بجيشه والتقى بجيش المسلمين في معركة عين جالوت في فلسطين، في رمضان سنة

---

(١)- انظر: عصر سلاطين المماليك ١/٤١-٦٣ ، العصر المماليكي ص١٣٤-١٥٢

(٢)- انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢١٣/١٣) ، تحقيق أحمد بن ملحم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط الرابعة ١٤٠٨هـ ، وعصر سلاطين المماليك ٩/٣.



٦٥٨هـ، فكان النصر من الله للمسلمين، وهزم المغول شر هزيمة[١].

فتراجع التتر وتعاظمت قوة المماليك، وظلت الحرب سجالاً بين الجيشين، حتى خرج تيمورلنك قبل وفاته بأيام من الشام سنة ٨٠٤هـ ،بعد أن أشعل النار في دمشق وتركها خراباً شاملاً وحطاماً بالياً[٢].

ولم تكن جبهة المغول هي الجبهة الوحيدة التي واجهها المماليك، بل كانت هناك جبهة أخرى من قبل الصليبيين الذين اتخذوا لهم مراكز على ساحل البحر المتوسط من مدن الشام، ويغيرون من خلالها على أطراف دولة المماليك في مصر والشام.

وبالمقابل استطاع المماليك غزوهم ؛ فقد غزاهم السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤هـ ،واسترد منهم بعض ما أخذوه، كما هاجمهم في سنة ٦٦٦هـ ، واسترد أنطاكية من أيديهم.

وفي سنة ٦٨٨هـ استطاع السلطان قلاوون فتح حصن المرقب ودخول طرابلس، كما استطاع من بعده ابنه الأشرف فتح عكا سنة ٦٩٠هـ ،وتخليصها من أيدي الصليبيين[٣]، وبعد ذلك انتهت الحروب الصليبية.

وفي هذا الوقت برز فجر جديد للأمة الإسلامية على يد العثمانيين ، حيث إنهم قاموا بفتح القسطنطينية على يد القائد الماجد محمد الفاتح في سنة ٨٥٧هـ ،واعتبر ذلك حدثاً عظيماً في تاريخ الأمة الإسلامية.

---

(1)- انظر : البداية والنهاية٢٣٣/١٣، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(٧٢/٧ - ٨٢. لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي-مكتبة ابن تيمية القاهرة.

(2)- انظر: السلوك للمقريزي(٧٢/٣-٨٢).

(3)- انظر: تاريخ المماليك البحرية، لعلي إبراهيم حسن ص١٧٩-١٨٢، مكتبة النهضة المصرية – القا هرة-ط الثالثة ١٩٦٧م.

ومع هذه الصورة المشرقة كانت هناك صورة أخرى مظلمة في جهـة الغرب؛ حيث حلت مأساة عظيمة بالمسلمين بسقوط الأندلس، وخروج آخر ملوك المسلمين أبي عبد الله محمد بن علي بن نـصر مـن غرناطـة سـنة ٨٩٨هـ[1].

ب - السياسة الداخلية :

رغم ما كان لدولةالمماليك من البطولات الخارجية التي جعلت الدول الأخرى تخطب ودها، فقد عانت سياستها الداخلية من اضطرابات كـثيرة، حيث كثرت فيها الفتن والثورات، والانقلابات بين حينٍ وآخر[2]؛ فهـذه شجرة الدر تتآمر ضد زوجها عزالدين أيبك، لأنه فكر في أن يتزوج عليها، وسيف الدين قطز يذهب ضحية مؤامرة دبرها له قائده وشريكه في النـصر على التتار في عين جالوت الظاهر بيبرس، والملك المنصور قلاوون يخلع في رجب سنة ٦٧٨هـ الملك العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس ابن السبع سنين ونصف، ومن النادر أن تكون نهاية السلاطين إلا في قتلٍ أو خلعٍ على يد القواد والأمراء، بل وصل الحال في آخر هذا العصر أن رفض كثير مـن الأمراء تولي السلطة خوفاً من الخلع أو القتل والتعذيب[3].

وقد تملك على هذه الدولة خمسة وعشرون سـلطانا، أدرك البقـاعي منهم أربعة عشر سلطانا.

وكان البقاعي - رحمه الله - غير بعيد عن أجواء الأحداث ، ولا سيما الخارجية؛ إذ شارك جيوش المسلمين في الجهاد في سبيل الله، وألف عدداً من

---

(1)- انظر: عصرسلاطين المماليك ١٣/٣

(2)- انظر: العصر المماليكي ١٥٤، ٢٢٥.

(3)- انظر : سمط النجوم العوالي ١٥/٤-٣١.

الرسائل حث فيها المسلمين على جهاد أعداء الله من الكافرين[١].

المبحث الثاني
الحالة الاجتماعية

تأثرت الحياة الاجتماعية إلى حد كبير بالأوضاع السياسية في القرن التاسع الهجري،ولما كان المماليك ينحدرون من عناصر تركية وجركسية ورومية ، وكانوا أرقاء، فقد أدى ذلك إلى تعاليهم على الطبقات الأخرى في المجتمع، من المصريين والشاميين فلايخالطونهم ولا يتزوجون منهم، بل وصل الحال بهم أنهم لايسمحون لغيرهم بركوب الخيل، لأنهم اعتبروه ميزة خاصة بهم[٢].

---

(1)- مثل : كتاب"أخبار الجلاد في فتح البلاد" وكتاب"زوال الشدة بقتال أهل الردة" .

(2)- انظر: العصر المماليكي ص٣٠٨-٣١٢ .

وقد انقسم المجتمع نتيجة لذلك إلى طبقتين:

أولاهما: الطبقة الحاكمة، التي تتكون من السلاطين والأمراء والأجناد، وكلهم من المماليك.

ثانيهما: الطبقة المحكومة ؛ والتي تتألف من طبقات:

١- أهل الغنى، وهم التجار.

٢- الباعة، وهم متوسطو الحال من التجار.

٣- الفلاحون، وهم المزارعون الذين يسكنون الريف والقرى.

٤- الأجراء وأصحاب الأعمال الصغيرة.

٥- الفقراء والمساكين، وهم أهل السؤال الذين يتكففون الناس[١].

والطبقة المحكومة ليس لها من أمر الحكم شيء، فهي تتحمل الضرائب الباهظة وتدفع نفقات الحروب، ومؤونة الدفاع عن البلاد. وكان من رؤوساء هذه الطبقة الكادحة العلماء والفقهاء، وهم الأقرب إلى الحكام، ولم يكن لهم من الوظائف العامة في الدولة إلاّ القضاء، أو الكتابة في الدواوين أوالتدريس في الجوامع والمساجد، وما عدا ذلك فلا[٢].

وكان المماليك يعنون بأسرهم وأتباعهم وغلمانهم من الجهة التعليمية وغيرها، ويعيشون عيشة السرف والترف، ويقيمون الحفلات والموائد، والإكثار من المواكب الرسمية في شتى المناسبات[٣] ،بينما كثر الفقر في طبقات الناس، و انتشرت المجاعات بينهم حتى أكل الناس في بعضها الميتة في سنة ٦٩٥هـ ،

---

(1)- تاريخ المماليك البحرية ص ٤٢٧ - ٤٣٠، وعصر السلاطين المماليك ٢/٣٠٤-٣٢٥.

(2) - انظر العصر المماليكي ص٣١١ .

(3) - تاريخ المماليك البحرية ص ٤٧٨-٤٧٩، وعصر سلاطين المماليك ٢/٣٤٣.

وانتشر الطاعون في سنة ٧٤٩هـ ، وانتشر من جراء ذلك السلب والنـهب والثورات الداخلية من قبل العربان[١].

المبحث الثالث

الحياة الدينية

لقد انتشر في عهد المماليك الانحراف في العقيـدة والأخـلاق، وانتـشر التصوف على نطاقٍ واسع، وتعددت الطرق الصوفية وانتشرت الفلسفة، وقال بعضهم ببدعة الاتحاد ، وانتشرت الأغاني وآلات اللهو والطرب، وكثر أكـل الحشيش، وتفشت الرشوة والغش في البيع والشراء، واحتكـار الأقـوات[٢]، واشتهرت إقامة الحفلات في المناسبات الدينية، وخاصة المولد النبـوي؛ حيـث يجتمع الناس في خيمة يقيمها السلطان، ويبدأ الاحتفال من بعد الظهـر بإلقـاء

(1) - تاريخ المماليك البحرية ص ٤٢٧ - ٤٣٠ ، وعصر السلاطين المماليك ٣٠٤/٢-٣٢٥.

(2)- تاريخ المماليك البحرية ص ٤٨١ ، وعصر سلاطين المماليك ٣٤٧/٢-٣٥٤.

المواعظ والقصائد، وينتهي إلى ثلث الليل، ثم يواصل الصوفية بسماعهم حتى الفجر، وفي أثناء ذلك توزع الأطعمة بأنواعها ، ويتصدقون على الفقراء، وتظهر أثناء ذلك البدع والمخالفات الشرعية[١].

وأمام هذا الانحراف العقدي والسلوكي، قام العلماء بدور بارز، محاربين هذه المخالفات، فعقدوا المجالس، ونادوا بالناس للتمسك بالسنة، وألفُوا في هذا الكتب. ومن ذلك أننا نجد الإمام البقاعي قد شارك في صد هذا الانحراف، فألف في بيان بدعة الاتحاد "تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي" و "الفارض في تكفير ابن الفارض" و "تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد" و "بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع" إلى غير ذلك من المؤلفات التي سطرها العلماء رحمهم الله.

وقد اعتنى سلاطين المماليك بمحاربة الرافضة وعقيدتهم، التي بقيت بعض آثارها من الدولة الفاطمية التي حكمت مصر. ومن أجل ذلك اتخذ السلاطين سياسة؛ أنهم لا يولون أحداً وظيفة الإمامة والخطابة، أو التدريس، مالم يكن متبعاً لأحد المذاهب الأربعة السنية. وكان المذهب الشافعي هو مذهب السلاطين، الذي ورثوه من أسلافهم الأيوبيين، كما أن المذهب الأشعري العقدي هو مذهبهم، ولا يقبلون غيره، وكل من خالف مذهب الأشاعرة فهو عرضة لكل أذى، كما أن كل من اعترض على البدع المشهورة والمتوارثة من التصوف يكون عرضة للخطر بسبب إنكاره[٢]. والحق يقال: إن المماليك على ما كان فيهم من البدع العقدية؛فإنهم ورثوا من أسيادهم الأيوبيين حمية دينية دعتهم إلى

---

(1) - انظر العصر المماليكي ص ٣٢٠-٣٢١.

(2) - انظر: منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة ٤٣/١ - ٤٦.

الوقوف أمام كل من قصد بلاد المسلمين بشر،يشهد لهذا ماقاموا به من معارك عديدة ضد التتار والصليبيين.

المبحث الرابع

الحالة العلمية

قامت في عصر المماليك حركة علمية، نبغ فيها كثير من العلماء، وألفت فيها كثير من الكتب.والسبب في ذلك أن مصر والـشام في عهـد المماليـك أصبحت ملجأ يلتجأ إليه العلماء بعد سقوط بغداد على أيدي التتار، الـذين لم يتمكنوا من اقتحام مصر بعد موقعة عين جـالوت، فأصـبحت إذ ذاك آمنـة مطمئنة، فلجأ إليها كثير من العلماء. وكان من أبرز الوافدين إلى بلاط المماليك

من أهل العلم: ابن خلكان الأربيلي، وابن مالك الأندلسي، وابـن أبي حجلـة المغربي، والحافظ رشيد الدين النابلسي، وغيرهم من أهل العلم[(١)].

وقد أدرك المماليك ذلك، فآووا العلماء الـذين قـصدوهم، وأجلّـوهم وأكرموهم، وأظهروا لهم من التدين وحب العلم وأهله ما يشجعهم على البقاء في هذه المملكة، فامتلأت مصر بالعلماء ونشطت حركة العلم فيها[(٢)].

مظاهر اهتمام المماليك بالعلم وأهله:

لقد كان لهذا الاهتمام مظاهر من أهمها :

١- فتح المدارس، لتدريس العلوم الدينيه:

وكان الفقه فيها على مذهب واحد أو مذهبين، ولكن الأمير جمال الـدين محمود الاستادار أسس مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة، والحديث والتفـسير، تسمى بالجمالية، أو المحمودية، وهي أشهر مدارس فترتهم، وكـان مـن بـين مدرسيها الحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -، وكان هناك بعض المدارس التي درست الطب، والهندسة ، وغيرها من العلوم الدنيوية[(٣)].

٢- بناء المساجد والجوامع والعناية بها:

اهتم المماليك بِحِلَق العلم التي كانت تقام في المساجد والجوامـع، مثـل جامع ابن طولون، الذي بناه ابن طولون سنة ٢٦٣هـ، ولقد اعتنى به المماليك فأوقفوا له الأوقاف ، ورتبوا فيه الدروس في مختلف العلوم[(٤)].

---

(١)- انظر: عصر سلاطين المماليك ٣/١٠ – ١١.

(٢)- المصدر السابق ٣/١٦-٢٦.

(٣)- العصر المماليكي ٣٣٣ - ٣٣٥ .

(٤)- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ٢/٢٥١ ، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم-دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه –ط الأولى١٩٦٨،وعصر سلاطين المماليك ٣/٣٤-٣٧.

وكذلك جامع الأزهر الذي بناه الفاطميون سنة ٣١٦هـ ، فقد حظي من المماليك بعناية فائقة من ترميم، وتجديد، وإيقاف الأوقاف له، كما لقي شيوخه وطلابه رعاية خاصة[١]. ومثله في العناية جامع الحكم الذي بناه الفاطميون سنة ٣٩٣هـ، وجدد بناءه الظاهر بيبرس بعد أن هدم، ورتب فيه دروساً للفقه على المذاهب الأربعة، ودروساً في الحديث، والنحو، والصرف ،والقراءات[٢].

٣- المكتبات:

تعتبر المكتبات من حسنات هذا العهد، إذ وجدت مكتبات زاخرة بالكتب من جميع الفنون العلمية، مع القيام عليها قياماً تاماً، وإمدادها بالكتب من جميع الفنون، وتكون هذه المكتبات للاطلاع والفائده منها، ولاتستعار الكتب منها إلا في حالات نادرة جداً، ويقوم بترتيب المكتبة والقيام عليها "خـازن المكتبـة"، ويقوم عليها ويرشد القراء إلى أماكن الكتب، ويصلح ما فسد منها بالخرز ونحو ذلك[٣]. وقد أفرزت هذه الحركة العلمية، كماً هائلاً من المؤلفات والمصنفات في مختلف العلوم والمعارف، في علوم القرآن، والحديث ،والفقه ،والتاريخ، وفي علوم اللسان من نحو وصرف وبلاغة، و في الطب، والمنطق، والأدب، وغيرهـا من العلوم[٤].

فلذلك برز في العصر هذا كثير من العلماء أمثال ابن الصلاح، وسـلطان العلماء العز بن عبد السلام، والمؤرخ ابن خلكان، والإمام النووي، وابن دقيق العيد، وابن الرفعة، ونجم الدين الطوفي الحنبلي، وشيخ الإسلام ابـن تيميـة، والحافظ المزي، وابن عبد الهادي، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير، وتقي الدين السبكي، والحافظ ابن رجب الحنبلي، والحافظ ابن حجـر العـسقلاني،

---

(1) - حسن المحاضرة للسيوطي ٢٥١/٢ ، وعصر سلاطين المماليك ٣٤/٣.

(2) - حسن المحاضرة للسيوطي ٢٥٣/٢ ، وعصر سلاطين المماليك ٣٧/٣.

(3) - العصر المماليكي ص٣٣٣-٣٣٥.

(4) - عصر سلاطين المماليك ٩٠/٣-١٧٤.

وبرهان الدين البقاعي، والحافظان السخاوي والسيوطي، وغيرهم كثير، رحمهم الله جميعا[١].

المبحث الخامس

الحالة الاقتصادية

اهتم المماليك بالزراعة و خاصة في مصر اهتماماً كبيراً، فاعتنوا بالجسور والترع ، ولكن كان يعوق تقدم الزراعة كثرة الضرائب التي كان المماليك يثقلون بها كاهل الفلاحين، ، مثل ضريبة الأرض والخراج، وزكاة الدولة، والرسوم الجمركية، وضريبة التركة، وضريبة وفاء النيل، وغير ذلك من الضرائب[٢].

واهتم المماليك إلى جانب الزراعة بالثروة الحيوانية، فاعتنوا بتربية الأغنام والدواجن[٣]، وازدهرت كثير من الصناعات، بلغت درجة عالية من الرقي،

---

(1) - المصدر السابق ٣/٨٨-٤٠٢.

(2) - تاريخ المماليك البحريةص٤٢٦ ، العصر المملوكي ص٢٧٧.

(3) - العصر المملوكي ص٢٧٧.

كصناعة المنسوجات، والفـرش، والـستور، والخـيم، والـسروج، والأواني النحاسية، والزجاج، والسكر، والحلوى، والزيوت، والأسلحة، وأدوات الحرب ، والسفن، وأدوات الصيد، وغيرها(١)**.**

وكانت التجارة الشرقية التي كانت تخترق مصر والشام في طريقهـا إلى أوربا، مصدراً لملئ خزينة الدولة بالأموال، وذلك من فرض الضرائب الباهظـة التي فرضتها الدولة على هذه التجارة، علاوة على ذلك، فقد كانت الأسـواق تزدهر بالبيع والشراء، كما بنيت الخانات والفنادق، ووسعت الأسواق القديمة من أجل ذلك(٢)**، ومع هذا الازدهار الاقتصادي فقد كان كـثير مـن النـاس يعيشون في فقر، ومنهم البقاعي- رحمه الله -.**

الفصل الثاني
حياة البقاعي

ويشتمل على أربعة مباحث :

---

(1) - **المصدر السابق ص٢٧٨.**

(2) - **المصدر السابق ص٢٨٤.**

المبحث الأول: اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الثالث: مؤلفاته .

المبحث الرابع : مكانة البقاعي العلميـة وثناء العلماء عليه .

المبحث الأول

اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته ووفاته

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط[(١)] بن علي بن أبي بكـر البقـاعي، الخرباوي الشافعي، الدمشقي الأصل والمنشأ والوفاة، نزيل القاهرة.

ويلقب ببرهان الدين،ويكنى بأبي الحسن.

---

(١) - الرباط: بضم الراء وتخفيف الباء الموحدة، هو لقب لجده حسن، وسبب تلقيبه بذلك أن شخصاً من أكابر أقاربه رآه وهو شاب، وكان طويلاً رفيعاً فقال له: كأنك رباط - بكسر الراء - وهو الحبل الكبير، فأصبح معروفاً بالرباط - بالضم - بعد ما حرفته العامة. انظر عنوان الزمان للبقاعي ١/ق ٣٥٦.مصورة في الجامعة الإسلامية برقم٢٩٨٥.

والبقاعي: بكسر الباء الموحدة - وقيل بضمها، والأول هو المشهور - وفتح القاف مخففة، وبعد الألف عين مهملة، نسبة إلى سهل البقاع العزيزي من أعمال الشام، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة ، ويقع هذا السهل الآن في أراضي لبنان(١).

والخرباوي: نسبه إلى القرية "خربة روحا" وهي قرية لا تتجاوز مرحلة واحدة من دمشق، أي ما يقارب ٤٤ كيلو متراً(٢).

مولده ونشأته:

ولد الحافظ البقاعي في شهر شعبان من سنة ٨٠٩هـ تقريباً، في قرية "خربة روحا" الواقعة في سهل البقاع العزيزي(٣).

ونشأ بين أبوين صالحين فقيرين، فتعلم الكتابة والقرآن، حتى إنه حفظه ولما يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وصلى بالناس التراويح.

ثم حدثت فتنة في قريته في سنة ٨٢١هـ، فقتل والده وعماه وآخرون من أقاربه، وأصيب البقاعي بالسيف ثلاث ضربات كادت أن تؤدي إلى موته، وعند ذلك فرت أمه مع أبيها وولدها، حتى وصلت إلى دمشق المحروسة سنة ٨٢٣هـ(٤)، وقد اعتبر البقاعي هذه الرحلة فيما بعد من نعم الله عليه، إذ يسرت له هذه الرحلة، طلب العلم الشرعي بفنونه المختلفة، حيث جدد حفظه

---

(١) - انظر:مراصد الاطلاع لابن عبد الحق البغدادي١/٢١١ ، تحقيق علي محمد البجاوي-دار إحياء الكتب العربية-الطبعة الأولى١٣٧٣هـ ، تاج العروس للزبيدي٢٠/٣٤٧ ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي – مطبعة حكومة الكويت ط١٤٠٣هـ.

(٢) - عنوان الزمان للبقاعي ١/ق٣٥٦.

(٣) - قال البقاعي عن نفسه: " ولد صاحب الترجمة سنة تسع وثمانمائة تقريباً" انظر "عنوان الزمان" ١/ق ٣٥٨.

(٤)- عنوان الزمان ١/ق٨ ٣٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد٩/٥٠٩-دارابن كثير-دمشق-ط الأولى١٤٠٦هـ.

للقرآن ،وصلى التراويح أيضاً، وعرف أصول القراءات السبعة، وحفظ بعض "الشاطبية" وقرأ على علامة القراء بالشام الشيخ صدقة بن سلامة بن حسين الضرير المَسحراني[(١)] (ت٨٢٥هـ)[(٢)].

ثم لازم الشيخ العلامة أبا حامد محمد بن ادر بن عبد الله الدمشقي الشافعي المعروف بـ"سبط ابن الشهيد" (ت٨٣١هـ)[(٣)]، وأخذ عنه النحو والصرف والفقه والمعقولات، واستمر ملازماً له إلى أن مات[(٤)].

وفي سنة ٨٢٧هـ، قدم العلامة أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الجزري(ت٨٣٣هـ)[(٥)] إلى دمشق، فلازمه البقاعي وأخذ عنه القراءات العشر وحفظ منظومته في القراءات "طيبة النشر في القراءات العشر"[(٦)].

ثم رحل البقاعي إلى القدس، واشتغل فيها بالحساب على العماد إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن شرف المقدسي الشافعي (ت٨٥٢هـ)[(٧)].

ثم عاد الى دمشق وقرأ "الحاوي" على فقيه الشام تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي المعروف بابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)[(٨)].

ثم رحل البقاعي الى القدس ومكث فيها عامين درس فيها على علمائها.

---

(1) - انظرترجمته في: إنباء الغمر لابن حجر ٤٧٥/٧ ، ٤٧٦، عنوان الزمان للبقاعي،٢/ق ٧٦.

(2) - انظر: عنوان الزمان ١/ق ٣٥٨، ٢/ ق٧٦ .

(3) - انظر ترجمته في عنوان الزمان، للبقاعي ٣/ق ٢١٠ ، والضوء اللامع للسخاوي ٢٠٤/٧ - ٢٠٥ ،دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

(4) - عنوان الزمان ١/ق ٣ .

(5) - انظرترجمته: الذيل الشافي لابن تغري ٦٩٧/٢، عنوان الزمان ٤/ق ٢٠٦.

(6) - عنوان الزمان ١/ق ٣٥٩.

(7) - انظرترجمته: في الضوء اللامع للسخاوي ٢٨٤/٢.

(8)- انظر ترجمته: الضوء اللامع للسخاوي ١٥٥/٧، والأعلام للزركلي ٥٨/٦،دار العلم للملايين- بيروت لبنان- الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٥م.

وفي سنة ٨٣٤هـ رحل البقاعي إلى القاهرة، فالتقى فيها بالحافظ العلامة أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، المعروف بابن حجر (ت٨٥٢هـ)[١] فلازمه وقرأ عليه، وأعجب به الحافظ، وأثنى عليه، ووصفه بالعلامة[٢]، ثم رحل مع الحافظ ابن حجر إلى حلب سنة (٨٣٦هـ)، وأخذ فيها عن مشايخها، وأكثر من سمع منه هناك حافظ الشام العلامة إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي، المعروف بـ سبط ابن العجمي (ت٨٤١هـ)[٣].

وفي سنة ٨٤٨هـ توجه البقاعي الى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج، وسمع على بعض شيوخ مكة، والطائف، والمدينة النبوية، وينبع، ثم رجع قافلاً إلى القاهرة في سنة ٨٤٩هـ، واستمر في ملازمة شيخه ابن حجر حتى توفي سنة(٨٥٢هـ)، ثم اشتغل بالتأليف والتدريس، وقام عليه المتصوفة وأهل الوحدة والاتحاد فحسدوه وعادوه وآذوه، حتى وصل م الحال إلى تكفيره وتأليب السلطان عليه، فرحل عند ذلك من القاهرة إلى دمشق وذلك في سنة (٨٨٠هـ)[٤]، وبقي فيها بقية عمره رحمه الله رحمة واسعة.

وفاته:

بعد حياة مليئةٍ بالإنجازات العلمية، والجهاد في سبيل الله، يسلم الشيخ روحه إلى خالقها، فيموت في ليلة السبت الثامن عشر من شهر رجب، سنة

---

(1)- انظر ترجمته: الضوء اللامع ٣٦/٢، شذرات الذهب ٣٩٥/٩.

(2)- عنوان الزمان ١/ق ٣٦٠.

(3)- ترجمته: عنوان الزمان ١/ق ٤٠٠،الضوء اللامع ١٣٨/١.

(4)- الضوء اللامع للسخاوي ١٠٦/١.



خمس وثمانين وثمانمائة[(١)] من الهجرة النبوية، وصلي عليه يوم الأحـد بالجـامع الأموي، ودفن بمقبرة الحميرية، خارج دمشق ، من جهه قبر عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموية[(٢)].

رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته، علـى مـا قـدم للإسـلام والمسلمين.

وهو رحمه الله ممن رثى نفسه قبل مماته ، حيث قال :

نعم انني عما قريب لميـــت ... ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
كأنك بى أنعى عليك وعنـدها ... ترى خبرا صمـــت له الأذنان
فلا حسد يبقى لديك ولا قـلى ... فينطق فى مدحى بأى معـــان
وتنظر أوصافى فتعلم أ ـــا ... علت عن مدان فى أعز مكــان
ويمسي رجالا قد دم ركنهـم ... فمدمعهم لي دائم الهمـــلان
فكم من عزيز بى يذل جماحـه ... ويطمع فيه ذو شقا وهـــوان
فيارب من تفجأ ول يــوده ... ولو كنت موجودا لديه دعـانى
ويارب شخص قد دهته مصيبة ... لها القلب أمسى دائم الخفقــان
فيطلب من يجلو صداها فلايرى ... ولو كنت جلتها يدى ولســانى
وكم ظالم نالته منى غضاضـــة ... لنصرة مظلوم ضعيف وجنــان
وكم خطة سامت ذووها معرة ... أعيدت بضرب من يدي وطعـان
فان يرثنى من كنت أجمع شملـه ... بتشتيت شملى فالوفاء رثـــانى

---

(1) – أجمع كل من ترجم للبقاعي فيما وقفت عليه على هذا التاريخ لوفاته، ولم يرد خلاف ذاـك إلا ماجاء بكتاب(أسماء الكتب) لعبد اللطيف زادة حيث ذكر أنه توفي ســنة٨٣٧ (٢١١/١)وهـو خطأ وقد قال ابن العماد عن البقاعي: توفي بدمشق في رجب عن ست وسـبعين سـنة "شـذرات الذهب ٣٤٠/٧) وهذا يؤكد صحة وفاته عام خمس وثمانين ، إذ هو مولود في عام تسع وثمانمائة.

(2) - انظر: الضوء اللامع للسخاوي ١٠٧/١، شذرات الذهب لابن العماد ٩/٩.

المبحث الثاني
شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

لقد حظي البقاعي بالتتلمذ على كثيرٍ من الشيوخ، الـذين سـطرهم في كتابٍ له مستقل سماه: "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران"،وكان مـن أبرز هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم:

١- العلامة المحقق أحمد بن علي بن حجر العسقلاني خاتمة الحفاظ (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) وقد قرأ عليه وأجازه بجميع مروياته.

قال الكتاني : " وكان البقاعي المذكور من أكابر أصحاب الحـافظ ابـن حجر ".[١]

٢- العلامة الفقيه مؤرخ الشام أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمـر بـن محمد الأسدي الدمشقي الشافعي، المعروف بـابن قاضـي شـهبة (٧٧٩ - ٨٥١هـ) ،وقد أخذ عنه الفقه[(٢)].

٣- الإمام العالم الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة المقدسي الناصري الباعوني الدمشقي (٧٧٧ - ٨٥٩هـ)،وقـد درس عليـه بالباسطية من صالحية دمشق[(٣)].

٤- العلامة المحدث أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بـن قايماز بن عثمان البوصيري القاهري الشافعي (٧٦٣-٨٤٠هـ) ،كان كـثير السكون والتلاوة والانجماع عن الناس ، وله عناية بالحديث ، وقد أجاز البقاعي بمروياته ومصنفاته[(٤)].

---

1 - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، المؤلف : عبد الحـي بن عبد الكبير الكتاني ، دار العربي ، بيروت ، ١٤٠٢، الطبعة الثانيـة، تحقيـق : د. إحـسان ، (٦٢٠/٢) .

(2)- انظر: ذيل معجم الشيوخ لابن فهد ص ٣٣٧.تحقيق محمد الزاهي، دار اليمامـة-المطبعـة الأهلية للأوفست.

(3)- عنوان الزمان للبقاعي ١/ق ٢٩٢.

(4)- عنوان الزمان ١/ق ١٧ - ٢٢، وانظر ترجمته : الضوء اللامع ٢٥١/١.

٥- العلامة المتفنن حسن بن محمد بن حسن الصالحي اللحام الهندي، الشهير بـ قُندس (٧٧٠ - ٨٤٠هـ)، وقد أخذ عنه بدمشق سنة (٨٢٨هـ) أوائل "الشمسية" في المنطق[١].

٦- العلامة المقرئ شرف الدين صدقة بن سلامة بن حسين بن بدران بن ابراهيم المسحراني الدمشقي (٧٦٠ - ٨٢٥هـ) ، اعتنى بالقراءات ، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بدمشق ، وأقرأ القراءات بالجامع الأموي ، وانتفع به خلائق بدمشق ، وتخرج به أكثر مشايخها ، جود عليه البقاعي القرآن[٢] .

٧- العلامة عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن حسين بن يحيى اللخمي المصري الحنبلي، المعروف بالقبابي (٧٤٩ - ٨٣٨هـ) ، كان شيخا خيرا متيقظا منورا محافظا على التلاوة والعبادة ... محبا في الحديث وأهله ، يحث من يتعلق به على المواظبة عليه وهو من بيت علم ورواية ، وقد أخذ عليه "علوم الحديث" لابن الصلاح شفاها[٣] .

٨- العلامة القاضي علي بن محمد بن علي بن عمر بن عبد الغفار النحراوي المالكي، المعروف بابن عديس (٧٧٩ - ٨٤٠هـ)، ولي قضاء بلده مدة ، وحمدت سيرته ، وكان هينا لينا ، عليه سكينة ، وعنده محاسنة ومسالمة للناس ، قرأ عليه البقاعي "صحيح الإمام البخاري"[٤].

٩- العلامة أبو حفص عمر بن قديد بن عبد الله القَلَمطائي، بفتح القاف واللام وسكون الميم، القاهري الحنفي، المعروف بابن قَدِيد - بالتكبير (٧٨٥ - ٨٥٦هـ)، كان من كبار الأمراء ولي نيابة الكرك واسكندر ، حفظ القرآن وغيره من كتب العلم ، قال عنه السخاوي " قل من كان في وقتنا من أئمة

---

(1)- عنوان الزمان ١/ق ١٢، الضوء اللامع ١٢٤/٣.

(2)- عنوان الزمان ١/ق ٣٥٨ ، وانظر: الضوء اللامع ٣١٨/٣ .

(3)- عنوان الزمان ٢/ق ١٣٥، وانظر: إنباء الغمر لابن حجر ٣٦٣/٨ ، و الضوء اللامع ١١٣/٤ .

(4)- عنوان الزمان ٢/ق ٤٠٣ ،و انظر: الضوء اللامع ٣٢٢/٥ .

الحنفية من اجتمع فيه من العلم والزهد واتباع السلف ما اجتمع فيه "[١]، وقد أخذ عنه البقاعي كثيراً من العلوم، مثل: النحو، والأصول، والمعاني، والبيـان، والمنطق، والحكمة، والجدل، وغيرها[٢].

١٠- العلامة أبو حامد محمد بن خضر بن عبدالله الدمـشقي الـشافعي، المعروف بسبط ابن الشهيد (٨٠٠ - ٨٣١هـ) ، كان ذكيا فطنـا ورعـا ، وكان رفيع القدر عالي الهمة ، ومحاسنه جمة ، وعده البقاعي من شيوخه[٣] .

١١- الفقيه الأصولي النحوي محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي الشافعي (ت٨٥٠هـ)، وقد أخذ عنه الفقه وأصوله، والنحو، والمنطق، والمعاني والبيان[٤].

١٢- الإمام العلامة المفسر أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم بـن محمد ابن عبد الصمد المغربي المالكي (٨٢١ - ٨٦٤هـ) ، حفظ القرآن وتلا بالسبع على أبيه ، حفظ شيئا كثيرا من المختصرات بل والمطولات ، وبـرع في العلوم ، وكثرت معارفه وبرز على أقرانه بل على مشايخه ، وهو الذي أرشـد البقاعي إلى تأليف كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"[٥]

---

(1)- انظر: الضوء اللامع ٦/١١٤ .

(2)- عنوان الزمان ٢/ق ٤٣٣ .

(3)- عنوان الزمان ١/ق ٣٥٨، وانظر: الضوء اللامع ٧/٢٠٥.

(4)-عنوان الزمان ٢/ق ٢٥ - ٥٠ ، وانظر : إنباء الغمر لابن حجر ٩/٢٤٧،.

(5)- انظر: ذيل معجم الشيوخ لابن فهد ص ٣٣٦، والضوء اللامع ٩/١٨٠. وقال الشوكاني في البدر الطالع : " وذكر البقاعى أن صاحب الترجمة (أبو الفضل هذا) هو الذى أرشده إلى ما وضعه في التفسير من المناسبات بين الآيات والسور وأنه قال له الأمر الكلى المفيد بعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذى سيقت إليه السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ماسيتبعه من اشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التى تقتضي البلاغـة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي على حكم الربط بـين

١٣- الإمام العلامة المحدث محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد الدمشقي، المعروف بابن ناصر الدين (٧٧٧ - ٨٤٢هـ) ، الشافعي وقيل الحنبلي ، حفظ القرآن الكريم وعددا من المتون ، وسمع الحديث ومهر فيه ، وقرأ على ابن حجر وقرأ عليه ابن حجر ، وعده البقاعي من شيوخه[١] .

١٤- الإمام العلامة المقرئ أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الجزري (٧٥١ - ٨٣٣هـ)، وقد أخذ عنه القراءات[٢].

تلاميذه:

نظرا لمنزلة الإمام البقاعي العلمية الكبيرة، فقد كثر تلاميذه والآخذون عنه، وكان من أبرزهم:

١- المقرئ الشاعر، شيخ قراء دمشق، أحمد بن عبد الله بن زهير بن خليل الرملي الدمشقي الشافعي (٨٥٤ - ٩٢٣هـ)، فقد لازمه مدة إقامته بدمشق ، وأخذ عنه "ألفية الحديث"، وكتب عنه قطعة من "نظم الدرر"[١].

جميع أجزاء القرآن فإذا فعلت ذلك تبين لك ان شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية آية في كل سورة سورة والله الهادى انتهى " البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تأليف : محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (٢٤٨/٢) .

(1)- عنوان الزمان ١/ق ٢٩٢، وانظر : الضوء اللامع ١٠٣/٨.

(2) - عنوان الزمان ١/ق ٣٥٩.

٢- العلامة حسن بن علي بن يوسف بن المختار الإربلي الحصكفي الحلبي الشافعي، الشهير بابن السيوفي وهي حرفة أبيه (٨٥٠ - ٩٢٥هـ)، وقد أخذ عنه سنة ٨٨١هـ[٢].

٣- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي الطولوني الشافعي (٨٤٩ - ٩١١هـ)، وقد تردد عليه وسمع منه[٣].

٤- العلامة المحدث أبو الخير عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن محمد الهاشمي المكي الشافعي، المعروف بابن فهد (٨٥٠ - ٩٢١هـ)[٤].

٥- عبد القادر بن عمر بن حسين بن علي بن مشرف بن سعيد الزفتاوي القاهري المقسي الشافعي (ت٨٨٣هـ)، وقد قرأ عليه "شرح النخبة"[٥].

٦- العلامة المؤرخ أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر النعيمي الدمشقي (٨٤٥ - ٩٢٧هـ)، وقد أخذ عنه وأجازله[٦].

٧- أبو حامد عبيد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني الشافعي، المعروف بابن السيد (٨٤٢ - ٩٠٠هـ)، وقد أخذ عنه بدمشق[٧].

٨- علي بن إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري المقسي الشافعي، المعروف بالكبشاوي، المولود سنة (٨٤٠هـ)، وقد قرأ عليه "نظم الدرر"[١].

---

(1)- الضوء اللامع ٢٢١/١، الكواكب السائرة للغزي ١٣١/١،تحقيق جبرائيل سليمان جبور، نشر:محمدأمين وشركاه-بيروت-لبنان.

(2)- انظر: الضوء اللامع ١١٨/٣،الكواكب السائرة ١٧٨/١.

(3)- الضوء اللامع للسخاوي ٦٥/٤، البدر الطالع للشوكاني ٣٢٨/١.دار الكتاب الإسلامي-القاهرة.

(4)- الضوء اللامع ٢٢٤/٤، الكواكب السائرة ٢٣٨/١.

(5) - الضوء اللامع ٢٨١/٤.

(6)- الضوء اللامع ٢٩٥/٤، الكواكب السائرة ٢٥٠/١.

(7)- الضوء اللامع ١١٩/٥، هدية العارفين للبغدادي ٦٥٠/٥دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان- ط ١٤١٣هـ.

٩- نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن علي المحلي القاهري الشافعي، المعروف بابن قريبة، وقد لازمه كثيراً، وأوصى له البقـاعي بكتبه بعد موته[٢].

١٠- أبو النجا محمد بن أحمد بن عبد الله بن رمضان القاهري الشافعي، المعروف بالمخلص (ت٨٩٦هـ) وقد أخذ عنه سنة (٨٦٨هـ)[٣].

١١- محمد بن أحمد بن علي بن محمد النشرتي القاهري الشافعي (٨٢١ - ٨٨١هـ)، وقد قرأ عليه "مختصر الروح" له[٤].

١٢- العلامة أبو الجود محمد بن أحمد بن عيسى بـن أحمـد البـدراني الدمياطي القاهري الشافعي، المعروف بابن النجار (٨٤٥ - ٩٢٨هـ)[٥].

١٣- محمد بن علي بن عبد الله الـبلان الـسدار، المعـروف بالـاور (ت٨٩٠هـ)[٦].

١٤- العلامة المالكي يعقوب بن عبد الرحمن بن يعقوب بن عبد الـرحمن المغربي الفاسي، المعروف بابن المعلم (٨٢٤ - ٨٧٧هـ)، وقد حـضر عليـه مجالس كثيرة، وقرأ عليه "نظم الدرر" وأجاز له[٧].

ويمكن معرفة تلامذته، عن طريق كتاب "الكواكب السائرة" ونحوه من تراجم أهل القرن العاشر، حيث ذكر البقاعي في عداد شيوخ كثير منهم .

---

(1)- الضوء اللامع ١٥٢/٥.
(2) - المصدر السابق ١٨/٦.
(3)- المصدر السابق ٣٢٤/٦.
(4)- المصدر السابق ٨/٧ - ٩.
(5)- الضوء اللامع ٣٥/٧، الكواكب السائرة للغزي ٣٣/١.
(6)- الضوء اللامع ١٩٥/٨.
(7)- عنوان الزمان ٤/ق ٣٣٧، الضوء اللامع ٢٨٤/١٠.

المبحث الثالث

مؤلفات البقاعي

كان البقاعي - رحمه الله - كثير التأليف والتصنيف، حيث نبغ في كـثير من العلوم والمعارف، فقد ألف في القرآن والتفسير، وفي الحديث وعلومه، و في العقائد والأديان، و في الفقه، والتاريخ، والتراجم، والحساب، واللغة، والأدب ،وغيرها من العلوم.

وهذه مؤلفاته مرتبة على الحروف الهجائية، مع بيـان المطبـوع منـها والمخطوط ومكان وجوده حسب الإمكان.

١- "الإباحة في شرح الباحة في علمي الحساب والمساحة" : وهو شـرح لمنظومته في الحساب والمساحة، والمسماة بالباحة، والـتي بـدأ تأليفهـا سـنة

٨٢٧هـ، ويوجد منها نسخة بالمكتبة الخديوية بدار الكتب المصرية، تقع في نحو (٢٠٠) ورقة[1].

٢- " إتمام إيساغوجي"[2] : في المنطق، يوجد منه نسخة خطية في مكتبة الأسد بدمشق برقم (١٤١١٤)، في خمس ورقات (٤٦ - ٥٠ق)، قال في آخرها: "هذا تمام إيساغوجي بزيادة أسئلة وغيرها، أورد ا من قبلي، نافعة إن شاء الله تعالى مشاركة في الأجر، وقصداً لتسهيل العلم، فرغت منه يوم الاثنين العشرين من شهر رجب الفرد، سنة إحدى وستين وثمانمائة القاهرة المعزية"[3].

٣- " الأجوبة السرية عن الألغاز الجزرية في القراءات" : منه نسختان في "المكتبة الأزهرية" بالقاهرة برقم ١١٢ في ١٥ ورقة، ورقم ٥٩٥٠ نسخ سنة ١٠٩٣هـ، ويوجد نسخة مصورة على ميكرو فيلم بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية ،برقم (٢٨٩) ، وهي مصورة عن الأزهرية[4].

---

(1)- عنوان الزمان ١/ق ٣٦١، كشف الظنون لحاجي خليفة ٢١٦/١،دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان-ط١٤١٣هـ، تاريخ آداب اللغة العربية ،لجرجي زيدان، ١٨٣/٣،تحقيق شوقي ضيف-دار الهلال.

(2)- قال حاجي خليفة في كشف الظنون (٢٠٦/١) عن معنى إيساغوجي:" هو لفظٌ يوناني، معناه الكليات الخمس، أي الجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض العام، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق" اهـ.

(3)- فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي ق٥/ أ،مركز المخطوطات-الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة-مخطوط رقم٧٣٩٤، ومقالة الأستاذ خير الله الشريف "الإمام البقاعي ومؤلفاته "في مجلة آفاق الثقافة والتراث،تصدر في الإمارات، العدد التاسع محرم ١٤١٦هـ ص ٨١ ، ولدي نسخة منها .

(4)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق ٤/ أ، ومقالة خير الله الشريف ص ٨١.

٤-" أحسن الكلام المنتقى من ذم الكلام" : انتقاه من كتاب "ذم الكلام"، لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري المتوفي سنة ٤٨١هـ، بعد سماعه من شيخه ابن حجر سنة ٨٤٦هـ[١]، وهو من الكتب المفقودة.

٥-" أخبار الجلاد في فتح البلاد" : تكلم فيه على فتوحات الإسلام في عصره الأول، ووصل فيه إلى خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويوجد منه نسختان في استنبول في مكتبة دامار إبراهيم باشا برقم ٨٨٦، وفي مكتبة لاله لي برقم ١٩٩٤، ونسخة في المكتبة الوطنية بباريس برقم٥٨٦٢.[٢]

٦-" الإدراك لفن الاحتباك" : وهو في الفنون البلاغية، قال البقاعي في "نظم الدرر" عن هذا الفن وهذا الكتاب: "وهو فن عزيز نفيس، وقد جمعت فيه كتاباً حسناً، ذكرت فيه تعريفه ومآخذه من اللغة، وما حضرني من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء، وسميته "الإدراك لفن الإحتباك""[٣].

٧- "أسد البقاع الناهسة لمعتدي المقادسة" : وهو عبارة عن كراريس، تحدث فيها نظماً ونثراً عن كائنة وقعت له بالقدس سنة ٨٣٤هـ[٤].

٨- "الاستشهاد بآيات الجهاد" : يوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية، برقم (١٣٧٦) تصوف[5].

---

(1)- انظر: كشف الظنون ١٧/١، هدية العارفين للبغدادي ٢٢/٥، مقالة خير الله ص ٨٤

(2)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي ق٤/ أ، ومقالة خير الله الشريف ص ٨١.

(3)- نظم الدرر ٢٢٥/١،وانظر:فهرست مصنفات البقاعي ق٣/ أ، مقالة خيرالله الشريف ص ٨٥.

(4) - الضوء اللامع ١١٠/١، وكشف الظنون ٨١/١،هدية العارفين ٢٢/٥.

(5) - مقالة خير الله الشريف ص ٨١، ومقدمة محقق كتاب الأقوال القويمة للبقاعي ، تحقيق سامي العمري، ص ٧٧،رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة أم القرى عام١٤١٩هـ،و توجد صورة من المخطوط مصورة في الجامعة الإسلامية،بالمدينة النبوية،برقم عام٧٧٠.

٩- "الإسفار عن أشرف الأسفار، والإخبار بأظرف الأخبـار" : كمـا يسمى "الإسفار عن أشردة الأسفار"، والكتاب ألفه عند خروجـه إلى غـزوتي قبرص ورودس، ولم يتيسر لهم من الفتح سوى فتح قلعة الميش[١].

١٠- "أسواق الأشواق من مصارع العشاق" : وهـو اختـصارلكتاب "مصارع العشاق في مشارع الأشواق"، للإمام ابن السراج المقرئ المتوفي سـنة ٥٠٠هـ،وقد رتبه البقاعي، وهذبه، وزاد عليه، وأدخل فيه كتـاب الحـافظ مغلطاي: "الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين"، وكتـاب "منـازل الأحباب ومنازه الألباب" لشيخه الحافظ ابن حجر، وللكتاب نسخة في الخزانة العامة بالرباط، برقم ٢٣٢٤في ٢٨٠ ورقة، نسخها سنة ٨٧٦هـ، علي بـن محمد المنظراوي، وأخرى في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، على الميكـرو فيلم رقم ١/٣٢٠، وذكر زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية"[٢]، أن للكتاب نسختين في باريس والأسكوريال[٣].

١١- "الإشارة لمسألة تسابق الحدث والطهارة" : ويوجد منه نـسخة في مكتبة الحرم المكي، بمكة المكرمة، برقم (٨٣٠ص) عام[٤].

١٢- "إشعار الواعي بأشعار البقاعي" : وهو عبارة عن ديوان شعر ضمنه أشعاره، وقد ذكر جزءاً ليس بالقليل منه في كتابه "عنوان الزمان"[٥].

١٣-" أشلاء الباز على ابن الخباز" : وهو جزء جمعه في الرد على خصمه ناصر الدين ابن الزفتاوي [١]، أحد النواب[٢].

---

(1)- انظر: كشف الظنون ١/٨٦، هدية العارفين ٥/٢٢، مقالة خير الله الشريف ص ٨٥.

(2)- ج ٣/١٧٨.

(3)- عنوان الزمان ١/ق ٣٦٢، كشف الظنون ٢/١٧٠٣، مقالة خير الله الـشريف ص ٨٢ - - ٨٢.

(4)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق ٥/ب.

(5)- انظر: عنوان الزمان ١/ق ٣٦٥، ذيل معجم الشيوخ لابن فهد ص ٣٣٨ ،كشف الظنـون ١/١٠٤.

١٤-" أصول التواريخ"[٣]

١٥-" إطباق الأغلال في أعناق الضلال"[٤].

١٦- "الاطلاع على حجة الوداع"[٥].

١٧-" إظهار العصر لأسرار أهل العصر" : هو ذيلٌ على كتاب الحافظ ابن حجر "إنباء الغمر بأبناء العمر"، بلغ فيه الى آخر سنة ٨٧٠هـ[٦]، ومنه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية، برقم ٨٩ في ٣٠٠ ورقة، والكتاب طبع جزء منه بتحقيق د. محمد شديد العوفي[٧].

١٨-" الإعلام بسني الهجرة إلى الشام" : وقد ألفه لما حصلت له فتن في مصر، فهاجر إلى الشام ،منه نسخ خطية في كثير من المكتبات، وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد مجير الخطيب الحسني ، في دار ابن حزم ١٤١٨هـ[٨].

---

(1)- محمد بن محمد بن عبد الله ناصر الدين الزفتاوي الأصل الشافعي ، ولد بالقاهر سنة ٧٨٥ونشأ ا وحفظ القرآن وألفن بن مالك وغيرها وتوفي سنة ٨٧٦..

(2)- انظر الضوء اللامع ١٠٩/١، كشف الظنون ١٠٥/١.

(3)- انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢٧٨/٣) ،مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان-ط الأولى١٤١٤هـ ، والبقاعي وجهوده في التفسير، لمحمد بحيري ص ١١٣،رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين-جامعة الأزهر١٣٩٤هـ ، الأقوال القويمة ص ٧٩.

(4)- انظر: " نظم الدرر"١٧٧/٢٠، مقدمة د. محمد العوفي لكتاب البقاعي" إظهار العصر لأسرار أهل العصر" ٣٣/١ ولم يذكر العوفي موضوعه. ولم يذكره محقق كتاب" الأقوال القويمة" و ليس مذكورا في مقالة خير الله الشريف ، ولم يذكر أحد ممن ترجم للبقاعي موضوعه، غير أنه تبين لي أنه في الرد على بدعة ليس في الإمكان أبدع مماكان، حيث ذكر ذلك البقاعي في هذا الموضع من نظم الدرر .

(5)- مصاعد النظر للبقاعي ٢٧٢/٣،تحقيق :عبد السميع محمد حسنين ،مكتبة المعارف-الرياض-الطبعة الأولى١٤٠٨هـ ، ذيل معجم الشيوخ لابن فهد ص ٣٣٨.

(6)-كشف الظنون ١١٨/١، هدية العارفين للبغدادي ٢٢/٥.

(7)-مقالة خير الله الشريف ص ٨٢.

(8)- وانظر "إيضاح المكنون" (١٠٢/٣) هدية العارفين ٥/ ٢٢، الأعلام للزركلي ٥٦/١، مقالة

١٩-" الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة" : حقق الكتاب، وقدم لجامعة أم القرى، رسالة ماجستير، للطالب سامي بن علـي ابـن محمـد القليطي العمري، و توجد صورة من المخطوط في الجامعة الإسـلامية،بالمدينـة النبوية برقم ٧٧٠.

٢٠-" إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر" : وهو كتاب مختـصر، ذكر فيه أنه ألفه في دمشق، لما رأى اجتماع العوام على شيخ في الجامع يرقصون ويرفعون أصوا م، فكتبه ياً لهم، فرغ منه سنة ٨٨١هـ[(١)]، والكتاب طبـع بتحقيق سليمان بن مسلم الحرش، مكتبة العبيكان ١٤٢١هـ ، وله نسخة في مركـز الملـك فيـصل للمخطوطـات، وهـي مـصورة عـن نـسخة إيرلندا(شستربتي)،عدد لوحا ا٢٨ تاريخ نسخها ٨٨١هـ.وهو إحدى رسائل ثلاث قام بتحقيقها الطالب محمد مسلم إبراهيم في رسالة ماجستير في الجامعـة الإسلامية، بالمدينة النبوية بعنوان"جهود الإمام البقاعي في محاربة الاتحادية والبدع العملية".

٢١-" الانتصار من المعتدي بالأبصار"[(٢)] : قال شيخه الكمال محمد بـن الهمام في تقريظه له:"وقفت على ساحل بحر زاخر إذ وقفت للنظر في هذا المؤلف الباهر ، المنتصب على معارضه كالسيف الباتر ، فلعمري لقد سلك فيه ما يعجز عنه فحول راسخي النظّار ، من دقائق زبدِ أبكار الأفكار..." [(٣)].

٢٢-" الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان" : توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية في باريس، وصورة لها في مكتبة الأسد بدمشق، والكتاب طبع عام ١٤١٦هـ، بتحقيق مجدي فتحي السيد[(٤)].

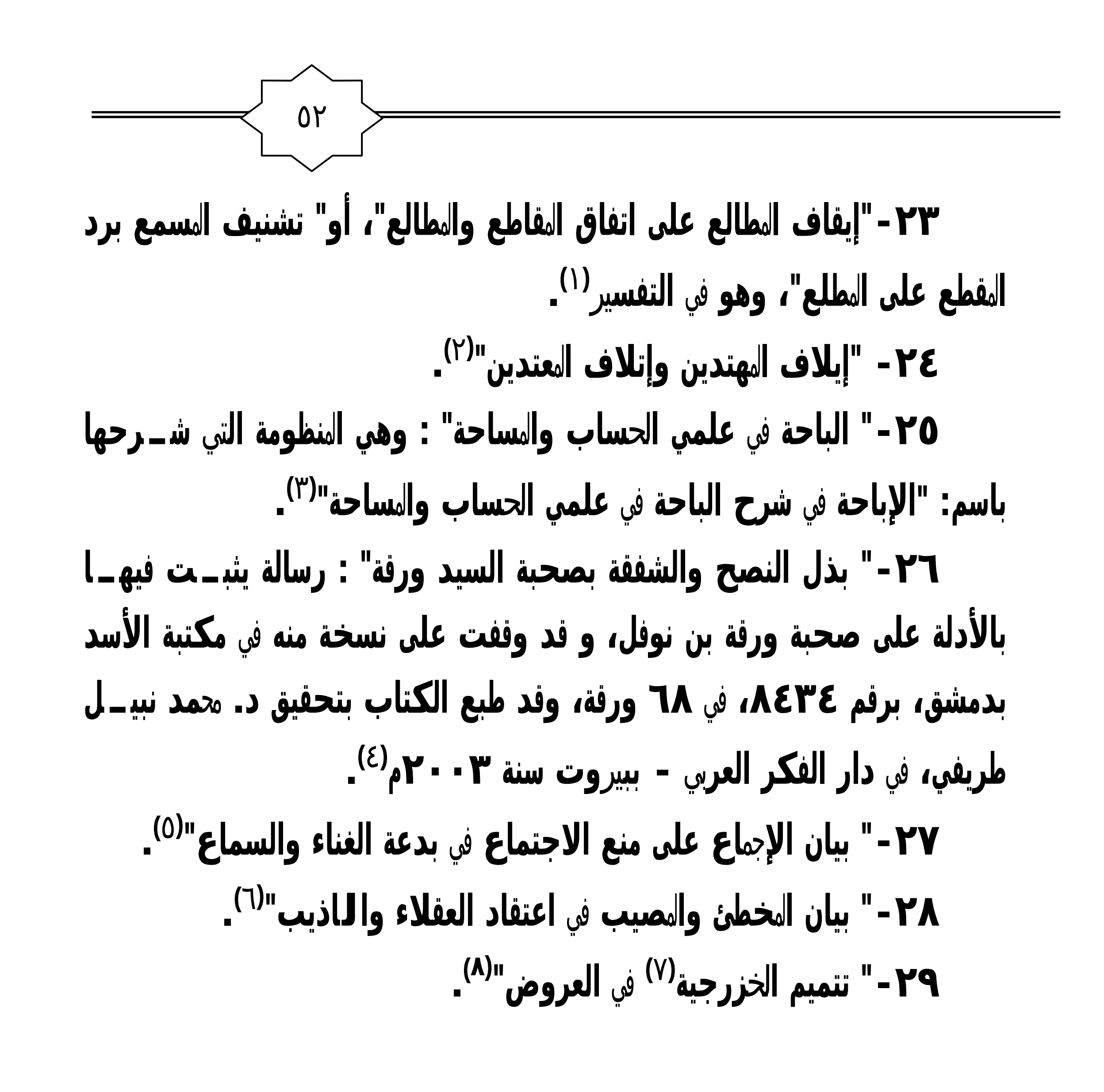
خير الله الشريف ص ٨٢.

(1) - انظر: كشف الظنون ١٧٠/١، هدية العارفين ٢٢/٥.

(2) - انظر: مصاعد النظر للبقاعي ١٣٥/١، وفهرست مصنفات البقاعي ق٤/ أ.

(3)- انظر: مصاعد النظر للبقاعي ١٣٥/١ .

(4) - انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق٥/ أ، هدية العارفين ٢٢/٥ ، مقدمـة محقـق الأقـوال



٢٣-"إيقاف المطالع على اتفاق المقاطع والمطالع"، أو" تشنيف المسمع برد المقطع على المطلع"، وهو في التفسير[١].

٢٤- "إيلاف المهتدين وإتلاف المعتدين"[٢].

٢٥-" الباحة في علمي الحساب والمساحة" : وهي المنظومة التي شـرحها باسم: "الإباحة في شرح الباحة في علمي الحساب والمساحة"[٣].

٢٦-" بذل النصح والشفقة بصحبة السيد ورقة" : رسالة يثبـت فيهـا بالأدلة على صحبة ورقة بن نوفل، و قد وقفت على نسخة منه في مكتبة الأسد بدمشق، برقم ٨٤٣٤، في ٦٨ ورقة، وقد طبع الكتاب بتحقيق د. محمد نبيـل طريفي، في دار الفكر العربي - ببيروت سنة ٢٠٠٣م[٤].

٢٧-" بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع"[٥].

٢٨-" بيان المخطئ والمصيب في اعتقاد العقلاء والكاذيب"[٦].

٢٩-" تتميم الخزرجية[٧] في العروض"[٨].

القويمة ص ٨٠ .

(1) - انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق٤/ب.

(2) - المصدر السابق ق٣/ أ.

(3)- انظر: كشف الظنون ١١٣٥/٢، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٧٨/٢.

(4)- انظر: الأعلام للزركلي ٥٦/١، مقالة خير الله الشريف ص ٨٣.

(5)- كشف الظنون ٢٦٠/١، هدية العارفين ٢٢/٥.

(6)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق٤/ب.

(7)- وتعرف بالرامزة، وهي من البحر الطويل في علم العروض والقوافي للامام ضـياء الـدين أبي محمد عبد الله بن محمد المالكي الأندلسي الخزرجي (ت ٥٤٩هـ) انظر: مقدمة محقق الأقوال القويمة ص ٨١.

(8)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق٥/ أ.

٣٠-" تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد"[١] : وهو رد على ابـن عربي وابن الفارض[٢]، والكتاب مطبوع بتحقيق الشيخ عبد الـرحمن الوكيـل بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ.

٣١- "التحرير لمسألة طال عنها التنفير في شرح الرافعي الكبير"[٣].

٣٢-" تحقيق الشرعة في مقتضى مسمى الركعة"[٤]

٣٣-" التحقيق لما يجب في مقالات الزنديق"[٥]

٣٤-" تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض"، أو "تدمير المعارض في تقبيح ابن الفارض"، وهو عبارة عن رد على من اعتـرض عليـه في تكفـير ابـن الفارض[٦].

٣٥-" ترياق الحاوي[٧] للفتاوي"[٨].

٣٦-" تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي"[٩] : والكتاب مطبوع مع "تحذير العباد"، بتحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل، تحت اسم "مصرع التصوف"[١].

---

(1) - نظم الدرر ٤٤٥/٢٢.

(2)- ستأتي ترجمتهما عند الحديث عن جهود البقاعي في الرد على المخالفين .

(3)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق ٢/ب.

(4)- المصدر السابق ق ٢/ب.

(5)- المصدر السابق ق ٢/ب.

(6)- ذكره في نظم الدرر ٤٣٤/٢٠، ٤٤٥/٢٢، فهرست مصنفات البقاعي ق ٣/ أ.

(7)- أي الحاوي الصغير، وهو أحد الكتب المعتمدة عند الشافعية، لنجم الدين عبد الغفار بن عبـد الكريم القزويني الشافعي، (ت٦٦٥هـ) . انظر: كشف الظنون ٦٢٥/١.

(8)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق ٤/ب.

(9)- على غلاف الكتاب المطبوع مكتوب " تنبيه الغبي [إلى] تكفير ابن عربي " وكذلك سماه المحقق ، صفحة ١٢، والصحيح هو ما أثبته أعلاه حيث نص على ذلك مؤلفه في مقدمة الكتـاب فقـال "وسميت هذه الأوراق:تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي ، وإن شئت فسمها النـصوص مـن كفـر

٣٧- "تقديم الأركان على من قال ليس في الإمكان أبدع مما كان": رسالة رد فيها على بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة، كما انتقد الغزالي على مقولته هذه في "الإحياء": "ليس في الإمكان أبدع مما كان" وقد فرغ منه سنة ٨٨٣هـ[٢]. وقفت على نسخة منه في مكتبة الأسد بدمشق برقم ١٧٣٨١ في ٢٦ورقة[٣].

٣٨- "تهذيب جمل الخونجي": والجمل هو: "الجمل في مختصر نهاية الأمل" في قواعد المنطق وأحكامه، مؤلفه القاضي محمد بن ناماور الخُونجي، ت٦٤٦هـ[٤].

٣٩- "جامع الفتاوي لإيضاح بهجة الحاوي"[٥]: قال البقاعي في وصفه: "وهو كتاب غريب، مزجت فيه كلام البهجة، على أنه نظم، بكلام الشرح مزجاً، صارا بحيث يظن أن الكلامين مستقل"[٦].

٤٠- "الجامع المبين لما قيل في(وكأين)": وهو تفسير لقوله تعالى: (وكأين من نبي قاتلَ معه ربيونَ كثير فما وهنوا لما أصابهم)الآية[٧] [٨].

الفصوص " تنبيه الغبي (٢٢) وانظر: نظم الدرر (٤٤٥/٢٢) .

(1)- هكذا أسماه المحقق بعد أن ضم إليه " تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد " ونسبة للبقاعي وهو أمر غير مستحسن.

(2)- نظم الدرر١٧٧/٢٠، ١٤١/٢٢، ص ٨٣، كشف الظنون ٥١٣/١.

(3)- وانظر: مقالة خير الله الشريف ص ٨٣.

(4)- كشف الظنون ٦٠٢/١، فهرست مصنفات البقاعي ق ٥/ أ.

(5) - بهجة الحاوي نظم لكتاب الحاوي السابق الذكر، وهي في خمسة آلاف بيت لزين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي ت ٧٤٩هـ.انظر : كشف الظنون ٦٢٦/١ .

(6) - مصاعد النظر١٣٢/١.

(7)- سورةآل عمران ١٤٦.

(8)- انظر: نظم الدرر للبقاعي ١٦٣/٢، وفهرست مصنفات البقاعي ق ٤/ أ.

٤١- "الجواب المصري عن حديث عزي للحسن البصري"[١].

٤٢-" جواهر البحار في نظم سيرة المختار" : وهي عبارة عن أرجوزة في سبعمائه بيت، أتمها في مصر، سنة ٨٤٨هـ، يوجد نسخة منـها في الجامعـة الإسلامية، بالمدينة النبوية، برقم ٦٤٢ ، وأخرى في دار الكتب المصرية، بـرقم ٢١٤٣ في ٣٨ورقة[٢].

٤٣- "خير الزاد المنتقى من كتاب الاعتقاد" : انتقاه من كتاب "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد" للإمام البيهقي ت٤٥٨هـ، بعد ما قرأه على شيخه ابن حجر، وقد فرغ منه في ذي القعدة سنة ٨٦١هـ[٣].

٤٤-" دلائل البرهان لمنصفي الإخوان على طريق الإيمان" : وهي رسـالة أرسلها إلى بعض أحبابه في القاهرة، وقد فرغ منها سنة ٨٧٧هـ[٤].

٤٥-" دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان"[٥] : وهو أحـد الردود على مقولة الغزالي في "إحيائه" "ليس في الإمكان أبدع مما كان" ويوجد منه نسخة في الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية بـرقم ٤٧٦١ ، وأخـرى في

---

(1)- انظر: فهرست مصنفات البقاعي ق٣/ أ.

(2) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٢/ أ، كشف الظنون ٦١٢/١.

(3)- كشف الظنون ٧٢٧/١، هدية العارفين ٢٢/٥، ومقالة خير الله الشريف ص ٨٦.

(4)- فهرست منصفات البقاعي ق ٢/ب، كشف الظنون ٧٥٩/١.

(5)- هذا هو الصواب في اسم الكتاب حيث سماه البقاعي هكذا في نظم الدرر ١٧٧/٢٠ وهكـذا هو في نسخة الجامعة الإسلامية، وكما ذكره الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٩/ ٤٤٣ ، بخلاف ما ذكره كل من حاجي خليفة في الكشف(٧٥٩/١)،والبغدادي في هدية العارفين(٢٢/٥)،وكحالة في معجم المؤلفين(٤٩/١)،وخير الله الشريف في مجلة آفاق الثقافة(ص:٨٣)، باسم" دلالة البرهان على أن ليس في الإمكان أبدع مما كان"، وهذه التسمية ضد المقولة التي يناضل عنها البقاعي.

مكتبة آصف باستنبول برقم(١٣٠٤ -١٠٩)[١]، والكتـاب قـام بتحقيقـه الأستاذ حسين اليعقوبي[٢].

٤٦-" دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظـيم" : وهـو عبارة عن مختصر لكتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والـسور"، والكتـاب يوجد منه نسخة في المكتبة المركزية، بجامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية بالرياض، برقم ٤٧٢٤ في ٤٦٤ ورقة[٣].

٤٧-" ردع الجاهل عن العالم العامل"[٤].

٤٨-" رسالة في تراجم أحوال الرجال" : يوجد منها نسخة في المتحفـة البريطانية بلندن، تحت رقم (٥٧ - ٨٦٥٥) في عدة أوراق بخط المؤلف، وقد فرغ من تأليفها سنة ٨٥٢هـ بالقاهرة[٥].

٤٩- "رفع اللثام عن عرائس النظام" : وهو مختصر في العروض والقوافي، فرغ من تأليفه سنة ٨٤٨هـ[٦].

٥٠- "سر البرهان من در الأوزان".

وهو عبارة عن رسالة في بحور الشعر[٧].

---

(1)- كشف الظنون ٧٥٩/١، هدية العارفين ٢٢/٥ مقالة خير الله الشريف ص ٨٣.

(2)- مجلة دراسات أندلسية،العددالسادس ص(٤٩)،تصدر في تونس.بواسطة مقدمة محقق"الأقـوال القويمة".

(3)- فهرسـت مـصنفات البقـاعي ق ٥/ أ، هديـة العـارفين للبغـدادي ٢٢/٥، إيـضاح المكنون(٤٧٥/٣)

(4)- فهرست مصنفات البقاعي ق ٢/ب.

(5)- مجلة لغة العرب، السنة السابعة، ص ٦١٨.

(6)- فهرست مصنفات البقاعي ق ٣/ب،كشف الظنون٩١٠/١.

(7)- فهرست مصنفات البقاعي ق ٣/ب.

٥١- " سر الروح" : وهو مختصر لكتاب "الروح" لابن القيم ت٧٥١هـ. نشره أولاً محمد بدر الدين الحلبي في القاهرة، بمطبعة السعادة سنة ١٩٠٨م، ثم حققه وعلق عليه محمود محمد نصار، ونشرته مكتبة التراث الإسلامي في القاهرة سنة ١٩٩٠م، ونشر في دار البشائر، دمشق ١٤١٤هـ، بتحقيق عبد الجليل العطا البكري.

٥٢- " السيف الصارم فيمن تكلم من المفتين في مسألة الخاتم"[(١)].

٥٣- "السيف المسنون اللماع، على المفتي المفتون بالابتداع" : وهو عبارة عن رد على السيوطي، الذي أفتى بلزوم قراءة الفاتحة في أعقاب الصلوات. والكتاب يوجد منه نسخة في مكتبة تشستربيتي في دبلن بايرلندا، برقم ٣٦٦٦ في ٢٥ ورقة[(٢)] ، وهي إحدى رسائل ثلاث حققها الطالب محمد مسلم إبراهيم،رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،بعنوان:"جهود البقاعي في محاربة إلحاد الاتحادية والبدع العملية".

٥٤- " شد الرحل لفهم أسرار آية النحل"[(٣)].

٥٥- " شرح جمع الجوامع".

وهو شرح لكتاب "جمع الجوامع" في أصول الفقه، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ت٧٧١هـ[(٤)].

٥٦- " شرح جواهر البحار في نظم سيرة النبي المختار"[(٥)].

---

(1)- فهرست مصنفات البقاعي ق ٥/ب.

(2)- انظر: كشف الظنون ١٠١٨/٢، هدية العارفين ٢٢/٥، الأقوال القويمة ص ٨٨

(3) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٣/ أ.

(4) - كشف الظنون ٥٩٦/١، هدية العارفين ٢٢/٥.

(5)- فهرست مصنفات البقاعي ق ٢/ أ، كشف الظنون ٦١٢/١.

٥٧- "شرح الهداية إلى علوم الدراية" : وهو شرح لمنظومة الإمام ابن الجزري في الحديث ،المسماة "الهداية إلى علوم الدراية"، والتي نظمها سنة (٨٣٣هـ)[١].

٥٨- " صواب الجواب للسائل المرتاب الجادل المعارض في كفر ابن الفارض"[٢] : وهو في الرد على بدعة الاتحاد ، وهي إحدى الرسائل التي قام بتحقيقها الطالب محمد مسلم إبراهيم، في الجامعة الإسلامية، في المدينة النبوية، في رسالة ماجستير بعنوان"جهود البقاعي في محاربة إلحاد الاتحادية والبدع العملية".

٥٩- " الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات" : وهو كتاب مختصر لطيف في القراءات ، والكتاب نشره الأستاذ محمد رستم ، في مجلة الأحياء - العدد السابع - ١٤١٦هـ ص ١٧٧ - ٢١١، وطبع أيضاً في دار الفكر دمشق ١٤١٦هـ، بتحقيق د. محمد مطيع الحافظ،ويوجد منه نسخة في مركزالبحث العلمي بجامعة أم القرى برقم(٧٧٣)،وفي مكتبة الأسد بدمشق رقم(٧٤٢٢)[٣].

٦٠- "العدة في أخبار الردة"[٤]

---

(1)- فهرست الفهارس للكتاني ٦٢٠/٢، تحقيق إحسان عباس ،دار الغرب الإسلامي-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية١٤٠٢هـ ، مقالة خير الله الشريف ص ٨٦.

(2)- ذكره البقاعي في نظم الدرر ٤٤٥/٢٢، وهدية العارفين ٢٢/٥

(3)- انظر:فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي(ق٢/أ)، وكشف الظنون(١٠٩٠/٢)،ومقالة خير الله الشريف(ص:٨٣)،ومقدمة الأستاذ محمد رستم في مجلة الأحياء،العدد السابع(ص:١٨٣).

(4)- واعتبره خير الله الشريف في مقالته ص٨٧، من الكتب المنسوبة له ، والصحيح أنه له فقد ذكره البقاعي في نظم الدرر١٢٨/٢٠ .

٦١- "عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة" : في هذا الكتاب، هذّب منظومة نور الدين محمد بن أحمد بن خطيب الدهشة المصري الحموي، في الخط والشكل والنقط، وزاد عليها[١].

٦٢-" عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران" : جمع فيه أسماء شيوخه، ومعاصريه، وتلاميذه، على حروف المعجم، مع تحقيق أسمائهم، وأنسابهم، ووفياتهم ، على طريقة المحدثين في الدقة والتحقيق[٢] : يوجد منه نسخة في مكتبة ثوبرلي باسطنبول برقم ١١١٩ ، وهي المصورة في الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية ، برقم ٢٩٨٥، وقد أفاد الدكتور عبد السميع حسنين، أن الكتاب قيد التحقيق بمركز التراث بدار الكتب المصرية[٣].

٦٣-" عنوان العنوان بتجريد أسماء الشيوخ والتلاميذ والأقران " : وهو مختصر لكتابه السابق، وهو مطبوع في بيروت، بدار الكتاب العربي سنة ١٩٨٧م[٤].

٦٤-" الفتح القدسي في آية الكرسي" : فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٨٧٩هـ بالقاهرة[٥]. ويوجد منه نسخة في تشستربتي بإيرلندا برقم (٤/٣٤٦٦)، ومنها صورة في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، على ميكروفيلم برقم ٣٦٦٦.

٦٥-" فصول القرآن وأصول الفرقان" : يوجد منه نسخة في خزانة جميل بك العظم ببيروت[٦].

---

(1)- كشف الظنون ١١٤٢/٢، وهدية العارفين ٢٢/٥.

(2)- مصاعد النظر ٥٩/١، الضوء اللامع ١٠٥/١ فهرست مصنفات البقاعي ق ٥/ أ.

(3)- انظر: مقدمة محقق مصاعد النظر للبقاعي ، الدكتور عبد السميع ٥٩/١ .

(4)- كشف الظنون ١١٧٦/٢، هدية العارفين ٢٢/٥، مقالة خير الله الشريف ص ٨٠.

(5)- فهرست مصنفات البقاعي ق ٣/ أ، كشف الظنون ١٢٣٣/٢، مقالة خير الله الشريف ص ٨٤.

(6)- انظر:مقالة عيسى المعلوف ص ٥١٤ ، بواسطة مقدمه محقق (الأقوال القويمة).

٦٦-" فوح الزبد من سقط الزند" : انتقاه - رحمه الله - من ديوان سقط الزند، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ت٤٤٩هـ[١].

٦٧-" القارض في تكفير ابن الفارض"[٢].

٦٨-" قدح الفكر وتنوير البصر بأجوبة الشهاب ابن حجر في الفقه"[٣].

٦٩- "القول الفارق بين الصادق والمنافق" : قال البقاعي عن هذه الرسالة:"...ثم شفيت الأسقام، ودمغت الأخصام، وخسأت الأوهام، بالقول الفارق بين الصادق والمنافق، وهو نحو ورقتين في غاية الإبداع في قطع النزاع"[٤].

٧٠- "القول المعروف في الرد على منكري المعروف"، أو "القول المألوف في الرد على منكر المعروف" : قال - رحمه الله - في سبب تأليفه:" فإن بعض أتباع الشياطين، قد أحدثوا في القاهرة، عقب آذان الصبح مع الفجر: يا دائم المعروف، وأخذوا ذلك من مكة المشرفة،....فعمت بذلك البلوى في سنة ٨٧١هـ، فتألمت من ذلك، وأبطلته من كل مؤذن..."[٥].

٧١- "القول المفيد في أصول التجويد" : وهو عبارة عن كتاب لطيف في التجويد، فرغ منه سنة ٨٣٦هـ[٦]، والكتاب طبع بتحقيق خير الله الشريف عام ١٤١٦هـ، من قبل دار البشائر الإسلامية.

٧٢-" كشف الغمة عن حكم بيع العبد للأمة"[١].

---

(1)- انظر:عنوان الزمان للبقاعي ١/ق٣٦٢ .

(2)- هكذا سماه البقاعي في نظم الدرر ٤٣٤/٢٠ و ٤٤٥/٢٢، بخلاف ما سماه به بعضهم (الفارض) .

(3)- انظر: مقدمة د. محمد العوفي لإظهار العصر ٣٧/١.

(4) - نظم الدرر١٤١/٢٢ .

(5) - انظر: الفواكه العديدة لأحمد النجدي ٨٢/١، مقدمة محقق "الأقوال القويمة" ص ٩٣.

(6) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٢/ أ، كشف الظنون ١٣٦٥/٢.

٧٣-" كفاية القاري وغنية المقرئ في رواية أبي عمرو بن العلاء البصري" ت١٥٤هـ : والكتاب من أوائل الكتب التي ألفها في القراءات[٢].

٧٤- "الكلام على مسألة ما دام"[٣].

٧٥- "اللامعة المنيرة في تصوير السيرة"[٤].

٧٦-" ما لا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان" : وهو في علم النحو، فرغ منه سنة ٨٣٦هـ، منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم١٥٩٣[٥].

٧٧-" مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وثلاثة من الخلفاء الراشدين" يوجد منه نسخة في مكتبة أحمد عبيد بدمشق، وأخرى في برلين برقم٩٦٩٤[٦]

٧٨-" مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" : الكتاب مطبوع بتحقيق د. عبد السميع محمد بن أحمد حسنين في الرياض، ١٤٠٨هـ[٧].

٧٩-" المعاني الألمعية في أصول اللغة العربية"[٨].

---

(1) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٥/ب.

(2) - مصاعد النظر ١٣٠/١، فهرست مصنفات البقاعي ق ٢/ أ.

(3) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٥/ب.

(4) - المصدر السابق ق٢/ب.

(5)- فهرست مصنفات البقاعي ق ٣/ أ، كشف الظنون ١٥٧٥/٢، مقالة خير الله الشريف ص ٨٤.

(6) - الإعلام للزركلي ٥٦/١، مقالة خير الله الشريف ص ٨٤.

(7) - مصاعد النظر ٩٨/١، فهرست مصنفات البقاعي ق ٤/ب.

(8) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٤/ أ.

٨٠- "مقامة الإعلام بأهل العلم والعوام" : فرغ من تأليفه في جمادى الآخرة عام ٨٣٥هـ . ويوجد منه نسخة في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، برقم ٦٣٣ ويقع في ٣ورقات[١].

٨١ -" المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي" : وفي هذا الكتاب مدح الغزالي في أوله، ثم رد عليه مقولته:" ليس في الإمكان أبدع مما كان"[٢].

٨٢-"نظم الجواهر من سيرة سيد الأوائل والأواخر"[٣].

٨٣-" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" : وهو كتابه المشهور في التفسير، وقد فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٨٧٥هـ، وكان قد بدأ بتأليفه في شعبان سنة ٨٦٢هـ[٤]، وقد أثنى عليه جمهرة كبيرة من أهل العلم .

جاء في طبقات المفسرين للداودي : " قال العلامة السيوطي هو مؤلف لم يسبقه إليه أحد ، جمع فيه من أسرار القرآن العظيم ماتتحير منه العقول "[٥] .

قال الشوكاني – رحمه الله - : " ... وكثيرا مايشكل علي شيء في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصرا ا ؛ فلا أجد ما يشفي وأرجع إلى هذا الكتاب (يقصد نظم الدرر) فأجد مايفيد في الغالب "[٦] .

وقد طبع هذا الكتاب كاملاً في حيدر آباد الركن بالهند، سنة ١٩٧٦هـ، وطبعته دائرة المعارف العثمانية ، عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م ، توزيع مكتبة القاهرة ، في ٢٢ مجلدا . كما طبع في بيروت سنة ١٤١٥هـ ، بتحقيق عبد الرزاق المهدي .

---

(1) - المصدر السابق ق ٥/ب.

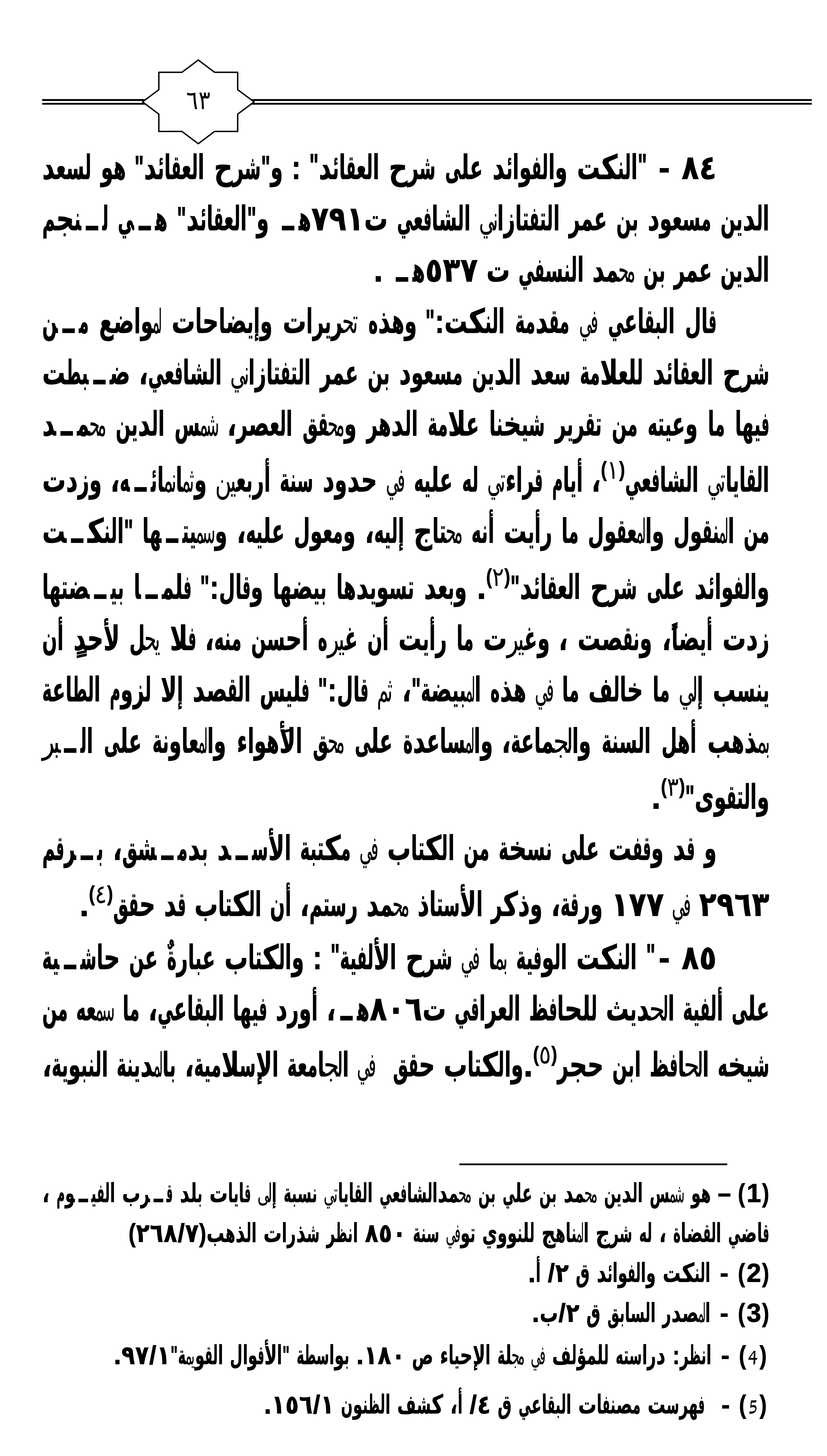
(2) - اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٤٤٣/٩دارالفكر-بيروت-لبنان.

(3) - ذكره في "نظم الدرر"٢٦/١٥ .

(4) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٥/ أ، كشف الظنون ١٩٦١/٢.

(5) – طبقات المفسرين للداودي ٣٤٨/١ .

(6) – البدر الطالع ٢٠/١ .



٨٤ - "النكت والفوائد على شرح العقائد" : و"شرح العقائد" هو لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي ت٧٩١هـ و"العقائد" هـي لـنجم الدين عمر بن محمد النسفي ت ٥٣٧هـ .

قال البقاعي في مقدمة النكت:" وهذه تحريرات وإيضاحات لمواضع مـن شرح العقائد للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، ضـبطت فيها ما وعيته من تقرير شيخنا علامة الدهر ومحقق العصر، شمس الدين محمـد القاياتي الشافعي[١]، أيام قراءتي له عليه في حدود سنة أربعين وثمانمائـه، وزدت من المنقول والمعقول ما رأيت أنه محتاج إليه، ومعول عليه، وسميتـها "النكـت والفوائد على شرح العقائد"[٢]. وبعد تسويدها بيضها وقال:" فلمـا بيـضتها زدت أيضاً، ونقصت ، وغيرت ما رأيت أن غيره أحسن منه، فلا يحل لأحدٍ أن ينسب إلي ما خالف ما في هذه المبيضة"، ثم قال:" فليس القصد إلا لزوم الطاعة بمذهب أهل السنة والجماعة، والمساعدة على محق الأهواء والمعاونة على الـبر والتقوى"[٣].

و قد وقفت على نسخة من الكتاب في مكتبة الأسـد بدمـشق، بـرقم ٢٩٦٣ في ١٧٧ ورقة، وذكر الأستاذ محمد رستم، أن الكتاب قد حقق[٤].

٨٥ -" النكت الوفية بما في شرح الألفية" : والكتاب عبارةٌ عن حاشـية على ألفية الحديث للحافظ العراقي ت٨٠٦هـ، أورد فيها البقاعي، ما سمعه من شيخه الحافظ ابن حجر[٥].والكتاب حقق في الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية،

---

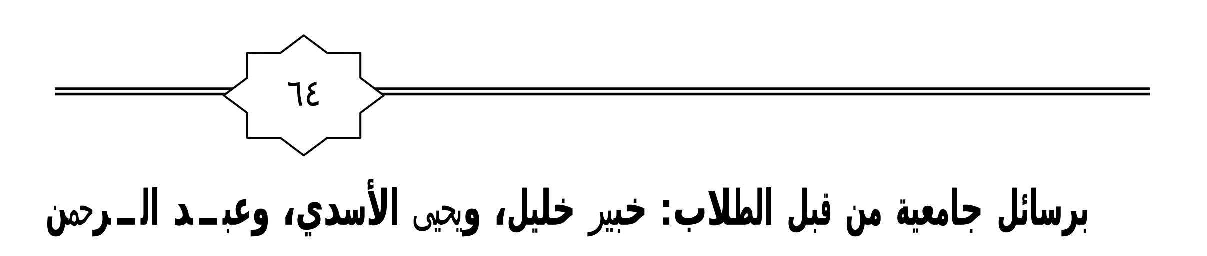
(1) – هو شمس الدين محمد بن علي بن محمدالشافعي القاياتي نسبة إلى قايات بلد قـرب الفيـوم ، قاضي القضاة ، له شرح المناهج للنووي توفي سنة ٨٥٠ انظر شذرات الذهب(٢٦٨/٧)

(2) - النكت والفوائد ق ٢/ أ.

(3) - المصدر السابق ق ٢/ب.

(4) - انظر: دراسته للمؤلف في مجلة الإحياء ص ١٨٠. بواسطة "الأقوال القويمة"٩٧/١.

(5) - فهرست مصنفات البقاعي ق ٤/ أ، كشف الظنون ١٥٦/١.



برسائل جامعية من قبل الطلاب: خبير خليل، ويحيى الأسدي، وعبد الرحمن الرشيدان، وجمعان الزهراني.

٨٦ -" وشي الحرير في اختصار تفسير ابن جرير" : وهو عبارة عن اختصار تفسير ابن جرير الطبري ت٣١٠هـ، التزم فيه المصنف عدم حذف الأسانيد، أو المعاني، وأن يكون المختصر مقدار نصف حجم الأصل، أو أزيد بقليل[١].

٨٧ -" الوفيات". ذكر فيه أسماء من توفي، وتاريخ وفاتهم، من سنة الهجرة إلى سنة ٧٤٥هـ، ويوجد منه نسخة بخط المؤلف في مكتبة عاشر أفندي في مجموع، تحت رقم ١١٦٢ في ١٤ ورقة[٢].

٨٨-" وهن الخاتم عن مسألة الخاتم"[٣].

(1) - انظر: عنوان الزمان للبقاعي ١/ق ١٣٦أ.

(2) – مقالة خير الله الشريف ص ٨٤.

(3) – فهرست مصنفات البقاعي ق ٤/أ.

المبحث الرابع
مكانة البقاعي العلمية
وثناء العلماء عليه

إن الناظر في تراث الإمام البقاعي، يدرك لأول وهلة أنه أمـام شخـصية علمية، متعددة المواهب؛ فهو مفسر، محدثٌ، مؤرخ، أديب، شاعر .فقد ألف في التفسير كتابه العظيم "نظم الدرر في تناسب الآ يات والسور"،، وكذا كتابه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، الذي حوى كثيراً مـن علـوم القرآن. و في الحديث ألف كتابه "النكت الوفية على شرح الألفية".ونجـد في كتبه عناية كبيرة بتخريج الأحاديث، والكلام في التصحيح والتضعيف،مما جعل المترجمين له يصفونه بالإمام المحدث[(١)].

أما علم القراءات، فقد درسه منذ نعومة أظفاره؛ إذ درس على شـاطبي زمانه، الشمس ابن الجزري، وألف في مطلع عمره كتابه "كفاية القارئ وغنيـة المقرئ" وكتب أيضاً "ضوابط الإشارات إلى أجزاء علم القراءات"، و"القـول المفيد في أصول التجويد".

أما علم التاريخ، فقد كان فارساً من فرسانه، ورائداً من رواده، سـلك فيه مسلك المحدثين، القائم على الضبط والتحقيـق، معتنيـاً بـضبط الأسمـاء والأماكن، وألف في هذا الفن عدة مصنفات، منها "إظهار العصر لأسرار أهـل العصر"،و "عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران"، و "الوفيات" ، وغيرها من الكتب ،التي تدل على باعه في هذا الفن.

وفي الشعر، له أشعار كثيرة، جمعها في ديوان له أسماه "إشـعار الـواعي بأشعار البقاعي".

---

(1)- النجوم الزاهرة لابن تغري ٣٤٧/١٦، نظم العقيان للـسيوطي ص ٢٤.المطبعـة الـسورية الأمريكية- نيويورك، ط١٩٢٧م .

ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى على البقاعي - رحمه الله - علماء عصره، وغيرهم من أهل العلم، منهم :

١- الحافظ ابن حجر: فقد أثنى عليه في كتابه "كفاية القاري"، وكتب له على "عنوان الزمان"، ما نصه: "الشيخ الإمام العلامة الأوحد، المتقن المتفنن، الحافظ المحقق"[١].

٢- العلامة ناصرالدين البارزي : - كاتب السر في الديار المصرية - كتب له على كتابه "جامع الفتاوي لإيضاح بهجة الحاوي"، ما نصه:" وقفت متأملاً في محاسن هذا الجامع، متفكراً في فصاحة خطيبه، وما أبدعه فيه من إعجاب الناظر، وإطراب السامع، فألفيته حاوياً لكل حجة، شاملاً للأنوار والبهجة، وعلمت تميز مصنفه على أقرانه، وتنبهه على أهل زمانه، أمده الله بالكفاية، وجعل خاتمته بالحسنى وزيادة"[٢].

٣- العلامة الكافيجي : كتب له على "نظم الدرر" مانصه:" العالم العلامة، والبحر الفهامة، الفائق على الأقران، أفصح من سحبان في البيان، الألمعي العظامي العصامي، بديع الزمان، وقّاد الذهن، نقّاد الطبع، الأصمعي منحة الرحمن، الرحلة[٣] في الرواية، العمدة في الدراية، إمام الهدى، نور التقى، شمس الضحى، زين الورى، فلك العدى...."[٤].

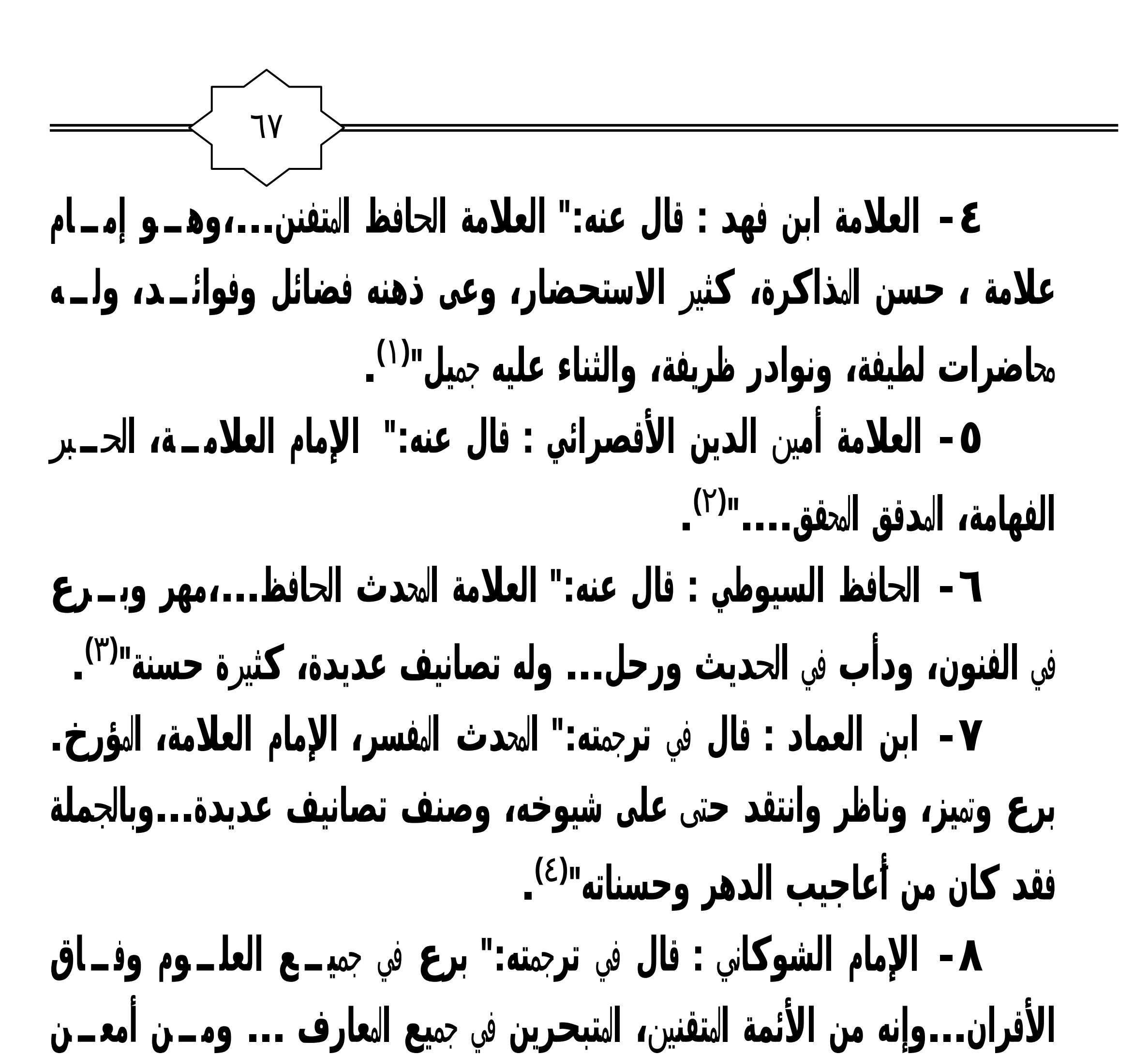
---

(1) - انظر: مصاعد النظر للبقاعي ١٣٥/١.

(2) - المصدر السابق ١٣٢/١.

(3) - الرحلة: بالكسر والضم لغة اسم من (الارتحال)، وقال أبو زيد (الرحلةُ) بالكسر اسم من الارتحال، وبالضم الشيء الذي يرتحل إليه. انظر:" المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي"٢٢٢/١،المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،الناشر : المكتبة العلمية – بيروت.

(4) - الأقوال القويمة ص ٦٣، ٢٥٢.



٤- العلامة ابن فهد : قال عنه:" العلامة الحافظ المتفنن...،وهو إمام علامة ، حسن المذاكرة، كثير الاستحضار، وعى ذهنه فضائل وفوائد، وله محاضرات لطيفة، ونوادر ظريفة، والثناء عليه جميل"[١].

٥- العلامة أمين الدين الأقصرائي : قال عنه: " الإمام العلامة، الحبر الفهامة، المدقق المحقق...."[٢].

٦- الحافظ السيوطي : قال عنه:" العلامة المحدث الحافظ...،مهر وبرع في الفنون، ودأب في الحديث ورحل... وله تصانيف عديدة، كثيرة حسنة"[٣].

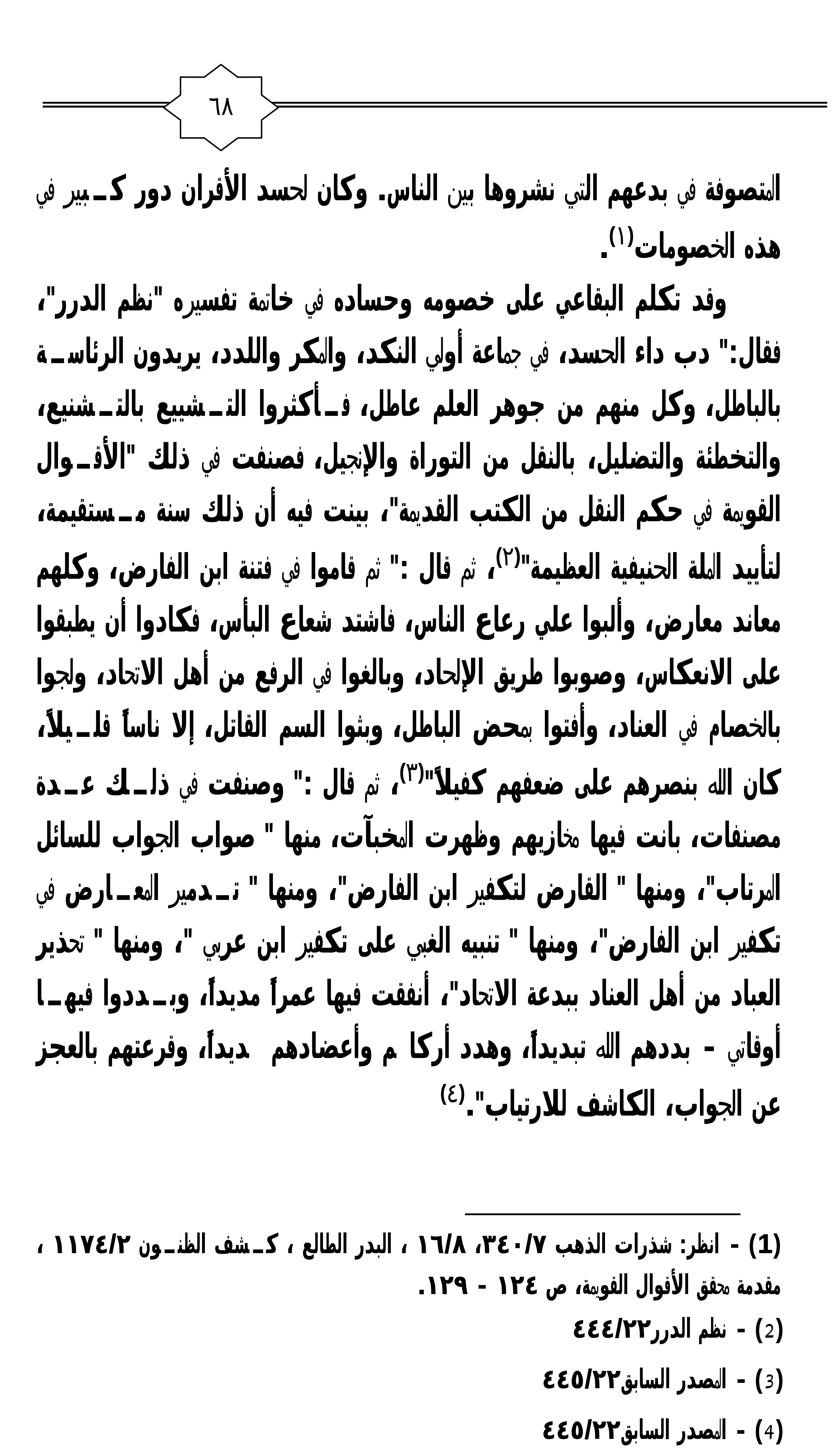
٧- ابن العماد : قال في ترجمته:" المحدث المفسر، الإمام العلامة، المؤرخ. برع وتميز، وناظر وانتقد حتى على شيوخه، وصنف تصانيف عديدة...وبالجملة فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته"[٤].

٨- الإمام الشوكاني : قال في ترجمته:" برع في جميع العلوم وفاق الأقران...وإنه من الأئمة المتقنين، المتبحرين في جميع المعارف ... ومن أمعن النظر في كتاب المُترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور، علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول ، وكثيرا..."[٥].

ومع هذا الثناء العطر من العلماء، فإن هناك من ذمه، وخاصمه، وعاداه ، وذلك بسبب تكفيره لابن عربي، وابن الفارض، وردِه على الغزالي، ورده على

---

(1) - ذيل معجم الشيوخ (ص ٣٣٦).
(2) - الأقوال القويمة ص ٢٣٧.
(3) - نظم العقيان ص ٢٤.
(4) - شذرات الذهب ٥٠٩/٩.
(5) - البدر الطالع ٢٠/١.



المتصوفة في بدعهم التي نشروها بين الناس. وكان لحسد الأقران دور كـبير في هذه الخصومات[١].

وقد تكلم البقاعي على خصومه وحساده في خاتمة تفسيره "نظم الدرر"، فقال:" دب داء الحسد، في جماعة أولي النكد، والمكر واللدد، يريدون الرئاسـة بالباطل، وكل منهم من جوهر العلم عاطل، فـأكثروا التـشييع بالتـشنيع، والتخطئة والتضليل، بالنقل من التوراة والإنجيل، فصنفت في ذلك "الأقـوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة"، بينت فيه أن ذلك سنة مـستقيمة، لتأييد الملة الحنيفية العظيمة"[٢]، ثم قال :" ثم قاموا في فتنة ابن الفارض، وكلهم معاند معارض، وألبوا علي رعاع الناس، فاشتد شعاع البأس، فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس، وصوبوا طريق الإلحاد، وبالغوا في الرفع من أهل الاتحاد، ولجوا بالخصام في العناد، وأفتوا بمحض الباطل، وبثوا السم القاتل، إلا ناساً قلـيلاً، كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلاً"[٣]، ثم قال :" وصنفت في ذلـك عـدة مصنفات، بانت فيها مخازيهم وظهرت المخبآت، منها " صواب الجواب للسائل المرتاب"، ومنها " القارض لتكفير ابن الفارض"، ومنها " تـدمير المعـارض في تكفير ابن الفارض"، ومنها " تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي "، ومنها " تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد"، أنفقت فيها عمراً مديداً، وبـددوا فيهـا أوقاتي - بددهم الله تبديداً، وهدد أركا م وأعضادهم ديداً، وقرعتهم بالعجز عن الجواب، الكاشف للارتياب".[٤]

(1) - انظر: شذرات الذهب ٣٤٠/٧، ١٦/٨ ، البدر الطالع ، كـشف الظنـون ١١٧٤/٢ ، مقدمة محقق الأقوال القويمة، ص ١٢٤ - ١٢٩.

(2) - نظم الدرر٤٤٤/٢٢

(3) - المصدر السابق٤٤٥/٢٢

(4) - المصدر السابق٤٤٥/٢٢

علي بن يوسف البصروي :

قال عنه عند قدومه الشام : " الشيخ القدوة العلامة برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي من أعيان جماعة شيخ الإسلا ابن حجر "[1] .

---

(1) – تاريخ البصروي ٧٢/١ ، تأليف: علي بن يوسف بن أحمد البصروي، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: أكرم حسن العلبي .

الباب الثاني

آراء البقاعي الاعتقادية

تمهيد : مصادر التلقـي عند البقاعي .

الفصل الأول : التوحيـ ـد .

الفصل الثاني : الإيمـان بالله .

الفصل الثالث : الإيمان بالملائكة .

الفصل الرابع : الإيمـان بالكتب .

الفصل الخامس : النبـ ـ ـوات .

الفصل السادس : الإيمان باليوم الآخر.

الفصل السابع : القضاء والقـ ـ ـدر .

الفصل الثامن : الموقف من الصحابة رضي الله عنهم .

الفصل التاسع : الإمامـ ـ ـ ـ ـ ـة .

تمهيـــــــــــد

مصادر التلقي عند البقاعي

لقد كان البقاعي – رحمه الله – معظما للقرآن الكريم والسنة النبويـة ، وكتابه العظيم " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " خير شاهد على ذلك .

وكذلك السنة النبوية الشريفة كان لها من التعظيم عند البقاعي مـايليق بمكانتها العالية ، فكثيرا ما بين فضلها ووجوب اتباعها ، وخطورة مخالفتـها ، وأنها السبيل الوحيد للهدى والرشاد، والطريق الموصل لولاية الله.

قال رحمه الله :" وميزان العدل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيمـا شرعه، فبذلك تزاح الفتن الظاهرة والباطنة، ولا طريق إلى الله إلا بما شـرعه، وكل طريق لم يشرعه ضلال: من الكفر إلى ما دونه"[١].

وقال أيضا :" إنما يفيد الولاية بذل المجهود في متابعة النبي صلى الله عليـه وسلم، فمن بذل جهده في اتباع السنة قلنا إنه ولي"[٢].

وحكى كلام الجنيد بن محمد ؛ حيث يقول رحمـه الله :" الطـرق كلـها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليـه وسـلم واتبع سنته ولزم طريقته؛ فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه..."[٣].

وله كلمة أخرى جميلة في الإشادة بالاتباع مما انتقاه البقاعي - رحمـه الله عليه - لتقرير ذلك، حيث قال :" إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطـير في الهواء فلا تلتفتوا إليه؛ فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب، ويمشي علـى الماء، ولكن انظروا في اتباعه الكتاب والسنة؛ فإن الشيطان لا يقدر على ذلك أبدا"[٤].

---

(1) - نظم الدرر ١٢٦/٢.

(2) - تحذير العباد ٢٣٠.

(3) - إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر ص٧٠.

(4) - المصدر نفسه ص٦٥.

وبين البقاعي أن التمسك بالسنة ليس سهلاً ، بل يكتنفه من الصعوبة والمشاق ما يحتاج إلى تصبر وتجلد، ولا سيما في أواخر الزمان، عند ظهور البدع والفساد.

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:(والذين يمسكُونَ بِالْكِتَابِ وأقَاموا الصلاةَ إنا لا نضيع أجر الْمصلِحِين)[1]، :(يمسكون)، أي يمسكون إمساكاً شديداً يتجدد على وجه الاستمرار، وهو إشارة إلى أن التمسك بالسنة في غاية الصعوبة، لا سيما عند ظهور الفساد"[2].

والسنة قرينة القرآن، وفيهما المخرج من كل نازلة ، قال رحمه الله في ذلك :" إنه لا تكون أبداً كائنة إلا وفي الكتاب والسنة المخرج منها"[3].

وأيضا، فالسنة هي الحكمة التي من أخذ ا تم له عمله وحاله. قال في تفسير قول الله تعالى:(ولولا فَضلُ اللّهِ عليك ورحمته لَهمت طآئِفَةٌ منهم أن يضِلوك وما يضِلونَ إلا أنفُسهم وما يضرونك مِن شيءٍ وأنزلَ اللّه عليك الْكِتاب والْحِكْمةَ وعلمك ما لَم تكُن تعلَم وكَانَ فَضلُ اللّهِ عليك عظِيما)[4] (الحكمة) :أي الفهم لجميع مقاصد الكتاب، فتكون أفعالك ،وأفعال من تابعك على أتم الأحوال، فتظفروا بتحقيق العلم وإتقان العمل"[5].

وقال البقاعي عند تفسير قوله تعالى : (قُتِلَ الْخراصونَ)[6] " وهم الذين يقولون عن غير سند من كتاب الله أو سنة أو أثارة من علم "[7].

---

(1) - الأعراف:١٧٠.

(2) - نظم الدرر ١٤٩/٨.

(3) - نظم الدرر ١٨/ ٣٦٤.

(4) - النساء : ١١٣.

(5) - نظم الدرر ٥/ ٣٩٩- ٤٠٠.

(6) - الذاريات : ١٠.

(7) - نظم الدرر ١٨/ ٤٥٢.

وأشار البقاعي إلى أهمية فهم السلف للسنة النبوية عندما قال:" الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج فيها إلى معرفة تلقي الصحابة رضي الله عنهم لها، كيف تلقوها عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، فإنهم أعرف بالمقال، وأقعد بالحال،...وإنه إذا احتملت الأحاديث وجهين، وجاء فعل السلف بأحدهما فلا شك أنه المرجوع إليه"(١).

ومن هنا كانت العبادة في الشرع لابد لها من شرطين الإخلاص والمتابعة،وقد أكد البقاعي هذا الأصل عندما قال في تفسير قوله تعالى:(ومن أراد الآخِرةَ وسعى لَها سعيها وهو مؤمِن فَأُولَئِك كَانَ سعيهم مشكُورا)(٢)، قال رحمه الله :" سعيها: أي الذي هو لها، وهو ما كانت جديرة به من العمل بما يرضي الله بما شرعه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا أي سعي كان، بما لم يشهد ظاهر الكتاب والسنة...". ثم نقل عن بعض السلف قوله :" من لم يكن له ثلاث لم ينفعه عمله؛ إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب". وتلا هذه الآية(٣).

ومع هذا التعظيم من البقاعي للكتاب والسنة ، ودعوته إلى اتباعهما ، والتمسك بهما ، وتقفي منهج السلف في فهمهما ؛ إلا أنه خالف منهج أهل السنة والجماعة في بعض مسائل الإعتقاد ، واتفق مع الأشاعرة فيها كما سيأتي بيانه ، وما ذلك إلا لتأثره بعلم الكلام ، فلجأ لأجل التوفيق بين نظرياته الفاسدة وبين النصوص الشرعية إلى تأويل النصوص وصرفها عن ظاهرها ، وهو تلفيق وليس بتوفيق ، كما سيأتي بسطه .

---

(1) - المصدر السابق ص٤٥.

(2)- الإسراء : ١٩.

(3) - انظر نظم الدرر ١١/٣٩٦- ٣٩٧.

الفصل الأول

التوحيد

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تمهيد في تعرف التوحيـد وأقسامه .

المبحث الثاني :. توحيد الربوبية .

المبحث الثالث : توحيد الألوهية .

المبحث الرابع : توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول

أولا:تعريف التوحيد لغة واصطلاحا :

١-التوحيد لغة : هو تفعيل وحد ، يقال:(وحده وأحده كما يقال ثناه وثلّثه)[(١)] (وحده توحيداً أي جعله واحداً)[(٢)] .

قال إسماعيل الأصبهاني : " التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته توحيدا ... ومعنى وحدته جعلته منيفردا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته ، والتشديد فيه للمبالغة ؛ أي : بالت في وصفه بذلك .

وقيل الواو فيه مبدلة من الهمزة ، والعرب تبدل الهمزة من الواو ، وتبدل الواو من الهمزة ، كقولهم : وشاح وأشاح ، وتقول العري أحدهن لي وحدهن لي أي : جعلهن لي أحد عشر ، ويقال جاءوا آحاد آحاد أي : واحدا واحدا ، فعلى هذا فالواو في التوحيد أصلها الهمزة "[(٣)] .

٢-التوحيد اصطلاحاً : هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً[(٤)]

وقال ابن تيمية - رحمه الله - :" وهذا حقيقةُ التوحيد وهو أن لا يشركه شئٌ من الأشياء مما هو من خصائصه "[(٥)] .

---

(1) - الصحاح ٢/ ٥٤٨ .

(2) - القاموس المحيط ٣٤٣/١ .

(3) - الحجة في بيان المحجة ٢٣٩ .

(4) - لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية، للسفاريني ٥٧/١، المكتب الإسلامي- ط الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩١م .

(5) - مجموع الفتاوى ٧٤/٣ .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : "وهو التوحيد الذي حقيقته إثبات صفات الكمال وتنزيهه عن أضدادها وعبادته وحده لا شريك له"[(١)] .

ثانيا- أقسام التوحيد :

من العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين[(٢)]:

١- التوحيد في المعرفة والإثبات أو العلمي الخبري ، المتضمن لتوحيدي الربوبية والأسماء والصفات.

٢- التوحيد في القصد والطلب ، أو الإرادي الطلبي،وهو توحيد الألوهية أو العبادة .

ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أنواع هي[(٣)] :

---

(1) - الصواعق المرسلة ٩٩٢/٣، لابن القيم، تحقيق الدكتور علي الدخيل الله،دار العاصمة ، السعودية،الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٨م

(2) - وهذا الذي درج عليه المتقدمون كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، انظر: مجموع الفتاوى٢٢٦/١٠،و مدارج السالكين٢٤/١، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣،وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، ٢٥٩/٢ ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، زهير الشاويش،المكتب الإسلامي – بيروت،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦،و انظر: مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب٦٤/١، تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي ، د. محمد بلتاجي ، د. سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض.

(3)- وهذا الذي درج عليه المتأخرون كالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلاميذه وعلماء الدعوة النجدية،قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب في "تيسير العزيز الحميد"(١ / ١٧):" والتوحيد مصدر وحد يوحد توحيدا،أي جعله واحدا، وسمي دين الاسلام توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، وإن شئت قلت التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة، ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وذكر معناه غيرهما"، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب

١. توحيد الربوبية .

٢. توحيد الألوهية .

٣. توحيد الأسماء والصفات .

ولا منافاة بين الطريقتين في التقسيم ، فمن جعله ثنائياً ، فقد جعل توحيد الربوبية والأسماء والصفات في قسم واحد ، والألوهية في القسم الثاني.

وأما أهل الكلام من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم، فقسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي :

١. توحيد الذات ؛ فهو واحد في ذاته لا قسيم له .

٢. توحيد الصفات ؛ فهو واحد في صفاته لا شبيه له.

٣. توحيد الأفعال ؛ فهو واحد في أفعاله لا شريك له[(١)] .

وقد جرى البقاعي – رحمه الله – على طريقة الأشاعرة في تقسيم التوحيد ، مع أنه خالف الأشاعرة في بعض التطبيقات كما سنرى[(١)] .

التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب،الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، و معارج القبول بشرح سلم الوصول الشيخ حافظ الحكمي ١/ ٩٨،تحقيق عمر بن محمود أبـوعمر، دار ابن القيم ،ط الثالثة،١٤١٥هـ ١٩٩٥م

(١) قال الشهرستاني في "الملل والنحل"(١ / ٤٠):"وأما التوحيد : فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية : إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له"،وقال شيخ الإسلام في"مجموع الفتاوى"(٩٨/٣):"المتكلمون الذين يقررون التوحيد فى كتب الكلام والنظر، غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد فى ذاته لا قسيم له، وواحد فى صفاته لا شبيه له، وواحد فى أفعاله لا شريك له،وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الافعال، وهو أن خالق العالم واحد"و انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت السعوي، ص ١٧٩، ط الأولى،١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، وحقيقة التوحيد ، السلمي ص ١٢١ ، وانظر في ذلك من كتب الأشاعرة : الاعتقاد للبيهقي ص ٦٣ ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة، ص ٥٢ للجويني، تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى- مطبعة دار السعادة بمصر ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٢٩ ، دار الكتب العلمية،بيروت ط الأولى١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

المبحث الثاني
توحيد الربوبية

تعريف الربوبية لغة واصطلاحا :

١- الرب في اللغة: يطلق على المالك ، والسيد ، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم [٢] .

والرب: اسم من أسمـاء الله – عز وجل – ولا يقال في غيره إلا بالإضافة[٣] .

٢- توحيد الربوبية اصطلاحاً :

"هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر"[٤] .

قال ابن تيمية – رحمه الله- : " فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله ، فلا يستقل شئ سواه بإحداث أمر من الأمور"[٥]

وقال السفاريني[١] – رحمه الله -: " فتوحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق ولا محي ولا مميت ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى "[٢].

---

(1)- انظر صفحة (   ) من هذا البحث .

(2) - انظر : لسان العرب، لابن منظور ٣٩٩/١

(3) - انظر:الصحاح للجوهري ١٣٠/١

(4) - تيسير العزيز الحميد، ص ٣٣.

(5) - مجموع الفتاوى ٣٣١/١٠

وقال شارح الطحاوية[٣] – رحمه الله – في تعريف توحيد الربوبية : هو " الإقرار بأن الله خالق كل شئ ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال ، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ،وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية . وهذا التوحيد لم يذهب على نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كو ا مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات "[٤] .

موقف البقاعي :

البقاعي يعتقد ولا شك بصفات الكمال لربوبية الله – عز وجل – فيقول مثلا : " لكن لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه أليق بالحماية والإعانة والرعاية والخلق والتدبير ، والتربية والإصلاح ، المتضمن للقدرة التامة و الرحمة الواسعة ، والإحسان الشامل والعلم الكامل "[٥] .

لكن ليس هذا المعنى الذي يريده من توحيد الذات ، فقد عرف توحيد الذات في أكثر من موطن فقال :" (إله واحد) أي لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها

---

(1) - هو محمد بن أحمد بن سالم ،شمس الدين،أبو العـون، ولـد سـنة ١١١٤هـ ـ،صـنف في العقيدة"لوامع الأنوار البهية" توفي سنة ١١٨٨هـ.انظر:الأعلام٦/١٤

(2) - هو محمد بن أحمد بن سالم ،شمس الدين،أبو العـون، ولـد سـنة ١١١٤هـ ـ،صـنف في العقيدة"لوامع الأنوار البهية" توفي سنة ١١٨٨هـ.انظر:الأعلام٦/١٤

(3) - هو الإمام العلامة صدر الدين،أبو الحسن علي بن علاء الدين الدمشقي الصالحي ، المعروف بابن أبي العز الحنفي،ولد في ذي الحجة سنة ٧٣١هـ،وينتمـي إلى أسـرة لهـا مجـال في العلـم والسيادة،فهي مذ عرفت تتزعم المذهب الحنفي في دمشق،له شرح الطحاوية المشهور وغـيره مـن الكتب،توفي رحمه الله في ذي القعدة٧٩٢هـ في دمشق ودفن في سفح قاسـيون.انظـر:شـذرات الذهب٦/٣٢٦،وهدية العارفين١/٧٢٦.

(4) - شرح الطحاوية ١/ ٢٨

(5) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – للبقاعي ٢٢/ ٤٢٥

، قادر على ما يريد لا منازع له"[١]، وقال أيضاً في قوله تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)[٢] :"ولما كان المراد أن الوحدة معتبرة في نفس الأمر في الإله الحق، فلا يصح أصلاً أن يكون الإله الحق منقسماً بالنوع ولا بالشخص ولا بالوصف ولا بالفعل ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه ، أعاد لفظ الإله فقال (إله واحد) أي لا ينقسم بوجه من الوجوه لا بمجانسة ولا بغيرها"[٣].

وقال أيضاً : "الواحد لأهل الكلام فيه تفسيران : أحدهما: أنه الذي لا ينقسم ولا يقبل القسمة ، والثاني : وهو الذي مشى عليه المصنف[٤] ، أنه الذات الواحدة التي ليست بعدد، وما أحسن قول البيضاوي[٥] في تفسير (قُلْ هو الله أحد)[٦] الواحد الحقيقي ما يكون م ه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد ، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها، كوجوب الوجود والقدرة الذاتيةُ والحكمة التامة المقتضية للألوهية"[٧] .

وقد رد المحققون من أهل السنة ، هذه الطريقة في تقسيم التوحيد على طريقة المتكلمين ،ومنهم شيخ الإسلام – رحمه الله - فقال: " وكذلك النوع الثالث ، وهو قولهم : هو واحد لا قسيم له في ذاته ، أولا جزء له ، أو لا بعض

---

(1) - نظم الدرر ١٢/ ١٥٤

(2) - البقرة :١٦٣

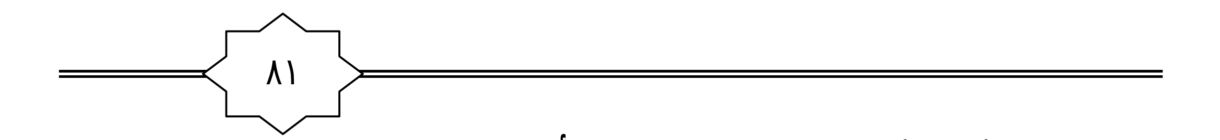
(3) - نظم الدرر ٢٨٠/٢ ، ٤٥١/١٦،

(4) - وهو التفتازاني مصنف العقائد.

(5) - هو عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي،ولي قضاء شيراز مدة،له التفسير المـشهور توفي سنة٦٨٥ على الراجح،الطبقات للسبكي١٥٧/٨

(6) - تفسير البيضاوي٦٣١/٢- دار الكتب العلمية ، بيروت- ط الأولى١٤٠٨هـ -١٩٨٨م

(7) - النكت للبقاعي ق ٤٠ /٢ ، وانظر : نظم الدرر ٣٥٥/٢٢



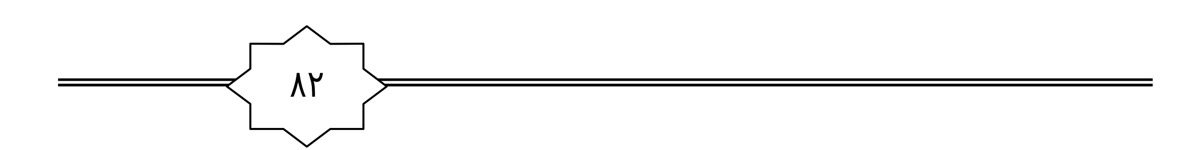
له ، لفظٌ مجملٌ فإن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فيمتنع أن يتفرق ، أو يتجزأ أو يكون قد ركِّب من أجزاء ولكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه ، ومباينتة لخلقه ، وامتيازه عنهم ، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله ويجعلون ذلك من التوحيد"[١] .

ولذلك فإن هذا التقسيم في التوحيد عند المتكلمين على هذه الطريقة المجملة المشتبهة، كان طريقاً إلى نفي كثير من الصفات الفعلية الاختيارية.قال شيخ الإسلام – رحمه الله – عن هؤلاء : " ليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا ينفصل بعضه عن بعض ، وأنه لا يكون إلهين اثنين ونحو ذلك مما يقول نحواً منه النصارى والمشركون ، فإن هذا مما لا ينازعهم فيه المسلمون ، وهو حق لا ريب فيه ، وكذلك كان علماء السلف ينفون التبعيض عن الله بهذا المعنى ، وإنما مرادهم بذلك انه لا يشهد ولا يرى منه شئ دون شئ ، ولا يدرك منه شئ دون شئ ، بحيث أنه ليس له في نفس الأمر حقيقة عندهم قائمة بنفسها يمكنه هو أن يشير منها إلى شئ دون شئ ، أو يرى عباده منها شيئاً دون شئ ، بحيث إذا تجلى لعباده يريهم من نفسه المقدسة ما شاء ، فإن ذلك غير ممكن عندهم ، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم ويسمون ذلك نفي التجسيم ، إذ كل ما ثبت له ذلك كان جِسماً منقسماً مركباً ، والبارئ منزه عندهم عن هذه المعاني"[٢].

---

(1)- التدمرية بتحقيق السعوي ص ١٨٤ - ١٨٥

(2)- التسعينية لابن تيمية ، (ضمن الفتاوى الكبرى) ٣٠٥/٥ ، دار المعرفة ٩٨ – ١٩٧٨ م، ببيروت، بدون رقم الطبعة



الأدلة على توحيد الربوبية ؛ وموقف البقاعي منها:

الأدلة والبراهين على توحيد الربوبية كثيرةٌ لا يمكن حصرها، إذ كل ما في الوجود ، دليلٌ على الله تعالى ، قال البقاعي-رحمه الله - :"ولما كانت أدلة التوحيد تفوت الحصر ففي كل ذرة برهان قاهر ودليل ساطع باهر" [١].

ومن أهم تلك الأدلة ما يلي:

١ - دليل ا الفطرة :

تعتبر معرفة الله تعالى و الإقرار بربوبيته من الأمور الضرورية الفطرية التي غرسها الله تعالى في فطر الناس ، وهذا الدليل لا ينفك عنه إنسان كما قال تعالى : "(فِطْرَةَ اللهِ الِتي فَطَر الناس عليْهاْ)"[٢]

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله - :" فطرة العلم بالصانع ضرورية ليس في العلوم أجلى منها ، وكل ما استدل به على الصانع فالعلم بوجوده أظهر من دلالته ، ولهذا قالت الرسل لأممهم أفي الله شك ؟فخاطبوهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شك في وجود الله سبحانه ، ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته وصفات كماله ، والأدلة على اختلاف أنواعها ، ولا يطيق حصرها

---

(1) - نظم الدرر١٨١/٨

(2) – الروم:٣٠

إلا الله ، ثم ركزه في الفطرة ، ووضعه في العقل جملةً ، ثم بعث الرسل مذكرين به"[١].

وقال البقاعي مؤكداً هذا المعنى -:" ولما كانت الوحدانية بما لا يخفى على العاقل، وكانت مركوزة في كل فطرة، بدليل الاضطراب عند المحن والشدائد والفتن"[٢].وقال أيضا:"العلم بافتقار الحدث ضرورة، فعدم العلم بالضروري يستلزم عدم العقل"[٣] ، ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مع شركهم بالألوهية، كما قال تعالى:(وَلَئِن سألتهم من خلَق السماواتِ والْأرض وسخر الشمس والْقَمر لَيقُولُن الله فَأنى يؤفَكُونَ) [٤].

٢- دليل التمانع :

ومما يستدل به السلف على تفرد الله - عز وجل - بالربوبية والألوهية ،دليل التمانع ، الذي يدل عليه العقل الصريح والفطرة المستقيمة وهو : إذا فرض أن مع الله إلهاً آخر .فإما أن يعارضه ويقاومه ، فلا يخلو إما أن يحصل مراد أحدهما فيكون هو الرب، أو يمتنع مراد كل منهما ، وهو محال ، لأنه يدل على عجز كل منهما ، أو يوجد مراد الجميع وهو محال أيضاً ، لأنه يقتضي عجز كل واحد منهما مع الاجتماع لا مع الانفراد ، فتعين أن المنفرد بالوحدانية والخلق والتدبير هو الله الواحد[٥] .

ولكن ينبغي أن يعلم أن برهان التمانع العقلي ليس مأخوذاً من قوله تعالى:(لَو كَانَ فِيهما آلِهةٌ إِلا الله لَفَسدتا) [٦] كما ادعاه المتكلمون ، وذلك

---

(1) - مفتاح دار السعادة – لابن القيم ١/ ٢٨٠ت علي الحلبي ،دار ابن القيم ،الدمام.

(2) - نظم الدرر ١٧٧/١١.

(3) - المصدر السابق ٢٨١/١٠.

(4) - سورة العنكبوت: ٦١

(5)- انظر: شرح الطحاوية ص ٨٥.

(6) - الأنبياء: ٢٢

لأن الآية ليست مسوقة لتقرير نفي الشريك في توحيد الربوبية فقط ، وإنما وردت الآية لتقرير وحدانية الله في الألوهية ، المتضمن نفي الشريك في الربوبية[١] .

ولقد قرر الأشاعرة هذا الدليل على طريقة المعتزلة ، الذين استدلوا بالآية على أن الصانع واحد.[٢]

ولقد كان البقاعي – رحمه الله - موافقاً للأشاعرة في هذا التقرير ، عندما أقر التفتازاني في عقائده على هذا الدليل[٣] ، ونقله تفصيلاً في كتابه" نظم الدرر"عندما قال : " والحال أنه لا يصح ولا يتصور في العقل أن يكون الإله متعدداً لا تحقيقاً ولا تقديراً بوجه من الوجوه ولا يكون إلا واحداً بكل اعتبار ، وهو الله تعالى لا غيره ، وقد بين عيسى عليه السلام في الإنجيل الذي بين أظهرهم، أنه لا يصح أن يكون الإله إلا واحداً، بالمعتمد من أدلة ذلك عند محققي أهل الأصول، وهو برهان التمانع المشار إليه في كتابنا بقوله تعالى : (لَو كَانَ فِيهِما آلِهةٌ إلا الله لَفَسدتا)"[٤] .

قال الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله – في تفسيره للآية : " يقول الله تعالى ذكره لو كان في السموات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء ، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له (لفسدتا) ، يقول: لفسد أهل السموات والأرض"[٥].

---

(1) – انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٣١٢ ، شرح الطحاوية ٨٦

(2) – انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٢٧٥/٤،ط القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. والرسالة إلى أهل الثغر ص ١٥٦لأبي الحسن الأشعري ت محمد السيد الجليند ،مطبعة التقدم ،القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(3) - النكت على العقائد – للبقاعي ق ٤٢/ ٢

(4) - نظم الدرر ٢٥٠/٦

(5) - تفسير الطبري ١٥/٩ وراجع تفسير ابن كثير ١٨٤/٣

وقال شيخ الإسلام : " فهذه الطرق وأمثالها مما يبين ا أئمة النظار توحيد الربوبية ، وهي طرق صحيحة عقلية لم يهتدِ هؤلاء المتأخرون إلى معرفة توجيهها وتقريرها ، ثم إن هؤلاء المتقدمين من المتكلمين ظنوا أ ا هي طرق القرآن الكريم ، وليس الأمر كذلك ، بل القرآن قرر فيه توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية أكمل من ذلك"[1].

٣- دلالة الأنفس:

النفس البشرية آيةٌ كبيرة من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولن يجد الإنسانُ أقوى دليلاً نفسه لأ ا أقرب شئ إليه ، ولهذا دعا القرآن العظيم الإنسان إلى النظر في نفسه فيجعل ذلك دليلاً على ربوبية الله له ولغيره ، مما يدعوه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى: (وفِي أَنفُسِكُم أَفَلَا تبصِرونَ)[2]،أي"وفي أنفسكم آيات ، إذ كنتم نطفا ، ثم عظاما، ثم علقا ،ثم مضغا، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثم اختلاف الصور والألوان والطبائع، وتقويم الأدوات والسمع والبصر والعقل ، وتسهيل سبيل الحدث ، إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم"[3] .

٤- دلالة الآفاق:

---

(1) - انظر : منهاج السنة ٣/ ٣١٢- ٣١٣

(2) - الذاريات : ٢١

(3) - زاد المسير لابن الجوزي ٣٣/٨، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤.

والمراد بالآفاق هو ما خلقه الله عز وجل من السموات والأرض، والشمس والقمر والنجوم ،والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق، وغير ذلك من الآيات الكونية، التي جعلها الله تعالى أدلة على ربوبيته وإلهيته[١] .

ويعتبر الاستدلال بآيات الله في الآفاق على طريقة القرآن الكريم من أعظم البراهين العقلية الموافقة للعقل الصريح ، قال تعالى : "(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)[٢]

ولقد أشار الإمام البقاعي – رحمه الله – في غير ما موضع من تفسيره إلى دلالة الأنفس والآفاق على وحدانية الله عز وجل ربوبيةً وإلوهيةً حيث قال : " ولما كان له – سبحانه - في كل شئ آية تدل على أنه واحد ، فكان كل شئ آمراً بالتوحيد بلسان حاله أو ناطق قاله [٣] ".

وقال أيضاً :"إن ربكم الذي (أسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً)[٤] قد نصب لكم الأدلة بخلق ما خلق على تفرده، بحيث انتفى كل ريب، فكان ذلك أعظم شهادة منه سبحانه لنفسه وإليه أومأ من قال :

ولله في كل تحريكةٍ وتسكينة أبداً شاهد
وفي كل شئ له آية تدل على أنه واحد"[٥]

---

(1) - انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ٤/ ٥٢٣ط الأولى١٤١٢هـ ،المكتبة التجارية،مكة المكرمة .

(2) - فصلت: ٥٣

(3) - نظم الدرر ٣٤٠/٧

(4) - لقمان:٢٠

(5) - نظم الدرر ٢٨٨/٤- ٢٨٩،والأبيات لأبي العتاهية ، انظر:"المستطرف في كل فن مستظرف"١٦/١،لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الثانية ، ١٩٨٦.

وقال أيضاً : " وهذه الموجودات كتاب الملك الديان إلى الإنس والجان ، المشهود لهم بالعيان ، كما قيل يا إنسان :

تأمل سطور الكائنات فإ ا   من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطة   ألا كل شئ ما خلا الله باطل"[1]

المبحث الثالث

توحيد الألوهية

أولا - معنى توحيد الألوهية لغة واصطلاحا:

١- الألوهية لغة: لفظ منسوب إلى الإله ، والإله كفِعال ، بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبوداً فهو إله عند متخذه، وإله جعلوه اسما لكل معبود له ، وأله فلان يأله: عبد ، وقيل تألّه ، فالإله على هذا هو المعبود[2]

٢- معنى توحيد الألوهية اصطلاحاً :

توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة . قال ابن تيمية – رحمه الله - : " التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له[3] "، وقال ابن القيم –رحمه الله - : "

(1) - نظم الدرر ١٧/ ١٩٢

(2)انظر: القاموس المحيط ١٧٣/١ ، والمفردات للراغب ص ٢١

(3) مجموع الفتاوى ١٠١/٣

وحقيقته (أي التوحيد) إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع" [١]

قال ابن أبي العز – رحمه الله - : " والثالث توحيد الألوهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له"[٢].قال الخطابي:" توحيد الألوهية،ويقال له توحيد العبادة، وهو إفراد الله بالعبادة، لأنه المستحق لأن يعبد لا سواه، مهما سمت درجته وعلت م لته،وهو التوحيد الذي جاءت به الرسل إلى أممهم، لأن الرسل عليهم السلام جاءوا بتقرير توحيد الربوبية، الذي كانت أممهم تعتقده، ودعو م إلى توحيد الألوهية كما أخبر الله عنهم في كتابه اليد"[٣].

موقف البقاعي - رحمه الله - من توحيد الألوهية :

قال البقاعي – رحمه الله - : " قال في (القاموس) أله – أي بالفتح – إلاهة وألوهة ، وألوهية : عبد عبادة ، ومنه : لفظ الجلالة، وأصله إله، بمعنى معبود ، وكل ما اتخذ معبوداً فهو إله عند متخذه"[٤].

وقال أيضاً :" (اعبدواْ الله ما لَكُم من إِلَهٍ)[٥] أي معبود بحق (غيره) فلا تعبدوا سواه"[٦]

(1) إغاثة اللهفان ٥٠٧

(2) - شرح الطحاوية ص ٢٤ – ، وانظر : كتاب التعريفات الاعتقادية . سعد عبد اللطيـف ص ١٣٠

(3) - الغنية عن الكلام وأهله للخطابي ص١٧

(4) - نظم الدرر ١٧/ ٤٩٢ وانظر القاموس(١٦٠٣/١).

(5)- الأعراف:٥٩

(6) - نظم الدرر ١٣٠/١٣

ويؤكد البقاعي - رحمه الله - أن الله هو المستحق للعبادة. وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (وقَالَ شركآؤهم ما كُنتم إِيانا تعبدونَ)[1]، قال :" أي تخصوننا بالعبادة، لأنا لا نستحق ذلك ، إشارة أنه لا يعبد إلاّ من يستحق الإخلاص في ذلك بأن يعبد وحده من غير شريك، ومن لا يستحق ذلك لا يستحق مطلق العبادة ولا يصلح لها، وكل عبادة فيها شرك لا تعد أصلاً"[2].

والبقاعي في هذا التعريف لـ (الإله) بأنه : المعبود المستحق للعبادة وحده يوافق أهل السنة و يخالف الأشاعرة الذين عرفوا الإله بالقادر على الاختراع فمعنى لا إله إلا الله عندهم ، لا خالق إلا الله[3] .

لقد جعل الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين القسم الثالث من أقسام التوحيد ؛ هو قولهم بأن الله واحد في أفعاله لا شريك له ، وأنه رب كل شئ وخالقه، قال شيخ الإسلام : " وهذا معنى صحيح ، وهو حق ، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم ، حيث اعترفوا فيها بأنه الله خالق كل شئ ومربيه ومدبره"[4] .

ولكن الخطأ الذي وقع فيه الأشاعرة هنا، هو أ م فهموا أن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأنه المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله ، قال شيخ الإسلام – رحمه الله - :" وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم ، هو الثالث : وهو توحيد الأفعال ، وهو أن خالق العالم واحد ، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه

---

(1)- يونس: ٢٧.

(2) - نظم الدرر ٩/ ١٠٧.

(3) - انظر: أصول الدين للبغدادي ص ١٢٣ ط الأولى١٣٤٦هـ/١٩٢٨م،استانبول، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٠٠ت/محمد سيد كيلاني،ط مصطفى البابي الحلبي،مصر١٣٨٧هـ/١٩٦٧م

(4) - التسعينية ص ٢٠٧

من دلالة التمانع(١) وغيرها ، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب ، وأن هذا هو معنى قولنا : لا إله إلا الله ، حتى قد يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع"(٢).

ثانيا - الألوهية أعظم أصول الدين :

إن الدعوة إلى عبادة الله عز وجل ، هي الغاية التي خلق من أجلها الإنسان.

قال تعالى : (وما خلقْت الْجن والْإنس إلا ليعبدون) [٣] ، فبعث الله من أجل هذه الغاية العظيمة الرسل وأنزل الكتب ، قال تعالى : (ولقد بعثْنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدواْ اللّه واجتنبواْ الطاغُوتَ)[٤] فكان التوحيد أول الواجبات وأعظم المأمورات .

---

(1) - انظر تعريفه ص

(2) - التدمرية ص ١٧٩ – ١٨٠

(3) - الذاريات:٥٦

(4) - النحل:٣٦

موقف البقاعي من هذا الأمر :

أكد البقاعي - رحمه الله - هذا المعنى عندما قال : " ولما كان التوحيد أعظم المأمورات ، كان العصيان فيه أعظم العصيان"[١] ، وقال أيضاً :" (أجعلَ الْآلِهةَ) أي التي نعبدها(إِلَهًا واحِداً) [٢] ولما كان الكلام في الإلهية التي هي أعظم أصول الدين، وكان هو صلى الله عليه وسلم ، وكل من تبعه بل وكل منصف ينكرون أن يكون هذا عجباً ، بل العجب كل العجب ممن يقبل عقله أن يكون الإله أكثر من واحد"[٣].

ثالثا - التوحيد في القرآن الكريم ، وموقف البقـاعي من ذلك :

١ - الاهتمام الشديد بالتوحيد في القرآنْ الكريم:

قال ابن أبي العز "القرآنُ الكريم كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ، فـ(الْحمد للّهِ رب الْعالَمِين) توحيد (الرحمن الرحِيمِ) توحيد(ملِكِ يومِ الدينِ) توحيد (إِياك نعبد وإِياك نستعِين) توحيد (اهدِنا الصراطَ الْمستقِيم) توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد

(1) - نظم الدرر ١٧٥/١١

(2) - ص: الآية5

(3) - نظم الدرر ١٦/ ٣٢٨- ٣٢٩

الذين أنعم عليهم (غَيرِ المَغضوبِ عليهم ولاَ الضالين) الذين فارقوا التوحيد"[١] .

وقد أكد البقاعي – رحمه الله – هذا المعنى عندما قال : " مدار القرآن الكريم على تقرير التوحيد والنبوة وتوابعها ، والمعاد والقضاء والقدر ، والفعل بالاختيار"[٢].

٢- طريقة القرآن في تقرير توحيد الألوهية :

" القرآن الكريم مملوء من تقرير هذا التوحيد ، وبيانه ، وضرب الأمثال له.

ومن ذلك أنه يقرر الربوبية ، ويبين أنه لا خالق إلا الله ، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله ، فجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون بالأول ، وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه وتعالى أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله ، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ، ويدفع عنهم ما يضرهم لاشريك له في ذلك ، فلِم تعبدون غيره ، وتجعلون معه آلهة أخرى ؟ كقوله تعالى: (قُل الْحمد ِللهِ وسلَام على عِبادِهِ الذِين اصطَفَى آلله خير أما يشركُونَ * أمن خلَق السماواتِ والْأرض وأنزلَ لَكُم من السماء ماء فَأنبتنا ِبهِ حداِئق ذَات بهجةٍ ما كَانَ لَكُم أن تنبِتوا شجرها أَإِلَه مع اللهِ بلْ هم قَوم يعدِلُونَ)[٣] ، يقول الله تعالى في آخر هذه الآية والآيات التي تليها : (أإله مع الله) أي أإله مع الله فعل هذا ؟ وهذا استفهام إنكار ،يتضمن نفي ذلك ، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله ، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى استفهام : هل مع الله إله ؟ كما ظنه بعضهم لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام ، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى ، كما قال تعالى :(قُلْ أي شيءٍ أكْبر شهادةً قُل اللّهِ شهيد ِبيني

---

(1) - انظر: شرح الطحاوية ٤٣/١

(2) - نظم الدرر ٧/ ٢٨٨- ٤١٣

(3)- النمل : ٥٩- ٦٠

وبينكُم وأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا القُرآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ ومن بلَغَ أَئِنكُم لَتشهدونَ أن مع اللّهِ آلِهةً أُخرى قُل لا أشهد قُلْ إِنما هو إِلَه واحِد وإِنني برِيءٌ مما تشركُونَ)[١].وكانوا يقولون : (أَجعلَ الْآلِهةَ إِلَها واحِدا إِن هذَا لَشيءٌ عجاب)[٢] لكنهم ما كانوا يقولون : إن معه إلها (جعلَ الْأَرض قَرارا وجعلَ خِلَالَها أَنهارا وجعلَ لَها رواسِي وجعلَ بين الْبحرينِ حاجِزا)[٣] بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا ، وهكذا سائر الآيات"[٤].

ولقد قرر البقاعي – رحمه الله – هذه الطريقة القرآنية في تفسيره وأكثر منها، فمما ذكره في تفسيره لسورة الناس عندما قال :"(إِلَهِ الناس)[٥] إشارة على أنه كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك أحد.

وهذه دائماً طريقة القرآن الكريم يحتج عليهم بإقرارهم بتوحيدهم له في الربوبية والملك، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة ، فمن كان ر م وملكهم فهم جديرون بأن لا يتألهوا سواه ولا يستعيذوا بغيره"[٦]

وقال أيضاً :" (أَلَا لِلهِ الدين الْخالِص)[٧] ، لأنه له الأمر والخلق لا يشركه فيه أحد ، فكما تفرد بأن خلقك وخلق كل ما لك من شيء فكذلك ينبغي أن تفرده بالطاعة"[٨].

---

(1) - الأنعام : ١٩

(2) - سورة ص : 5

(3)- النمل : ٦١

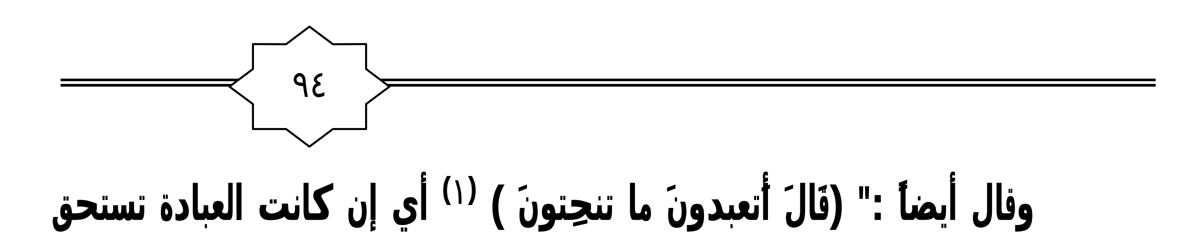
(٢) - شرح الطحا وية ١/ ٣٦ – ٣٧

(٣) - الناس:٣

(6) - نظم الدرر ٢٢/ ٤٢٧

(7)- الزمر:٣

(8) - نظم الدرر ١٦/ ٤٤١



وقال أيضاً :" (قَالَ أَتعبدونَ ما تنحِتونَ) [1] أي إن كانت العبادة تستحق لأحد غير الله، فهم أحق أن يعبدوكم لأنكم صنعتموهم ولم يصنعوكم ، ولما كان المتفرد بالنعمة هو المستحق للعبادة، وكان الإيجاد من أعظم النعم، وكان قد بين أ م ـإنما عبدوها لأجل عملهم الذي عملوه فيها، فصيرها إلى ما صارت إليه من الشكل.

قال تعالى مبيناً أنه هو وحده خالقهم وخالق أعمالهم التي ما عبدوا في الحقيقة إلا هي ، وأنه لا مدخل لمخلوقا م في الخلق، فلا مدخل لها في العبادة(والله خلَقَكُم وما تعملُونَ)[2] أي وخلق عملكم ومعمولكم ، فهو المتفرد بجميع الخلق من الذات والمعاني ومعلوم أنه لا يعبد إلا من كان كذلك، لأنه لا يجوز لعاقل أن يشكر على النعمة إلا ر ا"[3] .

وأحياناً يستدل القرآن العظيم ، على استحقاق الله وحده بالعبادة ، باضطرار البشر له في وقت الشدة ، فإذا وقعوا فيها دعوا الله مخلصين له الدين ، مما يدل على أنّ الضار النافع هو الله عز وجل، وبالتالي يجب على الخلق أن يعبدوه ويخلصوا له في العبادة، في الرخاء والشدة.

قال البقاعي - مقررا هذا المعنى - " (وهو الذِي ـفِي السماء ـإلَه) أي معبود لا يشرك به شئ (وفِي الأَرضِ ـإِلَه ُ)[4] توجه الرغبات إليه في جميع الأحوال ، ويخلص له في جميع أوقات الاضطرار، فقد وقع الإجماع من جميع من في السماء والأرض على الإلهية ، فثبت استحقاقه لهذه الرتبة، وثبت اختصاصه

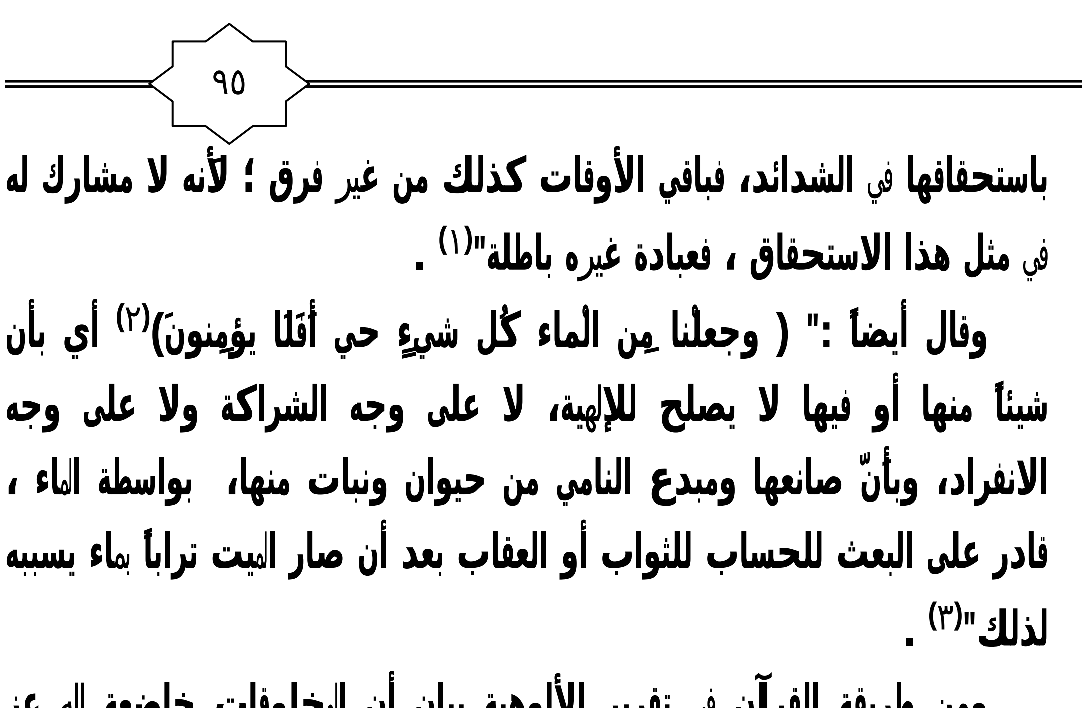
---

(1) - الصافات:٩٥

(2)- الصافات:٩٦

(3) - نظم الدرر ١٦/ ٢٥٨

(4) - الزخرف:٨٤



باستحقاقها في الشدائد، فباقي الأوقات كذلك من غير فرق ؛ لأنه لا مشارك له في مثل هذا الاستحقاق ، فعبادة غيره باطلة"[١] .

وقال أيضاً :" (وجعلْنا مِن الْماء كُل شيءٍ حي أفَلَا يؤمِنونَ)[٢] أي بأن شيئاً منها أو فيها لا يصلح للإلهية، لا على وجه الشراكة ولا على وجه الانفراد، وبأنّ صانعها ومبدع النامي من حيوان ونبات منها، بواسطة الماء ، قادر على البعث للحساب للثواب أو العقاب بعد أن صار الميت تراباً بماء يسببه لذلك "[٣] .

ومن طريقة القرآن في تقرير الألوهية بيان أن المخلوقات خاضعة لله عز وجل، قال البقاعي عند قوله تعالى : (إِن ربي علَى صِراطٍ مستقِيمٍ) [٤]، قال :" ظاهر أمره لكل أحد ، لا لبس فيه أصلاً ولا خلل ولا اضطراب ولا اعوجاج بوجه، فلذلك كان كل من في الكون يتألهه ويدعوه ويخافه ويرجوه، وإن اتخذ بعضهم من دونه شركاء، وأما ما يعبد من دونه، فلا يعظمه إلاّ عابده، وأما غير عابده فلا يقيم له وزناً، فصح بهذا أنه غالب على كل شيء غلبة يعلمها كل موجود من غير خفاء أصلاً، فهو مرجو مرهوب بإجماع العقلاء بخلاف معبوداتكم"[٥]

رابعا - معنى العبادة لغة واصطلاحا :

١- العبادة لغة: هي التذلل والخضوع .

---

(1) - نظم الدرر ١٧/ ٤٩١- ٤٩٢

(2)- الأنبياء: ٣٠

(3) - نظم الدرر ١٢/ ٤١٣

(4) - هود: ٥٦.

(5) - نظم الدرر ٣١١/٩.

قال الراغب الأصفهاني : " العبودية إظهار التذلل ، والعبادة أبلغُ منها لأنها غاية التذلل"(١) .

وقال الجوهري : " العبادة الطاعة ، والتعبد التنسك ... وأصل العبودية الخضوع والذل "(٢) .

وقال ابن جرير : " العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة ، وإنما تسمى الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام وذللته السابلة : معبد " .

٢-ومعناها في الاصطلاح:

توحيد الله عز وجل بالذل والخضوع مع كمال المحبة والطاعة .

قال ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى : (إياك نعبد) " أي : لك اللهم نخشع ونذل ونستكين ؛ إقرارا لك يارينا بالربوبية لا لغيرك " .

وقال ابن كثير(٣) معرفا العبادة :" وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"(٤).

وقال شيخ الإسلام في تعريف العبادة: " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة "(٥) .

وقد عرف البقاعي العبادة فقال : " والعبادة امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر ، مع المبادرة بغاية الحب والخضوع

---

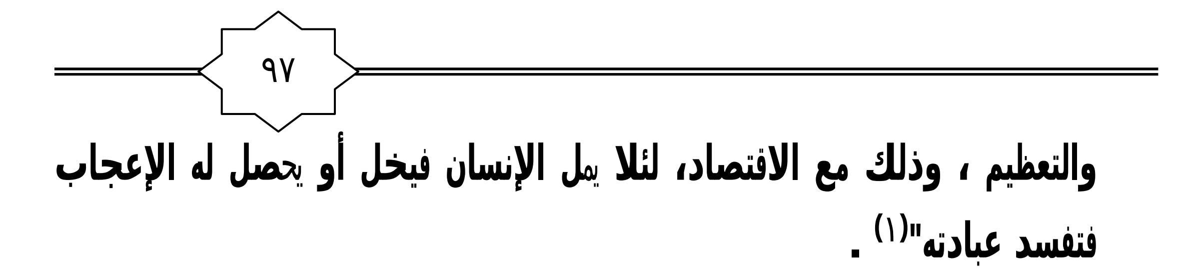
(1) - المفردات في غريب القرآن ص ٣١٩، وانظر: لسان العرب ٢٧١/٣ مادة (عبد).

(2) – الصحاح ٥٠٣/٢ .

(3) – هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي،أبو الفداء،الإمام الحافظ المحدث المؤرخ المفسر،ويكفيه شهرة تفسيره المشهور، المعروف بتفسير ابن كثير،ولد سنة٧٠٠هـ ،وتوفي سنة٧٧٤هـ بدمشق.انظر:شذرات الذهب٢٣٢/٦.

(4) - تفسير ابن كثير ١ /٢٥

(5) - الفتاوى ١٠/ ١٤٩



والتعظيم ، وذلك مع الاقتصاد، لئلا يمل الإنسان فيخل أو يحصل له الإعجاب فتفسد عبادته"[١] .

خامسا - شروط العبادة :

والعبادة لا تكون مقبولةً عند الله عز وجل حتى يتوفر فيها شرطان :

(1) - نظم الدرر ٢٢/ ١٩٢

الأول : الإخلاص لقوله تعالى : "(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) [١] ولقوله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات"[٢].

الثاني : الإتباع ، وهو إيقاع العبادة على الوجه المشروع ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[٣].

وهذان الشرطان قد جمعا في قوله تعالى : (فَمن كَانَ يرجو لِقَاء ربهِ فَلْيعملْ عملًا صالِحا ولَا يشرِك بِعِبادةِ ربهِ أَحدا)[٤] .

وقد أشار البقاعي لهذين الشرطين في تعريفه السابق للعبودية ؛ ففي قوله : " كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر " جمع لشرطي العبادة : الإخلاص والمتابعة . وفي قوله : " مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم " بيان لحقيقة العبادة .

وفي قوله : " مع الاقتصاد " تحقيق لمعنى الوسطية والابتعاد عن الغلو والتساهل ،أو الإفراط والتفريط ، وقال في الإخلاص :" وكل عبادة فيها شرك لا تعد أصلاً"[٥] .

ومما يتصل بهذا الباب قول البقاعي- متكلما على بعض شروط كلمة التوحيد- : "(والله يشهد إِن الْمنافِقِين لَكَاذِبونَ)[٦] أي في إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون ؛ لأن قلوبهم لا تطابق ألسنتهم، فهم لا يعتقدون ذلك ، ومن شرط قول الحق أن يتصل ظاهره بباطنه، وسره بعلانيته ، ومتى تخالف ذلك فهو كذب ، ولا المراد أنهم كاذبون في صحة ما تضمنته شهادتهم، من أنك

---

(1) - البينة:٥

(2) - البخاري كتاب بدء الوحي ١/ رقم ١ ، ومسلم كتاب الإمارة ،باب قوله صلى الله عليه وسلم:"إنما الأعمال بالنيات " ١٥١٥/٣ ،رقم ١٩٠٧

(3) - مسلم كتاب الأقضية ،باب نقض الأحكام الباطلة،١٣٤٣/٣، رقم ١٧١٨ .

(4) - الكهف:١١٠.

(5) - نظم الدرر ٩/ ١١٦.

(6) - المنافقون:١

رسول الله، والحاصل أن الشهادة تتضمن شيئين : صدق مضمون الخبر والإذعان له ،فصدقهم الله في الأول وكذ م في الثاني ،فصاروا بنفاقهم أسفل حالاً وشر مآلاً من اليهود"[١] .

وقال أيضاً: "الشهادةُ الإخبار عن علم اليقين لأ ا من الشهود وهو كمال الحضور، وتمام الاطلاع ومواطأة القلوب للألسنة "[٢].

الدعاء هو العبادة :

الدعاء من أعظم العبادات التي يتقرب ا العبد إلى ربه ، بل هو العبادة كما قال رسول الله صلى الله عليه: " الدعاء هو العبادة"[٣] وقال تعالى : (وقَالَ ربكُم ادعوني أَستجِب لَكُم إِن الذِين يستكْبِرونَ عن عِبادتِي سيدخلُونَ جهنم داخِرِين)[٤] ".

ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة وحقيقته إظهار الافتقار إليه ، والتبرؤ من الحول والقوة وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية"[٥] .

والدعاء قسمان:دعاء مسألة، ودعاء عبادة

فأما دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه[١]

---

(1) - نظم الدرر ٢٠/ ٧٥ – ٧٦

(2) - المصدر السابق٧٥/٢٠

(3) - أخرجه أبو داود كتاب سجود القرآن،باب الدعاء رقـم١٤٧٩ ،و الترمـذي في تفـسير القرآن،سورة البقرة رقم ٢٩٦٩ وقال : "هذا حديث حسن صحيح"وصححه الألباني.

(4) - غافر:٦٠

(5) - شـــأن الـــدعاء، للإمـــام الخطـــابي، ص ٤.ت أحمـــد يوســـف الـــدقاق،ط الأولى١٤٠٤هـ/١٩٨٤م،دار المأمون للتراث،دمشق،بيروت

قال ابن رجب – رحمه الله – : " فتارة الدعاء يكون الدعاء بالسؤال من الله عز وجل والابتهال إليه، كقول الداعي: اللهم اغفر لي اللهم ارحمني، وتارةً يكون بالإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب، وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره ، وما يجب من عبده أن يفعله وهذا هو حقيقة الإيمان"(٢)

وقد أشار البقاعي – رحمه الله – إلى دعاءي العبادة والمسألة عند تفسير قوله تعالى : (وقَالَ ربكُم ادعوني أستجِب لَكُمَ) قال : " (ادعوني) أي : استجيبوا لي، بأن تعبدوني وحدي فتسألوني ما وعدتكم به من النصرة على وجه العبادة ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " الدعاء هو العبادة" فقد حصر الدعاء في العبادة ،سواء كانت بدعاء أو صلاة أو غيرهما ، فمن كان عابداً خاضعاً لله تعالى بسؤال أو غيره ، كانت عبادته دعاء" (٣) .

والدعاء لا يكون إلا لمن له الخلق والأمر ، ولا بد أن يكون الدعاء تذللاً ظاهراً وباطناً، لأن ذلك هو حقيقة العبادة التي أرادها الله عز وجل من عباده .

قال البقاعي – رحمه الله – موضحاً هذا الأصل، : "ولما ذكر تعالى تفرده بالخلق والأمر، المقتضي لتفرده بالعبادة، للتوجيه إلى تحصيل المعارف النفسانية والعلوم الحقيقية ، أمر بهذا المقتضي اللائق بتلك المعارف وهو الدعاء ، الذي هو مخ العبادة(٤) فقال (ادعوا ربكم) أي الدائم الإحسان إليكم، دعاء

---

(1) - انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ١٠/١٥

(2) - فتح الباري لابن رجب ١٨/١ ت طارق عوض الله،دار ابن الجوزي،ط الأولى١٤١٧هـ/١٩٩٦م

(3) - نظم الدرر ٩٩/١٧

(4) - إشارةإلى الحديث الذي رواه الترمذي في الدعوات،باب فضل الدعاء رقم٣٣٧١، بلفظ"الدعاء مخ العبادة" وقال عنه الترمذي :" غريب من هذا الوجه لانعرفه إلامن حديث ابن الهيعة" ، وضعفه الألباني ويغني عنه الحديث الصحيح " الدعاء هو العبادة ".

عبادة وخضوع، (تضرعاً) أي تذللاً ظاهراً، (وخفية) أي وتذللاً باطناً ، أي جمعوا إلى خضوع الظاهر خضوع الباطن ، أي أخلصوا له العبادة ، إنه يحب المخلصين لأن تفرده بأن يدعى هو اللائق بمقام عز الربوبية ، والتذلل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية ، وهذا هو المقصود من الدعاء ، وهو المقصود من جميع العبادات فإن العبد لا يدعو إلا وقد استحضر من نفسه الذل والحاجة ومن ربه العلم والقدرة والكفاية ، فلهذا كان الدعاء مخ العبادة"[(١)].

سادسا - الشرك ينافي التوحيد :

خلق الله الخلق من أجل عبادته وحده لا شريك له ، وأنزل الكتب وبعث الرسل من أجل ذلك ، قال تعالى : (ولَقَد بعثْنا ِفي كُل أُمةٍ رسولاً أن اعبدواْ

---

(1) - نظم الدرر ٧/ ٤١٨ - ٤١٩

اللّه واجتِنبواْ الطاغُوتَ)[١] ، فالتوحيد لا يكون توحيداً إلا بالبراءة من الشرك بأنواعه وألوانه وصوره .

"والطاغوت : كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ على متبوع أو مطاع"[٢]

وقال الطبري – رحمه الله - : " والصواب عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعةٍ ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شئ"[٣].

وقال ابن تيمية - رحمه الله -:" الطاغوت اسم جنس، يدخل فيه الشيطان والوثن والكهان والدرهم والدينار"[٤].

موقف البقاعي :

عبر البقاعي – رحمه الله - عن هذه المعاني التي ذكرها الأئمة من السلف في تفسيره لقوله تعالى:(ألم تر ِإلى الذِين أوتواْ نصِيبا من الْكِتابِ يؤمِنونَ ِبالْجِبتِ والطاغُوتٍ)[٥].

فقال : "(الجبت) وهو الصنم، والكاهن، والساحر، والذي لا خير فيه، وكل ما عبد من دون الله، (والطاغوت) وهو اللات ، والعزى، والكاهن، والشيطان، وكل رأس ضلال، والأصنام، وكل ما عبد من دون الله، وكل هذه

---

(1) - النحل: ٣٦

(2) - إعلام الموقعين لابن القيم ١/٥٠،ت طه عبد الرؤوف سعد،دار الجيل-بيروت-١٩٧٣م

(3) - فسير الطبري ٣/ ١٨

(4) - مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٦٥

(5) - النساء: ٥٠

المعاني تصح إراد ا هنا ، وهي مما نهى عنه في كتا م ، وأصله ومداره مجاوزة الحد عدواناً "[١].

الشرك ظلم عظيم :

قال ابن رجب –رحمه الله – :" فإن الظلم وضع الشئ في غير موضعه ، وأعظم ذلك أن يوضع المخلوق في مقام الخالق، ويجعل شريكاً له في الربوبية والإلهية"[٢] .

وقال ابن القيم – رحمه الله - : " فإن الظلم المطلق التام هو الشرك، الذي هو وضع العبادة في غير موضعها"[٣].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال: لما نزلت (الَّذِين آمنواْ ولَم يلْبِسواْ إِيمانهم بِظُلْمٍ) [٤]، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنه ليس بذاك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : (يا بني لَا تشرِك بِاللهِ إِن الشرك لَظُلْم عظِيم)[٥]"[٦].

موقف البقاعي :

وقد أكد البقاعي – رحمه الله – هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية من سورة لقمان، قال : "(لَا تشرِك بِاللهِ إِن الشرك لَظُلْم عظِيم) أي فهو ضد الحكمة ، ولأنه وضع الشئ في غير محله، فظلمه ظاهر من جهاتٍ عديدة جداً ، أظهرها أنه

---

(1) - نظم الدرر ٥/ ٣٠٠

(2) - فتح الباري شرح البخاري لابن رجب ١/ ١٣٢

(3) - لصواعق المرسلة لابن القيم ٣/ ١٠٥٧

(4) - الأنعام: ٨٢.

(5) - لقمان: ١٣٠.

(6) - البخاري كتاب الإيمان،باب ظلم دون ظلم ٢١/١، رقم٣٢ ومسلم كتاب الإيمان،بـاب صدق الإيمان وإخلاصه،١٨٨/١، رقم ١٩٧.

تسوية المملوك الذي ليس له من ذاته إلا العدم، فلا نعمةَ منه أصلاً بالمالك الذي له وجوب الوجود ، فلا خير ولا نعمةَ إلا منه"[١].

أنواع الشرك :

قال ابن القيم – رحمه الله- :" وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر ، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شئ وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم "[٢] .

وهذا الشرك الأكبر أنواع :

الأول: شرك الدعوة أي الدعاء ، والدليل قوله تعالى :"(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)[٣].

وقد رد البقاعي رحمه الله على المشركين الذين يدعون غير الله باتخاذ الوسائط، ويقيسون ذلك على المخلوقين،قال:"قالوا: إن الملك لايتوصل إليه إلآ بأعوان من حاجب ونائب ونحو ذلك،ولايتوصل إليه إلا بأنواع القربان،فعبدوا الأصنام،وفعلوا لها ما يفعل له تشبيها به عز شأنه،وتعالى سلطانه،لأن الفرق أن ملوك الدنيا المقيس عليهم إنما أقاموا من ذكر لحاجتهم وضعفُ ملكهم،فحالهم مخالف لوصف من لا تأخذه سنة ولا نوم،ولا يشغله شأن عن شأن،وكل شئ في قبضته وتحت قهره وعظمته،فلذلك تسبب عنها قوله تعالى :(فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ)[٤]

---

(1) - نظم الدرر ٧٥/١٨

(2) - مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٤٨

(3) - العنكبوت : ٦٥.

(4) - النحل:٧٤.

، أي الذي له الإحاطة الكاملة(الأمثَالَ)،أي فتشبهوه تشبيها بغيره ،وإن ضرب لكم الأمثال"[١]

الثاني : شرك النية والإرادة والقصد ، والدليل قوله تعالى : " (من كَانَ يريد الْحياةَ الدنيا وزِينتها نوف ِإلَيهم أعمالَهم ِفيها وهم ِفيها لاَ يبخسونَ)[٢].

الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى :(اتخذُواْ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللّهِ والْمسِيح ابن مريم وما أُمِرواْ ِإلا ِليعبدواْ ِإلَها واحِدا لا ِإلَه ِإلا هو سبحانه عما يشرِكُونَ)[٣] .

قال البقاعي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "اتخذوا أحبارهم " أي من علماء اليهود ، والحبر في الأصل العالم من أي طائفة كان (ورهبا م) أي من زهاد النصارى ، والراهب في الأصل من تمكنت الرهبة في قلبه فظهرت أثارها على وجهه ولباسه ، فاختص في العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع، (أرباباً) أي آلهة، لكو م يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا وتحليل ما حللوا وأشار إلى سفول أمرهم بقوله (من دون الله) أي الحائز لجميع صفات الجلال ، فكانوا يعولون عليهم ويسندون أمرهم إليهم ، حتى إن كانوا ليتبعو م في الحلال والحرام"[٤]. الرابع: شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : (ومِن الناسِ من يتخِذُ ِمن دون اللّهِ أنداداً يحِبونهم كَحب اللّهِ والَذِين آمنواْ أشد حبا للّهِ)[٥]"[٦].

---

(1) - نظم الدرر٢١٣/١١-٢١٤.

(2) - هود : ١٥.

(3) - التوبة : ٣١.

(4) - نظم الدرر ٨/ ٤٤١

(5) - البقرة : ١٦٥.

(6) - انظر: مجموعة التوحيد ص ٣٤٧ – ٣٤٨.

أما الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة ، فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق والحلف بغير الله [١].

أنواع الشرك عند البقاعي :

قال الإمام البقاعي – رحمه الله – ناقلاً عن القشيري[٢] مقراً له ، بأن أنواع الشرك ثلاثة:" وهو ثلاثة أنواع : شرك في الألوهية ،وهو أن يرى مع الله إلها آخر،. وهو شرك المجوس ، والمسمة ،والوثنية، ويضاهيه غلط القدرية .

الثاني : شرك في العبادة، بالرياء، وإضافة العمل إلى النفس.

الثالث : الشرك الخفي، وهو الشهوة الخفية ، وهو أن يخفي العمل ويخاف من إظهاره، ويحب لو اطلع عليه ومدح بإسراره"[٣].

ففي هذا النقل عن القشيري ، قسم الشرك إلى أكبر وأصغر، وجمع في الأكبر جميع أنواع الشرك :وهو الشرك في الألوهية، كشرك الوثنية الذين يعبدون مع الله غيره ، مع إقرارهم بالربوبية ، والشرك في الربوبية كشرك المجوس الذي يؤمنون بإلهين، إله النور وإله الظلمة، أو إله الخير وإله الشر ، ويقاربهم في هذا القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة كما أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتي في بحث القدر[٤] .

ولكن ينبغي أن يعلم أن شرك المجوس لم يكن في جعل إله الشر مساوياً لإله الخير ، قال شارح الطحاوية :" ولم يعرف عن أحد في الطوائف أنه قال إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال، فإن الثنوية من المجوسو القائلين بالأصلين :النور والظلمة ، وأن العالم صدر عنهما ، متفقون على أن النور خير من

---

(1) - انظر: مدارج السالكين ١/ ٣٥٢

(2) - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخراساني، صوفي متكلم أشعري،له "الرسالة"في التصوف،ولدسنة٣٧٥هـ وتوفي٤٦٥هـ،انظر:السير٢٢٧/١٨

(3) - نظم الدرر ١٦/ ٤٤٢

(4) - انظر ص

الظلمة وهو الإله المحمود ، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة : هل هي قديمة أو محدثة ؟ فلم يثبتوا ربين متماثلين"(١).

مبدأ الشرك وأصناف المشركين :

أول من عرفوا بالشرك قوم نوح عليه السلام، الذين صوروا صور صلحائهم، ثم تعلقت قلوبهم بها، فعبدوهم من دون الله، فبعث الله نوحاً - عليه السلام - لمحاربة هذا الشرك.

قال البقاعي - رحمه الله - متكلماً على أصناف قوم نوح :" وكان هؤلاء ناساً صالحين، فلما ماتوا حزن عليهم الناس، ثم زين لهم إبليس تصويرهم تشويقاً إلى العمل بطرائقهم الحسنة فصوروهم، فلما تمادى الزمان زين لهم عبادتهم لتحصيل المنافع الدنيوية ببركاتهم، ثم نسي القوم الصالحون، وجعلوا أصناماً آلهة من دون الله، وكانت عبادة هؤلاء أول عبادة الأوثان، فأرسل الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه الصلاة والسلام، للنهي عن ذلك إلى أن كان من أمره وأمر قومه ما هو معلوم"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :-رحمه الله – " والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح وقوم إبراهيم ، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم،وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر"(٣)

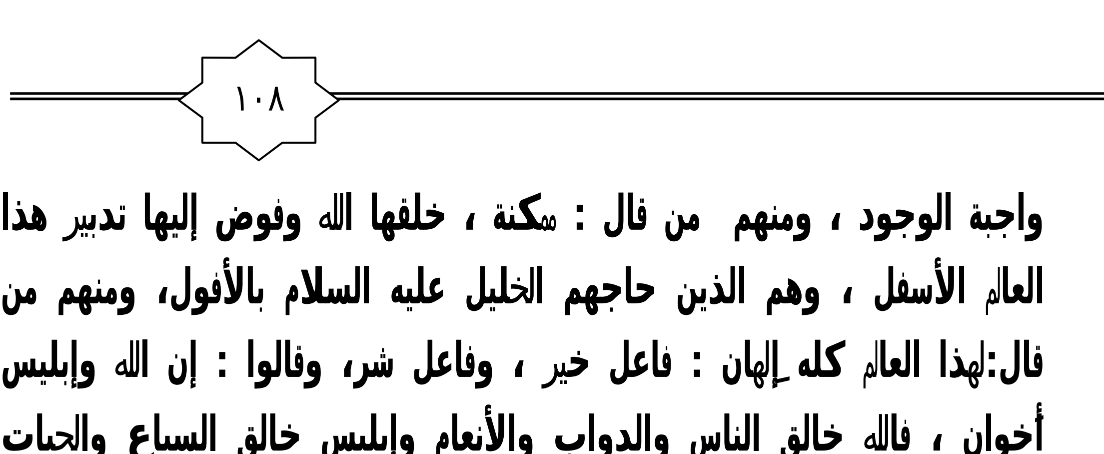
ولقد ذكر البقاعي – رحمه الله – هذه الأقسام فذكر عبدة الأصنام والكواكب وفصل في هذا الباب ، فقال: " ولما كان المشركون على أصناف : منهم عبدة أصنام أشركوا في العبودية لا في الخلق ومنهم آزر الذي حاجه إبراهيم عليه السلام ،ومنهم عبدة الكواكب وهم فريقان: منهم من قال : هي

---

(1) - شرح الطحاوية ١/ ٢٧

(2) - نظم الدرر٢٠/٤٤٩-٤٥٠

(3) - مجموع الفتاوى ١/ ١٥٧



واجبة الوجود ، ومنهم من قال : ممكنة ، خلقها الله وفوض إليها تدبير هذا العالم الأسفل ، وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالأفول، ومنهم من قال:لهذا العالم كله إلهان : فاعل خير ، وفاعل شر، وقالوا : إن الله وإبليس أخوان ، فالله خالق الناس والدواب والأنعام وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور، ويلقبون بالزنادقة وهم المجوس"[١].

(1) - نظم الدرر٤/٧

المبحث الرابع
توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على عدة مطالب :

المطلــب الأول : معــنى توحيــد الأســماء والصفات .

المطلب الثاني : مذاهب المخالفين لأهل السنة في توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الثالث : ر أي البقــاعي في توحيــد الأسماء والصفات والرد عليه .

المطلب الأول
معنى توحيد الأسماء والصفات

منهج سلف هذه الأمة في هذا التوحيد هو:إثبات ماأثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، من غـير تكييـف ولاتمثيل ولا تحريف ولا تعطيل،ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسـوله صلى الله عليه وسلم،من غير إلحاد لا في أسمائه ولافي آياته.

قال الإمام ابن خزيمة(١) - رحمه الله - : " فنحن وجميع علمائنا من أهـل الحجاز و امة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أنا نثبـت لله مـا أثبتـه لنفسه"(٢).

وقال الإمام ابن عبد البر(٣)- رحمه الله -: " أهلُ الـسنة مجمعـون علـى الإقرار بالصفاتِ الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة، والإيمان ا وحملـها على الحقيقة لا على الـاز إلا أ م لا يكيفون شيئاً من ذلك"(٤).

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- : " فالأصل في هذا الباب أن يوصـف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً ، فيثبت لله ما أثبتـه لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل

---

(1)- هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي،إمام الأئمة، الحافظ، الـتهد، ولد بنيسابور سنة٢٢٣هـ ومات سنة٣١١هـ . انظر: السير٣٦٥/١٤ ، والطبقات للسبكي١٠٩/٣.

(2) - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمـة ٢٦/١ ، ت الـدكتور عبـد العزيز بن إبراهيم الشهوان،ط الأولى١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،دار الرشد، الرياض.

(3) - يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي،ولد سنة ٣٦٨هـ ، صنف " التمهيد لما في الموطأ من المعاني الأسانيد" و"جامع بيان العلم وفضله"، تـوفي سـنة ٤٦٣هـ ـ . السير١٥٣/١٨

(4) - التمهيد لابن عبد البر١٤٥/٧الناشر:وزارة الأوقاف في الغرب ، ت مـصطفى العلـوي، وانظر : الفتاوى لابن تيمية ٨٧/٥

، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه من غـير إلحـادٍ لا في أسمائـه ولا في آياته"(١) .

وعرف السعدي(٢)- رحمه الله - هذا التوحيد فقال: "هو اعتقاد انفراد الرب – جل جلاله – بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والـصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء مِنها ولا تعطيل ، ولا تحريف ولا تمثيل ، ونفي ما نفاه عـن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله"(٣).

المطلب الثاني

---

(1) - التدمرية ص ٧.

(2)- هو الشيخ ابو عبد الله،عبد الرحمن بن ناصر السعدي،مـن قبيلـة تمـيم،ولـد في عنيـزة ١٣٠٧هـ،وكان فقيها أصوليا مفسرا،له تفسير مشهور"تفسير الكريم الـرحمن"،تـوفي في عنيـزة سنة١٣٧٦هـ.انظر:علماء نجد خلال ستة قرون،للبسام٤٢٢/٢.

(3) - القول السديد في مقاصد التوحيد للسعدي، ص ١٠، مكتبة المعارف،الرياض.

مذاهب المخالفين لأهل السنة

في توحيد الأسماء والصفات

كثر المخالفون لأهل السنة في هذا القسم من التوحيد،ويعـود ذلـك إلى تأثرهم بالشبه التي أثارها بعض المبتدعـة حـول إثبـات صـفات الله جـل وعلا،مستندين على قواعد كلامية قاسوا فيها الخالق على المخلوق،وحادوا عن منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الكبار،ويمكـن تـصنيف مذاهب المخالفين لأهل السنة في هذا التوحيد على النحو التالي:

١ - المشبهة والممثلة [١]:

وهم الذين يمثلون صفات الله بصفات المخلـوقين ،فيقولـون : لله سمـع كسمعي ،وبصر كبصري .

قال إسحاق بن راهويه[٢] : "إنما يكون التشبيه إذا قال : يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع ؛ فهذا هو التشبيه"[٣].

---

(1)- قال البغدادي في"الفرق بين الفرق " ١ / ٢١٤ :" المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقـون على أصناف شتى، والمشبهة الذين ضلوا فى تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة، وأول ظهـور التـشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة، فمنهم السبائية الذين سموا عليا إلها، وشبهوه بذات الإلـه، ومنهم البيانية اتباع بيان بن سمعان، الذى زعم أن معبوده إنسان من نور على صـورة الإنـسان فى أعضائه، وأنه يفنى كله الا وجهه، ومنهم المغيرية اتباع المغيرة بن سعيد العجلـى، الـذى زعـم أن معبوده ذو أعضاء ،وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء، ومنهم المنـصورية أتبـاع أبى منـصور العجلي الذى شبه نفسه بربه، وزعم أنه صعد إلى السماء ،ومنهم الخطابية الـذين قـالوا بالإلهيـة للأئمة...".

(2) - هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه ،أبو يعقوب الحنظلي المروزي ،أحد الأئمة الكبار ،ثقة، حافظ، مجتهد، قرين الإمام أحمد،مات في نيسابور سنة٢٣٨هـ .الـسير ٣٥٨/١١، ـذيب الكمال٣٧٣/٢

(3) - جامع الترمذي ٣/ ٥٠

وقال شيخ الإسلام: " من قال : علم كعلمي، أو قوة كقـوتي، أو حـب كحبي ، أو رضاء كرضائي، أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي، كان مشبهاً ممثلاً لله بالحيوانات"[١].

٢- المعطلة وهم أصناف [٢]:

أ - الذين يصفون الله بسلب النقيضين، وهو مذهب غلاة المعطلـة مـن الباطنية[٣] وغيرهم " فيقولون : لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، لأنهم بزعمهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات ، فسلبوا النقيضين ، وهذا ممتنـع في بدائـه العقول"[٤].

ب - الذي يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفـصيل ، وهـو مذهب المعطلة من الفلاسفة والجهمية فلا :" يثبتون إلا وجـوداً مطلقـاً لا حقيقة له عند التحصيل ، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققـه في

---

(1) - مجموع الفتاوى ٣/ ١٦.

(2) - جاء في مختار الصحاح(١ / ٤٦٧):"[عطل] ع ط ل : عطِلت المرأة من بـاب طـرب، تعطلت إذا خلا جيدها من القلائد، وقد يستعمل العطل في الخُلُو من الشيء، و تعطل الرجـل إذا بقي لا عمل له ، و التعطِيلُ: التفريغ وبئر معطلةٌ لبيود أهلها" والمعطلة هم الذين ينفـون عـن الله صفاته كلها أوبعضها،قال القرطبي في "تفسيره"٢٨٥/٧:"الثانية - معنى الزيادة في الأسماء التـشبيه، والنقصان التعطيل، فإن المشبهة وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلة سلبوه ما اتصف به، ولـذلك قـال أهل الحق : إن ديننا طريق بين طريقين لا بتشبيه ولا بتعطيل " ،والمعطلة أصناف كثيرة كالفلاسـفة والباطنية والجهمية وغيرهم .انظر:مجموع الفتاوى٤٨٤/١١، ١٧٥/١٣، ومنهاج السنة١٢٩/٧، وإغاثة اللهفان لابن القيم٢٥٦/٢.

(3)- الباطنية هم الذين جعلوا لكل ظاهر باطنا ولكل تنـزيل تأويلا ولهم ألقاب كثيرة.قال الرازي:" اعتقادات المسلمين والمشركين "(١ / ٧٦):" في الذين يتظاهرون بالإسلام وإن لم يكونوا مـسلمين وفرق هؤلاء كثيرة جدا ، إلا أننا نذكر الأشهر منهم فالفرقة الأولى الباطنيـة، ومقـصودهم علـى الإطلاق إبطال الشريعة بأسرها، ونفي الصانع، ولا يؤمنون بشيء من الملل"، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦٦ ،والملل والنحل للشهرستاني٢٩/٢.

(4)- التدمرية لشيخ الإسلام ص ١٦.

الأعيان فقولهم يستلزم غاية التعطيل ، وغاية التمثيل فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات ، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات"[١] .

ج - الذين ينفون الصفات ويثبتون الأسماء ، وهو مذهب المعتزلة ،قال شيخ الإسلام: " وقاربهم طائفة ثالثة من أهل الكلام ومن المعتزلة ومن اتبعهم فأثبتوا له الأسماء دون ما تضمنته من الصفات ، فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات ، ومنهم من قال : عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، سميع بصير بلا سمع ولا بصر فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات" [٢] .

د - الذين يثبتون الأسماء وبعض الصفات ، يسمونها العقلية ، وهو مذهب الأشاعرة ، وهذه الصفات هي صفة العلم والقدرة والإرادة والحياة ، والسمع والبصر والكلام ، وهذه سبع صفات يسمونها العقلية ، لأن العقل دلّ عليها، أما باقي الصفات فمذهبهم فيها بين التأويل والتفويض[٣]

ويجب أن يعلم أن ما عليه الأشاعرة الآن يخالف كثيراً ما كان عليه إمامهم الذي ينتسبون إليه- أبو الحسن الأشعري – رحمه الله - فقد مر المذهب بمراحل وأطوار يختلف آخره عن أوله اختلافاً كبيراً [٤].

---

(1) - التدمرية ١٥ – ١٦

(2) - المصدر السابق ص ١٨

(3) - انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود ٣/ ١٠٣٤، مكتبة الرشد الرياض،ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥

(4) - ويمكن تقسيم هذه المراحل إجمالاً على النحو التالي:

المرحلة الأولى: نشأة الأصول الكلامية الأولى التي انحرف بها المذهب عن نهج السلف ، وتبدأ من القرن الثالث ، بمقولات ابن كلاب (ت ٢٤٠هـ) وأتباعه ومنهم الأشعري .

المرحلة الثانية: مقالات أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) وهي نشأة الأسس والأصول الكبرى للأشعرية الأولى ، وتبدأ من أول القرن الرابع .

المطلب الثالث

آراء البقاعي- عفا الله عنه- في توحيد الأسماء والصفات ، والرد عليه

المسألة الأولى - أسماء الله عز وجل :

١ - الأسماء توقيفية:

الأصل في هذا الباب ، عند أهل السنة والجماعة ، كما هو الأصل في باب الصفات هو التوقيف، ولا مجال للعقل في الإثبات والنفي.

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص ، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء ، فوجب الوقوف في ذلك على النص ، ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جنايةٌ في حقه تعالى ، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص(١).

المرحلة الثالثة : مرحلة الأخذ بتأويلات الجهمية في الصفات ، وتبدأ هذه المرحلة من آخر القرن الرابع ممثلة بمنهج الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، وابن فورك (ت ٤٠٦هـ)، ثم البغدادي (ت ٤٢٩هـ).

المرحلة الرابعة : وكانت هذه المرحلة ذات اتجاهين : الأول : التوسع في الأخذ بأصول الجهمية والمعتزلة والفلاسفة .

الثاني : دمج المذهب الأشعري بالتصوف البدعي ، ويمثل هذا الاتجاه القشيري (ت ٤٦٥هـ)

المرحلة الخامسة : مرحلة اكتمال الأسس الفلسفية والعقلانية والكلامية والصوفية وترسيخها وتنظيمها ، وعزل مذهب الأشاعرة عن منهج السلف بصورة جلية ، وتبدأ هذا المرحلة من نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع وما بعده إلى القرن الثامن ، ويمثل هذه المرحلة فخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ)، ثم الآمدي (ت ٦٣١هـ) ،والأيجي (ت ٦٥٦هـ) .انظر:الفرق الكلامية،د.ناصر العقل ص٥٠-٥٨،دار الوطن،الرياض،ط الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود ص٣٢٩-٦٩٤.

(1)- انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين، بتعليق كاملة الكواري، ص ١١٨- ١١٩ ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى

وقد أكد البقاعي – رحمه الله – هذا الأصـل وذلـك في تفـسيره"نظـم الدرر"عند قوله تعالى: (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[١] قال:"(وذروا الذين يلحـدون) أي يميلون عما حد لهم بزيادة فيشبهوا، أو نقـص فيعطلـوا ، (في أسمائـه) أي فيطلقو ا على غيره بأن يسموه إلهاً ، فيلزمهم أن يطلقوا عليه جميع أوصـاف الإله ، فقد ألحدوا في البعض بالفعل وفي الباقي باللزوم ، أو بأن يسموه بمـا لم يأذن فيه ، وما لم يأذن فيه تارة يكون مأذوناً فيه في الجملة كالضار ، فلا يجـوز ذكره إلا مع النافع ، وتارة لا ، مثل إطلاق الأب عليه والجسم ، وكذا كل ما أوهم نقصاً فلم يكن أحسن ، ولورود إطلاق بعض اشتقاقاته عليه مثل علـم ، ولا يجوز أن يقال لأجله : معلم ، وكذا لا يجوز أن يقال : يا خـالق الديـدان والقردة مثلاً ، وكذا لا يجوز أن يذكر اسم لا يعرف الذاكر معناه ، ولو كـان الناس يفهمون منه مدحاً كما يقول بعض البدو : يا أبيض الوجه ، ويـا أبـا المكارم فإن ذلك كله إلحاد "[٢].

فقد ذكر البقاعي في هذا النص – أن الأسماء توقيفية، وأنه لا يجوز الميل ا عما حد لها،وقال أيضا وهو يرد على الفلاسفة ،في اطلاقهم عبارات علـى الله سبحانه:"الفلاسفة يقولون هو علة لنفسه،ونحن نتحاشى عن اطلاق هذا اللفـظ على الله سبحانه وتعالى"[٣]،وقال:"اطلاق السبب على الله تعالى جده وتبـارك اسمه يحتاج إلى توقيف، ولاتوقيف، فالتعبير به غير حسن"[٤] ،وقال أيضا:"المبدأ أيضا من عبارات الفلاسفة"[٥].

(1)- الأعراف:١٨٠

(2) - نظم الدرر ١٧٦/٨.

(3) -النكت ق١/٣٩

(4) - المصدر السابق ق١/١٧.

(5) - المصدر السابق ق١/٣٩.

٢- الإلحاد في أسماء الله :

والإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع[1]**:**

الأول : أن ينكر شيئاً منها ، أو مما دلت عليه الصفات والأحكام ، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم .

الثاني : أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه.

وهذان النوعان ذكرهما البقاعي في قوله السابق" أي يميلون عما حد لهم بزيادة فيشبهوا أو نقص فيعطلوا" فذكر التشبيه والتعطيل.

الثالث : أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه ، كتسمية النصارى له الأب وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة).

قال البقاعي في ذكر أنواع الإلحاد : " مثل إطلاق الأب عليه والجسم ".

الرابع : أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين[2]**.**

وأسماء الله كلها حسنى أي بالغة في الحسن غايته ، وهي أعلام وأوصاف أعلام، لدلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، قال تعالى : " (ولِلّهِ الأَسماء الْحسنى)قال البقاعي في تفسيرها : " أي صفات الكمال التي لا يصح ولا يتصور ، أن يشوبها نقص ، بل هو متصف بها دائماً اتصافاً حقيقياً لا يمكن انفكاكه ، كما يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن في بعض الأحايين ثم يعجز عنه في وقت آخر"[3]**، وذلك لأن أسماء الله لا مثيل لها، قال البقاعي في قوله تعالى :(هلْ تعلَم لَه سمِيا)**[4]**. قال :" أي متصفاً بوصفٍ من أوصافه**

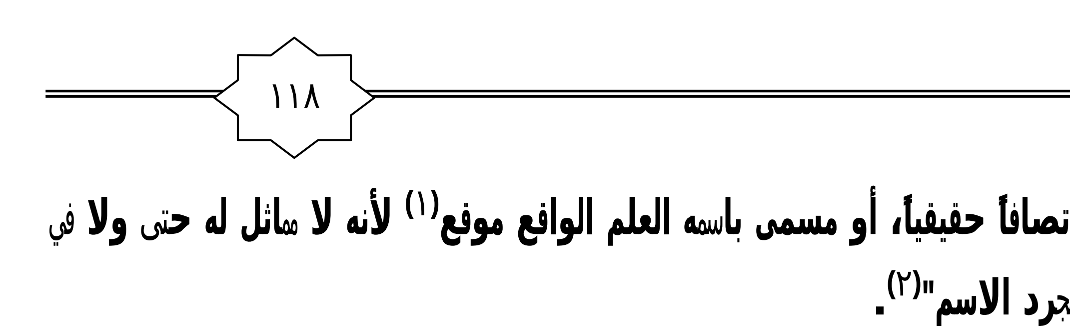
---

(1) - **القواعد المثلى ص ١٤٤**

(2)- انظر:تفسير الطبري (٦/ ١٣٣) وغيره.

(3) - **نظم الدرر٢٣٢/١٢.**

(4) - **مريم:٦٥.**



اتصافاً حقيقياً، أو مسمى باسمه العلم الواقع موقع[١] لأنه لا مماثل له حتى ولا في مجرد الاسم"[٢].

المسألة الثانية

صفات الله عز وجل

وموقف البقاعي منها

---

(1)- هكذا في الأصل ولعل ثمة سقط.

(2) - نظم الدرر ٢٣٢/١٢.

أولا – منهجه بشكل عام في ذلك ، والرد عليه :

لقد مشى الإمام البقاعي –رحمه الله - على منهج الأشاعرة في الإثبات والنفي، ظناً منه أنّ هذا هو منهج السلف الصالح ، كما هو شأن كثير من أهل العلم والفضل من أهل الحديث والفقه ، ممن ينتسب إلى الأشعري ، فلذلك تجدهم ينقلون بعض كلام السلف والأئمة المحققين في هذا الباب ، مقرين له ، ولكنهم في التطبيقات الجزئية ، يقعون في المخالفات كما هو الشأن عند الإمام البقاعي – رحمه الله – حيث نقل كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – من كتابه " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" حيث ذكر القاعدة الجامعة المانعة في منهج السلف الصالح ، في مسألة الأسماء والصفات ، ومع ذلك وقع في الخطأ عند التطبيق .

قال البقاعي - عفا الله عنه - ناقلاً الكلام عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " قال أبو العباس ابن تيمية الحنبلي في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)[1] :أجمع سلف الأمة وأئمتها أن الرب سبحانه وتعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثله شئ، ولا كفؤ له في شيء من صفات الكمال – كما قال الله تعالى :(قُلْ هو الله أحد الله الصمد) – إلى آخرها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : الصمد – إلى آخر ما مضى عنه[2] ، وقال ابن مسعود رضي الله

---

(1)- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان٢٥٠/١١ ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية

(2) - لم يذكر البقاعي تمام كلام ابن عباس رضي الله عنهما، وذلك للاختصار،والأثر أورده السيوطي في " الدر المنثور"(٨ /٦٨٢) ،قال:" وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق علي عن ابن عباس قال :" الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم

عنه[١] وغيره[٢] : هو الذي لا جوف له ، والأحد الذي لا نظير له فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه واسمه الأحد يتضمن أنـه لا مثل له"[٣] .

لكن البقاعي عفا الله عنه لم يثبت إلا الصفات السبع ، أو صفات المعـاني كما يسميها الأشاعرة ، وهي : العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة [٤].

يقول الأشعري عن هذه الصفات: " وأجمعوا على إثبات حياة لله عز وجل لم يزل بها حياً ، وعلماً لم يزل به عالماً ، وقدرة لم يزل بها قادراً وكلاماً لم يزل به متكلماً ، وإرادة لم يزل بها مريداً، وسمعاً وبصراً لم يزل به سميعاً بصيراً"[٥]

قال البقاعي - رحمه الله -: " فإذا ثبت حدوث ما نشاهد مـن الأعيـان والأعراض ، ثبت أن لها محدثاً ضرورة لأنّ الشئَ لا يحدثُ بمحدث مثله ، وإذا

الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعـالم الذي قد كمل علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنـواع الـشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفو، وليس كمثله شيء".

(1)- أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم ،انظر: فتح القدير٧٣٦/٥ للشوكاني

(2)- كابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبيروالضحاك،انظر:تفسير الطبري ٧٤١/١٢

(3)- نظم الدرر٣٧٧/٢٢

(4) - قال البقاعي في"سر الروح" ص١٠٨:"المضاف إليه سبحانه نوعان :أحدهما : صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام فهذه إضافة الصفة إلى الموصوف. والثاني:أعيـان تقـوم بأنفـسها كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح،فهـذه إضـافة مخلـوق إلى خالقـه،وسـبب الإضـافة التشريف،كبيت الله،وإن كان سائر البيوت ملكه،وكذا ما في معناه"

(5)- الرسالة إلى أهل الثغر ص ٦٧

ثبت وجود المُحدِث لها وهو البارئ تعالى، ثبت أنّ له قصد إلى إحداثها ، فثبتت الإرادة ، وثبت أنه قادر على إحداثها وأنه عالم بتفاصيل الأمور ضرورة " (١)

وقال أيضاً : " وإنما كان مختصاً بذلك ؛ لأنّ الأشياء غيره ممكنة ، لتغيرها، وكل ممكن محتاج ، وأدنى ما يحتاج إلى مرجح يرجح وجوده ، وبـذلك نعلـم وجود المرجح، ونعلم أن ترجيحه على سبيل الصحة والاختيار لا الوجـوب ، وإلا لدام العالم بدوامه ، وبذلك ثبتت قدرته ، وتكون أفعاله محكمة ، ثبت علمه فثبتت حياته وسمعه وبصره وكلامه وإرادته ووحدانيته" (٢)

وقال في تفسير آية الكرسي : " وقد احتوت على الصفات السبع : الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام صريحاً، فـإن الإذن لايكـون إلا بـالكلام والإرادة، وعلى السمع والبصر من لازم (له ما في السموات وما في الأرض) ومن لازم (الحي) لأنّ المراد الحياة الكاملة " (٣)

وقال : " وأما تحلّيه بصفات الحياة والعلم والـسمع والبـصر والقـدرة والإرادة والكلام فلا يوهم تشبيهاً"(٤).

فترى أن الإمام البقاعي – رحمه الله – يثبت الصفات السبع على طريقـة الأشاعرة ،وذلك لأنّ العقل دلّ عليها ، ولأنه لا يرى في إثبا ـا مـا يقتـضي التشبيه والتجسيم، أما غيرها من الصفات ، التي يرى أنه لا يثبتها العقل ،وإنما وردت من طريق النقل، فيرى أ ا تستلزم التشبيه ، ولذلك لا بد فيهـا مـن التأويل أو التفويض على مذهبين عند الأشاعرة .

---

(١)- النكت على العقائد ق ٢/١٣ .

(١)- نظم الدرر ٨/ ١٧٥ .

(٢)- نظم الدرر ٤/ ٣٩ .

(٣)- سـر الـروح للبقـاعي ص٢١١ ،ت عبـد الجليـل البكـري،دار البـشائر دمـشق ١٤١٤هـ/١٩٩٠م .

ولقد أصاب البقاعي عندما قال بأن إثبات هذه الصفات السبع على الوجه الذي يليق بالله جل وعلا لايوهم تشبيها،لكنه أخطأ عندما فرق بينها وبين غيرها من الصفات الثابتة لله جل وعلا، فكما أثبت هذه الصفات على الوجه الـذي يليق بالله سبحانه وتعالى،ينبغي له أن يثبت الباقي على الوجه الذي يليـق بـه سبحانه .

أما أن يقال بأن هذه الصفات إثباتها لا يستلزم التشبيه وغيرها يستلزم ذلك فهذا ليس بصحيح، لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعـض فإثبـات بعضها يقتضي إثبات الآخر ، ونفي بعضها يقتضي نفي الآخر.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-:" فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلـوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه ، وهذا هو التمثيل .

وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به ، قيل لـك : وكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به ، وللمخلوق رضا وغضب يليق به .

وإن قال : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام قيل له : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قلت : هذه إرادة المخلوق ،قيل لك : وهذا غضب المخلوق . وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمـه وقدرته ، إن نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو مـن خـصائص المخلوقين ، فهذا منتفٍ عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات .

وإن قال:إنه لا حقيقـة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه ، قيل له : وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة"[(١)] .

فإن قال : "تلك الصفات أثبتها بالعقل ، لأن الفعل الحادث دل على القدرة ، والتخصيص دل على الإرادة ، والإحكام دل على العلم ، وهذه الـصفات

(١)- التدمرية ص ٣١- ٣٢ وسيأتي الكلام عن التشبيه والتمثيل مفصلاً.

مستلزمة للحياة ، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك ؟ قال له سائر أهل الإثبات : لك جوابان:

أحدهما :أن يقال : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين ،فهب أن ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فإنه لا ينفيه ، وليس لك أن تنفيه بغير دليل ، لأن النافي عليه الدليل كما على المثبت، والسمع قد دل عليه، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي ، فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم.

الثاني: أن يقال : يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما ثبت به تلك من العقليات ، فيقال : نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشيئة ،وإكرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم"[1].

إذاً إثبات الصفات التي ثبتت بالسمع غير السبع ممكن عقلا أيضا ،فليس الدليل العقلي محصوراً في إثبات الصفات السبع، بل الدليل العقلي لا يمنع من إثبات غيرها ، مع ما معه من الدليل السمعي الذي هو أعلى وأشرف من الدليل العقلي .

(1)- التدمرية ص ٣٣- ٣٤.

ثانيا – شبهات نفاة صفات الله تعالى والرد عليهم وموقف البقاعي من ذلك :

١- شبهة القول بأن إثبات الصفات لله تعالى يستلزم تشبيهه وتمثيله بالمخلوقين :

ورد في كلام البقاعي – رحمه الله – آنفاً ،أن إثبات الصفات السبع لا يستلزم تشبيهاً ، أي إن إثبات غيرها يستلزم التشبيه ، وقد بينت أن إثبات بعض الصفات يقتضي إثبات الباقي، كما أن نفي بعضها يقتضي نفي الجميع، لكني هنا أتناول بشي من التفصيل شبهة التشبيه والتمثيل التي يحتج ا النفاة على نفي بعض أوكل الصفات عن الله تعالى.

١- تعريف التشبيه لغة:

ذكر ابن فارس أن الشين والباء والهاء أصلٌ يدل على تشابه الشيء و تشاكله لوناً ووصفاً[(١)] ، وهو مصدر شبه يشبه تشبيهاً ، وتصاريف كلمة (شبه) جميعها تدل على مشا ة الشيء للشيء من بعض الوجوه ، يقال في اللغة فلان فيه شبه من فلان، أي : بينهما تشابه في بعض الصفات[(٢)].

ويطلق الشبيه في اللغة مع تقييده بمعنى المثيل، ويعرف ذلك من سياق الكلام، وذلك لأنّ المثل في اللغة هو المشابه للشيء من كل الوجوه [(٣)].

ولذلك فالتمثيل قد يراد به التشبيه وهو قليل[(٤)] .

---

(1)- انظر : معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٤٣

(2)- لسان العرب ١٣/ ٥٠٤ ،والقاموس المحيط ص ١٦١٠

(3)- لسان العرب ١١/ ٦١٠

(4)- معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٩٦

فبين لفظ الشبه والمثل في اللغة اشتراك في مشا ة الشيء للشيء من بعض الوجوه، ويختلف التماثل بأن تكون فيه المشا ة في جميع الوجوه.

وأيضاً من الفروق بين التشبيه والتمثيل ، أنّ القرآن الكريم نفى التمثيل نفياً صريحاً في قوله تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " بخلاف التشبيه الذي لم يتعرض له القرآن أو السنة بنفي أو إثبات[1].

٢- مفهوم التشبيه عند أهل السنة:

التشبيه عند أهل السنة هو: وصف الله بشيء من خـصائص المخلـوقين ، وذلك بأن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته أو أفعاله من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من الصفات[2] .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله - :" التشبيه المنفي عن الله هو ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين ، أو أن يجعل شيء من صـفاته مثـل صـفات المخلوقين"[3].

وقال الأصبهاني[4] – رحمه الله -: " يقال شبهت الشئ بالشئ أي مثلته به وقسته عليه ، إما بذاته أو بصفاته ، أو بأفعاله"[5].

---

(1)- انظر : مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها .د. جابر بن إدريس ٧٨/١ ،أضواء الـسلف الرياض ،ط الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

(2)- انظر : الفتاوي ٣٥/٦ ،درء تعارض العقل والنقل ١٤٦/٤ لابن تيمية ،ت الـدكتور محمـد رشاد سالم ،ط الثانية مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ/١٩٩١م

(3)- منهاج السنة ٨/ ٢٩

(4)- هو شيخ الإسلام الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني،ولد سنة٤٥٧هـ،وله كتابه العظيم"الحجة في بيان المحجة"،توفي سنة٥٣٥هـ.انظر:شـذرات الـذهب١٠٥/٤،البدايـة والنهاية٢١٧/١٢.

(5)- الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٦ ،للأصـبهاني،ت محمـد المـدخلي ومحمـد أبـو رحـيم،ط الأولى١٤١١هـ/١٩٩٠م،دار الراية للنشر الرياض

ولما أدخلَ المعطلة في معنى التشبيه معنى باطلاً ، وأرادوا به نفي الـصفات، بين الأئمةُ رحمهم الله معنى التشبيه عند أهل السنة، ومن أقوالهم في ذلك مـا رواه الترمذي عن إسحاق بن راهويه أنه قال : " إنما يكون التشبيه إذا قال : يد كيدي ، أو مثل يدي ، أو سمع كسمعي أو مثل سمعي ، فهذا تشبيه، أما إذا قال كما قال الله تعالى : يد وسمع وبصر ، ولا يقول كيف ، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً عنده ، قال الله تعالى : (لَيس كَمِثْلِهِ شيءٌ وهـو السمِيع البصِير)(١) "(٢) .

وقال الإمام أحمد – رحمه الله - : " إن المشبهة تقول يد كيـدي ،وقـدم كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه"(٣) .

والإمام البقاعي – رحمه الله – وافق أهل السنة في هذا التأصيل عندما قال" والفرق بين إثبات حقائق الأسماء والصفات ، وبين التشبيه والتمثيل: مـا قالـه الإمام أحمد ومن وافقه من أئمة الهدى أن التشبيه والتمثيل أن يقـول : يـدي كيدي ، وسمع كسمعي ، وبصر كبصري ، ونحو ذلك وأما إذا قلت سمع وبصر ويد ووجه واستواء لا يماثل شيئاً من صفات المخلوقين ، بل بين الصفة والصفة في الفرق كما بين الموصوف والموصوف، فأي تمثيل ههنا وأي تشبيه ؟!فمـدار الحق الذي اتفقت عليه الرسل أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، إثبات الصفات ونفي مشابهة المخلوقات، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد حقائق مـا

---

(1)- الشورى:١١

(2)- أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة ٣/ ٥١ ، والذهبي في كتابه العلو للعلي الغفـار ص ١٢٠ ،ت عبد الله البراك،دار الوطن،ط الأولى١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

(3)- درء التعارض ٣٢/٢ ، مجموع الفتاوى ١٥٤/١٣

وصف الله به نفسه فقد كفر ، ومن أثبت له حقائق الأسماء والصفات ونفى مشابهة المخلوقات فقد هدي إلى صراط مستقيم"[(١)] .

هذا الكلام السلفي السني ، الذي يوافق به أقوال الأئمة السابقين لا يقوى على الصمود ، أمام مخالفة البقاعي له ، وذلك لأن هذا الكلام ذكره في كتاب"سر الروح" وهو اختصار لكتاب الروح لابن القيم- رحمه الله – والكلام له ، فأقره ولكن خالفه عند التطبيق في مواطن أخرى ، لأن الأشاعرة يظنون أن كلامهم موافق لكلام السلف من حيث الإجمال ، وقد رأينا كيف إن البقاعي -رحمه الله – نقل القاعدة العامة في إثبات الصفات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - ، ومع ذلك مشى على طريقة الأشاعرة في إثبات الصفات السبع كما قد رأينا [(٢)].

٣- مفهوم التشبيه عند المتكلمين :

أصبح التشبيه في اصطلاح المتكلمين ، له معنى مردود يخالفون فيه ما ذكره أهل السنة ، حيث أصبح عندهم إثبات صفات الله عزوجل التي ثبتت بالسمع تشبيها،أو أن بعضها يعد تشبيها والبعض الآخر لايعد تشبيها كما ذهب إليه الأشاعرة ومن وافقهم. وظنوا أن هذا التشبيه هو الذي يجب نفيه عن الله تعالى، وأن إثبات صفة الخالق عز وجل ، مما فيها اشتراك بين صفات الخالق والمخلوق في اللفظ والمعنى العام هو التشبيه ، وبناءً على هذا المفهوم المنحرف في مفهوم التشبيه، اعتبر هؤلاء كل من أثبت لله صفة من الصفات التي نفوها مما يتصف به المخلوق فهو عندهم مشبه[(٣)].

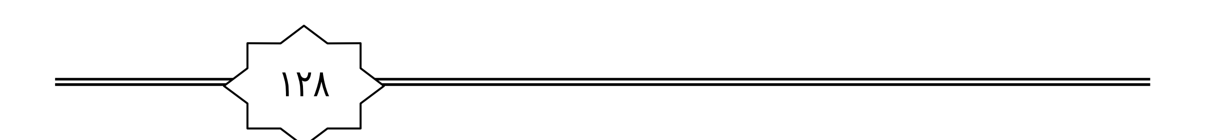
قال شيخ الإسلام –رحمه الله -:" وأصل ضلال هؤلاء أن لفظ "التشبيه" لفظ فيه إجمال ، فما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك يتفق فيه الشيئان ،

---

(١)- سر الروح ص ٩٣

(١)- انظر صفحة : (   ) .

(٢)- انظر مقالة التشبيه ٨٨/١



ولكن ذلك المشترك المتفق عليه لا يكون في الخارج بل في الذهن ولا يجب تماثلهما فيه ، بل الغالب تفاضل الأشياء في ذلك القدر المشترك، فأنت إذا قلت عن المخلوقين حي وحي ، وعليم وعليم ، وقدير وقدير لم يلزم تماثل الشيئيين في الحياة والعلم والقدرة ، ولايلزم أن تكون حياة أحدهما وعلمه وقدرته، نفس حياة الآخر وعلمه وقدرته ولا أن يكونا مشتركين في موجود في الخارج عن الذهن"[1] .

والمسألة الخطيرة عند المتكلمين أنهم يجعلون ظاهر الصفات التمثيل بصفات المخلوقين ، وقد أبعد الإمام البقاعي – رحمه الله – النجعة في هذا عندما نطق بكلام لاينبغي أن يتكلم به، وخاصة أنه نقل آنفاً عن الامام أحمد وغيره من أئمة السلف في مسألة التشبيه ما يخالف قوله : " فإنه ربما فهم الشيء على غير وجهه ، فكان فهماً ضاراً كفهم أهل الإلحاد لآيات الصفات وأحاديثها على ظواهرها ، فإن ذلك ضار بل هو أضر الأشياء ، فإنه حالق للدين من أصله، لأن أهل الإسلام اتفقوا على صرفها عن الظاهر الذي يلزم منه التشبيه أول كل شيء، ثم انقسموا بعد ذلك إلى ساكتٍ مفوض وإلى قائل مؤول ، فمن حمل على الظاهر فقد خالف الأمة ، واتبع غير سبيل المؤمنين وشاقق الله ورسوله من بعد ما تبين له الهدى"[2]

وهذا كلام خطير، حيث وصف الآخذين بظواهر الصفات أنهم أهل إلحاد ،ولم يفرق بين المشبهة الذين يثبتونها ويشبهون الخالق بالمخلوق، وبين السلف الصالح الذين يثبتون صفات الله على الوجه الذي يليق به.

---

(1)- منهاج السنة ٣/ ٥٢٦

(2)- النكت الوفية بما في شرح الألفية للبقاعي، تحقيق جمعان الزهراني ورفاقه ، ص ٢٦٩ ،وقد حقق الكتاب كرسائل جامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

ولكن يعتذر له ، حيث ظن أن ظاهر الصفات هو التمثيل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد ، أو ظاهرها ليس بمراد ، فإنه يقال : لفظ (الظاهر) فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين ، أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أن هذا غير مراد ، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهراً ، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً ، والله سبحانه وتعالى – أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال،والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين :

تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ ،حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر ، ولا يكون كذلك، وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل"[١].

وقال أيضاً: "... وهذا يتبين بالقاعدة الرابعة : وهي أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات أوفي كثير منها ، أو أكثرها أوكلها ، أ ا تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير:

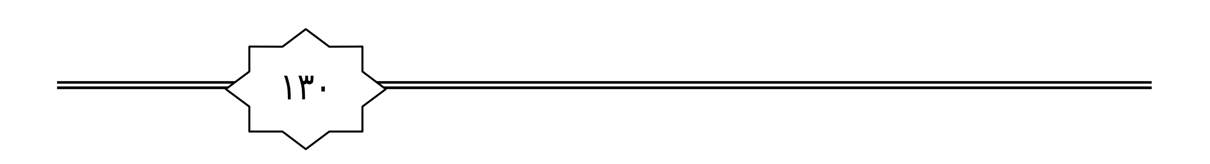
أحدها : كونه مثّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

الثاني : أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله، بقيت النصوص معطلةً عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله ، فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله – حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل – قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله ، والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله سبحانه .

الثالث : أنه ينفى تلك الصفات عن الله بغير علم ، فيكون معطلاً لما يستحقه الرب تعالى .

---

(١)- التدمرية ص ٦٩



الرابع : أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات ، من صفات الموات والجمادات، أو صفات المعدومات .

فيكون عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالى ومثله بالمنقوصات والمعدومات ، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات ، فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل ، فيكون ملحداً في أسمائه وآياته"[(١)] .

---

(١)- التدمرية ص ٧٩- ٨١

٢- شبهة التجسيم في إثبات الصفات :

ومن الشبه التي يستدل ا المتكلمون لتقرير مذهبهم في الصفات ، شـبهة التجسيم حيث توهموا بعقولهم القاصرة أن إثبات الصفات لله عز وجل يقتضي أن يكون الله جسماً ، وذلك لأ م اعتبروا الصفات أعراضاً ولا تقوم إلا بجسم، والجسم والعرض حادثان والله م ه عن ذلك [١].

قال البقاعي- مقرراً هذا المعنى- : " لأن في النصوص الواردة في الكتـاب والسنة ما يلزم من إجرائه على ظاهره الجهة، كاستوى على العـرش ، وإليـه يصعد الكلم الطيب، والجسم كذكر الـصورة واليـد والعـين والـ ول ونحوها"[٢].

الرد عليهم:

١ - يجب أن يعلم أن لفظ الجسم من الألفاظ المبتدعة التي لم تأت في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا كلام أحد من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان، وسائر الأئمة، في حق الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً ، وإنما أحدثه أهل الكلام المذموم من المعطلة والممثلة[٣].

---

(٢)- انظر: الإرشاد للجويني ص ٦١ ، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٢٨، والمواقف للإيجـي ص ٢٧٣، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٤١- ٣٠٢

(٣)- النكت ق ١/٤٧

(١)- انظر منهاج السنة النبوية ٢/ ٥٢٧ ، مجموع الفتاوي ٣١٣/١٧

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شئ مــن أصول دينهم ،لهذا لم يقل أحد منهم إن الله جسم ،(كما قال المـشبهة) ، ولا قال: إن الله ليس بجسم، (كما قال المعطلة)، بل أنكروا النفي لما ابتدعته الجهمية من المعتزلة وغيرهم ،وأنكروا ما نفته الجهمية من الصفات مع إنكارهم على من شبه صفاته بصفات خلقه ، مع أنّ إنكارهم على الجهمية المعطلة أعظم منه على المشبهة، لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه، كما قيل : المعطلُ يعبــد عدماً ،والمشبه يعبد صنماً ، ومن يعبد إلهاً موجوداً موصوفاً بما يعتقده هو مــن صفات الكمال ، وإن كان مخطئاً في ذلك : خير ممن لا يعبد شيئاً، أو يعبد من لا يوصف إلا بالسلوب والإضافات"[(١)].

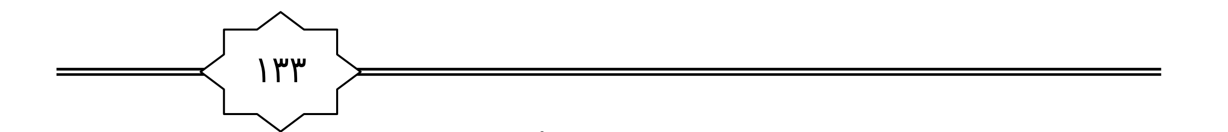
٢- إن لفظ الجسم ، من الألفاظ المجملة المشتبهة التي لم ينطق بها الــوحي إثباتاً ولا نفياً ، فالواجب التمسك بالألفاظ الشرعية ، ثم يستفصل ممن أطلقــه على الله تعالى إثباتاً أونفياً، فما كان من المعنى الحق أثبتناه، وما كان من المعــنى الباطل نفيناه ، وأما اللفظ فلا يثبت ولا ينفى مطلقاً، وهذا هو منهج السلف في الألفاظ المجملة المشتبهة ، فيقال : ماذا أردت بالجسم ؟ فإن قال : أردت الجسم الذي معناه في لغة العرب البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم ســواه، فهذا المعنى منفي عن الله تعالى عقلاً وسمعاً ...[(٢)]

وإن قال : أردت بالجسم ما كان مركباً من الجواهر الفــردة ، أو المــادة والصورة ، وأن هذا يقتضي أن يكون تجسيماً ، والأجسام متماثلة ، قيل لــه : أكثر العقلاء يخالفونك في تماثل الأجسام المخلوقة، فكيف يوافقك على أن الرب

---

(1)- درء التعارض (٣٠٦/١٠) ، وانظر منهاج السنة(٥٢٧/٢) .

(2)- انظر:الصواعق المرسلة ٩٣٩/٣ .



سبحانه تعالى يكون جسماً مماثلاً لخلقه إذا أثبتوا له ما ورد في صحيح المنقول من صفاته تعالى[١].

وإن قال أردت بالجسم ما يوصف بالصفات، ويرى بالأبصار، ويتكلم، ويسمع، ويبصر ، ويرضى، ويغضب ، فهذه المعاني ثابتة لله تعالى، وهو موصوف بها، فلا ننفيها عنه تعالى بتسميتك للموصوف بها جسماً ، كما أننا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصب ، ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه ، واستوائه على عرشه لتسمية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسماً مشبهاً[٢].

وإذا أردت بالجسم ماله وجه ، ويدان وسمع وبصر ، فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى ، وبيديه ، وسمعه ، وبصره ، وغير ذلك من صفا ته التي أطلقها على نفسه[٣].

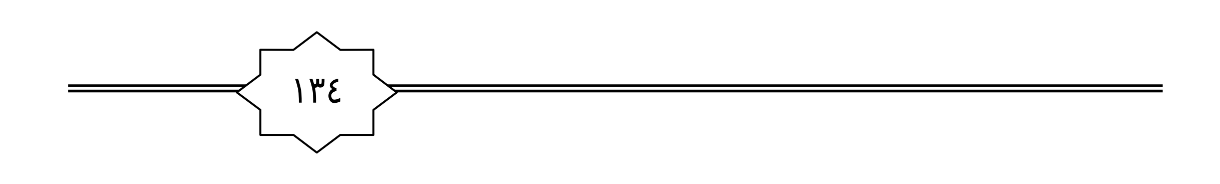
فتبين بذلك أن إطلاق لفظ الجسم نفياً أو إثباتاً على الله تعالى ، أو استخدام هذا اللفظ لتعطيل الصفات أو إثباتها على وجه التمثيل كل ذلك من البدع المحدثة.

---

(1)- انظر: التدمرية ص ١٢١ .

(2)- انظر: الصواعق المرسلة ٣/ ٩٤٠

(3)- انظر:الصواعق المرسلة٩٣٩/٣



٣ – شبهة القول بأن آيات الصفات من المتشا ات :

ومن الشبه التي دعت إلى التأويل عند المتكلمين اعتبارهم آيات الـصفات من المتشا ات، التي يجب تفويضها، أو تأويلها ، وقد جرى الإمام البقـاعي - رحمه الله - على هذا الأصل، وقبل عرض كلامه لا بد من معرفة معنى التـشابه لغة واصطلاحاً.

معنى المتشابه في اللغة :

الشبه والتشبيه : المثل ، والجمع أشباه ، وأشبه الشئ الشئ إذا ماثلـه ، وشابه الشيء بالشئ وتشا ا ، إذا أشبه كل واحد منهما صاحبه ، والمشتبهات من الأمور : المشكلات، واشتبه الأمر إذا اخـتلط ، والـشبه : الالتبـاس ، والإشكال، والاشتباه، والالتباس ، لأجل المشا ة[1] .

معنى المتشابه في اللغة :

اختلفت عبارات علماء السلف الصالح في تعريف المتـشابه مـن حيـث الاصطلاح ، وهذا الاختلاف هو من باب اختلاف التنوع، ولم يذكر أحـدهم أن آيات الأسماء والصفات من المتشابه أبداً ، إنما هذا من محدثات المتكلمين.

قال ابن الجوزي رحمه الله " وفي المتشابه سبعة أقوال:

---

(1)- انظر : لسان العرب ١٣/٥٠٣ - مادة شبه

أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، و ابن عباس ،وقتادة، والسدي في آخرين.

والثاني: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله.

والثالث: أنه الحروف المقطعة، كقوله(ألم) ونحو ذلك، قاله ابن عبـاس.

والرابع: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد.

والخامس: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد.

والسادس :أنه ما احتمل من التأويل وجوها ، وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفى على مميز، والمتشابه: الذي تعتوره تأويلات.

والسابع: أنه القصص والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى "[١].

البقاعي يرى أن آيات الصفات من المتشابهات :

قال في تفسير قوله تعالى (هو الذِي أنزلَ عليْـك الْكِتـاب مِنـه آيـات محكَمات هن أم الْكِتابِ وأخر متشابِهات فَأما الذِين في قُلُوبِهِم زيغٌ فَيتبِعونَ ما تشابه مِنه ابتِغاء الْفِتنةِ وابتِغاء تأوِيلِهِ وما يعلَم تأوِيلَه إِلا اللّه والراسِخونَ فِـي الْعِلْمِ يقُولُونَ آمنا بِهِ كُل من عِندِ ربنا وما يذكر إِلا أُولُواْ الأَلْبابِ)[٢]

"وهن الآي التي أخبر الحق سبحانه وتعالى فيهن عن نفسه ، فهـن لـذلك متشابهات ، من حيث إن نبأ الحق عن نفسه لا تناله عقول الخلق، ولا تدركـه أبصارهم"[٣]

---

(1)- زاد المسير ٣٥١/١،المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمـد الجـوزي،الناشـر : المكتـب الإسلامي – بيروت،الطبعة الثالثة ١٤٠٤،وانظر: تفسير القرطبي ١٢/٤، ومنهج الاستدلال علـى مسائل الاعتقاد عن أهل السنة والجماعة، تأليف عثمان بن علي ٤٧٢/٢

(2)- آل عمران:٧

(3)- نظم الدرر ٤/ ٢٢٥- ٢٢٦

والبقاعي في ذلك تابع لمن سبقه ممن تأثر بمذاهب المتكلمين من الأشـاعرة وغيرهم ، قال الحافظ جلال الدين السيوطي(١) : " من المتشابه آيات الصفات ، وجمهور أهل السنة ، منهم السلف وأهل الحديث ، على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها"(٢) .

ومن قبله صرح الغزالي(٣) في كتابه "المستصفى" بذلك عنـدما قـال : " ويطلق- أي المتشابه- على ما ورد في صفات الله تعالى، مما يوهم ظاهره الجهـة والتشبيه، ويحتاج إلى تأويل معناها "(٤) .

وهذا القول هو مما دعا المخالفين لأهل السنة والجماعـة إلى التفـويض أو التأويل، واعتبروا هذين المسلكين مذهبين غير متعارضين، فكان السلف مذهبهم التفويض وهو أسلم، ومذهب الخلف التأويل وهو أعلم وأحكـم، وقـالوا أن مذهب الراسخين في العلم هو التفويض.

قال البقاعي - رحمه الله -:" وأفهم عنه الإمام أحمد من أن تأويلها تلاوتها، هذا هو حد الإيمان وموقفه، وإليه أذعن الراسخون في العلم، وهم الذين تحققوا في أعلام العلم"(٥) .

وهذه العبارات التي وردت عن السلف(١) من الأئمة وغيرهم ، إنما تـدل على إثبات المعاني دون الكلام في الكيفية ، وليس معنى كلامهم تفويض المعنى

---

(1) - هو جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي،ولد سنة٨٤٩هـ كان غزير التصنيف في الحديث، والفقه، واللغة، والأدب،توفي سنة٩١١هـ ، انظر: شذرات الذهب٥٣/٨

(2)- الإتقان في علوم القرآن الكريم ٦/٢ ،دار الحديث- القاهرة-١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(3)- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد،متكلم أشعري،له في الكلام"الاقتـصاد في الاعتقاد"وعني بالرد على الفلاسفة ، واشتغل بالتصوف وصنف فيه"إحياء علوم الدين"وغيره ، توفي سنة٥٠٥ .انظر: السير٣٢٢/١٩.

(4)- المستصفى للغزالي ص٥٨ ،دار الكتب العلمية-بيروت- ط الأولى١٤١٣هـ

(5)- نظم الدرر ٢٤٤/٤.

والكيف ، بل هذا سوء فهم لمذهبهم ، وإنما قالوا هذه العبارات في معرض الرد على أهل التعطيل والتأويل والتشبيه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فقولهم - رضي الله عنهم - : أمروها كما جاءت، رد على المعطلة ، وقولهم بلا كيف ، رد على الممثلة " [٢]بل صرح الإمام أحمد – رحمه الله- ، وقبله عبد العزيز الماجشون[٣] إمام أهل المدينة قالا : " إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه ، وإن علمنا تفسيره ومعناه "[٤] .

فهذا الكلام المبين يفسر ذاك المجمل فيزول الإشكال ويندفع الإيهام ،وبذلك يتبين أن نسبة مذهب تفويض معاني الصفات إلى السلف ، نسبة باطلة ، ودعوى مجردة عن الدليل والبرهان .

قال شيخ الإسلام:" والذين ينتحلون مذهب السلف، يقولون إنهم لم يكونوا يعرفون معاني النصوص، بل يقولون ذلك في الرسول، وهذا القول من أبطل الأقوال، ومما يعتمدون عليه من ذلك ما فهموه من قوله تعالى:وما يعلم تأويله إلا الله) ويظنون أن التأويل هو المعنى الذي يسمونه هم تأويلا، وهو مخالف للظاهر،ثم هؤلاء قد يقولون تجري النصوص على ظاهرها، وتأويلها لا يعلمه إلا

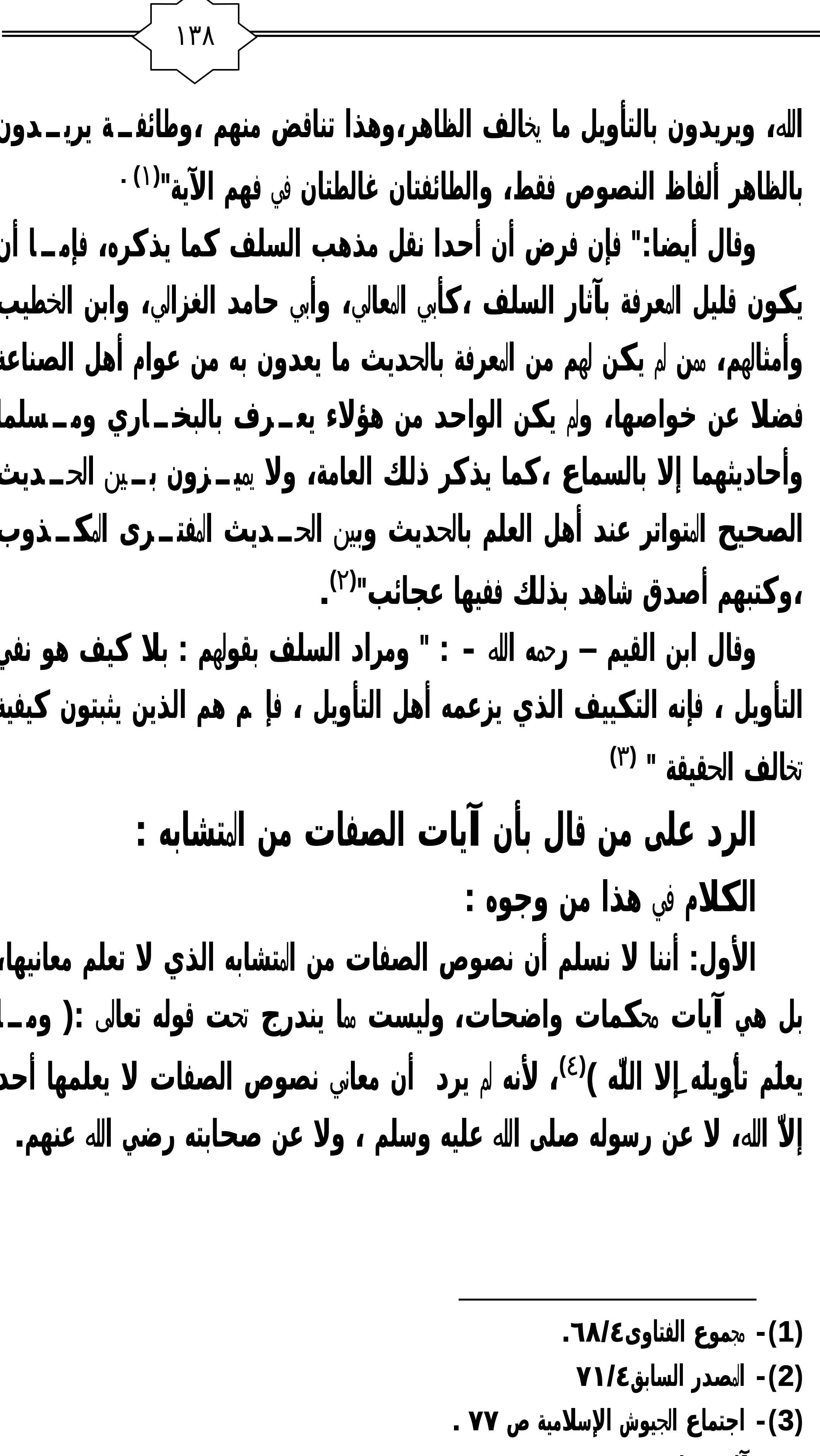
---

(1)- قال البغوي في تفسيره ١ / ٢٤١:"وكان مكحول و الزهري و الاوزاعي و مالك و ابن المبارك و سفيان الثوري و الليث بن سعد و و أحمد و اسحاق يقولون فيها وفي أمثالها : أمروها كما جاءت بلا كيف ، قال سفيان بن عيينة : كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله" .وأخرج الآجري في الشريعة ١ / ٣١١ :" عن الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعي و الثوري و مالك بن أنس و الليث بن سعد : عن الأحاديث التي فيها الصفات ؟ فكلهم قال : أمروها كما جاءت بلا تفسير" وانظر:سنن البيهقي الكبرى ٣ /٢ رقم٤٤٢٩ .

(2)- مجموع الفتاوى ٥/ ٣٩.

(3)- عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة أبو الاصبغ التيمي مولاهم المدني الفقيه ،والد المفتي عبد الملك عبد الملك بن الماجشون ،كان فقيها ورعا ، له كتب مصنفة .انظر:سير أعلام النبلاء ٣٠٩/٧، وشذرات الذهب ٢٥٩/١ .

(4)- درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٧ .



الله، ويريدون بالتأويل ما يخالف الظاهر،وهذا تناقض منهم ،وطائفـة يريـدون بالظاهر ألفاظ النصوص فقط، والطائفتان غالطتان في فهم الآية"[١].

وقال أيضا:" فإن فرض أن أحدا نقل مذهب السلف كما يذكره، فإمـا أن يكون قليل المعرفة بآثار السلف ،كأبي المعالي، وأبي حامد الغزالي، وابن الخطيب وأمثالهم، ممن لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يعدون به من عوام أهل الصناعة فضلا عن خواصها، ولم يكن الواحد من هؤلاء يعـرف بالبخـاري ومـسلما وأحاديثهما إلا بالسماع ،كما يذكر ذلك العامة، ولا يميـزون بـين الحـديث الصحيح المتواتر عند أهل العلم بالحديث وبين الحـديث المفتـرى المكـذوب ،وكتبهم أصدق شاهد بذلك ففيها عجائب"[٢].

وقال ابن القيم – رحمه الله - : " ومراد السلف بقولهم : بلا كيف هو نفي التأويل ، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل ، فإ م هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة " [٣]

الرد على من قال بأن آيات الصفات من المتشابه :

الكلام في هذا من وجوه :

الأول: أننا لا نسلم أن نصوص الصفات من المتشابه الذي لا تعلم معانيها، بل هي آيات محكمات واضحات، وليست مما يندرج تحت قوله تعالى :(ومـا يعلَمُ تأويلَهُ إلا اللّه)[٤]، لأنه لم يرد أن معاني نصوص الصفات لا يعلمها أحد إلاّ الله، لا عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن صحابته رضي الله عنهم.

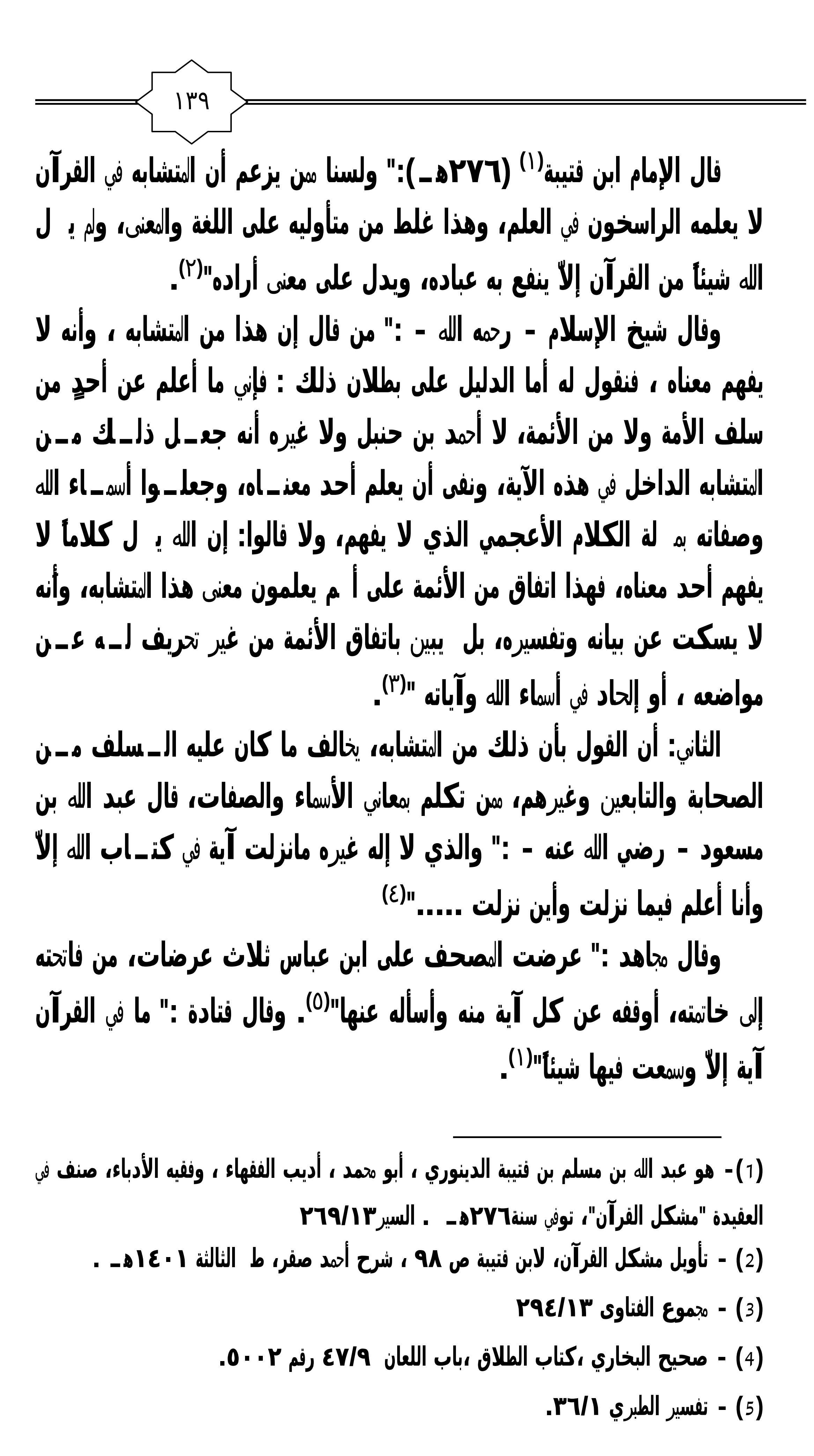
---

(1)- مجموع الفتاوى٦٨/٤.

(2)- المصدر السابق٧١/٤

(3)- اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٧٧ .

(4)- آل عمران:٧



قال الإمام ابن قتيبة[1] (٢٧٦هـ):" ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى، ولم يـ ل الله شيئاً من القرآن إلاّ ينفع به عباده، ويدل على معنى أراده"[2].

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - :" من قال إن هذا من المتشابه ، وأنه لا يفهم معناه ، فنقول له أما الدليل على بطلان ذلك : فإني ما أعلم عن أحدٍ من سلف الأمة ولا من الأئمة، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعـل ذلـك مـن المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معنـاه، وجعلـوا أسمـاء الله وصفاته بمـ لة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله يـ ل كلاماً لا يفهم أحد معناه، فهذا اتفاق من الأئمة على أ م يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين باتفاق الأئمة من غير تحريف لـه عـن مواضعه ، أو إلحاد في أسماء الله وآياته "[3].

الثاني: أن القول بأن ذلك من المتشابه، يخالف ما كان عليه الـسلف مـن الصحابة والتابعين وغيرهم، ممن تكلم بمعاني الأسماء والصفات، قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - :" والذي لا إله غيره مانزلت آية في كتـاب الله إلاّ وأنا أعلم فيما نزلت وأين نزلت ....."[4]

وقال مجاهد :" عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عن كل آية منه وأسأله عنها"[5]. وقال قتادة :" ما في القرآن آية إلاّ وسمعت فيها شيئاً"[1].

---

(1)- هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ، أديب الفقهاء ، وفقيه الأدباء، صنف في العقيدة "مشكل القرآن"، توفي سنة٢٧٦هـ . السير٢٦٩/١٣

(2) - تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ص ٩٨ ، شرح أحمد صقر، ط الثالثة ١٤٠١هـ .

(3) - مجموع الفتاوى ٢٩٤/١٣

(4) - صحيح البخاري ،كتاب الطلاق ،باب اللعان ٤٧/٩ رقم ٥٠٠٢.

(5) - تفسير الطبري ٣٦/١.

فهذه النقول وغيرها عن السلف الصالح، تؤكد أ م كانوا يفهمون الت يل، ويفسرونه، وينقلون معانيه إلى الناس.

الثالث: أن القول بأن آيات الصفات من المتشا ات، تناقض واضطراب من قائله لأنه لا يطرد ذلك في كل الآيات، قال شيخ الإسلام :" فيقال لمن ادعى في أنه متشابه لا يعلم معناه، أتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه أم في البعض؟ فإن قلت: هذا في الجميع، كان هذا عناداً ظاهراً وجحـداً لمـا يعلـم بالاضطرار في دين الإسلام، بل كفر صريح"[٢] .

٤ – شبهة التفويض في معاني الصفات :

أ- معنى التفويض في اللغة :

التفويض : مصدر من باب التفعيل ، يقال :فوض إليه الأمر تفويـضاً: أي رده إليه[٣] ، ويقال : فوض إليه الأمر: صيره إليه، وجعله الحاكم فيه، ومنه قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون :(وأفَوض أمري إلى اللهِ)[٤].

فمعنى التفويض في الشئ لغة : التوقف فيه وعدم الحكم عليه لا نفيـاً ولا إثباتاً، ورد الحكم عليه إلى غيره ليحكم فيه[٥] .

ب - معنى التفويض في الاصطلاح :

---

(1) - سنن الترمذي، كتاب التفسير، رقم٢٩٥٢ (٥/٢٠٠).

(2)- مجموع الفتاوى ٢٩٧/١٣، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٢١٣/٦.

(3)- انظر الصحاح ٣/ ١٠٩٩، تاج العروس(٤٩٦/١٨)، لسان العرب(٢٠١/٧)مادة:فوض .

(4)- غافر :٤٤.

(5) - انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ص١٩٥،المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصـر ، دار الفكـر - بـيروت ، دمـشق،الطبعـة الأولى ١٤١٠هـ.

التفويض هو رد العلم بنصوص الصفات والمعاد إلى الله تعالى ، إما معنى وكيفية، أو كيفية فقط ، وعليه فالتفويض قسمان :

الأول : تفويض المعنى والكيفية ، وهو تفويض الخلف الذي ا مـوا بـه السلف .

الثاني : تفويض الكيفية دون المعنى ، وهو مذهب السلف وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضاً بل المعروف عنهم الإثبات[١] .

ج - البقاعي يزعم أن مذهب السلف هو تفويض معاني الصفات :

لما قرر أن آيات الصفات من المتشا ات ، قرر أن السلف قد وقفوا عندها من غير فهم لها ، واعتبر آيات الصفات،من الصناديق المقفلة، التي لا يعرفها إلا الله عز وجل ، فلذلك قال ناقلاً عن بعض السلف قوله : " آيات الصفات وأحاديث الصفات صناديق مقفلة ، ومفاتيحها بيد الله سبحانه وتعالى ، تأويلها تلاو ا "[٢]

وقال أيضاً : " فالخوض في المتشابه بدعة ، والوقوف عنده سنة ، وأفهم عنه الإمام أحمد – يعني فيما تقدم في آيات الصفات – من أن تأويلها تلاو ا ، هذا

---

(1)- انظر:منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٢/ ٥٨٠

(2)- نظم الدرر ٤/ ٢٣٩ . وهذه المقولة ذكرها في "المقصد الأرشد" عن الحسن بن مسلم بن الحسن أنه قال"قال بعض المشايخ اختيار الصفات صناديق مقفلة مفاتيها بيد الرحمن" ولم أقف على مثل هذه المقولة عند غيره ، انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد(١/ ٣٤٠) ، المؤلف:برهان الدين إبراهيم محمد بن مفلح ، تحقيق: د/عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٠، الطبعة الأولى.

هو حد الإيمان وموقفه ، وإليه أذعن الراسخون في العلم ، وهم الذين تحققوا في أعلام العلم ، وكان في توقفهم عن الخوض في المتشابه تفرغهم للعمل في المحكم لأن المحكم واضح"[١]

وقال أيضاً : " والذي اجتمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ولقنته العرب كلها، أن ورود ذلك عن الله وعن رسوله وعن الأئمة، إنما هو لمقصد الإفهام، لا لمقصد الإعلام، فلذلك لم يستشكل الصحابة رضوان الله عليهم شيئاً قط ، بل كلما كان وارده عليهم أكثر كانوا به أفرح ، وللخطاب به أفهم ، حتى قال بعضهم لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الله تعالى يضحك من عبده : لا نعدم الخير من رب يضحك[٢] ، وهم (أي الصحابة) وسائر العلماء بعده صنفان: إما متوقف عنه في حد الإيمان ، قانع بما أفاد من الإفهام ، وإما مفتوح عليه بما هو في صفاء الإيقان ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى تعرف لعباده في الأفعال والآثار في الآفاق وفي أنفسهم تعليماً وتعرف للخاصة منهم بالأوصاف العليا والأسماء الحسنى مما يمكنهم اعتباره تعجيزاً ، فجاوزوا حدود التعلم بالإعلام إلى عجز الإدراك فعرفوا أنه لا معرفة لهم ، وذلك هو حد العرفان وإحكام قراءة هذا الحرف المتشابه في مثل القرآن "[٣].

وقال أيضاً عن السلف : " أما السلف فيفوضون المراد إلى الله تعالى "[٤].

---

(1)- نظم الدرر ٤/ ٢٤٤

(2)- أخرجه ابن ماجه، كتاب الإيمان ، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم١٨١ ، واللالكائي في الاعتقاد ٤٢٦/٣، رقم ٧٢٢،عن أبي رزين رضي الله عنه وهو الذي قال: لانعدم الخير من رب يضحك ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٨١٠.

(3)- نظم الدرر ٢٣٩/٤ - ٢٤٠

(4)- النكت الوفية ص٢٦٩

وقال أيضاً : " ثم انقسموا بعد ذلك إلى ساكتٍ مفوض ، وإلى قائل مؤول"[١]

وهو بذلك تابع لمن سبقه من المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، كما قال الرازي في فهمه لمذهب السلف : " حاصل هذا المذهب أنّ هذه المتشابهات – يعني نصوص الصفات – يجب القطع فيها ، بأن مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ولا يجوز الخوض في تفسيرها"[٢]

وقال الحافظ السيوطي في آيات الصفات: " وجمهور أهل السنة ، منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها ،وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها"[٣].

وهم في الحقيقة يصفون السلف بالتجهيل لابالتفويض،وذلك لنسبتهم السلف إلى الجهل بمعاني نصوص الصفات ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة ، وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف ، أهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل .." إلى أن قال :" وأما الصنف الثالث ، وهم أهل التجهيل ، فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يقولون : إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه في آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك ، وكذلك قولهم في أحاديث الصفات : إن معناها لا يعلمه إلا الله ، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء ، فعلى قولهم تكلم بكلامٍ لا يعرف معناه ..."[٤]

---

(1)- المصدر السابق ص ٢٦٩

(2)- أساس التقديس للرازي ص ٢٢٢ ،الناشر مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،ط١٣٥٤ه/١٩٣٥م

(3)- الإتقان ٦/٢

(4)- مجموع الفتاوى ٣١/٥ – ٣٤

قال ابن القيم – رحمه الله- " والصنف الثالث : أصحاب التجهيل ، الذين قالوا : نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معاني لها ، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله ، وهي عندنا بمنزلة (كهيعص) (حم عسق) و(المص) ، فلو ورد علينا منها ما ورد ، لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً ولم نعرف معناه ، وننكر على من تأوله ، ونكِلُ علمه إلى الله تعالى ، وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف ، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ، ولا يفهمون معنى قوله :(لِما خلقْت بِيديَ)[١] وقوله (والأرض جمِيعا قبضته يوم الْقِيامةِ)[٢] وقوله(الرحمن على الْعرش استوى)[٣] ، وأمثال ذلك من نصوص الصفات"[٤] .

د - زعم البقاعي بأن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم :

قال البقاعي – رحمه الله - : " وبأن طريق السلف أقرب وأسلم.."[٥] ، وهو بهذا يقع في التناقض الذي وقع فيه المتكلمون ، عندما وصفوا مذهب السلف بالسلامة مع أن السلامة لا تكون إلا مقرونة بالعلم والحكمة ، ثم وصفوا مذهب الخلف بالأعلم والأحكم ، وهذا طعن بالسلف وتجهيل لهم،وقد شاع هذا الكلام عند المتأخرين من المتكلمين[٦].

---

(1) - ص:٧٥

(2) - الزمر:٦٧

(3) - طه:٥

(4)- مختصر الصواعق ١/ ٨١

(5)- نظم الدرر ٢٠/ ١٧٣

(6)- انظر : الكافية في الجدل ، لإمام الحرمين الجويني، ص ٣٤٦ ، تحقيق د.فوقية حسن محمود ، مطبعة عيسى الباب الحلبي ١٣٩٩- ١٩٧٩م القاهرة (بدون)، وانظر : جوهرة التوحيد، للشيخ



قال شيخ الإسلام –رحمه الله - : " ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ، لا سيما العلم بالله ، وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى ، والصابئين وأشكالهم ، وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن الكريم والإيمان .." (١)

والذي دعاهم إلى القول بهذا ؛ محاولة إيجاد العذر للمتأخرين في مخالفتهم لسلف الأمة وأئمتها ، فقالوا :السلف من الصحابة والتابعين لم يمهدوا أصول الدين ولم يقرروا قواعده ، وذلك لانشغالهم بالجهاد وفتح البلاد، كما يزعم أرباب السياسة والملك أنهم وضعوا من القواعد والمناهج لتسيير دفة الحكم ما ذهل عنه السلف لانشغالهم بالعلم، والعبادة، وكما يقوله أرباب التصوف من أنهم حققوا من المقامات والأحوال ما قصر عنه السلف ؛ وذلك لانشغالهم بالجهاد والقتال ،أوبعلم الظواهر والرسوم (٢).

" فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف ، وعمق علومهم ، وقلة تكلفهم ،وكمال بصائرهم ، وتالله ؛ ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف، والتي كانت همة القوم مراعاة أصولها وضبط قواعدها ، وشد معاقدها ، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شئ ، فالمتأخرون في شأن ، والقوم في شأن آخر ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً"(٣)

بل كان أهل الحديث أعلى علماً ونظراً وحكمة ، من غيرهم من المتكلمين قال شيخ الإسلام – رحمه الله - : " وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوها وخلاصتها، فهم أكمل الناس عقلاً ، وأعدلهم قياساً، وأصوبهم رأياً ، وأسدهم

إبراهيم اللقاني مع حاشيتها، ص ٩١ – مطبعة الاستقامة، القاهرة .

(1)- مجموع الفتاوى ١٢/٥

(2)- انظر : التسعينية لابن تيمية، (ضمن الفتاوى الكبرى) ٣٠٥/٥

(3)- شرح الطحاوية ص ١٢

كلاماً، وأصحهم نظراً ، وأهداهم استدلالاً ،وأقومهم جدلاً ، وأتمهم فراسـة، وأصدقهم إلهاماً ، وأحدهم بصراً ومكاشفة ،وأصوبهم سمعاً ومخاطبة، وأعظمهم وأحسنهم وجداً وذوقاً، وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمـم، ولأهـل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل"(١)

وقال رحمه الله- في موضع آخر- : "من آتاه الله علماً وإيماناً علم أنـه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق، إلا ما هو دون تحقيق السلف ، لا في العلـم ولا في العمل، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات وبالعمليات، علـم أن مذهب الصحابة دائماً أرجح مِن قول من بعدهم"(٢).

---

(1)- انظر نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧، ٨ ،تحقيق : الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، طبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ/١٩٥١م

(2)- الإيمان ص٤١٧ لشيخ الإسلام ابن تيمية،المكتب الإسلامي، ط الثانية١٣٩٢هـ ، دمشق

٥ - شبهة تأويل صفات الله تعالى :

معنى التأويل في اللغة :

يأتي التأويل في اللغة بمعنى : - المرجع والمصير والعاقبة.

قال الراغب: " التأويل : رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، قولاً كان أو فعلاً " [١]

وقال ابن فارس : " ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول إليه ، وذلك قوله تعالى :(هلْ ينظُرونَ إلا تأويلَه)[٢] ، يقول ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم" [٣]

ويأتي بمعنى التفسير والبيان : أول الكلام تأويلاً وتأوله: دبره ، وقدره وفسره ، وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: " التأويل والمعنى والتفسير واحد "[٤].

---

(1)- تاج العروس ٧/ ٢١٥

(2)- الأعراف:٥٣

(3)- معجم مقاييس اللغة ١٦٢/١

(4)- لسان العرب ٣٣/١١

وقال الطبري – رحمه الله - :"وأما معنى التأويل في كلام العـرب : فإنـه التفسير والمرجع والمصير "[١] .

معنى التأويل في الاصطلاح :

والتأويل في الاصطلاح ينقسم إلي قسمين :

الأول : التأويل في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين ، وهو يطـابق معناه اللغوي المتقدم ، العاقبة والتفسير.

الثاني :التأويل في اصطلاح المتـأخرين ، مـن المـتكلمين، والأصـوليين، والفقهاء، والمتصوفة، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمـال المرجوح لدليل يقترن بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإن لفظ (التأويـل) قـد صـار بتعـدد الاصطلاحات مستعملاً في ثلاثة معان:

أحدهما: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله ، أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لـدليل يقترن به ، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نـصوص الصفات وترك تأويلها ، وهل هذا محمود أو مذموم ،وحق أو باطل .

والثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن ، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير : واختلف علماء التأويل .

الثالث : من معاني التأويل ، هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام "[٢]

والتأويل إن كان بدليل فهو ممدوح ، ويلتحق بالبيـان والتفـسير ، وإن لم يكن بدليل فهو التحريف والتعطيل ، وهو الذي وقع فيه المتكلمون الذين حرفوا

---

(1)- تفسير الطبري ١٨٤/٣

(2)- التدمرية ٩١-٩٢، وانظر درء التعارض ١/ ١٤ ، ومجموع الفتاوى ٦٨/٤

الأسماء والصفات عن ظاهرها ، إلى معانٍ بعيدة ، وهذا التأويل بهذه الطريقة، إنما هو محدث لم يعرفه الصحابة والتابعون وأئمة السلف ، وإنما ظهر في بيئة الفلاسفة والمتكلمين بعد ظهور التفرق(١).

ضابط التأويل عند البقاعي :

وإذا كان البقاعي – رحمه الله – من القائلين بالتأويل ، فليس ذلك مفتوحاً عنده على مصراعيه ، كما هو الشأن عند الباطنية والجهمية وغيرهم من الغلاة في هذا الباب ، فلذلك قال : " التأويل بغير دليل لعب"(٢).

ثم قال : " والكلام الضابط فيما يؤول وما لا يؤول ، أن النقليات أربعة أقسام : قطعي السند والدلالة ، ظنيهما، ظني السند قطعي الدلالة ،أو عكسه قطعي السند ظني الدلالة ، فالأول : يجب اعتقاد ظاهره ، ومن خالفه فقد كفر ، والبقية يجب اعتقاد ظواهرها ، ما لم تعارض، فإن عورضت بقطعي وجب العدول عن الظاهر إجماعاً فمن اعتقده كفر.." (٣).

ولكن الإشكال أن البقاعي كغيره من المتكلمين ،يعتبرون ظواهر الصفات ظنية ليست قطعية، ولا يجوز الأخذ بظاهرها ، فذلك مذهب أهل الإلحاد كما تقدم من كلامه ، فلزم عنده التأويل كما يدل عليه الدليل العقلي ، الذي خالف الدلالة النقلية الظنية ، وبالنظر في مذاهب هؤلاء المتكلمين ، يتبين أنهم بنوها على أصول، أهمها(٤) :

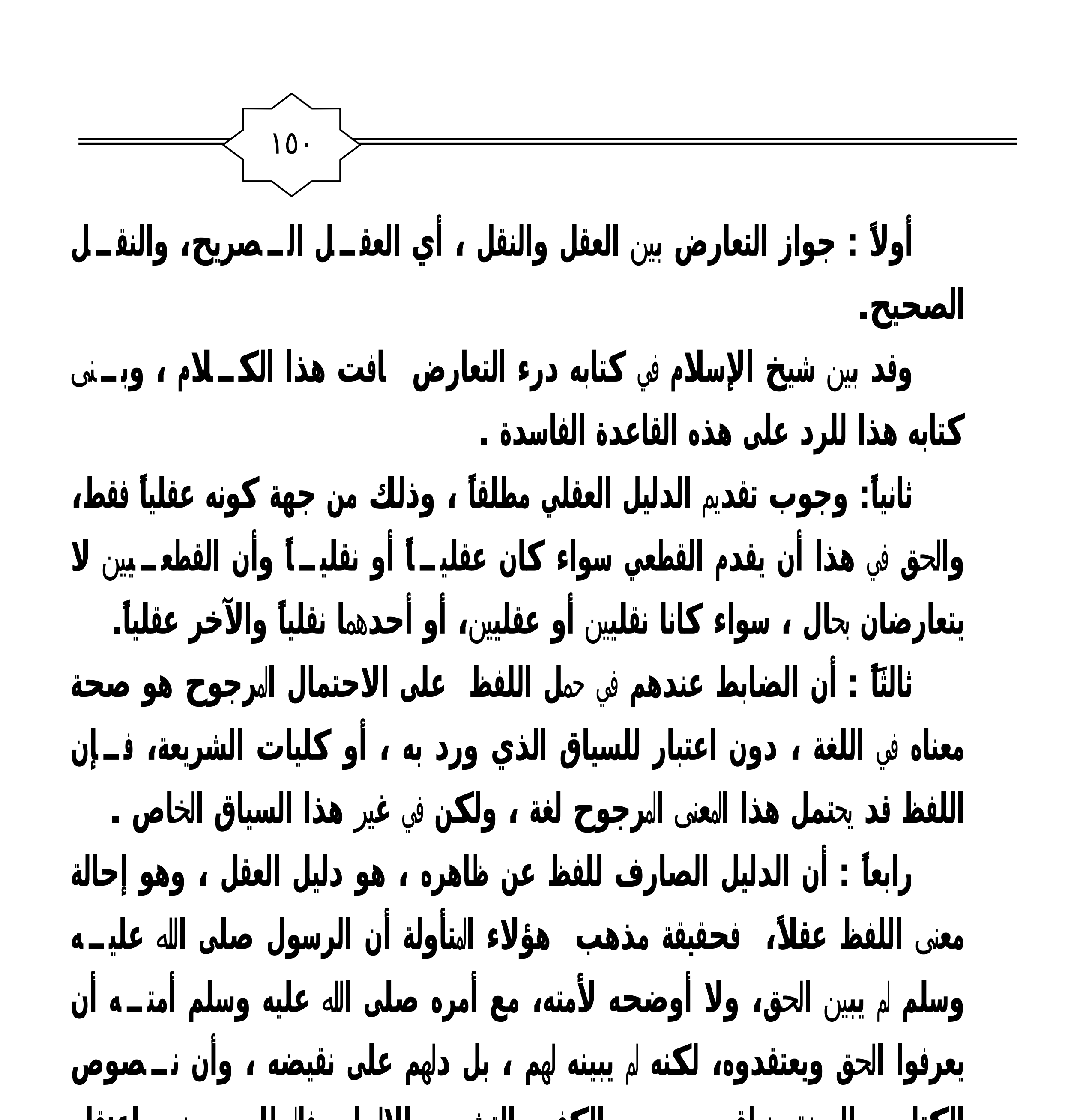
---

(1)- انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٢/ ٤٥٣

(2)- نظم الدرر ١٧٣/٢٠

(3)- نظم الدرر ١٧٣/٢٠

(4)- انظر :درء التعارض ١/ ٢٠٢ ، مجموع الفتاوى ٥/ ١٧ ، منهج الاستدلال ٢/ ٥٥١



أولاً : جواز التعارض بين العقل والنقل ، أي العقـل الـصريح، والنقـل الصحيح.

وقد بين شيخ الإسلام في كتابه درء التعارض تهافت هذا الكـلام ، وبـنى كتابه هذا للرد على هذه القاعدة الفاسدة .

ثانياً: وجوب تقديم الدليل العقلي مطلقاً ، وذلك من جهة كونه عقلياً فقط، والحق في هذا أن يقدم القطعي سواء كان عقليـاً أو نقليـاً وأن القطعـيين لا يتعارضان بحال ، سواء كانا نقليين أو عقليين، أو أحدهما نقلياً والآخر عقلياً.

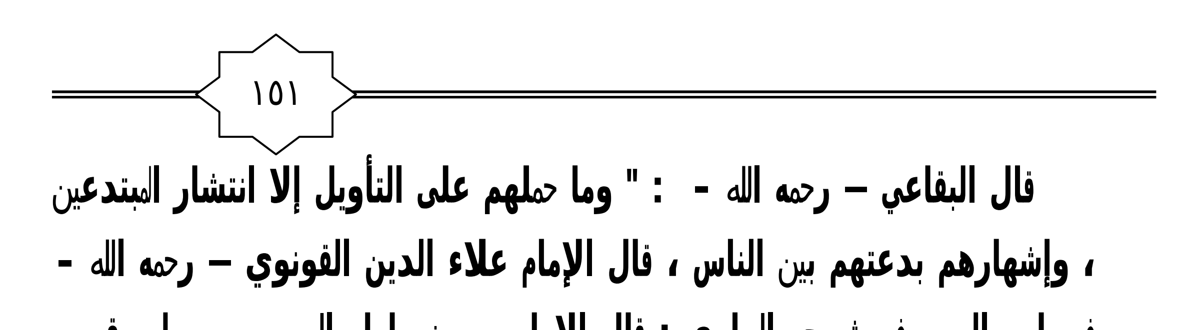
ثالثاً : أن الضابط عندهم في حمل اللفظ على الاحتمال المرجوح هو صحة معناه في اللغة ، دون اعتبار للسياق الذي ورد به ، أو كليات الشريعة، فـإن اللفظ قد يحتمل هذا المعنى المرجوح لغة ، ولكن في غير هذا السياق الخاص .

رابعاً : أن الدليل الصارف للفظ عن ظاهره ، هو دليل العقل ، وهو إحالة معنى اللفظ عقلاً، فحقيقة مذهب هؤلاء المتأولة أن الرسول صلى الله عليـه وسلم لم يبين الحق، ولا أوضحه لأمته، مع أمره صلى الله عليه وسلم أمتـه أن يعرفوا الحق ويعتقدوه، لكنه لم يبينه لهم ، بل دلهم على نقيضه ، وأن نـصوص الكتاب والسنة نطقت بصريح الكفر والتشبيه والإلحاد، فالمطلوب منهم اعتقاد ما لم تدل عليه النصوص ، بل دلت على نقيضه .

أسباب التأويل والاشتغال بعلم الكلام عند الخلف :

يذكر الخلف أسباباً كثيرة ، لسلوكهم مذهب التأويل ، مع أن الـسلف لم يسلكوا هذا السبيل ، بل نهوا عنه، فيذكرون أن السلف الصالح كانوا قـد تفرغوا للجهاد والعبادة ، ولم يفرغوا لهذا الفن ، وهـذا في الحقيقـة طعـن في السلف ، أنهم لم يعلموا حقائق الأسماء والصفات ، وأنهم بمثابة الأمـيين الـذين يتلون الكتاب ولا يعلمون منه إلا الألفاظ .

ويذكرون سبباً آخر لسلوكهم هذا المذهب ، وذلك لانتشار المبتدعة، فكان لا بد من الرد عليهم بذلك .



قال البقاعي – رحمه الله - : " وما حملهم على التأويل إلا انتشار المبتدعين ، وإشهارهم بدعتهم بين الناس ، قال الإمام علاء الدين القونوي – رحمه الله - في باب السير في شرحه الحاوي : قال الإمام - يعني إمام الحرمين - ولو بقي الناس على ما كانوا عليه من صفوة الإسلام لما أوجبنا التشاغل بعلم الكلام ، بل ربما نهينا عنه ، وأما الآن ، وقد ثارت البدع ، فلا سبيل على تركها تلتطم أمواجها ، فلا بد من إعداد ما يدعى به إلى المسلك الحق، وتحل به الشبه ، فصار الاشتغال بأدلة المعقول، وحل الشبه من فروض الكفايات ، ومن استراب في أصلٍ من أصول الاعتقاد فعليه السعي في إزاحته إلى أن يستقيم عقده"[١] .

ودعوى التأويل لانتشار البدع والرد على المبتدعين ،دعوى باطلة، وذلك لأن البدع بدأت من عصر الصحابة والتابعين، ثم في زمن الأئمة الكبار، كمالك والشافعي وأحمد وسفيان وابن المبارك وغيرهم من الأئمة الكبار ، ولم يدعهم ذلك إلى استخدام التأويل للرد على المبتدعة ، لأنّ التأويل عندهم باطل ، بل حذورا منه ، والمبتدعة لا يرد عليهم إلا بدلائل القرآن والسنة ، وعلى فهم سلف الأمة ، الذين أمرنا بالاقتداء بهم .

والذي أوقعهم في ذلك ظنهم أن القرآن والسنة ، ليس فيهما من الأدلة البرهانية العقلية التي ترد على المخالفين ، فلذلك سعوا بعلم الكلام المحدث للرد على المخالفين ، ولكنهم ردوا بدعة ببدعةٍ، فلا الإسلام نصروا ، ولا المخالفين كسروا [٢].

---

(1)- نظم الدرر ١٧٤/٢٠ .

(2)- انظر الفتاوى ٥٤٤/٥ .

تحذير السلف من علم الكلام:

لقد أجمع السلف على التحذير من علم الكلام المحدث، قال أبو عمر ابـن عبد البر : " أجمع أهل الفقه والآثار، من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون – عند الجميع – في طبقات الفقهاء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه" (١)

وقال أيضاً : " أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكـلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل لهم شهادة في الإسلام ، يهجر ويؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها اسـتتيب منها .." (٢)

وسئل الإمام أبو حنيفة:ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟ فقال:" مقالات الفلاسفة،عليك بالأثر وطريقة الـسلف ، وإيـاك وكل محدثة فإنها بدعة"(٣).

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله - : " حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويجلسوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام "(٤).

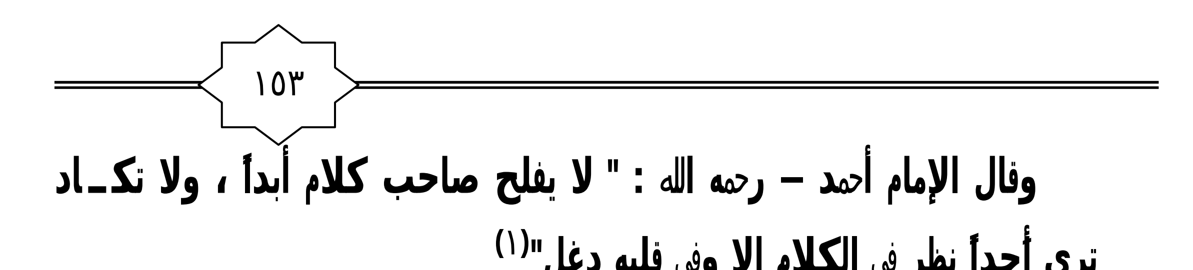
---

(1)- جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٤٢ .

(2)- المصدر السابق ٩٤٢/٢- ٩٤٣

(3)- صون المنطق والكلام عن علم المنطق، للسيوطي، تحقيق على سامي النشار ص٣٢

(4)-رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٤١



وقال الإمام أحمد – رحمه الله : " لا يفلح صاحب كلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"(١)

وغيرهم كثير من أئمة السلف الذين حذروا من علم الكلام ، وذلك لما يتضمنه من الخطر على عقيدة المسلمين ، واشتماله على البدع والضلالات ، وعلى مصطلحات مجملة توصلوا بها إلى نفي الحق ، وإثبات الباطل ، قال ابن حجر – رحمه الله :" وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة ، في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ، ولم يقتنعوا بذلك ، حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ، ولو كان مستكرهاً ، ثم لم يكتفوا بذلك ، حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل ، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل ، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف"(٢)

وما يدل على فساد علم الكلام رجوع كثير من المتكلمين عنه وذمهم له ،وهم أعرف الناس به كالرازي ، والجويني ، والشهرستاني، والغزالي ،وقد نقل الغزالي اجماع السلف الصالح على تحريم علم الكلام، وأنه بدعة محدثة(٣)

---

(1)- المرجع السابق ٢/ ٩٤٢

(2)- فتح الباري ١٣/ ٢٥٣

(3)- الإحياء ٤٩/١ ، وانظر درء التعارض ١٤٦/٧

٦ – شبهة المجاز في صفات الله تعالى :

اتخذ كثير من نفاة الصفات المجاز مطية في تعاملهم مع النصوص لتوافق مـا لديهم من اعتقادات فاسدة[١].

قال ابن القيم - رحمه الله - متحدثاً عن المجاز :" هذا الطاغوت لهـج بـه المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون، جعلوه جنةً يتترسون بها من سهام الراشقين، ويصدون به عن حقائق الوحي المبين"[٢] .

المجاز لغة :

قال في القاموس:"جاز الموضِع جوزاً وجؤوزاً وجوازاً ومجازاً وجـاز بـه وجاوزه جِوازاً : سار فيه وخلفَه،... والمَجاز : الطريق إذا قُطِع من أحد جانِبيهِ إلى الآخر وخِلاف الحقيقةِ "[٣].

المجاز من حيث الاصطلاح :

قال ابن القيم - رحمه الله - :" إذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقـة ومجاز ليس تقسيماً شرعياً ولا عقلياً ولا لغوياً فهو اصطلاح محـض، وهـو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص[٤]، وكان منشؤه من جهة

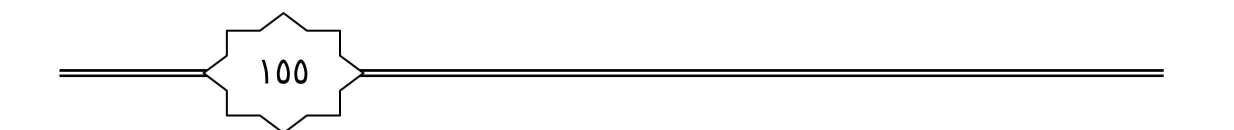
---

(1)- موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٤٤/٣.

(2)- مختصر الصواعق المرسلة ٦٩٠/٢.

(3)- مادة :"جوز" القاموس المحيط ٦٥١/١

(4)- وذلك في وقوله عليه الصلاة والسلام :" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ..." الحديث، أخرجه البخاري في الشهادات ح ٢٦٥٢ من حديث عبد الله بن مسعود ومسلم في فضائل الصحابة ح ٢١٠ (١٩٦٢/٤).



المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين، وأشهر ضوابطهم قولهم :" إن الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولاً"[١]

قول البقاعي بالمجاز:

لما كان ظاهر الصفات عند البقاعي التشبيه – إلاّ الصفات العقلية – فلا بد من صرفها عن ظاهرها ، فيكون ظاهرها مجازاً ، لا تراد حقيقته من باب إطلاق اسم الملزوم على اللازم .

قال البقاعي في تقريره المجاز :" والحاصل أنهم لم يصرفوا ذلك في حق عيسى عليه السلام والصلاة عن ظاهره وحقيقته وتحكموا بأن المراد منه المجاز[٢] ، وهو هنا إطلاق اسم الملزوم على اللازم، وكذا غيره من متشابه الإنجيل ، كما فعلنا نحن بمعونة الله سبحانه وتعالى في وصف الله سبحانه وتعالى بالرضى والغضب والرحمة ، والضحك وغير ذلك ، مما يستلزم حمله على الظاهر التشبيه بصفات المُحدثين ، وكذا ذكر اليد والكف والعين ونحو ذلك ، فحملنا ذلك كله على أن المراد منه لوازمه وغاياته مما يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، مع تنزيهنا له سبحانه وتعالى عن كل نقص وإثباتنا له كل كمال ، فإن الله سبحانه وتعالى عزه وجده وجلّ قدره ومجده ، أنزل حرف المتشابه ابتلاءً لعباده ليتبين الثابت من الطائش والموقن من الشاك " [٣]

والقول بالمجاز لم ينقل عن السلف الصالح ، فإنهم يثبتون الأسماء والصفات على الحقيقة ، ولا يعتبرون ذلك مجازاً ، وقد أثبت المحققون من العلماء ،كابن تيمية، وابن القيم، أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيماً شرعياً، ولا

---

(1)- مختصر الصواعق ٢/٧٠٠.

(2) - وهي مسألة اطلاق الرب والابن بالنسبة إلى عيسى عليه السلام ، فقد وردت هذه الألفاظ في الانجيل ولكن تعتبر مجازا لاحقيقة على رأي البقاعي في إقرار الحقيقة والمجاز .

(3)- نظم الدرر ٤/٢٣٣- ٢٣٤

لغويا ، ولا عقلياً , وإنما هو اصطلاح محدث ، حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم، كمالك، والثوري، والأوزاعي ، وأبي حنيفة، والشافعي ، بل ولا تكلم به أوائل أئمة اللغة والنحو، ولا يعرف لدى أوائل المصنفين في أصول الفقه ، وإنما كان منشأه من جهة المعتزلة والجهمية ، ومن سلك طريقهم من المتكلمين(١).

وقد بين شيخ الإسلام في مناظرته لأحد الأشاعرة(٢) ، في مناقشته لقضية المجاز، قال : " قلت له : إذا وصف الله نفسه بصفة ، أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، أو وصفه بها المؤمنون، الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه ، وحقيقتها المفهومة منها ، إلى باطن يخالف الظاهر ، ومجاز ينافي الحقيقة ، لا بد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي.

الثاني : أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه .

الثالث : أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل – الصارف – عن معارض

الرابع: أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام ، وأراد به خلاف ظاهره، وضد حقيقته ، فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه سواء عينه أو لم يعينه "(٣).

---

(1)- للتوسع انظر: مجموع الفتاوى٩٧/٧ ، ومختصر الصواعق٦٩٠/٢

(2)- وهو :

(3)- مجموع الفتاوى ٣٦٠/٦- ٣٦١

ثالثا - : موقف البقاعي من بعض الـصفات بـشكل تفصيلي :

رأينا أن البقاعي - رحمه الله - يثبت الصفات العقليـة الـسبع، الحيـاة والإرادة والكلام والسمع والبصر والعلم والقدرة، أما باقي الـصفات فقـد أولّها على طريقة الأشاعرة، لأن إثبا ا يقتضي عندهم التـشبيه والتجـسيم، وزعموا أنه لا بد من تأويلها كما هو مذهب الخلف، أو التفويض الذي نسبوه إلى مذهب السلف، وقد تحدثت فيما سبق عن هذه الشبه والرد عليها، وهنـا أذكر موقفه التفصيلي من كل صفة على حدة،مما وقفت عليه من كلامه .

أ - الصفات الذاتية

صفة الوجه :

صفة الوجه لله من الصفات الذاتية الخبرية[١] ، وقد وصف الله عز وجـل نفسه في كتابه ، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له وجهاً يليق به ، قال تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[٢] .

وقد استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم بوجه الله عندما قـال:"أعـوذ بوجهك "[٣] .

وقد أثبت أهل السنة والجماعة هذه الصفة لله تعالى حقيقة على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى ، قال ابن خزيمة :" فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز و امة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أن نثبت ما أثبته الله لنفسه ، ونقر بذلك بأبسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجـوه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين وجلّ ربنا عما قالت المعطّلة " [٤].

وقد أول البقاعي- رحمه الله – صفة الوجه: بالذات ، قال :"(كُل شـيءٍ هالِك إلا وجههَ)[٥]أي: هو، فهو الباقي لأنه الواجب الوجود، ووجـود كـل

---

(1) - هي ذاتية لأ ا ملازمة للذات،وهي خبرية لأن طريق ثبو ا الخبر، ولامجـال للعقـل فيهـا. انظر:القواعد المثلى ص١٩٨ ،والصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص٢٠٣ لمحمد أمـان جـامي،ط الثانية ،١٤١١هـ/١٩٩١م.

(2) - الرحمن:٢٧

(3) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير،سورة الأنعام ١٦٩٨/٤ ، رقم٤٣٥٢ عن جابر رضـي الله عنه.

(4) - التوحيد لابن خزيمة ١٠ - ١١.

(5) - القصص:٨٨



موجود إنما كان به، ولعله عبر عن الذات بالوجه ليشمل ما قصد به[1] من العمل الصالح مع ما هو معروف من تسويغه لذلك بكونه أشرف الجملة، وبكون النظر إليه هو الحامل على الطاعة بالاستحياء"[2].

وقال في تفسير آية أخرى : " وعبر بالوجه إشارة على أن قصده أعلى القصود، فلا نظر لله إلا إلى ذاته سبحانه وتعالى التي عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الذات "[3].

وهذا التفسير للوجه ، إنما هو تفسير باللازم ، فالوجه دالٌ على الذات ، وليس هو الذات، قال ابن القيم - رحمه الله -: " لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه ... والوجه في اللغة مستقبل كل شيء ، لأنه أول ما يواجه منه، ووجه الرأي والأمر ما يظهر أنه صوابه، وهو في كل محل بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف إلى زمن كان الوجه زمناً، وإن أضيف إلى حيوان كان بحسبه، وإن أضيف إلى من (ليس كمثله شيء) كان وجهه تعالى كذلك"[4] .

صفة اليد :

وهي من الصفات الذاتية الخبرية ، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على هذه الصفة ، قال تعالى : (قَالَ يا إِبليس ما منعك أن تسجد لِما خلقْت بِيدي أستكْبرت أم كُنت مِن الْعالِين)[5]، وقال آدم لموسى عليه السلام : "

---

(1) – أي مافقد به وجه الله

(2) - نظم الدرر١٤/٣٨٢

(3) –نظم الدرر ٢٢/ ٩٦

(4) - مختصر الصواعق المرسلة٣/٩٦٦

(5) - ص:٧٥

وخط لك التوارة بيده "[١] . وغير ذلك من النـصوص الكـثيرة في الكتـاب والسنة.

قال الصابوني[٢] - رحمه الله -:" فيقولون إنه خلق آدم بيديه، كما نـص سبحانه عليه في قوله :(قَالَ يا إِبليس ما منعك أن تسجد لِما خلقْت بِيـدي)، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية أهلكهم الله، ولا يكيفو ـا بكيـف، أو يـشبهو ما بأيـدي المخلوقين، تشبيه المشبهة خذلهم الله"[٣]

وتحدث البقاعي عن هذه الصفة عند تفسيرقوله تعالى : (مـا منعـك أن تسجد لِما خلقْت بِيدي)، قال:" أي من غير توسط سبب من بين هذا النوع ، وما ذاك إلا لمزيد اختصاص والمراد باليد هنا صفة شريفة غير النعمة والقدرة ، ومعلومة له سبحانه ولمن تبحر في علمي اللغة والسنة، خص ا خلق آدم عليـه السلام تشريفاً له ، وفي تثنية اليد إشارة إلى أنـه ربمـا أظهـر فيـه معـاني الشمال،وإن كان كل من يديه مباركاً "[٤].

وهنا نجد أنه في كلامه هذا أقرب إلى الإثبات منه إلى النفي والتعطيل .

لكنه في موطن آخر يقول : (بلْ يداه)[٥] وهو م ه عن الجارحة وعـن

---

(1) - البخاري كتاب التفسير،سورة طه ،١٧٦٤/٤، رقم ٤٤٥٩،ومسلم في كتاب القدر،بـاب حجاج آدم موسى، ٢٠٤٢/٤ ، رقم٢٦٥٢.

(2) - هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني الحافظ الفقيه المفسر الملقب بـشيخ الإسلام،ولد سنة٣٧٣هـ

،له مصنف"عقيدة السلف وأصحاب الحديث" وغيره،توفي سنة ٤٤٩هـ .انظر:طبقات الـشافعية للسبكي١١٧/٣،والوافي بالوفيات١٤٣/٩.

(3) - عقيدة السلف ص ١٦١

(4) - نظم الدرر ١٦/ ٤٢٢

(5) - المائدة:٦٤

كل ما يدخل تحت الوهم، (مبسوطتان) مشيراً بالتثنية إلى غاية الجود ، وليكون رد قولهم وإنكاره بأبلغ ما يكون في قطع تعنتهم وتكذيب قولهم "[١] .

وهذا من الاضطراب الذي يقع فيه كثيراً ؛ كل من خالف المنهج الصواب منهج السلف الصالح –رضي الله عنهم- .

أما نفي الجارحة فلم يعهد عن السلف ، لأن صفات الله لا يماثلها صفات المخلوقين فلا حاجة إلى هذا الاحتراز، ولكن لما تصور هؤلاء أن ظاهر الصفات التمثيل احتاجوا إلى هذا النفي .

وقال أيضاً : "(وقَالَتِ الْيهود يد اللّهِ مغلُولَةٌ)[٢]، أي فهو لا يبسط الرزق غاية البسط ، وهذا كناية عن البخل والعجز من غير نظر إلى مدلول كل من ألفاظه على حياله أصلاً ، ومثلُ هذا كثير في الكتاب والسنة"[٣].

وفي قوله تعالىً:(وما قَدروا الله حق قَدرِهِ والْأَرض جمِيعا قَبضته يوم الْقِيامةِ والسماوات مطْويات ِبيمِينِهِ سبحانه وتعالَى عما يشرِكُونَ)[٤] قال : " ولا قبضةَ هناك حقيقة ولا مجازاً ، وكذا الطي واليمين ، وإنما تمثيل وتخييلٌ لتمام القدرة ... (والسماوات مطْويات ِبيمِينِهِ) ولما كان هذا إنما هو تمثيل بما نعهد والمراد الغاية في القدرة ،نزه نفسه المقدس عما ربما تشبث به الاسم والمشبه، فقال (سبحانه) أي تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص ، وما يؤدي إلى النقص من الشرك والتجسيم وما شاكله "[٥]

تأويل الأصابع :

---

(1) - نظم الدرر ٦/ ٢١٨- ٢١٩

(2) - المائدة:٦٧

(3) - نظم الدرر ١٦/٥٥٠

(4) - الزمر:٦٧

(5) - نظم الدرر ١٢/ ٢٦٨- ٢٦٩

كما أول البقاعي - عفا الله عنه - ما يتعلق باليد من اليمين والقبضة، فكذلك كلامه في صفة الأصابع لله عز وجل، فقد ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما :" القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء"(١)

فقال في تأويله :" أنه سبحانه وتعالى عظيم القدرة على ذلك، وهو عليه يسير خفيف كخفته على من هذا حاله، وليس المراد أن هناك إصبعاً أصلاً"(٢).

فتجد أنه يتأول صفة الأصابع ، مع أن أهل السنة قد أثبتوا ذلك ، كما قال الإمام الآجري(٣) - رحمه الله - :" الإيمانُ بأن قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرب عز وجل بلا كيف"(٤). " وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث ، وقالوا :إن لله تعالى أصابع حقيقة أثبتها له كما أثبتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين أصبعين منها أن تكون مماسة لها، حتى يقال : إن الحديث موهم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره ، فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض ، وهولا يمس السماء ولا الأرض

---

(1) – أخرجه مسلم كتاب القدر،باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ،٢٠٤٥/٤ رقم ٢٦٥٤ ،ولفظه عند مسلم :"إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك" .

(2) - نظم الدرر ١٢/ ٢٦٨- ٢٦٩

(3) - أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري نسبة إلى آجر من قرى بغداد ، الإمام الفقيه المحدث الحافظ الثقة من مصنفاته : "الشريعة" و"آداب العلماء" توفي سنة ٣٦٠هـ .
انظر: وفيات الأعيان ٢٩٢/٤ ومعجم المؤلفين ٢٣٤/٩ .

(4) - الشريعة للآجرى ص ٣١٦

،فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة، ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول "[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : " وأما قوله : "قلوب العبـاد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع ، ولا مماس لها، ولا أ ا في جوفه ، ولا في قول القائل : هذا بين يدي ، ما يقتضي مباشرته ليديه "[٢]

صفة العلو :

١ -أقوال الناس في صفة العلو :

صفة العلو من الصفات الذاتية لله عز وجل، التي اختلف فيها الناس على مذاهب:

أ- قول سلف الأمة: إن الله فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بـائن مـن خلقه، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، كما علم مباينة الله وعلوه بالمعقول الصريح، الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله خلقـه على ذلك، في إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى[٣].

ب - قول المعطلة الجهمية:

أنكر الجهمية أن يكون الله في السماء دون الأرض[٤]، وأن يكون هنـاك كرسي أو عرش، وقالوا: إن الله لا يوصف بشيء، مما يوصف به العباد وهـم الذين يقولون: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا محايث له فينفـون

---

(1) - القواعد المثلى ص ٢٥٦ - ٢٥٧

(2) - التدمرية ص ٧٣

(3)- الفتاوى ٢٩٧/٢.ولأهمية هذه الصفة صنف فيهـا علمـاء الـسلف كتبـا كـثيرة،ومـن أهمها"العلو"للذهبي وكتاب"اجتماع الجيوش الإسلامية" لابن القيم وغيرها من الكتب.

(4)- انظر:التنبيه والرد على أهل الأهواء،للملطي ص١٠٤،علق عليه محمـد الكـوثري،مكتبـة المثنى،بغداد١٣٨٨،والرد على الجهمية للدارمي ص٣٣.

عنه الوصفين المتقابلين، اللذين لا يخلو موجود منهما، كما يقوله أكثر المعتزلة(١)، وطوائف من متأخري الأشعرية(٢).

ج - قول أهل بدعة الاتحاد:

يقولون: إن الله بذاته في كل مكان .

وبه قال كثير من الجهمية، عبادهم وصوفيتهم وعوامهم، ومن وافقهم من المتكلمين(٣).

ويقول الاتحاديون أيضاً: إنه عين وجود المخلوقات .

ويمثل هذا المذهب الباطل ابن عربي الطائي، إذ يقول :" وهو عين ما ظهر، وعين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من يبطن عنه"(٤).

٢- موقف البقاعي من صفة العلو :

البقاعي - عفا الله عنه - لم يوفق في هذه المسألة العظيمة، فخالف فيها منهج السلف ولم يثبت لله صفة العلو على الوجه الذي يليق بجلال الله، وإنما

---

(1)- حكاه عنهم الأشعري في المقالات ص155.

(2)- انظر قولهم:في الإرشاد للجويني ص٣٩، والأربعين للرازي ص١٠٦،والفرق بين الفرق ص٣٢١،والفتاوى ٢٩٨/٢، ٢٧٢/5،والعلو للذهبي١٨٥/١.

(3)- قال الأشعري:"وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم، وفي الحشوش والأخلية ، وهذا خلاف الدين . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا"الإبانة عن أصول الديانة،ص١٠٨، للأشعري،دار الأنصار – القاهرة،الطبعة الأولى ، ١٣٩٧،تحقيق : د. فوقية حسين محمود،وانظر:" الرد على الزنادقة والجهمية"ص٣٨،لأحمد بن حنبل، المطبعة السلفية - القاهرة ، ١٣٩٣،تحقيق : محمد حسن راشد،و"إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل،ص٣٦، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، دار السلام،الطبعة الأولى ، ١٩٩٠،تحقيق : وهبي سليمان غاوجي الألباني.

(4)- فصوص الحكم: فص حكمة قدرسية في كلمة ادريسية ص٧٧، وانظر: كتاب العلو للعلي العظيم للذهبي ، تحقيق:عبد الله البراك ص١٨٦ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - دار الوطن.

أولها بل حرفها، بحجة الجهة وغير ذلك من الأسباب الواهية، التي لا تصمد في وجه التحقيق والتدقيق.

فنفى أن يكون الله عز وجل مختصاً بالعلو، ظاناً أن في ذلك إثبات الجهـة المخلوقة له قال :" فإن نسبة جميع الأماكن والجهات في الإبداع والقرب والبعد وغير ذلك إليه واحد"[١]، وقال في مكانٍ آخر :" لئلا يوهم اختـصاص جهـة العلو به سبحانه دون بقية الجهات"[٢].

وفي قوله تعالى:(بل رفَعه اللّه إِلَيهِ)[٣] ، قال :" أي إلى مكان لا يصل إليه حكم آدمي"[٤]، فهو بذلك ينفي علو الذات لله عز وجل، ولكنه يؤول كل علو في القرآن بعلو الصفات، قال :" وعلوه سبحانه ليس بمسافة بل علو عظمة ونفوذ"[٥]، وفي قوله تعالى (يخافُونَ ربهم من فَوقِهم)[٦]، قال :" إشارة إلى علو الخوف عليهم وغلبته لهم، أو حال كون ر م مع إحسانه إلـيهم لـه العلـو والجبروت فهو المخوف المرهوب"[٧]، وعندما يقال لهم إن الفطرة داعيةٌ إلى رفع الداعي ربه إلى السماء، قالوا: إن السماء قبلة الداعي!!ففي قوله تعالى:(قَد نرى تقَلب وجهك فِي السماء)[٨]، قال :" فيه إعلام بما جعله من اختصاص السماء بوجه الداعي، كما اختص غيب القلوب بوجهة المصلي، فالمـصلي يرجـع إلى

---

(1)- نظم الدرر ١٢٣/٢.

(2)- نظم الدرر ٤٩/١٩.

(3)- النساء:١٥٨.

(4)- نظم الدرر ٤٦٦/٥.

(5)- نظم الدرر ٢٤/١٧.

(6)- النحل:٥٠.

(7)- نظم الدرر ١٧٤/١١.

(8)- البقرة:١٤٤.

غيب قلبه ولا يرفع طرفه إلى السماء، والداعي يتوجه إلى السماء ويمد يديه"[١]، وقد أوغل البقاعي - عفا الله عنه - في البعد عن الحق في هذه المسألة، عندما جعل إثبات صفة العلو إنما هو اعتقاد المشركين وليس الموحدين، وهو في ذلك تابع لما قاله الزمخشري المعتزلي في تفسيره[٢]، وقد صرح بهذا في تفسيره لقوله تعالى:{أأمنتم من في السماء }[٣] ،

قال:" (ءأمنتم) أي أيها المكذبون، وخاطبهم بما كانوا يعتقدون (من في السماء) أي على زعمكم العالية قاهرة لكم، أوالمعنى: في غاية العلو رتبة، أو أن ذلك إشارة إلى أن في السماء أعظم أمره، لأنها ترفع إليها أعمال عباده، وهي مهبط الوحي، ومحل القدس وجهة العرش ومعدن المقربين من الملائكة، والذي دعا إلى مثل هذا التأويل السائغ الماشي على لسان العرب، قيام الدليل القطعي على أنه ليس بمتحيز في جهة لأنه محيط فلا يحاط به، لأن ذلك لا يكون إلا لمحتاج"[٤].

ومع أن البقاعي - رحمه الله - لا يثبت صفة العلو لله عز وجل، فإنه بنفس الوقت لا يعتقد أن الله عز وجل لا داخل العالم ولا خارجه، أو هو حالٌ في العالم كما يقوله أهل أصحاب وحدة الوجود، بل يعتقد انفصال الخالق عن

---

(1)- نظم الدرر ٢١٧/٢.

(2)- قال الزمخشري في تفسيره "الكشاف"١٢٨٠/١ في قوله تعالى"من في السماء "قال:" فيه وجهان : أحدهما من ملكوته في السماء ؛ لأنها مسكن ملائكته ، وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه . والثاني : أنهم كانوا يعتقدون التشبيه ،وأنه في السماء ، وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه ، وكانوا يدعونه من جهتها ، فقيل لهم على حسب اعتقادهم : أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب ، كما تقول لبعض المشبهة : أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل؟ إذا رأيته يركب بعض المعاصي "إهـ

(3)- تبارك:١٤

(4)- نظم الدرر ٢٤٧/٢٠- ٢٤٨.

المخلوق، قال - رحمه الله - " والله ليس حالاً ولا محلاً للعالم، أي أنه سبحانه ليس مماساً للعالم على جهة أنه حل في العالم، ولا على جهة أن العالم حلّ فيه، فلم يبق إلاّ أن يكون منفصلاً عن العالم مبايناً له" [(١)]

٣- مناقشة البقاعي :

إن أدلة العلو عند السلف كثيرةً جداً،" حتى قيل: إن الآيات والأخبار الدالة على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه تقارب الألف، وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم"[(٢)].

ومع هذه الأدلة المتواترة المتكاثرة، جنح المخالفون- ومنهم البقاعي - عفا الله عنه - إلى التأويل بل التحريف لهذه الصفة الفطرية العقلية النقلية، بشبهٍ متهافتة متهالكة لا تصمد على الوقوف - فكانت الشبه التي ذكرها البقاعي هي:

أ- شبهة الجهة.

ب- شبهة التحيز.

ج- شبهة أن السماء قبلة الدعاء.

أ- شبهة الجهة:

لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة نفياً ولا إثباتاً، والإشكال عند هؤلاء أنهم يأتون بالألفاظ المجملة فينفونها، ويصلون بذلك إلى نفي ماجاء في الكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام ابن تيميه :" فلفظ (الجهة) قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة مافوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ (الجهة) ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك وقد علم أنه ما ثم موجود إلاّ

---

(1)- النكت ق ١/٤٧.

(2)- مختصر الصواعق١٢٢/١.

الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق، فالله ليس داخلاً في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالم بائن من المخلوقات، وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل"[١].

ب - شبهة التحيز:

وكذلك لفظ التحيز يجاب عنه كما يجاب عن الجهة، فلذلك قال ابن تيمية -رحمه الله - :" وكذلك لفظ المتحيز إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل وسع كرسيه السموات والأرض، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات أي مباين لها منفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه"[٢] .

وكذلك يقال: لفظ التحيز من الألفاظ المجملة كغيره من الألفاظ كالجسم والجهة والمكان وهي ألفاظ يراد بها معان متنوعة، ولم يرد في الكتاب والسنة نفي ولا إثبات، فالمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية، فاللفظ الذي ورد في الكتاب والسنة أو الإجماع يجب القول بموجبه سواء فهمنا معناه أو لم نفهمه، وأما الذي لم يرد به دليل شرعي فلا ينفى ولا يثبت حتى يستفصل فيه، فإن أثبت حقاً أثبتناه، وإن أثبت باطلاً رددناه، وإن نفى باطلاً نفيناه، وإن نفى حقاً لم ننفه[٣].

ج - قول نفاة العلو بأن السماء قبلة الدعاء:

---

(1)- التدمرية ص ٦٦-٦٧.

(2)- التدمرية ص ٦٧- ٦٨.

(3)- انظر: الفتاوى ٢٩٨/٥.

ولما احتج على نفاة العلو، بأن الخلق جميعاً بفطرهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى[١]، أجابوا جواباً غريباً عجيباً، فقالوا إنما يفعلون ذلك لأن السماء قبلة الدعاء، وقولهم باطلٌ من وجوه:

أحدها: أن هذا القول، لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

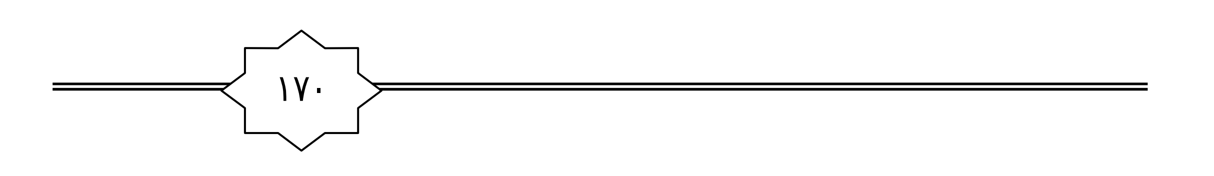
الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة.

الثالث: أن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء، فلو كانت السماء قبلة الدعاء، لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع بل هو ممنوع في الصلاة، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلةً، لا حقيقةً ولا مجازاً ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، ومعلوم أن التوجه بالقلب باللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل[٢].

---

(1)- شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٠/٢.

(2)- انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٢/٢- ٣٩٣ باختصار.



صفة الكلام لله عز وجل :

أولا - عقيدة أهل السنة في صفة الكلام :

صفة الكلام صفة ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار آخر ، وقد اتفق العلماء من أهل السنة على إثبات صفة الكلام لله تعالى، على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأن الكلام صفة له قائمةٌ بذاته، يسمعه من شاء من مخلوقاته بصوت وحرف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم مادل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته ليس مخلوقاً بائنا عنه"[1].

---

(1) - مجموع الفتاوي ٣٧/١٢.

وقال الصابوني :" ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القـرآن كـلام الله وكتابه، ووحيه، وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن - الذي هو كلام الله ووحيه - هو الذي نزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون بشيراً ونذيراً، وهو الذي بلغـه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته"[١]

ومن المعلوم أيضا من عقيدة السلف أن الله عز وجـل يـتكلم بحـرفٍ وصوت.

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب" السنة":" قلت لأبي:" يـا أبت إن قوماً يقولون إن الله لم يتكلم بصوت"، فقال:" يا بني هؤلاء الجهمية إنما يدورون على التعطيل يريدون أن يلبسوا على الناس، بلى تكلم بـصوت"[٢]، وصرح البخاري بأن الله يتكلم بحرف وصوت[٣]، .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - :" واستفاضت الآثار عن النبي والـصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أئمة السنة، أنه سبحانه ينادي بصوتٍ، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوتٍ، ويتكلم بالوحي بصوتٍ .

ولم ينقل عن أحدٍ من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوتٍ، أو بـلا حرفٍ، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوتٍ أو بحرفٍ"[٤] .

وقال أيضاً :" وليس في الأئمة والسلف من قال: إن الله لا يتكلم بصوتٍ بل قد ثـبت عن غير واحـدٍ من السلف والأئمة أن الله يتكلم بصوتٍ، وجاء

---

(1) - عقيدة السلف ص١٦٦

(2) - الـسنة لعبـد الله بـن أحمـد١/٢٨٠ ،ت محمـد بـن سـعيد القحطـاني،ط الثانيـة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م،رمادي للنشر- الدمام.

(3) - في كتابه"خلق أفعال العباد" ص١٣٧ للبخاري،ت أبو هـاجر البـسيوني،مكتبـة التـراث الإسلامي،القاهرة.

(4) - مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٢.

ذلك في آثار مشهورة عن السلف والأئمة، وكان السلف والأئمة يذكرون الآثار التي فيها[1] ذكر تكلم الله بالصوت ولا ينكرها منهم أحد"[2] .

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - أسماء علماء كثيرين من أهل السنة الذين قالوا إن الله يتكلم بصوت[3].

ثانيا - المخالفون للسلف في صفة الكلام :

لقد افترق المخالفون في صفة الكلام على أقوالٍ كثيرة[4]، وأشهرها قولان:

الأول: قول المعتزلة أنه مخلوق، خلقه منفصلاً عنه.

الثاني: قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره، أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

وأصول هذه الصفة عند الأشاعرة هي:

١- أنهم يعتقدون أن كلام الله هو المعنى القائم بالذات ويسمونه الكلام النفسي .

٢- أن الله يوصف بالكلام النفسي من غير صوت ولا حرف.

---

(1)- قال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة(١/٢٨٠):"سألت أبي رحمه الله، عن قوم يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت، فقال أبي: بلى إن ربك عزوجل تكلم بصوت، هذه الاحاديث نرويها كما جاءت ". وقد أورد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه(خلق أفعال العباد) نصوصا من السنة ،وآثارا عن أئمة السلف،أن الله يتكلم بحرف وصوت، وانظر:الشريعة للآجري١/٣٣١.

(2)- - مجموع الفتاوى ٥٢٧/٦. وانظر : مختصر الصواعق المرسلة ١٣٨٩/٤ .

(3) - مختصر الصواعق المرسلة١٣٨٩/٤.

(4) –انظر: تفصيل هذه الأقوال في مجموع الفتاوى١٦٢/١٢، ومختصر الصواعق المرسلة١٣٠/٤.

٣- الكلام المكتوب بالمصاحف، والمعبر عنه بالألسنة، ليس هو كلام الله، وإنما هو عبارة عنه، ويطلق عليه كلام الله مجازاً لا حقيقة[١]**.**

ثالثا - موقف البقاعي من صفة الكلام ، والرد عليه :

خالف البقاعي في هذه الصفة قول السلف موافقا لقول الأشاعرة في هذه المسألة الكبيرة،حيث قال بالكلام النفسي وأن الله لايـتكلم بحـرف وصـوت وبالتالي كان القرآن العربي ليس كلام الله.

١- قول البقاعي بالكلام النفسي :

يثبت البقاعي - رحمه الله - صفةَ الكلام، ولكن على طريقة الأشـاعرة، قال: "وقد صرح أصحابنا أن كلام الله القديم المصون عن التحريف والتبـديل، إن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فتوراة، وإن عبر بالسريانية فإنجيل، وأنّ كلامه لا يختلف وإنما تختلف العبارات"[٢]**، وقال في قوله تعالى: (إنه لَقَـولُ رسولٍ كَرِيمٍ)**[٣] **قال: "وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، ومـن المعلـوم أن الرسول إنما وظيفته تبليغ ما أرسل به فهو سفير محض، والذي أوحاه وإن كـان**

---

(1) – انظر في مذهب الأشـاعرة في كـلام الله : الرسـالة لأهـل الثغـر(ص:٧٠)،والتمهيـد للباقلاني(ص:١٧)،مشكل الحديث لابن فورك(ص:١٦٩)،الإرشاد للجويني(ص:٩٩)،وانظر:العقيدة السلفية في كلام رب البريه تأليف عبد الله الجديع ص ٣٢٥ .

(2)-الأقوال القويمة٢٣٢/١ مصاعد النظر١١٥/١

(3)- التكوير:١٩

قوله لكونه نطق به، وبلغه من غير مشاركة شيطان ولا غيره، هو قول الله من غير شك لكونه معبراً عن الصفة القديمة النفسية"(١).

ولا شك أن هذا الكلام، هو عين كلام الأشاعرة الذي يخالف منهج السلف الصالح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن ادعى أن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد، وإنما اختلفت العبارات الدالة عليه، فقول معلوم الفساد بالاضطرار عقلاً وشرعاً"(٢).

وقال أيضاً بعد أن حكى مذهب الكلابية والأشعرية: "ولا ريب أن جمهور العقلاء من الأولين والآخرين، القائلين بأن القرآن غير مخلوق، والقائلين بأنه مخلوق، يقولون: إن فساد هذا القول معلوم بالضرورة"(٣).

وقال ابن القيم - رحمه الله - :" وهذا قول يقوم على بطلانه تسعون برهاناً لا تندفع ذكرها شيخ الإسلام في الأجوبة المصرية، وكيف تكون معاني التوراة والإنجيل هي نفس معاني القرآن، وأنت تجدها إذا عربت لا تدانيه ولا تقاربه؟ فضلاً عن أن تكون هي إياه، وكيف يقال إن الله تعالى أنزل هذا القرآن على داود وسليمان وعيسى بعينه بغير هذه العبارات؟ أم كيف يقال: إن معاني كتب الله كلها معنى واحد يختلف التعبير عنها دون المعنى المعبر عنه؟ وهل هذا إلا دعوى يشهد الحس ببطلا ا؟ أم كيف يقال: إن التوراة إذا عبر عنها بالعربية صارت قرآناً مع تميز القرآن عن سائر الكلام بمعانيه وألفاظه تميزاً ظاهراً لا يرتاب فيه أحد"(٤)

وبطلان قولهم بالكلام النفسي من وجوه متعددة:

---

(1)- نظم الدرر ٢٨٨/٢١.

(2)- الفتاوى الكبرى ١١٢/٤.

(3)- درر التعارض ١١٢/٤.

(4)- بدائع الفوائد ١١٥/٢.

الأول: أن نفس قائليه لم يتصوروا ما هيته، وعجزوا عن بيانه، بتعريف منضبط قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" الكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه، وإثبات الشيء فرع عن تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟"[١].

الثاني: يلزم من قولكم بالكلام النفسي، وصف الله بالخرس، فإن الأخرس هو الذي عنده كلام في نفسه ولكنه لا يقدر على البيان إلا بالإشارة، مع أن البقاعي - رحمه الله - نفى أن يكون الله أبكم عندما قال:" والإله لا يكون أبكم"[٢].

الثالث: الأشاعرة يقرون بأن موسى سمع كلام الله، فهل سمع موسى جميع المعنى أم بعضه؟ فإن قلتم إن موسى سمع جميع المعنى فقد قلتم الكفر، إذ ادعيتم إحاطة موسى بعلم الله وكلامه الذي لا نهاية له، وإن قلتم: سمع بعضه، فقد نقضتم أصلكم، لأن الكلام عندكم لا يتبعض، وهذا مما ألزمهم به جمهور العقلاء[٣].

الرابع: المعنى المجرد لا يسمع باتفاق العقلاء.قال شيخ الإسلام:" والمعنى المجرد لا يسمع، ومن قال: إنه يسمع فهو مكابر"[٤].وموسى عليه السلام سمع كلام الله، وكذلك سمع نداءه، والنداء لا يكون إلا صوتاً مسموعاً، قال شيخ الإسلام:" ولا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع، لا حقيقة ولا مجازاً"[٥].

---

(1)- مجموع الفتاوى ٦/ ٢٩٦.

(2)- نظم الدرر ٣٣١/١٢.

(3)- مجموع الفتاوى ٢٨٣/٩، ٤٩/١٢.

(4)- مجموع الفتاوى ١٣٠/١٢.

(5)- مجموع الفتاوى ١٣٠/١٢.

ولقد أقر البقاعي بسماع موسى عليه السلام كلام الله على الحقيقة، لكنه يريد الكلام النفسي ! قال:" فسمع الكلام من الله تعالى حقيقة، وهو المتكلم سبحانه لا الشجرة، قال القشيري: وحصل الإجماع أنه عليه الصلاة والسلام سمع تلك الليلة كلام الله، ولو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة"[١].

وهذا نقض للكلام النفسي بل هوتناقض، ودلالة واضحة على بطلان قولهم بالكلام النفسي،لأن الأقوال الباطلة لابد أن يظهر فيها التناقض .

فلذلك اضطرب الأشاعرة في سماع موسى لكلام الله، فصرح التفتازاني أن موسى سمع صوتاً دالاً على كلامه، وذلك لعدم تصوره أن الكلام النفسي يسمع .

ولكن البقاعي رد عليه ذلك فقال:" والحق ما قال الأشعري[٢] من جواز سماع كلامه تعالى من غير خلق شيء يدل عليه، لقوله تعالى"(وكَلَّم اللَّه موسى تكْلِيما)[٣] ، ولا ضرورة بنا إلى صرف الكلام عن ظاهره"[٤].

وقال أيضاً:" فالذي يجب علينا التنزيه عن النقائص وعدم القياس، بل نقول في كل ما صح من نعوته جلّ وعلا، نعم آمنا به وهو كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى"[٥].

---

(1)- نظم الدرر ٢٧٨/١٤.

(2)- انظر:"الإبانة عن أصول الديانة" للأشعري،ت د.فوقية حسين محمود-دار الأنصار-القاهرة-ط الأولى١٣٩٧هـ.

(3)- النساء:١٦٤.

(4)- النكت ق ٢/٥٤.

(5)- النكت ق ١/٥٦.

يا ليت البقاعي التزم هذا الكلام في إثباته للصفات ،وفي هـذه الـصفة خصوصاً، فكان الواجب على البقاعي وغيره من علماء الأشاعرة، أن يثبتـوا كلام الله على ما جاء عن السلف، لا أن يبتدعوا قولاً مخالفاً كالكلام النفسي، ثم إذا قيل لهم لا يعقل أن يسمع الكلام النفسي، قالوا لا قياس ويجب التسليم بالصفات، نقول نعم يجب أن نسلم بالصفات الثابتات في القرآن والـسنة، لا بالصفات المبتدعات التي تخالف الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

٢-إنكار البقاعي أن الله يتكلم بصوت وحرف :

تقدم معنا أن السلف مجمعون على أن الله يتكلم بحرف وصوت(١) ، ومع هذا الإجماع وكثرة الآثار(٢)، فقد خالف البقاعي - عفا الله عنه - الـسلف في هذا الباب بناءً على الأصل الفاسد في الكلام النفسي، فنفـى أن يـتكلم الله بالصوت والحرف، بحجة الحوادث .

فقال:" والذي سمعه موسى عليه السلام عند أهل السنة من الأشاعرة، هو الصفة الأزلية من غير صوتٍ ولا حرف، ولا بعد في ذلك، كما لا بعد في رؤية ذاته سبحانه، وهي ليست بجسم ولا عرض ولا جوهر وليس كمثله شيء"(٣).

وقال أيضاً :" وقال التفتازاني في شرح المقاصد: إن اختيار حجة الإسلام، أنه سمع كلامه الأزلي بلا صوت ولا حرف، كما ترى ذاته في الآخرة بلاكم ولا كيف"(١).

---

(1)- انظر ص٢

(2)- قال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة(١/٢٨٠):"سألت أبي رحمه الله، عن قوم يقولـون: لمـا كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت، فقال أبي: بلى إن ربك عزوجل تكلـم بـصوت، هـذه الاحاديث نرويها كما جاءت ". وقد أورد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه(خلق أفعـال العبـاد) نصوصا من السنة ،وآثارا عن أئمة السلف،أن الله يـتكلم بحـرف وصـوت، وانظـر:الـشريعة للآجري١/٣٣١.

(3)- نظم الدرر ٨/٧٧.

وقد كان المعتزلة أقرب إلى طرد قاعدتهم في كلام الله، عندما اعتبروا أن الصوت والحرف حوادث، والكلام لا يكون إلا من الصوت والحرف، فبالتالي لا صفة لله عزوجل اسمها الكلام، بل هي صفة مخلوقة، قال البقاعي مبيناً مذهب المعتزلة في هذا :" أي نفوا أن يكون الكلام صفة له تعالى أزلية، لأجل أنهم جعلوه مركباً من الحروف والأصوات وهي حادثة، وقد تقرر امتناع قيام الحوادث بذاته تعالى، فامتنع كون الكلام صفة له أزلية ضرورة"(٢).

والحقيقة أن الأشاعرة استدلوا بنفس دليل المعتزلة عن أن الصوت والحرف حوادث فنفوا ذلك، مع إثبات صفة الكلام النفسي، وهذا لا يعقل فإما كلام بصوتٍ وحرف، أو لا كلام، من هنا كان منهج الأشاعرة أقرب إلى التلفيق بين مذهب المعتزلة ومذهب السلف، فالمعتزلة مثلاً ؛ نفت الرؤية في الدنيا والآخرة، بحجة الجهة والجسمية، والأشاعرة أثبتوا الرؤية، ولكن من غير جهة فأتوا بشيء لا يعقل، وهكذا في كثيرٍ من مسائلهم، ومع ذلك هم أقرب إلى السلف من المعتزلة ولا شك.

ولقد شعر أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني بهذا التناقض والاضطراب عند أصحابه الأشاعرة، فكتب رسالة يبين ذلك فقال:"كنت برهة من الدهر متحيرا في ثلاث مسائل، مسألة الصفات ، ومسألة الفوقية،ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيرا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك،من تأويل الصفات وتحريفها ، أو إمرارها والوقوف فيها ، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية ، وكذلك في الحرف والصوت، ثم أجد المتأخرين من

---

(1)- نظم الدرر ١٤/ ٢٧٨ ، وانظر : "شرح المقاصد"(٢/١٠٤).

(2)- النكت ق ١/٥٣.

المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول النزول بنزول الأمر ، ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم،وممن ذهب إلى هذه الأقوال أوبعضها، قوم لهم في صدري منزلة، مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين،...فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة،يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها،... ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله،أجدها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول قد صرح بها مخبرا عن ربه واصفا له بها، وأعلم بالاضطرار أنه كان يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والجافي، ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها ،كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين، مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء، ونزول الأمر للنزول، وغير ذلك"[1].

ثم تكلم عن مسألة الحرف والصوت،قائلا:" وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق، فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد، وبجميع حروفه ،فقال تعالى:(آلم)[2]، وقال:(المص)[3]، وقال:(ق والْقُرآن الْمجِيدِ)[4]، وكذلك جاء

---

(1)- رسالة في إثبات الإستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد،لأبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني،(ص:٣١-٣٢)، تحقيق :أحمد معاذ بن علوان حقي، دار طويق - الرياض،الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(2)- البقرة:١.

(3)- الأعراف:١.

(4)- ق:١

في الحديث:" فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب"(١)، وفي الحديث:" لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف ،وميم حرف"(٢)، فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات، وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة ،والتحقيق هو أن الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوراح ولا إلى لهوات ، وكذلك له صوت كما يليق بهُ يسمع ، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة، كلام الله تعالى كما يليق به، وصوته كما يليق به ،ولا ننفي الحرف ولا الصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك، وهذا ينشرح الصدر له ، ويستريح الإنسان به من التعسف والتكلف"(٣).

٣- قول البقاعي بأن القرآن العربي ليس كلام الله :

القرآن عند الأشاعرة،- ومنهم الإمام البقاعي - ينقسم إلى قسمين:

الأول: هو كلام الله النفسي.

الثاني: القرآن العربي المنزل إلى الأرض، وهذا عندهم ليس هو كلام الله، وإنما هو دالٌ عليه، أو عبارة عنه(٤).

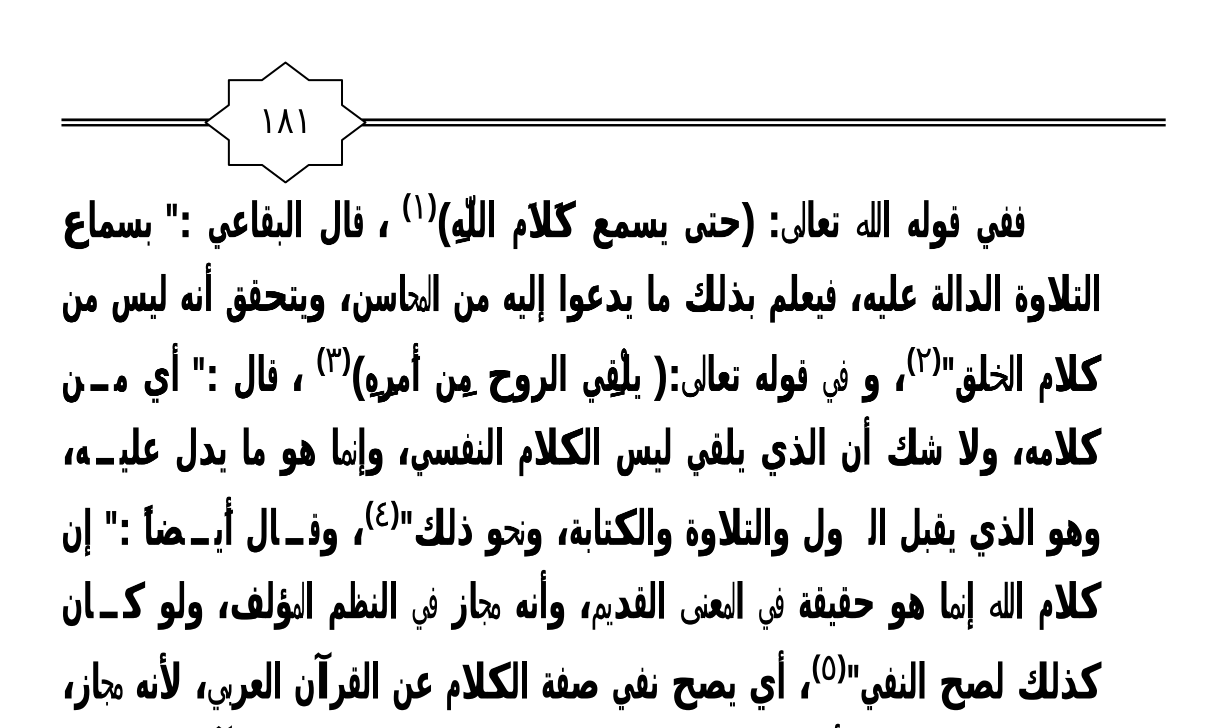
---

(1)- أخرجه البخاري معلقا٢٧١٩/٦،كتاب التوحيد،باب قول الله تعالى(ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وأحمد٤٩٥/٣ عن جابر رضي الله عنه،وصححه الألباني في ظلال الجنة رقم ٥١٤.

(2)- أخرجه الترمذي،فضائل القرآن، باب:فيمن قرأ حرفا من القرآن،رقم (١٧٥/٥)٢٩١٠،عن عبد الله بن مسعود،وقال:" هذا حديث حسن صحيح" ، والطبراني في المعجم الكبير،١٣٠/٩، رقم ٨٦٤٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٤٦٩.

(3)- رسالة الاستواء والفوقية(ص:٧٧-٧٨).

(4)- انظر:الاقتصاد في الاعتقاد،للغزالي(ص:٧٣)، غاية الإقدام(ص:٢٦٨)،والأربعين



ففي قوله الله تعالى: (حتى يسمع كَلَامَ اللَّهِ)[1] ، قال البقاعي :" بسماع التلاوة الدالة عليه، فيعلم بذلك ما يدعوا إليه من المحاسن، ويتحقق أنه ليس من كلام الخلق"[2]، و في قوله تعالى:(يلْقِي الروح مِن أمرِهِ)[3] ، قال :" أي من كلامه، ولا شك أن الذي يلقي ليس الكلام النفسي، وإنما هو ما يدل عليه، وهو الذي يقبل الـ ول والتلاوة والكتابة، ونحو ذلك"[4]، وقال أيضاً :" إن كلام الله إنما هو حقيقة في المعنى القديم، وأنه مجاز في النظم المؤلف، ولو كان كذلك لصح النفي"[5]، أي يصح نفي صفة الكلام عن القرآن العربي، لأنه مجاز، ومن علامات الـ از أنه يصح نفيه، فلذلك ينفون الإعجاز عن القرآن العربي، لأنه ليس كلام الله، وإنما الإعجاز في الكلام النفسي، وهذا من أكبر الانحراف، إذ أن الله عز وجل، قد تحدى المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي تلاه عليهم الرسول ، ولم يتحداهم بما في نفس الله من الكلام النفسي، قال البقاعي :" ولا يكون الإعجاز والتحدي إلا في كلام الله تعالى أي حقيقة لا مجازاً"[6]، أي الكلام النفسي لا النظم العربي!!!.

وهذا خلاف ما عليه السلف،قال اللالكائي :"سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى، وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين، على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يتحدى به ، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القرآن على

للرازي(ص:١٧٣)، مجموع الفتاوى ٢٧٢/١٢- ٢٧٣.

(1)- التوبة:٦.

(2)- نظم الدرر ٣٨٢/٨.

(3)- غافر:١٥.

(4)- نظم الدرر ٢٥/١٧.

(5)- النكت ق ١/٥٥.

(6)- النكت ق ١/٥٥.

الحقيقة، متلو في المحاريب ومكتوب في المصاحف ،محفوظ في صدور الرجـال، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن ، وهو قرآن واحد غير مخلوق وغـير مجعـول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلما ، ومن قال غير هـذا فهو كافر ضال مضل مبتدع ، مخالف لمذاهب السنة والجماعة"[١].

٤ - القرآن كلام الله غير مخلوق :

الكلام صفة من صفات الله عز وجل، وصفاته كذاته ليـست بمخلوقـة، ولقد كان السلف أغنياء عن زيادة لفظ (غير مخلوق) إلى كلام الله حتى جاءت فتنة الاعتزال، ودعوا إلى القول بخلق القرآن وفتنوا الناس بذلك، فتصدى لهم أئمة السلف، وعلى رأسهم الإمام المبجل أحمد بن حنبل ، وصرحوا بأن القرأن كلام الله غير مخلوق.

قال الإمام أحمد –رحمه الله-:"من قال:القرآن مخلوق فهو عندنا كافر،لأن القرآن منعلم الله عز وجل، وفيه أسماء الله عز وجل"[٢].

وقد وافق البقاعي الـسلف في إطـلاق أن القـرآن كـلام الله غـير مخلوق،ولكن قصده في ذلك الكلام النفسي، ففي قوله تعالى: (ألا له الخلْـق والأمر تبارك اللّه رب الْعالمِين)[٣] قال- رحمه الله- :" أي مبدع ذلـك كلـه ومربيه خلقاً وتصريفاً بأمره.

وعن سفيان ابن عيينة أنه قال: ما يقول هذه الدويبـة - يعـني بـشراً المريسي؟[٤] قالوا: يا أبا محمد يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله عز

---

(١)- الاعتقاد للالكائي٢/ ٣٣٠.

(٢)- أخرجه عبد الله في"السنة" رقم١(١/ ١٠٢).

(٣)- الأعراف:٥٤.

(٤)- هو بشر بن غياث المريسي،مبتدع ضال،تفقه على أبي يوسف فبرع وأتقن علم الكلام،ثم جرد القول بخلق القرآن،وناظر عليه،ولم يدرك الجهم بن صفوان وإنما أخذ مقالته واحتج لها ودعا إليهـا،

وجل: (ألا له الخلق والأمر) فالخلق خلق الله، والأمر القرآن[١]. انتهى، وهذا الذي فسر به مما تحتمله الآية، بأن يكون الأمر هو المراد بقوله (بأمره) وهو الإرادة والكلام مع احتمال ما قدمته"[٢].

وقال أيضاً:" قال أبو نعيم في "الحلية"[٣] في ترجمة محمد بن أسلم الطوسي[٤] - رحمه الله - في الرد على من قال بخلق القرآن: فمن لم يشهد أن هذا كلام الله وقوله، تكلم به، والله تعالى قاله، وزعم أنه خلق، فقد عظم شركه وافتراؤه على الله، لأنه زعم أن خلقاً قال لموسى: يا موسى إني أنا الله رب العالمين، فقد جعل هذا الزاعم للعالمين رباً غير الله، فأي شرك أعظم من هذا، فتبقى الجهمية في هذه القصة بين كفرين اثنين، إن زعموا أن الله تعالى لم يكلم موسى فقد ردوا كتاب الله وكفروا، وإن زعموا أن هذا الكلام(يا موسى إني أنا الله رب العالمين)[٥] خلق، فقد أشركوا بالله تعالى"[٦].

٥ - أفعال العباد مخلوقة ومنها القراءة :

وأما أفعال العباد من القراءة وغيرها، فهي مخلوقة، كما قرره السلف، والقراءة إذا أطلقت على القرآن فهذا ليس بمخلوق، وإن أطلقت على فعل

وكان والده يهوديا فصابا صباغا.انظر:ميزان الاعتدال ٣٢٢/١

(1)- رواه الآجري في "الشريعة" ص ٨٠ .

(2)- نظم الدرر ٤١٨/٧

(3)- الحلية ٢٤٥/٩

(4)- هو محمد بن أسلم بن سالم ، الكندي بالولاء ، الطوسي ، أبو الحسن ، شيخ المشرق ، كان من الثقات الحفاظ،قال الذهبي كان يشبه أحمد بن حنبل،له من المصنفات المسند والرد على الجهمية،توفي في محرم سنة ٢٤٢هـ .انظر:تذكرة الحفاظ ٥٣٢/٢،والجرح والتعديل ٢٠١/٣.

(5)- القصص: ٣٠.

(6)- النكت ق ٢/٥٤.

العبد فهي مخلوقة، وقد ألف الإمام البخاري - رحمه الله - في هـذه المـسألة كتابه" خلق أفعال العباد" وبين هذه المسألة، ناقلاً أقوال الأئمة في ذلك.

قال البخاري -رحمه الله-:" حركاتهم ، وأصواتهم ، واكتسابهم، وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف المسطور، المكتوب المُوعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق"(١).

والبقاعي تابع في هذا لماقرره أئمة السلف، عندما قال :" والقراءة حادثـة أي فعلنا حادث، وأصواتنا بها حادثة"(٢).

رؤية الله عز وجل:

وهي صفة ثابتة لله عزوجل ، في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، قـال صاحب الطحاوية :"والرؤية حق لأهل الجنة ، بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا (وجوه يومئذٍ ناضِرةٌ إلى ربها ناظِرةٌ)(٣) ، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسـول الله

---

(1)- خلق أفعال العباد(ص:٤٧).

(2)- النكت ق ١/٥٦.

(3) -القيامة:٢٢.

صلى الله عليه وسلم ، فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلـك متأولين بآرائنا ، ولامتوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سـلّم لله عـز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه"(١)

وقال الإمام الصابوني : " ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ر م تبارك وتعالى بأبصارهم ، وينظرون إليه، على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : " إنكم ترون ربكم ، كما ترون القمـر ليلـة البدر"(٢) والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي "(٣)

موقف البقاعي من الرؤية :

وقد جرى الإمام البقاعي – رحمه الله – في هذه الـصفة ،علـى منـهج الأشاعرة حيث وافقوا السلف الصالح في إثبات هذه الصفة ولكن مـع نفـي الجهة ، وفي قوله تعالى:(ولَما جاء موسى لِمِيقَاتِنا وكَلَّمه ربه قَالَ رب أَرِنِي أَنظُر إِلَيك قَالَ لَن ترانِي ولَكِنِ انظُر إِلَى الْجبلِ فَإِنِ استقَر مكَانه فَسوف ترانِي فَلَما تجلَّى ربه لِلْجبلِ جعلَه دكا وخر موسى صعِقًا فَلَما أَفَاق قَالَ سبحانك تبـت إِلَيك وأَنا أَولُ الْمؤمِنِين)(٤) .

قال البقاعي في تفسيرها: (رب أرني) أي ذاتك الأقدس بأن ترفـع عـني الحجاب فتجعلني متمكناً من النظر، (أنظر) أي: أصوب تحديق العين ، (إليـك) أي: فأراك.

ولما كان سبحانه قد قضى أنه عليه السلام لا يراه في الدنيا (قال لن تراني) ودل سبحانه ذه العبارة على جواز رؤيته حيث لم يقل : لن أرى،أولن يـراني

---

(1) - شرح الطحاوية ٢٠٧/١.

(2) - البخاري كتاب مواقيت الصلاة،باب فضل صلاة العصر، ٢٠٣/١ ،رقم ٥٢٩، ومـسلم في كتاب الإيمان ،٢٤٦/١، رقم٣٠٢.

(3) - عقيدة أصحاب الحديث ص ٢٦٣ – ٢٦٤.

(4) -الأعراف:١٤٣.

أحد، ثم زاد ذلك بياناً بتعليقه بممكن فقال (ولكن انظر إلى الجبل) إشارة إلى جبل يعهده ، وهو أعظم جبل هناك ، وزاد في الإشارة علـى إمكـان الرؤيـة بالتعبير بأداة الشك وإتباعها بأمر ممكن، فقال (فإن استقر مكانه) أي وجـد قراره وجوداً تاماً ، وأشار إلى بعد الرؤية أيضاً وجلالة المطلوب منـها، بقولـه (فسوف تراني) أي بوعدٍ لا خلف فيه "[١]

وقال أيضاً :"(كَلَّا إِنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبونَ)[٢] ويكون التقدير : يوم إذ كان يوم الدين ، ويكون المراد الحجاب عن الرؤية ، ويكون في ذلـك بشارةً للمؤمنين ا، وقال البغوي[٣] : قال أكثر المفسرين : عن رؤيته ،وقال : إن الإمامين الشافعي وشيخه مالكاً استدلا ذه الآية على الرؤية[٤]، وأسـند الحافظ أبو نعيم[٥] في "الحلية" [٦] في ترجمة الشافعي أنه قال: في هذه الآية دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته، وقال ابن الفضل : كما حجبهم في الدنيا عن

---

(1) - نظم الدرر ٧٧/٨- ٧٨.

(2) - المطففين:١٥.

(3) - الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي ،الإمام الحافظ الفقيه ،له مصنفات منـها تفسيره"معالم التنزيل"و"شرح السنة" ،توفي سنة٥١٦هـ .سير أعلام النـبلاء٤٣٩/١٩،وطبقـات السبكي ٧٥/٧ .

(4) - تفسير البغوي ٣٦٦/٨.

(5)- هو أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني الإمام الحافظ، ولد سنة٣٣٦هـ ،كـان عالما عابدا زاهدا،له من المصنفات"حلية الأولياء وطبقـات الأصـفياء"و"دلائـل النبـوة"،تـوفي سنة٤٣٠هـ .انظر:سير أعلام النبلاء٤٥٣/١٧،البداية والنهاية٤٥/١٢.

(6) - حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصـفياء١١٧/٩ ، دار الكتـاب العـربي- بـيروت- ط الرابعة١٤٠٥هـ.

توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته، وقال الحسن : لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا"[١]

وفي قوله تعالى:(وجوه يومئذٍ ناضِرةٌ إلى ربها ناظِرةٌ)،قال : " أي دائماً هم محدقون أبصارهم نحو جوده بالتجلي ، لا غفلة لهم عن ذلك ، فإذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم، بدليل التعدية بـ(إلى) وذلك النظر جهرة من غير تضام ولا زحام، كما قاله ابن عباس - رضي عنهما -، وأكثر المفسرين وجميع أهل السنة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة ، وتكون الرؤية كما مثلت في الأحاديث "كما يرى القمر ليلة البدر" كل من يريد رؤيته من بيته مخلياً به ، هذا وجه الشبه ولا أنه في جهة ولا في حالة لها شبيه ، تعالى الله عن التشبيه "[٢]

والبقاعي– رحمه الله– يثبت الرؤية ولكن ليس في جهة،وذلك لأن الأشاعرة ينفون علو الله عز وجل ، بحجة الجهة.

وقول الأشاعرة بأن الله يرى لا في جهة تناقض منهم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقول هؤلاء إن الله يرى من غير معاينة ومواجهة، قولٌ انفردوا به دون سائر طوائف الأمة ، وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة ،والأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ترد عليهم ، كقوله في الأحاديث الصحيحة : (إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضارون في رؤيته)[٣] فشبه الرؤية بالرؤية ، ولم يشبه المرئي بالمرئي ، ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عياناً مواجهة فيجب أن نراه كذلك، وأما رؤية مالا نعاين ولا نواجهه فهذه غير متصورة في العقل، فضلاً عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر، ولهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية ، وقالوا : قولنا هو قول المعتزلة في

---

(1) - نظم الدرر ٢١/ ٣٢٣ – ٣٢٤.

(2) - نظم الدرر ٢١/ ١٠٥.

(3) - تقدم تخريجه

الباطن فإ م فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلـة "[١].

فلذلك كان إثبات الرؤية مع نفي العلو هو من المتناقضات التي جـاء ـا الأشاعرة [٢].

ومن هنا كان بعضهم يميل إلى أن الرؤية ليست بالعين وإنما هي بالقلـب، ومنهم التفتازاني صاحب العقائد، وعلق البقاعي على قول التفتازاني :" تكـون بالقلب دون العين"[٣] فقال : " أي لأن البصر في ذلك الوقت مقبوض مشاهد الغمض ، وإنما يرى الإنسان أنه يبصر بالعين لأنه لم يألف سوى ذلك فيخيـل إليه لإلفه له أنه يبصر ا "[٤] .

لكن البقاعي لم يرتض هذا القول، ورجح الرؤية بالعين، تبعاً للغزالي ، قال : " قال الإمام حجة الإسلام الغزالي – رحمه الله – في كتاب المحبة من الإحيـاء[٥] بعد أن جوز أن يخلق الله النظر في الجهة وغيرها:(والحق ما ظهر لأهـل الـسنة والجماعة من شواهد الشرع، أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره ، إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة)[٦]،انتهى"[٧]

---

(1) - الفتاوي ١٦/ ٨٤- ٨٥.

(2) - انظر:موقف ابن تيمية من الأشاعرة١٣٧٧/٣

(3) - العقائد للتفتازاني

(4) - النكت ق ٦٢/ ٢ .

(5) –إحياء علوم الدين (٣١٥/٤).

(6) – إحياء علوم الدين ٣١٥/٤ .

(7) - نظم الدرر ٢١/ ١٠٦ ، ٧٥/٧.

وقال أيضاً : " وأهل الجنة متفاوتون في النظر : روي أن منهم من ينظر إلى الله بكرة وعشية[١] ، وفي خبر آخر ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن[٢] ، ومتفاوتون في مقدار الكشف في الجمال والأنس والبهجة التي يكون عنها اللذة بحسب أعمالهم".[٣]

ب - الصفات الفعلية

صفة الاستواء :

---

(1) – أخرجه الطبري في تفسيره من قول ابن عمر ، وفي رواية من قول أبي الصهباء الموصلي.

(2) – جزء من حديث أخرجه البخاري كتاب التفسير،سورة الرحمن، ١٨٤٨/٤، رقـم٤٥٩٧ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم،٢٤٣/١، رقم٢٩٦

(3) - نظم الدرر ٢١/ ١٠٦ .

١- عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الاستواء:

وهي من الصفات الثابتة لله – عز وجل - بالكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله الذين يعتقدون بأن الله مستوٍ على عرشه استواء، يليق بعظمته وجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

قال الصابوني :" ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله سبحانه فوق سبع سمواته، على عرشه مستو، كما نطق به كتابه في قوله عز وجل في سورة الأعراف :(إن ربكُم اللّه الذِي خلق السماواتِ والأرض ِفِي سِتةِ أيامٍ ثُم استوى علَى الْعرشِ)(١) ... يثبتون من ذلك ما أثبته الله تعالى، ويؤمنون به، ويصدقون الرب جل جلاله في خبره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى، من استوائه على عرشه، ويمرونه على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله"(٢).

وقال عبد الله بن المبارك(٣) :

" نعرف ربنا فوق سبع سموات، على العرش استوى، بائناً من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ها هنا، وأشار إلى الأرض(٤).

---

(1)- الأعراف:٥٤.

(2)- عقيدة السلف ص١٧٥-١٧٦.

(3)- عبد الله بن المبارك بن واضح،الإمام،شيخ الإسلام،عالم زمانه،وأمير الأتقياء في وقته،أبو عبد الرحمن الحنظلي،مولاهم التركي ثم المروزي،الحافظ الغازي،أحد الاعلام،ولد سنة ١١٨هـ،توفي في رمضان سنة١٨١هـ.انظر:سير الأعلام٣٣٦/٨،وشذرات الذهب٢٩٥/١.

(4)- أخرجه الصابوني في عقيدة السلف ص١٧٦،وقال ابن القيم عن قول ابن المبارك:"وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر" . وانظر:اجتماع الجيوش الإسلامية ص٨٤ .وذكر ذلك القول عن ابن المبارك العلامة حمد بن ناصر وقال : " رواه عنه الدارمي والحاكم والبيهقي بأصح إسناد " التحفة المدنية في العقيدة السلفية (٨٣) ، المؤلف: حمد بن ناصر آل معمر ، تحقيق : عبد السلام بن برجس ، دار العصمة للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ .

وقال ابن القيم - رحمه الله - :" في قولـه:(الـرحمن علـى العـرش استوى)[1]، في سبع آيات من القرآن، حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم، فإنهم قالوا هو مجاز ثم اختلفوا في مجازه"[2].

قال ابن كثير:"وأما قوله تعالى (ثُم استوى على العرش)[3]،فللنـاس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هـذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سـعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمـة المـسلمين قـديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييـف ولا تـشبيه ولا تعطيـل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ،لا يشبهه شيء من خلقه ، و(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمـن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، على الوجـه الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى"[4].

٢- موقف البقاعي من صفة الاستواء:

ولكن البقاعي – عفا الله عنه- لم يثبت هذه الصفة كما أثبتها السلف، بل أولها بناءً على أصله أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم.

ففي قوله تعالى:(الرحمن على العرش استوى)،قال:" أي أخذ في التدبير لما أوجده وأحدث خلقه أخذاً مستوفى مستقصى مستقلاً به، وليكـون خطـاب الناس على ما ألفوه من ملوكهم لتستقر في عقولهم عظمته سبحانه، وركـز في

---

(1)- طه:٥.

(2)- مختصر الصواعق٣/٨٨٨.

(3)- الأعراف:٥٤.

(4)- تفسير ابن كثير٢/٢٩٤.

فطرهم الأولى من نفي التشبيه منه، يقال: فلانٌ جلس على سرير الملك، وإن لم يكن هناك سرير ولا جلوس، وكما يقال في ضد ذلك: فلانٌ ثـل عرشـه، أي ذهب عزه، وانتقص ملكه وفسد أمره، فيكون هذا كناية لا يلتفـت فيـه إلى أجزاء التركيب، والألفاظ على ظواهرها، كقولهم للطويـل:طويـل النجـاد، وللكريم: عظيم الرماد"(١) .

فجعل كل ذلك كنايةً ومجازاً، وأكد هذا في قوله :" لأن التدبير أعـدل أحوال الملك فالاستواء كناية عنه"(٢) .

و في قوله تعالى :(ثُم استوى علَى الْعرشِ)(٣) ، قـال :" أي اسـتواءً لم يعهدوا مثله، وهو أنه أخذ في تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه، لا شريك لـه ولا نائب عنه ولا وزير، كما تعهدون من ملوك الـدنيا، إذا اتـسعت ممـالكهم، وتباعدت أطرافها، وتناءت أقطارها"(٤).

٣- الرد عليه:

ودعوى الرازي في هذه الصفة قولٌ باطل، والرد على ذلك من وجوه:

١ - إن الاستواء في لغة العرب لم يثبت أنه أتى بهذا المعنى الـذي قـرره البقاعي، بل يأتي بعدة معانٍ هي:

أ - بمعنى (علا) كما قاله مجاهد(٥)، وهو المنقول عن جماعـة مـن أئمـة اللغة(٦).

---

(1)- نظم الدرر ٤١٤/٧.

(2)- نظم الدرر ٦٩/٩.

(3)- السجدة:٤.

(4)- نظم الدرر ٢٣٠/١٥.

(5)- ذكره البخاري في صحيحه معلقا عن مجاهد في كتاب التوحيد،باب(وكان عرشه على الماء وهـو رب العرش العظيم)٤٠٣/١٣ فتح، قال ابن حجر:"وهذا سند صحيح" ، وانظر: العلو للذهبي رقم ٥٤٣

(6)- قاله الأخفش وغيره ، انظر : لسان العرب (٤١٤/١٤)، وقاله ثعلب أبو العباس إمام العربية

ب - بمعنى (ارتفع)[١] كما روى عن بعض السلف[٢].

ج - وبمعنى (صعد) كما قاله بعض أئمة اللغة[٣].

د - وبمعنى (استقر).[٤]

٢- أن الاستواء جاء بلفظة (ثم) التي حقيقتها الترتيب والمهلة، فلا يعقل أن الله عز وجل لم يكن مدبراً لهذا الكون قبل ذلك[٥].

٣- مخالفة هذا التأويل لإجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين[٦].

والوجوه في بطلان الماز في هذه الصفة كثيرة جداً، بسطها وشرحها الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه :" مختصر الصواعق المرسلة"[٧].

(ت:٢٩١) انظر:العلو للذهبي ٢١٣ رقم ٥٣٢،ونقله عن العرب أبو الحسن بن مهدي المتكلم(ت:٣٨٠)،العلو للذهبي ٢٣١ رقم ٥٥٢ .

(1)- قاله الخليل بن أحمد إمام العربية،أخرجه الذهبي في العلو ٢٣١ رقم ٤٣٧،وابن عبد البر في "التمهيد"١٣٢/٧.

(2)- قال بشر بن عمر الزهراني الحافظ(ت:٢٠٦):"سمعت غير واحد من المفسرين يقولون(الرحمن على العرش استوى) على العرش : ارتفع " أخرجه اللالكائي في الاعتقاد ٣٩٧/٣ رقم ٦٦٢ .وانظر: العلو للذهبي ١٥٣ رقم ٤١٥ .ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما،انظر: تفسير البغوي ٥٩/١ ،و"العلو"للذهبي ٧٣ رقم ١٥٥.

(3)- انظر:لسان العرب(٤١٤/١٤) ، و قاله الفراء إمام العربية انظر:العلو للذهبي ١٦٠ رقم ٤٣٨.

(4)-انظر:لسان العرب(٤١٤/١٤) ، قال البغوي في تفسيره١٦٥/٢ عند قوله تعالى(ثم استوى على العرش) :"قال الكلبي ومقاتل : استقر وقال أبو عبيدة: صعد " قال الذهبي في العلو ٢٦٢ رقم ٥٨٦ معلقا:"قلت : لا يعجبني قوله استقر ،بل أقول كما قال مالك الإمام :الاستواء معلوم .

(5)- انظر:مختصر الصواعق المرسلة٨٩٢/٣.

(6)- المصدر السابق٨٨٨/٣.

(7)- ٨٨٨/٣-٩٤٦.

صفة ال ول :

صفة ال ول من الصفات الفعلية الثابتة للرب تبارك وتعالى ، والأحاديث في هذه الصفة وصلت إلى حد التواتر ، قال ابن عبدالبر عن حديث ال ول :" هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد،لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق متواترة، و وجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم"(١) .

وقال شيخ الإسلام :" وأحاديث ال ول متواترة عن النبي صلى الله عليـه وسلم، رواها أكثر من عشرين نفساً من الصحابة بمحضر بعضهم من بعـض، والمستمع لها منهم يصدق المحدث ا ويقره، ولم ينكرها أحد منهم، ورواها أئمة التابعين رووا ذلك وأودعوه كتبهم وأنكروا على من أنكره"(٢).

قال ابن خزيمة –رحمه الله - :" باب ذكر أخبار ثابتة الـسند، صـحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وسلم في نـزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مـصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غـير أن نـصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سمـاء الـدنيا ، وأعلمنا أنه ي ل ، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه الـسلام بيـان مـا بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار

---

(1) - التمهيد ١٣٧/٧

(2) - التسعينية(ضمن الفتاوى الكبرى)٦٠٧/٧

من ذكر الـ ول ، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية الـ ول " [١]

ولقد اعتبر البقاعي نزول الله سبحانه وتعالى ، كناية عن نـزول الرحمـة واستجابة الدعاء ، كل ذلك بناءً على أصله، أن الله لا تقوم به الصفات الفعلية الاختيارية خشية التشبيه والتمثيل.

قال البقاعي : " فإنه صح أنه يـ ل – سبحانه عن أن يشبه ذاته شـيئاً أو نزوله نزول غيره ، بل هو كناية عن فتح باب السماء الذي هو كناية عن وقت استجابة الدعاء – حين يبقى ثلث الليل ، وفي رواية حين يبقى شطر الليل الآخر – إلى سماء الدنيا فيقول :" هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر[٢] "[٣]

وقد رد الأئمة على من قال ـذا التأويل الفاسد ، قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي – رحمه الله - : " فادعى المعارض أن الله لا يـ ل بنفسه، إنما يـ ل أمره ورحمته ، وهو على العرش، وبكل مكان، من غير زوال لأنـه الحـي القيوم ، والقيوم بزعمه من لا يزال، فيقال لهذا المعارض : وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته يـ ل كل ساعة ووقتٍ وأوان "[٤]

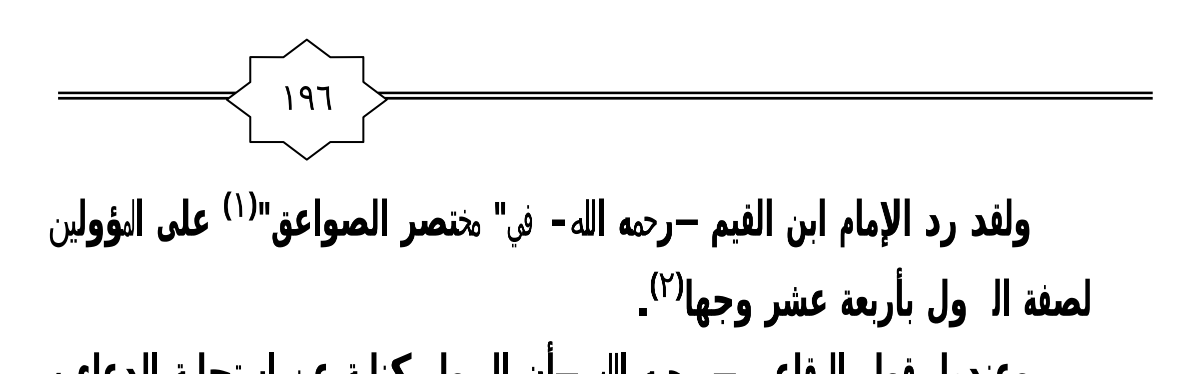
---

(1) - كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٨٩ – ٢٩٠

(2) - مسلم كتاب صلاة المسافرين،باب الترغيب في الدعاء آخر الليل ٥٢١/١ ، رقم ٧٥٨ عن أبي هريرة

(3) - نظم الدرر ٢١/ ٧-٨

(4) - نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للإمام عثمان بن سعيد الـدارمي، ت منصور السماري، ص ٥١، الطبعة الأولى١٤١٩هـ ، أضواء السلف، الرياض.



ولقد رد الإمام ابن القيم –رحمه الله- في" مختصر الصواعق"[١] على المؤولين لصفة الـ ول بأربعة عشر وجها[٢].

وعندما يقول البقاعي – رحمه الله –أن الـ ول كناية عن استجابة الدعاء ، فإن الدعاء يستجاب في أوقات كثيرة ، وحض على ذلك الرسـول صـلى الله عليه وسلم، كالدعاء بين الأذان والإقامة ، وحين التقاء الصفوف في سبيل الله، وفي السجود ، وغيرها من الأزمنة وأعمال العبادة ،فهل يقال أن الله يـ ـل في كل هذه الأوقات ؟ فإن قيل نعم ، قيل هذا كذب على الله ورسوله ، وإن قيل لا ؟ بطل التأويل وبقيت صفة الـ ول على حقيقتها التي تليق بجـلال الله عـ ز وجل[٣]

---

(1) - مختصر الصواعق٣/١١٠٠-١١١٢

(2) - وانظر كتاب "صفة الـ ول الإلهي ورد الشبهات حولها" تأليف عبد القادر الغامدي .

(3) - وانظر: الفتاوى ٥/ ٣٦٩ – ٣٧٣ .

صفة المجيء والإتيان:

مجيء الله وإتيانه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده من الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة ، وتلقاها علماء السلف بالقبول، ونقلوها إلى من بعدهم مع إقرارها كما جاءت ، من غير تمثيل بصفات البشر ، ومن غير تعطيل لمعانيها خشية التشبيه والتجسيم ، لأن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

قال تعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا)[١] ، وقال تعالى :(هلْ ينظُرونَ إلا أن تأتيهم الملآئكةُ أو يأتي ربك أو يأتي بعض آياتِ ربك)[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه، قال: فيقول المؤمنون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم فيقولون :أنت ربنا فيتبعونه"[٣]

قال ابن القيم – رحمه الله - :" قد دل القرآن والسنة على أنه سبحانه يجئ يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة ، وهذا من الأفعال التي يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة فلا يجوز نفيها عنه بنفي

---

(1) - الفجر:٢٢.

(2) - الأنعام:١٥٨.

(3) - البخاري كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم،٢٤٠٣/٥، رقم ٦٢٠٤ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية،٢٤٥/١، رقم ٢٩٩ عن أبي هريرة.

الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإ ا ليست من لوازم أفعاله المختصة بـه ، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه ، وما كان من خصائص الخلق لم يجـز إثباته له "[١]

وقد جرى البقاعي – رحمه الله – في هذه الصفة كما هو الشأن في الصفات الفعلية الاختيارية ، والتي لا يثبتها ، بل شأ ا التأويل، فقال في قوله تعالى:(هلْ ينظُرونَ إلا أن يأتِيهم اللّهُ)[٢] قال : " أي مجده"[٣].

فأول إتيان الله بإتيان مجده ، وأوله في آية أخرى بظهور أمره، فقال : " (أو يأتِي ربك)أي ظهور أمر المحسن إليك أتم ظهور، بجميع الآيات الـتي تحملـها العقول ، وذلك يوم الجزاء "[٤].

وقال أيضاً في معنى المجئ: " ومعنى مجيئة سبحانه وتعالى بعد أن ننفي عنه أن يشبه مجئ شئ من الخلق، لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ في ذاتـه ولا في صفاته ولا في أفعاله .

فإذا صححنا العقد في ذلك في كل ما كان من المتشابه، قلنا في هذا أنه مثل أمره سبحانه وتعالى في ظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وقهره وسلطانه، بحال الملك إذا حضر بنفسه فظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه .

فمجيئه عبارة عن حكمه وإظهار عظمته وبطشه، وكل ما يظهره الملوك إذا جاءوا إلى مكان .

---

(1) - مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٥٨.

(2) - البقرة:٢١٠

(3) - نظم الدرر ٣/ ١٨٣ – ١٨٤ .

(4) - نظم الدرر٣٣٢/٧

وهو سبحانه وتعالى شأنه حاضر مع المحكوم بينهم بعلمه وقدرته ، ولم يوصف بغيبة أصلاً أزلاً ولا أبداً ، فحضوره في ذلك الحال وبعده كما كان قبل ذلك من غير فرقٍ أصلاً ، لم يتجدد شئ غير تعليق قدرته على حسب إرادته بالفصل بين الخلق ، ولو غاب في وقت أوأمكنت غيبته بحيث يحتاج إلى الشئ لكان محتاجاً ، ولو كان محتاجاً لكان عاجزاً ، ولو عجز أو أمكن عجزه في حال من الأحوال لم يصلح للإلهية ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً "(١)

صفة التعجب :

وهي من الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة ، ففي الكتاب في قوله تعالى : (بلْ عجِبت ويسخرونَ)(٢) بضم التاء ، بإسناد العجب إلى الله عز وجل على إحدى القراءات(٣) .

أما في السنة فهناك أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم : "عجب الله من قومٍ يدخلون الجنة في السلاسل " (٤) .

---

(1) - المصدر السابق٢٢/٣٨-٣٩

(2) - الصافات:١٢

(3) - قرأ حمزة والكسائي بضم التاء وقرأ الباقون بفتح التاء .انظر:"حجة القراءات"، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة ،ص ٦٠٤ ، تحقيق : سعيد الأفغاني،مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ – ١٩٨٢. وكتاب" كتاب السبعة في القراءات"، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي،ص٥٤٧، تحقيق : د.شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة،الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ . وقال الفراء:وهي قراءة علي،وعبدالله ، وابن عباس ، وهي أحب إلي ، وقد أنكر هذه القراءة قوم ، منهم شريح القاضي،فإنه قال(إن الله لايعجب،إنما يعجب من لايعلم)قال الزجاج :(وإنكاره هذه القراءة غلط ، لأن العجب من الله خلاف العجب من الآدميين) "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي٦/٣٠٠ ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(4) - رواه البخاري في الجهاد ، باب الأسارى في السلاسل ١٠٩٦/٣ ، رقم ٢٨٤٨ عن أبي هريرة.

والسلف يثبتون ذلك على الوجه الذي يليق بالله تعالى .

أما البقاعي فلم يثبت هذه الصفة ، بل زعم أنه ي ه الله عنها ؛ حيث قـال عند قوله تعالى (بلْ عجِبـت) : "بضم التاء على قراءة حمزة والكسائي ، لفتاً للقول من مظهر العظمة ؛للتصريح بإسناد التعجب إليه سـبحانه ، إشـارة إلى تناهي هذا العجب إلى حدٍ لا يوصف لإسناده إلى من هو م ه عنه" [1] .

فترى أنه نزه الله عز وجل أن يوصف ـذه الصفة ، فخالف ـذا منـهج السلف الصالح في إثبا ا على الوجه الذي يليق به سبحانه .

صفات الرحمة والمحبة والرضا :

لا شك أن الله عز وجل، هو الرحمن الرحيم، الذي يرحم جميـع خلقـه في الحياة الدنيا، وتختص رحمته يوم القيامة بعباده المؤمنين، وهـو يحـب المـؤمنين والتوابين والمتطهرين ويرضى عنهم.

قال تعالى :(الرحمن الرحِيمِ)[2]. وقال أيضاً :(فَسوف يأتِي اللّه بِقَومٍ يحِبهم ويحِبونهٌ)[3]. وقال أيضاً :(رضِي اللّه عنهم ورضواْ عنه)[4].

وكل هذه الصفات يثبتها أهل السنة على ما يليق بجلال الله عز وجل، فلا يمثلو ا بصفات المخلوقين، ولايحرفو ا عن معناها،كما فعل غيرهم من المخالفين.

قال الصابوني-رحمه الله-:" وكذلك يقولون في جميع الصفات الـتي نـزل بذكرها القرآن، ووردت ا الأخبار الصحاح، من الـسمع والبـصر والعـين والوجه والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة والعظمة، والإرادة والمشيئة والقـول والكلام، والرضى والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك، وغيرها؛ من

---

(1) - نظم الدرر ١٦ / ٢٠٢ .

(2) - الفاتحة :٢.

(3) - المائدة :٥٤.

(4) - المادلة:٢٢.

غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى مـا قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تحريف، ولا تبديل ولا تغيير"[١].

وأما البقاعي - عفا الله عنه - فقد جرى في ذلك على منهج الأشـاعرة في عدم إثبات هذه الصفات فيجعلو ا مجازاً، ويفسرو ا إما بـالإرادة ، وإمـا ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات، فقال في صفـــة الرحمة : "(إلـا مـن رحِم)[٢] أي أراد إكرامه "[٣].

و في صفة الرضا في قوله تعالى "(ولَا يرضى لِعِبادِهِ الْكُفْر)[٤] ، قال : " ومعنى عدم الرضى أنه لا يفعل فعل الراضي بأن يأذن فيه ، ويقر عليه أو يثيب فاعله ويمدحه ، بل يفعل فعل الساخط ، وبأن ينهى عنه ويذم عليـه ويعاقـب مرتكبه "[٥] .

وقال أيضاً :" (رضِي اللّه) أي الذي له صفات الكمال، (عـنهم) أي بجميع ما له من الصفات ، وهو كناية عن أنه أثا م بما يكون من الراضي ثوابـاً متنوعاً بتنوع ما له من جميع صفات الكمال والجمال"[٦] .

وقال في صفة المحبة:" (والله لَا يحِب)[٧] أي لا يفعل فعل المحب بأن يكرم (كُل مختالٍ فَخورٍ)"[٨]، وقال أيضاً : "(إِنه لاَ يحِب الْمـسرِفين)[١] أي لا يعاملهم معاملة المحب فلا يكرمهم "[٢].

---

(1) - عقيدة السلف ص١٦٥.
(2) - الدخان:٤٢.
(3) - نظم الدرر ١٨ /٤٢.
(4) - الزمر:٧.
(5) - نظم الدرر ١٦/ ٤٦٠ .
(6) - نظم الدرر ٣٦٩/٦.
(7) - الحديد:٢٣.
(8) - نظم الدرر ١٩ /٢٩٧.

فأول الرحمة بالإرادة ، والمحبة والرضى بالآثار، وهو فعل الإكرام،ومعلـوم الفرق بين الرحمة والإرادة،وبين المحبة والرضى،وبين الآثار المترتبة علـى هـاتين الصفتين.

قال ابن تيمية – رحمه الله – " ووصف نفسه بالمحبة ، ووصف عبده بالمحبـة فقال (فَسوف يأتِي اللّه بِقَومٍ يحِبهم ويحِبونَهٌ) ، وقال تعالى :(قُـلْ إِن كُنـتم تحِبونَ اللّه فَاتبِعوني يحبِبكُم اللّه)[٣] " ثم قال : " ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد ، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته ، ولا رضاه مثـل رضاه "[٤] .

صفة المكر : (وهي من الصفات الفعلية التي لا يجوز أن تطلق على الله إلا في مقابلة مكر الكافرين) .

كما قال تعالى : (ومكَروا ومكَر اللّه واللّه خير الْماكِرين)[٥] ، وقـال تعالى :(ومكَروا مكْرا ومكَرنا مكْرا وهم لَا يشعرونَ)[٦] ، فينبغي إثبات هـذه الصفة كما وردت في القرآن العظيم فلا يشتق منها اسم: ماكر، وإنمـا نقـول بقول القرآن[٧].

(1)- الأنعام:٤١.

(2)- نظم الدرر٢٩٣/٧.

(3) -آل عمران:٣١.

(4) - التدمرية ص ٢٦.

(5) - آل عمران:٥٤.

(6) - النمل:٥٠.

(7) - انظر:شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص١٢٣،ت علوي السقاف،دار الهجرة،ط الثالثة١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

وأما البقاعي – عفا الله عنه – فعلى طريقته في التأويل اعتبر ذلك مجازاً لتصوره أن المكر لا يكون إلا شراً ، وإذا علمنا أنْ المكر قد يكون بحق أو بباطل ، فلا يمكن أن يتصور في حق الله تعالى إلا ما يليق بجلاله، فلذلك قال تعالى : (واللّه خير الْماكِرين)، تنبيهاً إلى هذا المعنى

قال البقاعي في صفة المكر : " والمكر : الفتل عن البغية بطريق الحيلة، ويلزمه الستر كما مضى بيانه ، ولا شئ أستر عن العباد من أفعاله تعالى ، فلا طريق لهم إلى علمها إلا من جهته سبحانه، وسمى فعله مكراً مجازاً لأنه ناشئ عن مكرهم جزاء لهم "[١]

وقال - في قوله تعالى: (يأمن مكْر اللّهِ)[٢]- : " أي فعله الذي يشبه المكر بأخذ الإنسان من حيث لا يشعر، بالاستدراج بما يريد من النعم والنقم"[٣].

وبعد هذا العرض التفصيلي لموقف البقاعي من بعض صفات الله تعالى ، يتضح لنا موقفه الموافق للأشاعرة في الصفات حيث أثبت الصفات السبع فقط ، وصرف ماعداها عن ظاهره بحجة التشبيه والتمثيل .

وإن الذين يثبتون بعض الصفات وينفون البعض الآخر ، بحجة التشبيه ، هم متناقضون في هذا الباب ، لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعض(٤) .

فمن أثبت بعض الصفات لأنها لا تستلزم التشبيه ، كالسمع والبصر والإرادة ، وغيرها يلزمه إثبات الباقي كالمحبة والرضى والغضب ، ومن نفاها يلزمه نفي ما أثبته لأن كل ذلك ثابت في الكتاب والسنة وإلا كان تناقضاً وتحكماً .

---

(1) - نظم الدرر ١٠/ ٣٦٦- ٣٦٧.

(2) - الأعراف:٩٩.

(3) - نظم الدرر ٨/ ١٣.

(4) - انظر:المصدر السابق ص٣١.

قال شيخ الإسلام – ابن تيمية - : مخاطباً هؤلاء الأشاعرة المثبتين لـ بعض الصفات ، النافين لغيرها : " لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته ، بل القـول في أحدهما كالقول في الآخر .

فإن قلت : إن إرادته مثل إرادة المخلوقين ، فكذلك محبته ورضاه وغضبه ، وهذا هو التمثيل .

وإن قلت : له إرادة تليق به ، كما أن للمخلوق إرادة تليق به ، قيل لك : وكذلك له محبة تليق به ، كما للمخلوق محبة تليق به ، وله رضا وغضب يليـق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به .

وإن قال : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، قيل له : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعةٍ ، أو دفع مضرة ، فإن قلت : هذه إرادة المخلوق ، قيل لك : وهذا غضب المخلوق .

وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته ، وإن نفى عن الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين ، فهذا منتـف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات .

وإن قال : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه ، قيل له :وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة"(١).

---

(1) - التدمرية ص٣١-٣٢.

الفصل الثاني

الإيمان بالله

وفيه مباحث :

المبحث الأول :تعريف الإيمان .

المبحث الثاني:زيادة الإيمان ونقصانه .

المبحث الثالث:الاستثناء في الإيمان .

المبحث الرابع :الكبائر وأصحا ا .

المبحث الخامس:الكفر والتكفير .

المبحث الأول

تعريف الإيمان

أولا-الإيمان في اللغة:

مادة "أمن" معناها في اللغة: وثق واطمأن، والأمانة الوثوق[1]، وهي تدل على معنيين: التصديق: الذي هو ضد التكذيب، والأمان:وهو ضد الخوف، وأما الإيمان فضده الكفر[2].

ثانيا- تعريف الإيمان في الاصطلاح الشرعي:

ينبغي أن يعلم أن لفظ الإيمان ورد في الكتاب والسنة، فيجب أن يؤخذ معناه منهما .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد ا من جهة النبي، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم "،وذكر مثالا على ذلك الكفر والإيمان ، ثم قال:"فالنبي قد بين المراد ذه الألفاظ بيانا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق، وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شاف كاف بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة، بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان ، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول"[3]

مع ذلك فقد حصل الاختلاف في مسمى الإيمان على أقوال:

---

(1)- مادة"أمن"، انظر القاموس ١٨٢/١ والمعجم الوسيط ٢٨/١.

(2)- انظر: لسان العرب ١٤٠/١.

(3)- مجموع الفتاوى٢٨٦/٧.

١- قول أهل السنة والجماعة: الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من علماء السنة.[(١)]

٢- قول الخوارج[(٢)] **والمعتزلة**[(٣)]**:الإيمان قول وعمل، ولكنه كل لا يتجزأ فلا يزيد ولا ينقص، فإذا عصى الله عز وجل بارتكاب الكبائر فهو مخلد في النار، مع الخلاف في تسميته في الدنيا، فقالت الخوارج: كافر، وقالت المعتزلة: ليس بمؤمن ولا كافر، بل هو بمنزلة بين المنزلتين.**

٣- قول مرجئة الفقهاء: الإيمان قول واعتقاد، أما الأعمال فليست داخلة في مسمى الإيمان، والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، وهذا مذهب أبي حنيفة ومن اتبعه.

٤- قول الجهمية: الإيمان هو المعرفة فقط، وما عداها من تصديق القلب وإقراره، ومن القول والعمل، فغير داخل في الإيمان، وهذا قول الجهم بن صفوان[(٤)]**.**

---

(1)- انظر:التمهيد٢٤٨/٩،مجموع الفتاوى لابن تيمية٣٠٨/٧،شرح السنة للبغوي٣٨/١.

(2)- سمي الخوارج بهذا الاسم لخروج جماعة على علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-ممن كان معه في حرب صفين أثناء التحكيم حين كرهوه،وقالوا:لاحكم إلا لله،وقد افترقت الخوارج إلى عدة فرق يجمعها القول بتكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما، وتكفير كل فرقة سواهم ، وتكفير أصحاب الكبائر ،ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً .انظر:الملل والنحل للشهرستاني١١٤/١ ،مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري١٦٧/١.

(3)- نشأت هذه الفرقة لما أظهر واصل بن عطاء بدعته وزعم أن الفاسق في منزلة بين المنزلتين،وهما الكفر والإيمان ، فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة،وانضم إليه قرينه عمروبن عبيد، فقال الناس فيهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما معتزلة،وهذا الاسم يشمل عدة فرق ، يجمعها القول بنفي الصفات ، والقول بأن كلام الله مخلوق ، وأن الناس يخلقون أفعالهم .انظر:الفرق بين الفرق للبغدادي ص٩٣ .

(4)- الجهم بن صفوان السمرقندي رأس الجهمية، ورأس الضلالة وإليه تنسب الجهمية، عاش في زمن التابعين، وقتل سنة ١٢٤هـ ، قال الذهبي: "ما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً".

٥- قول الكرامية[(١)]: أن الإيمان قول باللسان فقط، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فمن لم يوافق قوله ما في قلبه من الاعتقاد الصحيح فهو مخلد في النار كالمنافق.

٦- قول الأشعرية: ولهم في الإيمان قولان: أحدهما: بأنه قول واعتقاد وعمل، وهذا هو أحد قولي أبي الحسن الأشعري[(٢)] ذكره في المقالات موافقاً لأهل الحديث، والثاني: الذي ذكره في كتابه الموجز ووافقه عليه جمهور الأشاعرة، وهو أن الإيمان تصديق القلب أو معرفته فقط مجردة عن الأعمال سواء أعمال القلب والجوارح، وتختلف تعبيرات الأشاعرة في هذا الموضع فتارة يقولون هو المعرفة كقول جهم، وتارة يقولون هو التصديق[(٣)].

ثالثا - قول البقاعي في الإيمان:

١- تعريفه للإيمان:

يرى البقاعي - رحمه الله - أن الإيمان هو التصديق القلبي،أما قول اللسان فهو دليل عليه، قال:" لأن حقيقة الإيمان والكفر يتعلق بالقلب دون اللسان،وإنما اللسان معبر وترجمان معرف بما في القلب لتوقع الأحكام

انظر: السير ٢٦/٦، ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٦.

(1)- نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني، شيخ الفرقة الكرامية، وكان يقول: الايمان هـو نطـق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد القلب، وعمل الجوارح، وكان يثبت الصفات بالتشبيه والتجسيم ت سنه ٢٥٥هـ ، انظر : السير للذهبي ٥٢٣/١١ الملل والنحل للشهرستاني ص ١٠٨.

(2)- هوأبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري،ولد سـنة ٢٦٠هـ ـ،وإليـه ينتـسب الأشاعرة المذهب العقدي،مع أن كثيراً من الأشاعرة المتأخرين قد خـالفوا إمـامهم في كـثير مـن المسائل،توفي سنة ٣٢٤هـ

انظر: الطبقات للسبكي ٣٤٧/٣، سير أعلام النبلاء ٨٥/١٥

(3)- انظر: الفتاوى لابن تيمية (٥٥٠/٧-٥٤٩) مقالات الإسلاميين للاشعري ص ٢٩٣،الحجة في بيان المحجة للأصبهاني٤٠٣/١ ، والتبيان لعلاقة العمل بمسمى الايمان لعلي بن أحمـد سـوف ص ٣٠-٤٠ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

الظاهرة"[١]، وقال أيضاً:" قوله صلى الله عليه وسلم:(هلا شققت عن قلبه)[٢] يدل على أن الأصل في الإيمان القلب، وإنما اللسان دليل عليه فقط، ويشهد لذلك ما رواه الإمام أحمد بسند حسن، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(الإسلام علانية والإيمان في القلب، ثم يشير إلى صدره ثلاث مرات، ثم يقول: التقوى ههنا التقوى ههنا)[٣].

وقال معلقاً على قول التفتازاني[٤] في العقائد عن الإيمان:" هو التصديق والإقرار" قال:" أي إن الإقرار شطر للإيمان ، فلا يكون مؤمناً حتى يأتي بكل من الجزئين ، لأن الماهية المركبة لا تتحقق إلا بجميع أجزائها التي تركبت منها، وأركان الشيء هي أجزاؤه وذهب إلى هذا القول بعض الأشاعرة أيضاً، والجمهور على أنه شرط كما ذكر المصنف لا شطر"[٥].

وقال أيضا عن الإيمان:" وهو التصديق بما علم بالضرورة مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به ، من توحيده سبحانه وتعالى ، والتصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"[٦].

فالبقاعي بذلك يقرر بأن الإيمان هو التصديق فقط، أما قول اللسان فهو ركن في الإيمان عند بعض الأشاعرة، وهو قول مرجئة الفقهاء الذي ذكره

---

(1)- نظم الدرر ٢٥٨/١١.

(2)- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم مقتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، رقم ٩٦(٩٦/١)عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(3)- أخرجه أحمد٣/ ١٣٥ وأبو يعلى٣٠١/٥ رقم ٢٩٢٣ ، وابن أبي شيبة في "المصنف"١٥٩/٦ رقم ٣٠٣١٩ ،وضعفه الألباني في "ضعيف الجامع" رقم ٢٢٨٠ ،وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند:إسناده ضعيف.

(4)- هو مسعودبن عمر بن عبدالله سعد الدين،متكلم ماتريدي حنفي،له في الكلام"شرح العقائد النسفية" ولد سنة٧٢٢هـ وتوفي سنة٧٩٢هـ انظر:البدر الطالع٤١٠/١٠

(5)- النكت والفوائد على شرح العقائد ق ١١٧/١.

(6)- نظم الدرر ٢٣٨/٢٢.

التفتازاني لأنه حنفي ماتريدي(١)، أما البقاعي فقد نصر قول المتأخرين من الأشاعرة.

ومعلوم أن هذا القول مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة،فقد أكد علماء السلف على أهمية النطق باللسان، قال أبو ثور(٢):" فاعلم يرحمنا الله وإياك، أن الإيمان تصديق بالقلب، والقول باللسان، وعمل بالجوارح ، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع ، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا، ولا أصدق به، أنه ليس بمسلم،ولو قال المسيح هو الله ، وجحد أمر الإسلام، قال: لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك، أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن. فلما لم يكن بالإقرار- إذا لم يكن معه التصديق –مؤمنا، ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمنا، حتى يكون مصدقا بقلبه مقرا بلسانه"(٣)

قال ابن تيمية(٤) - رحمه الله - :" من لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمناً، كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان"(٥).

---

(1)- الماتريدي نسبة إلى إمام المذهب محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي،أبي منصور الحنفي،له كتب كثيرة في الفقه وأصوله وعلم الكلام،ولم يصل إلينا من هذه الكتب سوى كتاب التأويلات وكتاب التوحيد ،توفي سنة ٣٣٣هـ .انظر:الفوائد البهية ص ١٩٥ .

(2)- هو إبراهيم بن خالد،إمام حافظ فقيه،ولد في حدود سبعين ومائة،له مصنفات،توفي سنة٢٤٠هـ .انظر:طبقات الشافعية٧٤/٢،وسير أعلام النبلاء٧٢/١٢.

(3)- شرح أصول الاعتقاد للالكائي٨٤٩/٤.

(4)- هوأحمد بن عبدالسلام بن تيمية الحراني،شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس، ولد سنة ٦٦٢هـ ، وطلب العلم على والده حتى برع وأصبح إمام الدنيا، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ .انظر : البداية والنهاية ٢٤١/١٣ ، الدرر الكامنة ١٥٤/١ .

(5)- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية٣٣٧/٧ ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة

وقال أيضاً:" فمن صدق بقلبه، ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يعلق به شيء في أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة"[١] .

وقال ابن حزم[٢]:" من اعتقد الإيمان بقلبه، ولم ينطق به بلسانه دون تقية، فهو كافر عند الله تعالى، وعند المسلمين"[٣].

بل وصل الأمر عند البقاعي - رحمه الله - إلى أن جعل الخلاف بينه وبين الكرامية خلافاً لفظياً قال :" اعلم أن الخلاف بيننا وبينهم (الكرامية) يرجع إلى اللفظ ؛ فإ م - وإن سموا الإتيان بالشهادتين باللسان حقيقة الإيمان - يوافقوننا على أن إيمان من آمن بلسانه فقط ، وقلبه مكذب ، لا ينفعه إيمان اللسان عند الله تعالى، ونحن نوافقهم على إجراء أحكام الإسلام عليه بمجرد التلفظ بلسانه بالشهادتين"[٤] .

فكان مؤدى مذهب البقاعي في الإيمان أن يكون كرامياً، ويعتبر أن الخلاف بينه وبينهم لفظي، مع أن الأئمة يعتبرون قول الكرامية من أشد الأقوال بدعة في هذا الباب[٥] .

والخلاف الناشئ بين الطوائف في الإيمان ليس في إجراء الأحكام الظاهرة، وإنما في حقيقة الإيمان المنجي عند الله تعالى، وبالتالي فتعريف الإيمان عند الكرامية ليس هو المنجي عند الله تعالى.

المصحف١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

(1)- الفتاوى ٣٣٧/٧.

(2)- الإمام المشهور علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ،ولد سنة٣٨٤هـ - وتوفي سنة٤٥٦هـ . انظر:سير أعلام النبلاء١٨٤/١٨ ، لسان الميزان١٩٨/٤.

(3)- المحلى ٤٠/١ ، تحقيق : أحمد شاكر،مكتبة التراث ، القاهرة .

(4)- النكت ق ٢/١١٨.

(5)- قال شيخ الإسلام في الفتاوى١٤٠/٧:"فعلم أن قول الكرامية في الإيمان وإن كان باطلا مبتدعا لم يسبقهم إليه أحد،فقول الجهمية أبطل منه"اهـ .

٢-رأي البقاعي في عمل القلب والجوارح(١):

علمنا أن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان،وعمل القلب والجوارح،فعمل القلب هو أصل عمل الجوارح.

والبقاعي يرى أن عمل القلب الذي هو الإذعان من الإيمان الذي لابد منه، قال - رحمه الله - في معاني الإيمان :" كما أن الإيمان إذعان القلب الذي هو أشرف ما بطن وإذعانه إذعان جميع الأعضاء"(٢).

ويرى –رحمه الله- أن هذا الإذعان هو شيء زائد على مجرد التصديق،حيث يقول :" والمذهب السديد والرأي الرشيد أن للإيمان فعل من أفعال القلب زائد عن الانفعال الذي هو التصديق، ولذلك كان مكلفاً به مثاباً على فعله معاقباً على تركه"(٣).

ويرى البقاعي أن أعمال الجوارح لا بـد من عملها وهي شرط للإيمان، قال :" كما أن الإيمان بالله يشترط فيه فعل الأعمال الظاهرة، والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانها وحدودها لتكون بينة على الباطن"(٤).

---

(١)- قال ابن القيم في"بدائع الفوائد"٣/٧١٠:" ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها ، علـم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبـد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال، الـتي ميزت بينهما ، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه، وعبوديـة القلـب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت ، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان القلب، ومركب الإسـلام الجوارح" .

(2)- نظم الدرر ٢/١١٣.

(3)- النكت ق ٢/١١٥.

(4)- نظم الدرر ١٨/٣٤٩.

ولكن إذا سمي العمل إيمـانا فهو عنده مـجاز، كمـا قال في قوله تعالى : (ومن يكْفُر ِبالإيمان فَقَد حِبطَ عملـُه وهو ِفي الآخِـرِةِ ِمن الْخاسِرين)[1] قال :" والآية من أدلة إمامنا الشافعي على استعمال اللفظ الواحد في حقيقته ومجازه[2]، فحيث قصد من التحذير من الكفر حقيقة، فالإيمان حقيقة، وحيث أريد الترهيب من إضاعة الصلاة فهو مجاز"[3].

ودعوى تسمية العمل بالإيمان هو مجازوهذا تناقض منهم بناء على ماأصلوه في تعريف الإيمان فإذا وجدوا النصوص تخالف أصلهم قالوا هذا مجاز.

قال شيخ الإسلام:" والمرجئة المتكلمون منهم والفقهاء ، يقولون أن الأعمال قد تسمى إيمانا مجازا، لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه، ولأ ا دليل عليه ،ويقولون قوله: الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق : مجاز"[4].

رابعا- الإسلام والإيمان :

قال شيخ الإسلام: "وقد صارالناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال: قيل:هو الإيمان، وهما اسمان لمسمى واحد. وقيل: هو الكلمة، وهذان القولان لهما وجه سنذكره،لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإسلام والإيمان،ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة،والإيمان بالإيمان

---

(1)- المائدة:٥.

(2) - ودعوى الحقيقة والمجاز على الإمام الشافعي لادليل عليها،قال شيخ الإسـلام في" مجمـوع الفتاوى" ٧ / ٨٨ :"وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثـة، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد مـن الأئمـة المـشهورين فى العلـم ،كمالك والثورى والأوزاعى وأبى حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحـو كالخليـل وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء ونحوهم،....وهذا الشافعى هو أول من جرد الكلام فى أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز ".

(3)- نظم الدرر ٢٧/٦.

(4)- مجموع الفتاوى١٩٥/٧.

بالأصول الستة،فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم"[١].

وقال شارح الطحاوية:" فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غيرحالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، كذلك الإسلام والايمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له ؛ إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه"[٢].

قال ابن رجب الحنبلي[٣]:"فإنه يتضح بتقرير أصل،وهوأن من الأسماء مايكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه،فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات،والاسم المقرون دال على باقيها .

وهذا كاسم الفقير والمسكين،فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج،فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها .

فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر،ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي"[٤].

---

(1)- الفتاوى٢٥٩/٧.

(2)- شرح العقيدة الطحاوية ٤٩٠/٢،لابن العز الحنفي الدمشقي،تحقيق الدكتور عبد الله التركـي وشعيب الأرناؤوط-مؤسسة الرسالة-ط الثالثة عشرة ١٩٩٨/١٤١٩م.

(3)- هو الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب ، ولـد في بغداد سنة٧٣٦هـ ، له من المصنفات النافعة "فتح الباري شرح صحيح البخـاري"و"القواعـد الفقهية" وغيرها من الكتب،توفي سنة٧٩٥هـ.انظر:الدرر الكامنة٧/٢ .

(4)- جامع العلوم والحكم١٠٦/١لابن رجب الحنبلي –مؤسسة الرسالة-ط الثانية١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

وقد مال البقاعي - رحمه الله - إلى هذا القول، عندما قال معلقاً على قول صاحب العقائد (قوله والإيمان والإسلام واحد) قال :" مذهب جمهور الأشاعرة أ نما متغايران ؛ فإن الإيمان إذعان القلب، والإسلام انقياد الظاهر، فالمفهومان متغايران لكنهما متلازمان ؛ لأن الإيمان شرط في الإسلام النافع عند الله تعالى، والانقياد بالظاهر على وجه الخضوع شرط في الإيمان كذلك"[١].

المبحث الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

---

(1)- النكت ق ١/٢٢.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، والأدلة على هذا الأصل كثيرة من الكتاب والسنة وآثار السلف، فمن الكتاب قوله تعالى:(هو الذِي أنزلَ السكِينةَ فِي قُلُوبِ الْمؤمِنين لِيزدادوا إيمانا مع إيمانهم)[١].

وقال تعالى :(والذِين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقْواهم)[٢] .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم للنساء:" ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لألباب ذوي الرأي منكن"[٣]، فإذا كان النقص في الدين عند النساء لأمر خارج عن إرادتهن ، فمن باب أولى أن يكون النقص في الدين بإرادة الإنسان بفعله المعصية، وقوله صلى الله عليه وسلم :" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[٤].

أما الآثار فكثيرة جداً عن السلف، قال عبد الرزاق[٥]:" سمعت معمراً[٦] وسفيان الثوري[١] ومالك بن أنس[٢] وابن جريج[٣] وسفيان بن عيينة[٤] يقولون:"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٥].

---

(1)- الفتح:٤.

(2)- محمد:١٧.

(3)- مسلم في كتاب الإيمان،باب:بيان نقصان الإيمان ١١٩/١، رقم١٣٢ عن عبد الله بن عمر.

(4)- أحمد ٢٥٠/٢ والترمذي رقم ١١٦٢ وقال: حسن صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤٣/١ وقال : " وهو صحيح على شرط مسلم " جميعهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند .

(5)- عبد الرزاق بن همام الصنعاني،صاحب المصنف،توفي في شوال سنة٢١١هـ . انظر: السير٥٦٣/٩ ، تذكرة الحفاظ٣٦٤/١ .

(6)- هو معمر بن راشد الأزدي بالولاء البصري الإمام الحجة،قال عبد الرزاق:كتبت عن معمر

وخالف في هذا الأصـل المعتزلة ، فقالوا : إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله .

والمرجئة يقولون: إن ترك الواجبات وفعل الكبائر لا يذهب أصل الإيمان فهو باق على أصله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" قالت الخوارج والمعتزلة هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث، قالوا: فإذا ذهب شيء منه لم يبق لصاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار، وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان ؛ إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء، فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر .

ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه، ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص"(٦)،

عشرة آلاف حديث ، توفي سنة١٥٣هـ .انظر:تذكرة الحفاظ١٩٠/١ ، والسير٥/٧ .

(1)- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي أبوعبد الله الإمـام المتهـد المحـدث،تـوفي سنة١٦١هـ . السير٢٢٩/٧ ، تذكرة الحفاظ٢٠٣/١ .

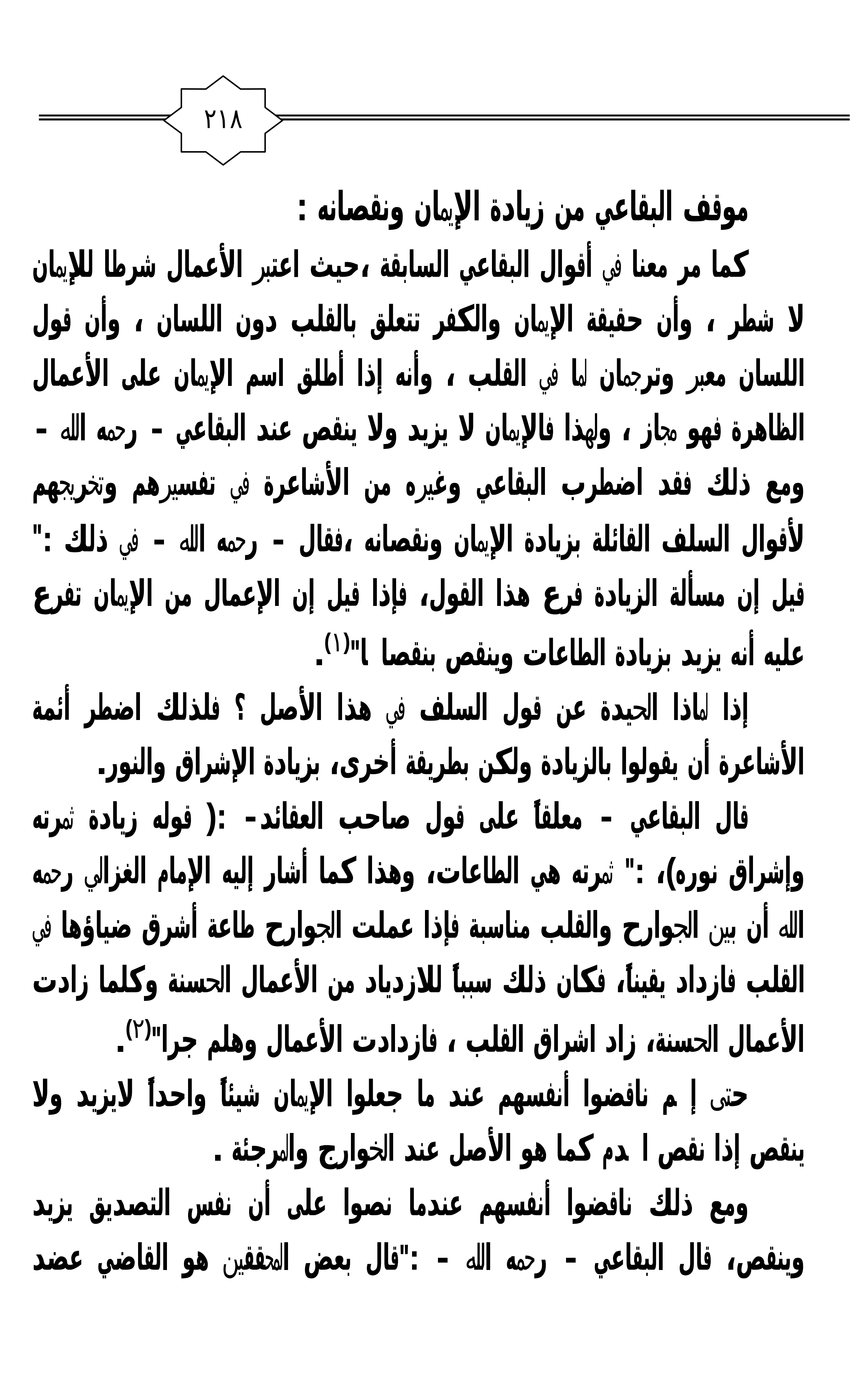
(2)- مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري،أبوعبد الله المدني ،إمام دار الهجرة،تـوفي بالمدينـة سنة١٧٩هـ وهو ابن تسعين سنة.انظر: تذيب الكمال٦/٧ .

(3)- هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي بالولاء المكي الحافظ الفقيـه الإمـام صاحب التصانيف مات سنة ١٥٠هـ . انظر : تذكرة الحفاظ١٦٩/١ ، شذرات الذهب٢٢٦/١ .

(4)- هو سفيان بن عيينةبن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد الإمام الحافظ،قال الشافعي:لولا مالـك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز،توفي في مكة المكرمة سنة١٩٨هـ . انظر : الـسير٤٥٤/٨ ، تذكرة الحفاظ٢٦٢/١ .

(5) - الآجري في الشريعة٦٠٦/٢ رقم ٢٤٣ واسناده صحيح.تحقيق الدكتور عبد الله الدميجي ، دار الوطن ، ط الثانية ، ١٤٢٠-١٩٩٩م .

(6)- مجموع الفتاوى ٢٢٣/٧.



موقف البقاعي من زيادة الإيمان ونقصانه :

كما مر معنا في أقوال البقاعي السابقة ،حيث اعتبر الأعمال شرطا للإيمان لا شطر ، وأن حقيقة الإيمان والكفر تتعلق بالقلب دون اللسان ، وأن قول اللسان معبر وترجمان لما في القلب ، وأنه إذا أطلق اسم الإيمان على الأعمال الظاهرة فهو مجاز ، ولهذا فالإيمان لا يزيد ولا ينقص عند البقاعي - رحمه الله - ومع ذلك فقد اضطرب البقاعي وغيره من الأشاعرة في تفسيرهم وتخريجهم لأقوال السلف القائلة بزيادة الإيمان ونقصانه ،فقال - رحمه الله - في ذلك :" قيل إن مسألة الزيادة فرع هذا القول، فإذا قيل إن الإعمال من الإيمان تفرع عليه أنه يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصا ا"[١].

إذا لماذا الحيدة عن قول السلف في هذا الأصل ؟ فلذلك اضطر أئمة الأشاعرة أن يقولوا بالزيادة ولكن بطريقة أخرى، بزيادة الإشراق والنور.

قال البقاعي - معلقاً على قول صاحب العقائد- :(قوله زيادة ثمرته وإشراق نوره)، :" ثمرته هي الطاعات، وهذا كما أشار إليه الإمام الغزالي رحمه الله أن بين الجوارح والقلب مناسبة فإذا عملت الجوارح طاعة أشرق ضياؤها في القلب فازداد يقيناً، فكان ذلك سبباً للازدياد من الأعمال الحسنة وكلما زادت الأعمال الحسنة، زاد اشراق القلب ، فازدادت الأعمال وهلم جرا"[٢].

حتى إ م ناقضوا أنفسهم عند ما جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لايزيد ولا ينقص إذا نقص ا دم كما هو الأصل عند الخوارج والمرجئة .

ومع ذلك ناقضوا أنفسهم عندما نصوا على أن نفس التصديق يزيد وينقص، قال البقاعي - رحمه الله - :"قال بعض المحققين هو القاضي عضد

---

(1)- النكت ق ١/١٢٠.

(2)- النكت ق ٢/١١٩.

الدين[١] وغيره، وطريقتهم هذه هي المعتمدة وهي أن نفس التصديق تقبل الزيادة والنقصان[٢]، ولا يقال أن التصديق ماهية واحدة"[٣].

قال الإمام النووي[٤] - رحمه الله - :" قال المحققون من أصحابنا المتكلمين نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصا ا، قالوا وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل وصفه في اللغة وما عليه المتكلمون، وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهراً حسناً ، فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم ؛ بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيما م بعارض، بل لا تزال قلو م منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس"[٥].

---

(1)- هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي الشيرازي ،من أبرز تلامذته سعد الدين التفتازاني مات مسجونا قرب إيج سنة٧٥٦هـ .انظر:الطبقات للسبكي١٠/٤٦،الأعلام٣/٢٩٥ .

(2)- قال عضد الدين الإيجي في كتابه"المواقف في علم الكلام"ط عالم الكتب – بيروت ص٣٨٨ :"والحق أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان بوجهين:الأول:القوة والضعف ... الثاني:التصديق التفصيلي في أفراد ماعلم مجيئه به جزء من الإيمان يثاب عليه ثوابه على تصديقه بالإجمال" .

(3)- النكت ق ١/١٢٠.

(4)- هو الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ،محرر المذهب ومهذبه،ومحققه ومرتبه ، ولد سنة٦٣١هـ بنوى ، وطلب العلم في دمشق ، وأصبح من العلماء الكبار ، له من المصنفات:المجموع ، والروضة ، وغيرها من الكتب ، توفي سنة٦٧٦هـ . انظر : الطبقات للسبكي٨/٣٩٥ ، تذكرة الحفاظ٥/٣٥٤ .

(5)- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج١/١٤٨ للإمام النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثانية ١٣٩٢هـ .

المبحث الثالث

الاستثناء في الإيمان

وقد نتج عن الخلاف في **تعريف الإيمان، الخلاف** في **مسألة الاستثناء** في **الإيمان، وهو أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله .**

والناس في **هذه المسألة على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا أصح الأقوال.**

١ - أما من يوجبه فلهم مأخذان:

أحدهما: أن الإيمان هوما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة، أي باعتبار ما يموت عليه، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم[١].

المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما اه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن ذا الاعتبار فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمر به، وترك كل ما ي عنه، فيكون من الأولياء المقربين، وهذا تزكية الانسان لنفسه، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر ، كما سيأتي .

٢- أما من يحرمه، فكل من جعـل الإيمان شيئاً واحداً (كالمرجئة والخوارج) ، فيقول: أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيما م الشكاكة وهذا القول باطل، لأنه مبني على قولهم الباطل في تعريف الإيمان.

٣- وأما من يجوز الاستثناء وتركه فهم أسعد الناس بالدليل من الفريقين وخير الأمور أوسطها فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين اتصفوا بصفات الكمال، فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى[٢].

الاستثناء عند البقاعي:

---

1 - انظر : الفتاوى ٤٣٠/٧ .

(2)- شرح الطحاوية ٤٩٨/٢ ، بتصرف .

قال البقاعي - رحمه الله - :" ولما كان الإيمان عند الشافعي رحمه الله الاعتقاد والإقرار والعمل[(١)]، جوز أن يقال: مؤمن إن شاء الله، لأن استيفاء الأعمال مشكوك فيه، وإن كان الاعتقاد والإقرار يقيناً، وعند أبي حنيفة رحمه الله أن الإيمان الاعتقاد والإقرار فقط فلم يجوز الاستثناء، فالخلاف لفظي، هذا إذا كان الاستثناء للشك، وإن كان لغيره كان لكسر النفس عن التمدح وللشهادة بالجنة التي هي للمؤمن والحكم على حالة الموت على أن هذه الكلمة لا تنافي الجزم، فهي بمجرد التبرك كقوله تعالى:(لَتدخلُن الْمسجِد الْحرام إِن شاء الله آمِنِين)[(٢)]"[(٣)].

وقال أيضاً:" وحاصل المراد من هذا أن من استثنى قال: إنما المؤمن الذي مات على الإيمان فهو أمر لا يعرف إلا بالخاتمة، وكأنه قال إن شاء الله ختم لي بخير، وسواء كان على وجه الشك أو التبرك فهو غير مضر وهكذا القول في الكافر، ومن منع الاستثناء، قال بل المؤمن هو المصدق فإن كان في الحال مصدقاً، قلنا هو مؤمن جازمين بذلك، وقد يطرأ عليه الكفر، وإلا قلنا هو كافر جازمين به وقد يؤمن بعد ذلك"[(٤)].

وهكذا نجد البقاعي يذكر جميع وجوه الاستثناءات، فأما الاستثناء بالموافاة الذي ذكره فهذا لا يعرفه السلف، لأن مبناه على عقيدة الأشاعرة التي تقول أن

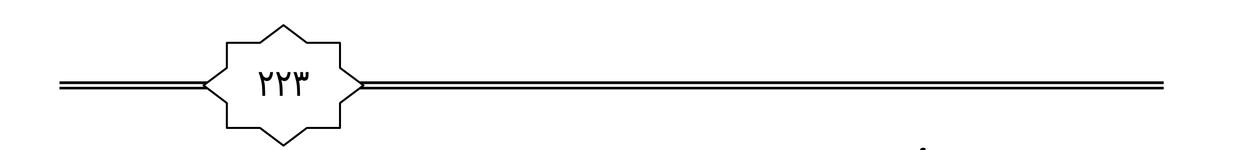
---

(١)- انظر:منهج الشافعي في إثبات العقيدة١٥٨/١ للدكتور محمد العقيل-أضواء السلف- ط الأولى١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢)- الفتح:٢٧ .

(٣)- نظم الدرر ٢٢٢/٨.

(٤)- النكت ق ٢/١٢٤.



المؤمن منذ الأزل يحبه الله ولو كان كافراً حيناً من الدهر، والكافر لا يحبه الله ولو كان مؤمناً حيناً من الدهر، إنما الاعتبار بالموافاة بالإيمان عند الموت[١].

وقد ظن الأشاعرة أن السلف كانوا يستثنون ـذا الاعتبار ،قال شيخ الإسلام - ابن تيمية - :"وهؤلاء ظنوا أن الذين استثنوا في الإيمان من السلف كان هذا مأخذهم، لأن هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف، بل ينصرون ما يظهر من أقوالهم بما تلقوه عن المتكلمين من الجهمية ونحوهم من أهل البدع، فيبقى الظاهر قول السلف، والباطن قول الجهمية الذين هم أفسد الناس مقالة في الإيمان"[٢].

المبحث الرابع

(1)- انظر: شرح الطحاوية ٤٩٥/٢.

(2)- مجموع الفتاوى ١٤٣/٧.

وفيه مطالب :

المطلب الأول: مفهومها وأقسامها .

المطلب الثاني :حكم مرتكـب الكـبيرة ورأي البقاعي فيه .

المطلب الأول

مفهومها وأقسامها

لقد وردت عبارات كثيرة في تعريف الكبيرة عن العلماء، وهي مجموعة بقولهم " كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب"(١).

ولاشك أن المعاصي تنقسم إلى قسمين: كبائر وصغائر، وهو قول جمهور العلماء من السلف والخلف، بدليل قوله تعالى :(إِن تجتِنبواْ كَبآئِر ما تنهونَ عنه

---

(١)- انظر: أحكام الداهرين بالكبائر، ص ٥٢، للشيخ ذياب الغامدي، مكتبة المورد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

نكَفر عنكُم سيئَاتِكُم)[١]،وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم :" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً ، قالوا : بلى يارسول الله ، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين فجلس وكان متكئا فقال : ألا وقول الزور " قال : فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[٢].

وقد نقل ابن القيم - رحمه الله - الإجماع على أن المعاصي كبائر وصغائر،فقال:" وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم، والأئمة على أن الذنوب كبائر وصغائر"[٣].

وقد جرى البقاعي - رحمه الله - على قول جماهير السلف والخلف في تقسيم المعاصي إلى كبائر وصغائر، وكذا قولهم في حد الكبيرة، قال في تفسير قوله تعالى:(إِن تجتَنِبواْ كَبآئِر ما تنهونَ عنه)[٤]، قال:" أي من أكل المال والقتل بالباطل والزنا وغير ذلك مما تقدم، روى البزار - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح - عن عبد الله يعني ابن مسعود أنه سئل عن الكبائر فقال: ما بين أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين[5]، قال الأصبهاني: وكل ذنب عظم الشرع الوعيد

---

(1)- النساء:٣١.

(2)- أخرجه البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، ٩٣٩/٢، رقم٢٥١١ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر ٩١/١، رقم ٨٧ ، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه .

(3)- الجواب الكافي لابن القيم ص ١٣٤.

(4)- النساء:٣١ .

(5)- رواه البزار في مسنده ، ٣٣٧/٤، و الحاكم في المستدرك١٢٧/١ ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد٥٨/٧ وقال:"رواه البزار ورجاله رجال الصحيح".

عليه بالعذاب ، وشدده أوعظم ضرره في الخمس الضرورية حفظ الدين والنفس والنسب والعقل والمال فهو كبيرة، وما عداه صغيرة"[١].

وقال أيضاً :(الذين يجتنبونَ كبائر الإثْم) [٢] ، أي ما عظم الشارع إثمه بعد تحريمه بالوعيد والحد"[٣] .

المطلب الثاني

حكم مرتكب الكبيرة

ورأي البقاعي فيه

صاحب الكبيرة لا يكفر، ويفسق بارتكابها عمداً، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، قال ابن تيمية - رحمه الله - :" إن أئمة المسلمين وأهل المذاهب الأربعة وغيرهم مع جميع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقول الخوارج، فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع

---

(1)- نظم الدرر٥/٢٦١.

(2)- النجم:٣٢.

(3)- نظم الدرر:١٩/٦٧.

السلف: أن الزاني غير المحصن يجلد ولا يقتل والشارب يجلد والقاذف يجلد، والسارق يقطع، ولو كانوا كفاراً لكانوا مرتدين، ووجب قتلهم وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف"[١].

وقد قرر البقاعي - رحمه الله - أن صاحب الكبيرة ليس بكافر بدليل أنه تحت المشيئة إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه.

وكذلك خروج الموحدين العصاة من أصحاب الكبائر من النار وأ م لا يخلدون فيها، خلافاً للمعتزلة والخوارج، فعند قوله تعالى:(إن اللّه لاَ يغفِر أن يشرك ِبِهِ ويغفِر ما دونَ ذَلِك ِلمن يشاء)[٢]، قال:" الأمر الكبير العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة أو كبيرة سواء تاب فاعلها أو لا"[٣]، وقال أيضاً :(وما ِللظاِلِمين ِمن أنصارٍ)[٤]، وهذا على التهديد على الكفر فلا يصح أن يكون على مطلق المعصية، ولو كانت كبيرة، فبطل قول المعتزلة"[٥].

أما خروج أصحاب الكبائر الموحدين من النار، فهذا إجماع السلف الصالح " فأهل السنة والحديث وأئمة الإسلام المتبعون للصحابة لا يقولون بتخليد أحد من أهل القبلة في النار كما تقوله الخوارج والمعتزلة، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، و يخرج منها بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن يشفع له من

---

(1) - انظر: مجموع الفتاوى ٤٧٩/٦ ، ومنهاج السنة النبوية ٥/ ٢٣٩تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط الأولى١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(2)- النساء:٤٧.

(3)- نظم الدرر ٢٩٧/٥.

(4)- آل عمران:١٩٢ .

(5)- نظم الدرر ٢٤٩/٦.

أهل الكبائر من أمته، وهذه أحاديث كثيرة مستفيضة متواترة عند أهل العلم بالحديث"[١].

ومن هذه الأحاديث مارواه البخاري ومسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير"[٢].

قال البقاعي في شأن خروج عصاة الموحدين من نار جهنم:" ونحو هذا من الأحاديث الدالة على سلامة بعض العصاة من النار، روى البخاري ومسلم[٣] وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره، فيقرره بذنوبه، وفي رواية أحمد[٤]: ويستره من الناس ويقرره بذنوبه، فيقول له: أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم، أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: ستر ا عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكفار والمنافقون، فيقول: شهادة هؤلاء الذين كذبوا على ر م ألالعنة الله على الظالمين"، ثم أورد حديث الذي قتل تسعة وتسعين[٥]،

---

(١)- انظر: مجموع الفتاوى ٢٤٢/٧.

(2)- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان،باب زيادة الإيمان ونقصانه ٢٤/١، رقم ٤٤ ، ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة،١٨٠/١، رقم ١٩٣، كلاهما عن أنس رضي الله عنه.

(3)- أخرجه البخاري ، في كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى : (ألا لعنة الله على الظالمين) ، ٨٦٢/٢ رقم٢٣٠٩ ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل ٢١٢٠/٤، رقم ٢٧٦٨ ، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(4)- أخرجه أحمد٧٤/٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما

(5)- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٣ / ١٢٨٠ رقم٣٢٨٣ ،ومسلم في التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٢١١٨/٤،رقم ٢٧٦٦، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله

وحديث أبي ذر وقوله: وإن زنى وإن سرق[١]، ثم قال:" وأمثال هذه الأحاديث كثيرة جداً لمن طالع كتب السنة جعلنا الله من أهلها، وكذا من حصل له فعل موعود عليه، بأن صاحبه لا تمسه النار، إلا تحلة القسم كمن مات له ابنان لم يبلغا الحلم[٢] ومات مؤمناً"[٣].

وقال أيضاً :" وروى الترمذي[٤]- وقال حسن صحيح -، وروى من غير وجه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون، ويطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة"[٥].

عليه وسلم ،قال:" كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ،ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال له هل من توبة ؟ قال: لا . فقتله، فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له " ، وهذا لفظ البخاري .

(1)- أخرجه البخاري ٣ / ١١٧٨ رقم٣٠٥٠ ،عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" قال لي جبريل من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة أو لم يدخل النار ".قال: وإن زنى وإن سرق ؟ قال:" وإن" .

(2)- عن أبي هريرة رضي الله عنه،عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"لايموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم"أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب،٤٢١/١،رقم١١٩٣ ، ومسلم في البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ٢٠٢٨/٤،رقم٢٦٣٢.

(3)- النكت ق ١/٨٠.

(4)- أخرجه الترمذي في صفة جهنم باب ماجاء أن للنار نفسين ، وماذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد رقم ٢٥٩٧ (٤/ ٧١٣) ، عن جابر ، وقال:هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني .

(5)- نظم الدرر ٥٣/١٨.

المبحث الخامس

الكفر والتكفير

المطلب الأول :معنى الكفر .

المطلب الثاني :خطرالتكفير .

المطلب الثالث :موانع التكفير .

المطلب الرابـع:نمـاذج مـن الأقـوال والأعمال الكفرية ورأي البقاعي فيها .

المطلب الأول

معنى الكفر

١- معنى الكفر لغة: أصل الكفر تغطية الشيء، وسمي الفلاح كافراً لتغطيته الحب، وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء، والكفر جحود النعمة وهو نقيض الشكر، وكفره بالتشديد، نسبه إلى الكفر أو قال له كفرت بالله، وأكفره إكفاراً: حكم بكفره[1].

٢- معنى الكفر اصطلاحاً :

قال ابن تيمية:" الكفر: عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أولم يعتقد شيئاً ولم يتكلم"[2]، وقال أيضاً :" الكفر عدم الإيمان بالله

---

(1)- انظر: لسان العرب ١٤٤/٥ والمفردات للراغب الأصبهاني، ص٤٣٣-دار المعرفة-بيروت.

(2)- مجموع الفتاوى ٨٦/٢٠.

ورسله، سواء كان معه تكذيب أولم يكن معه تكذيب بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة"(١).

ويعرفه ابن حزم تعريفا جامعا، فيقول عن الكفر:" وهو في الدين صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معا، أو عمل جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان"(٢)

وقال الشيخ ابن ناصر السعدي(٣) - رحمه الله -:" وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده هو جحد ما جاء به الرسول، أو جحد بعضه. كما أن الإيمان اعتقاده ما جاء به الرسول والتزامه جملة وتفصيلاً، فالإيمان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتاً كاملاً، انتفى الآخر"(٤).

والكفر كفران: كفر تكذيب وجحود، وكفر إباء واستكبار، والمرجئة لا يعترفون إلا بالأول بناء على أصلهم في الإيمان بأنه التصديق، وبالتالي لا يكون الكفر إلا مضاداً له وهو التكذيب.

قال ابن القيم - رحمه الله - :"وقد بين القرآن أن الكفر أقسام:

أحدها: كفر صادر عن جهل وضلال وتقليد الأسلاف ، وهو كفر أكثر الأتباع والعوام.

---

(١)- مجموع الفتاوى ٣٣٥/١٢.

(٢)- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤٩/١،دار الحديث،القاهرة،ط الأولى١٤٠٤هـ .

(٣)- هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ،ولد في عنيزة١٣٠٧هـ،وهو من علماء القصيم الكبار ومن أشهر تلامذته الشيخ محمد بن عثيمين وعبد الله البسام وغيرهم،توفي سنة١٣٧٦هـ.انظر:علماء نجد٤٢٢/٢ .

(٤)- الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص ٢٠٣مكتبة المعارف- الرياض١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الثاني: كفر جحود، وعناد ،وقصد مخالفة الحق ، ككفر من تقدم ذكره، وغالب ما يقع هذا النوع فيمن له رياسة علمية في قومه من الكفار، أو رياسة سلطانية، أو من له مأكل وأموال في قومه، فيخاف هذا على رياسته ،وهذا على ماله ومأكله، فيؤثر الكفر على الإيمان عمدا .

الثالث: كفر إعراض محض، لا ينظر فيما جاء به الرسول ولا يحبه، ولا يبغضه ولا يواليه ، ولا يعاديه، بل هو معرض عن متابعته ومعاداته ، وهذان القسمان أكثر المتكلمين ينكرو هما، ولا يثبتون من الكفر إلا الأول، ويجعلون الثاني والثالث كفرا لدلالاته على الأول ،لا لأنه في ذاته كفر، فليس عندهم الكفر إلا مجرد الجهل، ومن تأمل القرآن والسنة وسير الأنبياء في أممهم ودعو م لهم ، وما جرى لهم معهم جزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه، وعلم أن عامة كفر الأمم عن تيقن وعلم ومعرفة بصدق أنبيائهم"(١).

وما كان عليه المتكلمون، جرى عليه البقاعي - رحمه الله - بناءً على أصله في الإيمان ؛ فليس الكفر عنده إلا كفر القلب، أما كفر العمل فهو دليل على كفر القلب.

قال البقاعي " الكفر هو تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم في شيء مما جاء به، والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به"(٢)،وقال أيضا :"إن الذي شد الزنار(٣)، إنما نحكم بكفره في الظاهر، وقد يكون مصدقاً فينفعه ذلك عند الله،

---

(1)- مفتاح دار السعادة ٩٤/١ ، لابن القيم- دار الكتب العلمية- بيروت.

(2)- النكت الوفية بما في شرح الألفية، ص ١١٠ ، رسالة ما جستير للطالب عبد الرحمن بن عبـد اللطيف الرشيدان، في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ،١٤١٥هـ - ١٤١٦هـ .

(3)- الزنار هو : خيط غليظ بقدر الإصبع من الإبريسم يشد على الوسط،وهوما يميز بـه أهـل الذمة عن المسلمين،فهو علامة على الكفر.انظر: التعريفات،المؤلف : علي بـن محمـد بـن علـي الجرجاني١٥٣/١،الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥، و" أحكام أهـل الذمة" ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، ٤٩٢/١ ، الناشر : رمادى للنشر ، دار ابن حزم ، الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ – ١٩٩٧ ، تحقيق : يوسف أحمد البكري ، شاكر



كما أنا نحكم بإيمان المقر في الظاهر، لأن الإقرار علامة التصديق وقد يكون مكذباً، وهو المنافق، وإن كان قد يجاب عنه بأن ذلك محال[١]، بل لا يوجد ذلك إلا من المكذب ، والفرق بينه وبين المقر ظاهر"[٢].

وقياس المظهر للكفر على المظهر للإيمان، قياس مع الفارق ؛ لأن من أظهر لنا الإيمان لا نحكم بإيمانه في الباطن، بخلاف الذي يظهر الكفر من غير مانع من موانع الكفر فإنه كافر ظاهرا وباطنا.

وقال - مؤكدا أن الكفر قلبي -:"واللفظ فعل اللسان، والتكذيب أمر قلبي، فيكون اللفظ دليلاً على التكذيب الذي هو فعل القلب لا تكذيباً"[٣].

توفيق العاروري .

(1)- أي محال الجمع بين الحكم بكفره بالظاهر،مع الحكم بأنه مؤمن في الباطن.

(2)- النكت ق ٢/١١٥.

(3)- النكت ق ١/١٠٩.

المطلب الثاني

خطر التكفير

التكفير حكم خطير، لا يحكم به إلا العلي الخبير، قال أبو حامد الغزالي :"الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار،ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص"[١]

وقال ابن الوزير[٢]:"إن التكفير سمعي محض لامدخل للعقل فيه، وأن الدليل على الكفر لايكون إلا سمعيا قطعيا، ولانزاع في ذلك"[٣].

وقد أكد البقاعي هذا المعنى فقال :" لأن التكفير أمر عظيم لا يجوز الإقدام عليه إلا بأمر صريح ، أو ظاهر ظهوراً لا يقبل صرفه عنه لوهي الاحتمال الصارف"[٤].

فلذلك لا يجوز تكفير المعين حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة.

---

(1)- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، للغزالي ص١٢٨، ت :محمد أبو العلا ، مكتبة الجندي ، القاهرة .

(2)- هو محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى المعروف بابن الوزير ، إمام كبير ،رمن مجتهدي اليمن ، له عدة مصنفاتر، توفي بصنعاء سنة ٨٤٠هـ .انظر:البدر الطالع٨١/٢ ، والأعلام٣٠٠/٥ .

(3)- العواصم والقواصم لابن الوزير١٧٨/٤ ، ت :شعيب الأرناؤوط ، ط الأولى١٤١٢هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(4)- الأقوال القويمة ٥٢٤/٢.

قال شيخ الإسلام :" وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة"(١).

المطلب الثالث

موانـــع التكفـــــير

قال ابن تيمية :" إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع"(٢).

فكل شرط يقابله مانع ، فالعلم يقابله الجهل،وعدم الإكراه يقابله الإكراه،وعدم التأويل يقابله التأويل.

فلذلك كان لتكفير المعين موانع:

١ - الإكراه:

فلو قال العبد الكفر، أو فعله مكرهاً من غير اعتقاد له، فهذا لا يكون كافراً، لقوله تعالى:(من كَفَرَ بِاللّهِ مِن بعدِ إيمانِهِ إِلا من أُكْرِه وقَلْبه مطْمِئن بِالإِيمان ولَكِن من شرح بِالْكُفْرِ صدرا فَعلَيهم غَضب من اللّهِ ولَهم عذَاب عظِيم)(٣).

---

(1)- **مجموع الفتاوى ٤٦٦/١٢.**

(2)- **مجموع الفتاوى ٤٨٧/١٢.**

(3)- **النحل:١٠٦ .**

ولقد قرر البقاعي - رحمه الله - هذا المانع في تفسيره للآية عندما قال:"(إلا من أكره)، أي وقع إكراهه على قول كلمة الكفر (وقلبه)، أي والحال أن قلبه (مطمئن بالإيمان) فلا شيء عليه"[(١)].

فإذا انشرح صدره بالكفر ، ورضي به كفر،ففي قوله تعالى:(وقَدْ نزلَ عليْكُم فِي الْكِتابِ أنْ إِذَا سمِعتم آياتِ اللّهِ يكَفَر بِها ويستهزأُ بِها فَلاَ تقْعدواْ معهم حتى يخوضواْ فِي حدِيثٍ غَيرِهِ إِنكُم إِذًا مثْلُهم إِن اللّه جامِع الْمنافِقِين والْكَافِرِين فِي جهنم جمِيعا)[(٢)]،قال البقاعي:" أي في الكفر ؛ لأن مجالسة المظهر للإيمان المصرح بالكفران، دالة على أن إظهاره لما أظهر نفاق ، وأنه راض بما يصرح به هذا الكافر، والرضى بالكفر كفر"[(٣)].

٢- الجهل:

والجهل عدم العلم، ويعتبر مانعاً من موانع التكفير، قال ابن تيمية - رحمه الله - :" لكن من الناس من يكون جاهلاً ببعض الأحكام جهلاً يعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالى:(رسلاً مبشرِين ومنذِرِين لِئَلا يكُونَ لِلناسِ علَى اللّهِ حجةٌ بعد الرسلِ وكَانَ اللّه عزِيزا حكِيما)[(٤)]. ولهذا لو أسلم رجل ولم يعلم أن الصلاة واجبة عليه، أو لم يعلم أن الخمر حرام، لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا، وتحريم هذا، بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية"[(٥)].

---

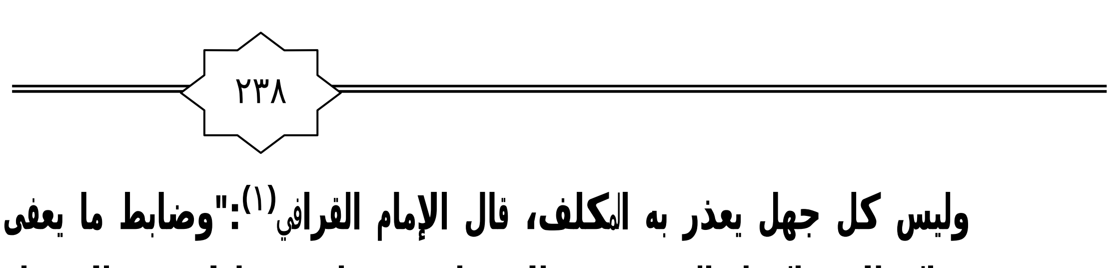
(1)- نظم الدرر ٢٥٨/١١.

(2)- النساء:١٤٠.

(3)- نظم الدرر ٤٣٩/٥.

(4)- النساء:١٦٥.

(5)- مجموع الفتاوى ٤٠٦/١١.



وليس كل جهل يعذر به المكلف، قال الإمام القرافي[1]:"وضابط ما يعفى عنه من الجهالات،الجهل الذي يتعذر الاحتراز عنه عادة، وما لايتعذر الاحتراز عنه ولايشق،لم يعف عنه"[2].

"ومن أهم الأمور التي تجعل الاحتراز من الجهل أمرا شاقا محرجا ما يلي:

١- حداثة العهد بالإسلام.

٢- النشوء ببادية بعيدة لم ينتشر فيها العلم.

٣- البقاء في دار الحرب لأسباب مشروعة.

٤- من نشأ في بيئة غلب عليها البدع."[3]

قال البقاعي - رحمه الله - معلقا على قول التفتازاني -:(أو بحكم الجهل لا يكفر) قال:" هذا إذا كان قريب عهد بالإسلام أو بمخالطة المسلمين، وأما إذا كان مسلماً مخالطاً للمسلمين، فإنما ينفعه جهله في نفس الأمر، وأما في الحكم الظاهر فلا يدرأ عنه ما يجب على العالم به فإن مخالطته للمسلمين مظنة لمعرفته به، فعلق الحكم ا وجعلت كالمئنة[4]، فنحن نكفره ، وجهله ينفعه في نفس الأمر، أي في الباطن، لافي الحكم الظاهر"[5].

٣- التأويل:

ويقصد بالتأويل هنا ما يعرض للشخص من فهم لنصوص الشريعة يكون مخالفاً لما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم وأئمة الدين، وذلك

---

(1)- هو الأصولي الفقيه المالكي أحمدبن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس الصنهاجي القرافي، من أشهر علماء المالكية،من أشهرمصنفاته الفروق،توفي سنة٦٨٤هـ.انظر:الأعلام١/٩٤،١/١٠٠.

(2)- الفروق للقرافي٢/١٥٠.

(3)- الجهل بمسائل الاعتقادص٢٨٨-٢٩٢،بتصرف.

(4)- المئنة:العلامة.انظر:لسان العرب١/٤٩٤ .

(5)- النكت ق ١/١٧٣.

لورود شبهة معينة على ذهن الشخص تصرفه عن الحق، فيقع في المخالفة من حيث يقصد - إن كان صادقاً - الموافقة للشريعة، وهذا التأويل من النوع المذموم، الذي ذمه السلف[١].

فالتأول المانع من التكفير، هو أن يتلبس صاحبه بالكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية،دون تعمد للمخالفة،بل قد يعتقد أنه على حق.

قال ابن حزم:"ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ ، فإن كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور أجرا واحدا، لطلبه الحق، وقصده إليه، مغفور له خطؤه؛ إذ لم يتعمده ،لقول الله تعالى:(ولَيس علَيكُم جناح ِفيما أخطَأتم ِبِهِ ولَكِن ما تعمدت قُلُوبكُم)[٢]،وإن كان مصيبا فله أجران ، أجر لإصابته وأجر آخر لطلبه إياه، وإن كان قد قامت الحجة عليه، وتبين له الحق فعنِد عن الحق، غير معارض له تعالى، ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم، فهو فاسق لجراءته على الله تعالى بإصراره على الأمر الحرام، فإن عند عن الحق معارضا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ، لا فرق في هذه الأحكام بين الخطأ في الاعتقاد في أي شيء كان من الشريعة، وبين الخطأ في الفتيا في أي شيء كان "[٣]

وعند قوله تعالى:(من كَفَر ِباللَّهِ ِمن بعدِ إيمانِهِ ِإلا من أُكْرِه وقَلْبه مطْمِئن ِبالإِيمانِ ولَكِن من شرح ِبالْكُفْرِ صدرا فَعلَيهِم غَضب من اللَّهِ ولَهم عذَاب عظِيم)[٤] .

---

(١)- انظر: الجهل بمسائل الاعتقاد ، ص ٣٢٨، تأليف عبد الرزاق معاش ، دار الـوطن ، الطبعـة الأولى ١٤١٧هـ .

(٢)- الأحزاب:٥ .

(٣)- الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم ، ١٤٤/٣مكتبة الخانجي ، القاهرة .

(٤)- النحل:١٠٦.

قال ابن الوزير:" فقوله في هذه الآية الكريمة:(ولَكِن من شرح ِبالْكُفْر صدرا)[(١)]،يؤيد أن المتأولين غير كفار، لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعا، أو ظنا ،أو تجويزا، أو احتمالا"[(٢)]

وليس كل تأول يقبل،ويعذر صاحبه، يقول قوام السنة إسماعيل الأصفهاني[٣] : " المتأول إذا أخطأ وكان من أهل عقد الإيمان، نظر في تأويله، فإن كان قد تعلق بأمر يفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله أو سنة يقطع ا العذر، أو إجماع فإنه يكفر ولا يعذر؛ لأن الشبهة التي يتعلق ا من هذا ضعيفة لا تقوى قوة يعذر ا؛ لأن ما شهد له أصل من هذه الأصول، فإنه في غاية الوضوح والبيان، فلما كان صاحب هذه المقالة لا يصعب عليه درك الحق، ولا يغمض عنده بعض موضع الحجة لم يعذر في الذهاب عن الحق، بل عمل خلافه في ذلك على أنه عناد وإصرار، ومن تعمد خلاف أصل من هذه الأصول، وكان جاهلاً لم يقصد إليه من طريق العناد فإنه لا يكفر؛ لأنه لم يقصد اختيار الكفر، ولا رضي به، وقد بلغ جهده،فلم يقع له غير ذلك، وقد أعلم الله سبحانه أنه لا يؤاخذ إلا بعد البيان، ولا يعاقب إلا بعد الإنذار. فقال تعالى:(وما كَانَ اللّه ِليضِل قَوما بعد ِإذْ هداهم حتى يبين لَهم ما يتقُونَ ِإن اللّه ِبكُل شيءٍ علِيم)[(٤)] . فكل من هداه الله عز وجل، ودخل في عقد الإسلام، فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان"[(٥)]

---

(1)- النحل:١٠٦

(2)- إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ، ص٣٩٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

3 - هو اسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني ...

(4)- التوبة:١١٥.

(5)- الحجة في بيان المحجة٢/٥١٠-٥١١ .



وقد تكلم البقاعي عن تكفير المبتدعة،ناقلا عن شيخه ابن حجر قائلاً:" قال شيخنا: (من المعلوم أن كل فرقة ترد قول مخالفها، وربما كفرته، فينبغي التحرير في ذلك .

والذي يظهر أن الذي يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله، وكذا من كان لازم قوله، وعرض عليه فالتزمه، أما من لم يلتزمه، وناضل عنه فإنه لا يكون كافراً، ولو كان اللازم كفراً) انتهى[١] .

وهو قول حسن لكن لا بد أن يعرف الأمر الذي يكفر من يعتقده، ويعرف ما هو الصريح من ذلك، وحينئذ يعرف الكافر من غيره، فكل من جحد مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة كفر، سواء كان فيه نص أولا .

ومعنى العلم بالضرورة أن يكون ذلك المعلوم من أمور الإسلام الظاهرة، التي يشترك في معرفتها الخواص والعوام، كالصلاة والزكاة والحج وتحريم الخمر والزنا، هذا حاصل ما قال شيخ الإسلام النووي في "الروضة" في بابي الردة[٢] وتارك الصلاة[٣]، وعللوه بأنه لم يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما علم بالضرورة أنه من دينه فتصديقه في ذلك داخل في حقيقة الايمان"[٤] .

---

(1)- انظر: نزهة النظر لابن حجر ص ٥٠.

(2)- الروضة ٢٨٤/٧ ، للإمام النووي ، دار عالم الكتب ، السعودية ، ط خاصة١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .

(3)- الروضة٦٦٧/١.

(4)- النكت الوفية في شرح الألفية ص ١٠٨.

المطلب الرابع
نماذج من الأقوال والأعمال الكفرية
التي تحدث البقاعي عنها

أولا- ترك الصلاة:

الصلاة أمرها عظيم في الإسلام، تأتي في المرتبة الثانية بعد شهادة التوحيد،قال الإمام محمد بن نصر المروزي(١):"ومما دل الله تعالى به على تعظيم قدر الصلاة ومباينتها لسائر الأعمال، إيجابه إياها على أنبيائه ورسله، وإخباره عن تعظيمهم إياها، فمن ذلك أنه جل وعز قرب موسى نجيا، وكلمه تكليما ، فكان أول ما افترض عليه بعد افتراضه عليه عبادته إقام الصلاة، ولم ينص له فريضة غيرها، فقال تبارك وتعالى - مخاطبا لموسى بكلماته ليس بينه وبينه ترجمان - :(فَاستمِع ِلما يوحى* ِإنِني أنا الله لَا ِإلَه ِإلا أنا فَاعبدِني وأَقِمِ الصلَاةَ

---

(١)- محمد بن نصر الحجاج المروزي ، أبو عبد الله الحافظ ،قال الخطيب:صاحب التصانيف الكثيرة والكتب الجمة ،وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام،من كتبه:"تعظيم قدر الصلاة"و"اختلاف العلماء" وغيرها توفي سنة٢٩٤ هـ .انظر:تاريخ بغداد ٣١٥/٣،السير ٣٣/١٤.

لِذِكْرِي)[١] ، فدل ذلك على عظم قدر الصلاة وفضلها على سائر الأعمال، إذ لم يبدأ مناجيه وكليمه بفريضة أول منها"[٢] .

وقد اختلف أهل السنة فيمن تركها ، هل هو كافر أم لا؟على أقوال:

أ- من ترك الصلاة جاحداً لوجو ا فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذا إن جحد وجو ا ولم يترك فعلها[٣] .

ب - من تركها اوناً وكسلاً غير جاحدٍ لوجو ا .

ففي ذلك قولان لأهل العلم :

القول الأول: أنه كافر مرتد، ويقتل بالردة ، وهو قول جمهور السلف من أهل الحديث[٤].

القول الثاني: أنه لا يكفر .

واختلف هل يقتل أم لا على قولين:

١- يقتل حداً مع الحكم بإسلامه ، كالزاني المحصن ، وهذا قول أكثر الفقهاء كمالك والشافعي ورواية عن أحمد.

٢- أنه يحبس ويعزر وهو قول الزهري وأبي حنيفة[٥] .

أما البقاعي - رحمه الله - فلم نظفر له إلا بقول واحد في هذه المسألة،وذلك في تعليقه على حديث:" ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبده

---

(1)- طه:١٣-١٤.

(2)- تعظيم قدر الصلاة٩٦/١ ، مكتبة الدار، بالمدينة المنورة-ط الأولى١٤٠٦هـ.

(3)- انظر: المجموع شرح المهذب، للنووي، ١٦/٣،المطبوع مع العزيز والتلخيص الحبير، دار الفكر،والمغني لابن قدامة ٣٥١/٣ ، تحقيق عبد الله التركي ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط الثانية١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، وفتاوى شيخ الإسلام ٩٦/٢٠.

(4)- تعظيم قدر الصلاة للمروزي٩٣٦/٢ .

(5)- انظر: المغني لابن قدامة٣٥٢/٣، المجموع١٦/٣.

المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم"(١)، قال:" فقوله (المصلون) إشارة إلى أن الماحي للشرك هو الصلاة، فما دامت قائمة فهو زائل، ومتى زالت والعياذ بالله رجع . وإلى ذلك يشير ما رواه مسلم في صحيحه(٢) وأصحاب السنن الأربعة(٣) عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "بين العبد والكفر ترك الصلاة"(٤).

فهذا الكلام من البقاعي - رحمه الله - فيه دلالة على تكفير تارك الصلاة مطلقاً من غير تفصيل، مع أن هذا لايتوافق مع تعريفه للإيمان، وأنه من الشافعية الذين لا يكفرون تارك الصلاة إلا جحوداً، ولكن إذا علمنا أن البقاعي يدور مع الأدلة تبين لنا أنه قد يخالف الإمام الشافعي رحمه الله، في هذه المسألة وغيرها ، والله أعلم.

ثانيا - الحكم بغير ما أنزل الله:

فرض الله تعالى الحكم بشريعته وأوجب ذلك على عباده، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب، فقال سبحانه: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ) (5).

---

(1)- أخرجه مسلم في صفات المنافقين، باب:تحريش الشيطان، ٨١/١، رقم ٦٥ ، عن جابر رضي الله عنه.

(2)- اخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب:بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ٨٨/١ رقم ٨٢ عن جابر رضي الله عنه .

(3)- أخرجه أبو داود في كتاب السنة، رقم ٤٦٧٨ ، ٤ / ٢١٩ ، والترمذي في الإيمان ، رقم ٢٦١٩ ، ١٣/٥ ، وقال : "حسن صحيح " ، والنسائي في كتاب الصلاة ، رقم ٤٦٤ ، ٢٣٢/١ ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، رقم ١٠٧٨ ، ٣٤٢/١ ، وصححه الألباني وأخرجه في المسند المستخرج على صحيح مسلم عن جابر وقال :"إسناده رواه مسلم " ١٦٠/١.

(4)- نظم الدرر ٣١/٦.

(5)- البقرة:٢١٣.

وقد حذر الله عز وجل من ترك الحكم بما أنزله في كتبه، فجعل التارك، تارة كافرا،قال تعالى:(إِنا أنزلْنا التوراةَ فِيها هدى ونور يحكُم بِها النبِيونَ الذِين أسلَمواْ لِلذِين هادواْ والربانِيونَ والأَحبار بِما استحفِظُواْ مِن كِتابِ اللّهِ وكَانواْ علَيهِ شهداء فَلاَ تخشواْ الناس واخشون ولاَ تشترواْ بِآياتِي ثَمنا قَلِيلاً ومن لم يحكُم بِما أنزلَ اللّه فَأُولَئِك هم الْكَافِرونَ)[1]، وتارة ظالما،قال تعالى:(وكَتبنا علَيهِم فِيها أَن النفْس بِالنفْسِ والْعين بِالْعينِ والأَنف بِالأَنفِ والأُذُنَ بِالأُذُنِ والسن بِالسن والْجروح قِصاص فَمن تصدق بِهِ فَهو كَفَّارةٌ له ومن لم يحكُم بِما أنزلَ اللّه فَأُولَئِك هم الظَّالِمونَ)[2]، وتارة فاسقا ، قال تعالى:(ولْيحكُم أَهلُ الإِنجِيلِ بِما أَنزلَ اللّه فِيهِ ومن لم يحكُم بِما أَنزلَ اللّه فَأُولَئِك هم الْفَاسِقُونَ)[3].

والحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً أكبر أو كفراً أصغر ، قال ابن القيم - رحمه الله - :" والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم ؛ فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ له حكم المخطئين"[4].

وقال شيخ الإسلام :" ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً عن غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر"[5].

---

(1)- المائدة:٤٤.

(2)- المائدة:٤٥.

(3)- المائدة:٤٧.

(4)- مدارج السالكين ٣٣٦/١.

(5)- منهاج السنة ١٣٢.

صور الكفر الأكبر في الحكم بغير ما أنزل الله:

١- تشريع غير ما أنزل الله:

التشريع حق لله عز وجل ، لا يشركه فيه أحد،فالحلال ماحلله الله ،والحرام ما حرمه الله ، قال تعالى:(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن بِهِ الله)[(١)] ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:" أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة"[(٢)].

وقال ابن تيمية - رحمه الله - :" والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً بالاتفاق"[(٣)].

٢- جحود الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم : فجحود حكم الله تعالى هو اعتراض على شرع الله ،وتكذيب لنصوص الوحيين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:"من جحد ما أنزل الله فقد كفر"[(٤)].

قال الشنقيطي[(١)] في أضواء البيان :"من لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل، وإبطالاً لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج عن الملة"[(٢)].

---

(1)- الشورى:٢١ .

(2)- تفسير ابن كثير ١١٣/٤.

(3)- مجموع الفتاوى ٢٦٧/٣.

(٢)- أخرجه ابن جرير في تفسيره١٥٩/٦ .

٣- أن يفضل حكم الطاغوت على حكم الله تعالى، سواء كان التفضيل مطلقاً أو مقيداً في بعض المسائل .

قال تعالى:(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[٣] ، قال ابن كثير:" ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان ، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى : من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونه على الحكم بكتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير"[٤].

وقال محمد بن إبراهيم[5]:" من اعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لما يحتاج الناس من الحكم بينهم عند

---

(1)- هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،ولد عام١٣٢٥هـ بشنقيط ، واجتهد في طلب العلم ، وكان آية في التفسير والأصول ، وكان له جهود في الدعوة ونشر العلم ، وكان زاهدا ورعا تقيا ، له مؤلفات كثيرة توفي بمكة المكرمة سنة١٣٩٣ هـ .انظر:ترجمته في آخر الجزء التاسع من أضواء البيان للشيخ عطية سالم .

(2)- أضواء البيان ٢/ ١٠٤، لمحمد الأمين الشنقيطي،طبع الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م .

(3)- المائدة: ٥٠ .

(4)- تفسير ابن كثير٢/٩٠ .

(5)- هو العلامة محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد

التنازع، إما مطلقاً، أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، فلا ريب أنه كفر، لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف نحاتة الأفكار على حكم الحكيم الحميد"[١].

٤- من ساوى بين حكم الله تعالى وحكم الطاغوت، واعتقد التماثل بينهما : فهذا كفر ناقل عن الملة ؛ لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة، لقوله تعالى : (تاللهِ إن كُنا لَفِي ضلالٍ مبينٍ * إذْ نسويكُم بِرب العالَمين)[٢].

قال ابن القيم في هذه الآية:"ومعلوم أ م ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة، وإنما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الجهل والظلم ، فكيف يسوى من خلق من التراب برب الأرباب؟ وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب؟ وكيف يسوى الفقير بالذات، الضعيف بالذات، العاجز بالذات، المحتاج بالذات، الذي ليس له من ذاته إلا العدم، بالغني بالذات، القادر بالذات ، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته؟ فأي ظلم أقبح من هذا ، وأي حكم أشد جورا منه؟"[٣].

الوهاب ، مفتي الديار السعودية ، اشتغل بالتدريس والفتيا ورئاسة القضاء والإشراف على تعليم البنات ، وله رسائل وفتاوى ، توفي سنة١٣٨٩هـ .انظر:علماء نجد ٨٨/١ .

(1)- رسالة تحكيم القوانين ، لمحمد بن إبراهيم ، ص٣٣ ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ط الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

(2)- الشعراء:٩٧-٩٨.

(3)- الجواب الكافي لابن القيم ص٩٢،دار الكتب العلمية،بيروت .

وقال ابن تيمية:" فمن طلب أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون ، و من طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبو م كحب الله، و الله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه، و لا يكون الدين إلا له "[١] .

٥- أن يجوز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، أو يعتقد أن الحكم بما أنزل الله تعالى غير واجب، وأنه مخير فيه : فهذا كفر مناقض للإيمان، قال ابن تيمية :" ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله، وهويعلم ذلك، فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم الياسق[٢]على حكم الله ورسوله"[٣].

وقال ابن القيم :" إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر"[٤].

وما دون هذه الحالات فهو كفر أصغر، قال ابن القيم:" إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر"[٥].

رأي البقاعي:

---

(1)- مجموع الفتاوى٢٢٠/٨ .

(2)- انظر تعريف الإمام ابن كثير للياسق في الصفحة السابقة .

(3)- مجموع الفتاوى ٤٠٧/٣٥.

(4)- مدارج السالكين ٣٣٧/١.

(5)- مدارج السالكين ٣٣٦/١.

لم يخالف البقاعي في هذا الأصل ، فأكد هذه المعاني التي جاء ا العلماء في القديم والحديث ، وذلك أن الحكم بغير ما أنزل قد يكون كفراً أكبر، و إلا كان أصغر.

ففي قوله تعالى:(فَأولِئك هم الْفَاسِقُونَ)[١]، قال:" أي المختصون بكمال الفسق، فإن كان تديناً كان كفراً، وإن كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية ؛ لأن الحظوظ والشهوات تحمل على الخروج عن دائرة الشرع مرة بعد أخرى، فمن ترك الحكم تكذيباً فقد جمع الدركات الثلاث"[٢]، أي الكفر والظلم والفسق.

وعند قوله تعالى:(فَأولِئك هم الظالِمونَ)[٣] ، قال:"أي الذين تركوا العدل فضلوا فصاروا كمن يمشي في الظلام ، فإن كان تديناً بالترك كان اية الظلم وهو الكفر، وإلا كان عصياناً"[٤].

وهو بذلك موافق لأهل السنة ، قال القرطبي[5]:" إن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين"[٦]

---

(1)- المائدة:٤٧.

(2)- نظم الدرر ١٧٤/٦.

(3)- آل عمران:٩٤.

(4)- نظم الدرر ١٤٦/٦.

(5)- هو محمدبن أحمد بن أبي بكر المالكي أبو عبد الله القرطبي ، مصنف التفسير المشهور ، الـذي سارت به الركبان ، كان من العباد الصالحين ومن العلماء العارفين ، قال الذهبي:"إمام متفنن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة ، توفي سنة ٦٧٢هـ . انظر: تـاريخ الإسـلام ٧٥/٥٠ ، والـوافي بالوفيات ١٢٢/٢، وطبقات المفسرين للحافظ الدوادي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

(6)- تفسير القرطبي ١٩١/٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م .

ثالثا - السحر:

السحر في **لغة العرب: هو كل مالطف مأخذه ورق، وأصل السحر: حرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، وسحره بمعنى خدعه، وسحره بكلامه:استماله برقته وحسن تركيبه**(١).

أما تعريفه اصطلاحاً: فإن **السحر ليس نوعاً واحداً ، يمكن حده بحد يميزه عن غيره، وقد أشار الشافعي** رحمه الله إلى **ذلك بقوله:" والسحر اسم جامع لمعان مختلفة"**(٢) .

وقال الشنقيطي:" اعلم أن السحر في **الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء** في **حده اختلافاً متبايناً**(٣)".

ويجب أن يعلم أن السحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع(٤).

تعلم السحر:

قال البقاعي - رحمه الله - :" قال الأصفهاني: اختلفوا في **تعلمه على ثلاثة أوجه: أحدها أنه محرم، والثاني: أنه مكروه، الثالث: أنه مباح، والحق أنه إن كان تعلمه للعمل فهو حرام، وإن كان لتوقيه وعدم الاغترار به فهو مباح"**(٥).

وهذا مبني على أن السحر ينقسم إلى قسمين: قسم ليس فيه كفر مباح تعلمه للوقاية منه، وقسم هو كفر لا يباح تعلمه أبداً، قال الشافعي - رحمه الله

---

(١)- انظر اللسان ٣٤٨/٤ ، مختار الصحاح ٢٨٨.

(٢)- الأم ٣٩١/١.

(٣)- أضواء البيان ٤٤٤/٤.

(٤)- انظر مجموع الفتاوى ١٧١/٣٥، حاشية ابن عابدين ٢٤٠/٤.

(٥)- نظم الدرر ٧٦/٢.

- :" إذا تعلم السحر قلنا له صف سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر بمثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأ ا تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر"(١).

والقسم الذي فيه كفر، يكون العمل به كفرا، قال البقاعي - رحمه الله - :" والعمل به كفر، لأنه لايؤثر إلا مع الكفر خاصية له، فصار الكفر شرطاً في تأثيره، ولهذا قال تعالى حكاية عنهم:(ِإنما نحن ِفتنةٌ فَلاَ تكْفُر)(٢)(٣).

وهذا موافق لما جاء عن كثير من الأئمة ولا سيما الشافعية، قال النووي - رحمه الله - :" قد يكون السحر كفراً، وقد لا يكون كفراً بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن مايقتضي الكفر كفر وإلا فلا، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر واستتيب"(٤).

حقيقة السحر:

قال ابن أبي العز" وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه ، والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل"(٥).

قال البقاعي - رحمه الله - :" فإن السحر يؤثر بإذن الله تعالى بالمرض ويصل إلى أن يقتل"(٦).

---

(1)- الأم ٢٣٦/١.

(2)- البقرة:١٠٢.

(3)- النكت ق ١/١٣٠.

(4)- شرح صحيح مسلم ١٧٦/١٤.

(5)- شرح الطحاوية ٧٦٤/٢.

(6)- نظم الدرر ٤١٢/٢٢.

رابعا- التنجيم :

التنجيم هو أحد أقسام الكهانة ، ولذا يسمي بعضهم المنجم كاهناً[(١)]، والكاهن: هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن[(٢)].

وأما تعريف التنجيم: فهو مأخوذ من النجم، والمراد به: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بمعنى أن المنجم يربط ما يقع في الأرض بالنجوم بحركاتها وطلوعها وغروبها واقترانها وتفرقها[(٣)].

قال البقاعي - رحمه الله -:" والمنجم إذا ادعى العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن في أن كلا منهما كاذب في إخباره ، باعتبار ادعائه العلم .

فهو إذا قال غداً يقدم زيد المسافر، كأنه يقول: أنا أعلم ذلك، فهو كاذب في هذه الدعوى ،ولا يضرنا قدوم زيد في الوقت الذي أخبر به .

فإن ادعى المنجم ظن مثل ذلك، لا علمه بأمارات دلته على ذلك، لم يكفر مع ارتكاب لمحرم، فيعلم أن ذلك حرام ، وأن هذه الأمارات وإن كانت قد تدل في نفسها، فقد نسخ من شرعنا جواز الاستدلال بها وكونها أمارات، فإن ادعى ذلك بعد إعلامه شدد في نكاله فإن ادعى العلم بذلك ، لا سيما إن انضم إليه أن يعتقد أن نفس النجم هو المؤثر لذلك الأثر والمدبر للعالم أو بعضه فهو أشد في عناده وكفره"[(٤)].

---

(١)- انظر: مجموع الفتاوى ١٧٢/٣٥.

(٢)- النهاية لابن الأثير ٢١٤/٤، فتح الباري ٢١٦/١٠.

(٣)- الفتاوى ١٩٢/٣٥.

(٤)- النكت ق ١/١٧٤.

وقال أيضا - رحمه الله -:" وروى أبو داود وابن ماجه[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد"[٢].

قال ابن تيمية :" فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالى:(ولَا يفْلِح الساحِر حيثُ أتى)[٣]، وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون، لا في الدنيا ولا في الآخرة"[٤].

خامسا- الكهانة :

قال القاضي عياض[٥]:" كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم باطل من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنه يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه ، مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده.

الثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب .

---

(١)- رواه أبو داود في كتاب الطب، باب في النجوم، رقم٣٩٠٥،وابن ماجه في كتاب الأدب، باب تعلم النجوم، رقم٣٧٢٦وأحمد ٢٢٧/١ ، وصححه النووي في رياض الصالحين ١٦٧١ ، ٣٠٧/١ ، والعراقي في تخريج أحاديث الاحياء ١١٧/٤.

(٢)- النكت ق ٢/١٧٣.

(٣)- طه:٦٩.

(٤)- مجموع الفتاوى ١٩٣/٣٥.

(٥)- هو الإمام العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المالكي ، ولد في سنة٤٧٦هـ ، له كتاب الإكمال في شرح صحيح مسلم، والشفاء،توفي سنة٥٠٤هـ . انظر:السير٢١٢/٢٠ البداية والنهاية٢٢٥/١٢ .

ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته لها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذ م الشرع و ى عن تصديقهم، وإتيا م والله أعلم"[١].

وقال البقاعي - في تعريف الكاهن -:" وهو المنجم الذي يخبر عن أشياء يوهمها لرئي يخبره بذلك، وأغلبها ليس لها صحة، وعبارته عن ذلك بالسجع المتكلف المقصود كونه سجعاً الذي يكون المعنى فيه تابعا للفظ للتحلية بمشاكلة المقاطع" .

ثم قال :" فإن الكاهن من ينصب نفسه للدلالة على الضوائع، والإخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيراً، ويأخذ الجُعل[٢] على ذلك، ويقتصر على من يسأله"[٣] .

وقال أيضا- معلقاً على قول صاحب العقائد (وتصديق الكاهن)- قال :" أي من حيث كهانته وكذا المنجم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كذ م وأبطل الكهانة والتنجيم، حتى تواتر هذا المعنى، وعلم من الدين بالضرورة فمن صدقهم فقد اعتقد خلاف ما شرعه له رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤] .

ثم قال :" حديث من أتى كاهناً ...) رواه أصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، باللفظ الذي ذكره المصنف[٥] .

---

(1)- شرح صحيح مسلم ٢٢٣/١٤.

(2)- قال في "مختار الصحاح" ص ١١٩: و الجُعلُ بالضم ما جعل للإنسان من شيء على فعل .

(3)- نظم الدرر ٣٧٧/٢٠.

(4)- النكت ق ٢/١٧٣.

(5)- وهو بلفظ:" من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم" وهو جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الكاهن ، رقم٣٩٠٤، ١٥/٤ ، والترمذي في أبواب الطهارة ، رقم ١٣٥، ٢٤٣/١ ، وابن ماجه في كتاب الطهارة، باب

وفي لفظ : (من أتى كاهنـاً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة) رواه أحمد بن منيع[١] عن ابن مسعود رضي الله عنه[٢] .

وروى مسلم في صحيحه ، عن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عرافاً فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) [٣] .

وروى أبو داود والنسائي عن قبيصة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العيافة والطرق والطيرة من الجبت) [٤] الطرق ضرب الكاهن بالحصى)"[٥].

النهي عن إتيان الحائض، رقم٦٣٩ ، ٢٠٩/١ ، وأحمد، رقم ٩٢٧٩ ، ٤٠٨/٢ ، جميعهم عـن أبي هريرة ، وصححه الألباني.

(1)- أحمد بن منيع بن عبد الرحمن أبو جعفر البغوي ، الأصم ، ثقة حافظ ، من العاشرة ، مـات سنة أربع وأربعين وله أربع وثمانون ، روى له الجماعة .انظر:تقريب التهذيب ص ٨٥ .

(2)- لم أقف عليه من هذا الطريق الذي ذكره ، وقد أخرجه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنـه : الطبراني في الكبير برقم ١٦٩ ، ٦٩/٢٢ ، وذكره في مجمع الزوائد وقال : " رواه الطبراني ... وفيه سليمان بن أحمد الواسطي وهو متروك " ١١٨/٥ ، و أخرجه الطيالسي٢٨٢ ، والطبراني في المعجم الكبير، رقم١٠٠٠٥ ، كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.وضعفه الألباني في ضـعيف الترغيـب والترهيب ١٤٧/٢ رقم١٧٩٣ .

(3)- مسلم في كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ١٧٥١/٤، رقم٢٢٣٠ ، ولفظه : " مـن أتـى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " ، وليس عنده لفظة " فصدقه " وهي عند أحمـد ٣٨٠/٥ برقم ٢٣٢٧٠ ، وفي كتاب الجمع بين الصحيحين لمحمد بن فتوح الحميـدي ت ٤٨٨ ،(٣١٩/٤) برقم ٣٥٧٢ عن حفصة رضي الله عنها .

(4)- أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، ١٦/٤ رقم ٣٩٠٧، والنسائي في الكبرى ٣٢٤/٦ رقم١١١٠٨ ،وضعفه الألباني، وقال شـعيب الأرنـاؤوط في تعليقـه علـى المسند:إسناده ضعيف.

(5)- النكت ق ٢/١٧٣.

والمقصود بالعيافة:زجر الطير والحيوان،والاستدلال بأصوا ا وحركا ا وسائر أحوالها على الحوادث، واستعلام ما غاب عنهم[(١)].

وأما الطرق فهو الخط في الأرض، وقال بعضهم: الضرب بالحصى ويسمى علم الرمل حيث يستدلون بأشكال الرمل على أحوال المسألة حين السؤال[(٢)].

والطيرة: التشاؤم ، وأصله أن العرب في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع[(٣)].

والجبت هو السحر، قال الله تعالى:(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)[(٤)]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" الجبت السحر، والطاغوت الشيطان"[(٥)].

ووجه كون العيافة والطرق والطيرة سحراً، لما فيها من دعوى علم الغيب، ومنازعة الله تعالى في ربوبيته ؛ فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى ا دون من سواه، إضافة إلى أن بعضهم يعتقد أن تلك الأشياء تنفع أو تضر بغير إذن الله تعالى[(٦)].

---

(1)- القاموس المحيط ٣٥٧/٣ ، شرح السنة للبغوي ١٧٧/١٢ ، تحقيـق شـعيب الأرنـاؤوط ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(2)- القاموس ٧١/٣ ، شرح السنة ١٧٧/١٢.

(3)- القاموس ٣/ ١١٦ ، فتح الباري ٢١٢/١٠.

(4)- النساء:٥١ .

(5)- أخرجه البخاري تعليقاً١٦٧٣/٤ ، وابن جرير موصولاً١٣٣/٤ ، وقال الحافظ ابن حجـر: إسناده قوي ، انظر : الفتح ٢٥٢/٨.

(6)- انظر: نواقض الايمان القولية والعملية، للدكتور عبد العزيز العبـد اللطيـف،ص٥٢٣، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ـ.

الفصل الثالث

الإيمان بالملائكة

وفيه مباحث :

المبحث الأول : معنى الإيمـان بالملائكـة وأهميته .

المبحث الثاني : الإيمان بالملائكـة عنـد البقاعي .

المبحث الثالث : المفاضلة بـين الملائكـة وصالحي البشر .

المبحث الأول

معنى الإيمان بالملائكة وأهميته

عرف السعدي - رحمه الله - الإيمان بالملائكة عند أهل السنة فقال:" هو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة مخلوقين من نور، وهم كما وصفهم الله عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الله الليل

والنهار لا يفترون، فيجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً، فيجب الإيمان بوجودهم وصفاتهم وأعمالهم وأسمائهم التي ذكرت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولا تكاد تجد أحداً ينكر وجود الملائكة إلا الزنادقة المنكرين لوجود ربهم ، ومن تستر بالإسلام منهم ، فإنه ينكر الملائكة حقيقة، ويفسر الملائكة تفسيراً وتحريفاً خبيثاً،فيزعم أن الملائكة هي القوى الخيرية، والصفات الحسنة، الموجودة في الإنسان، وأن الشياطين هي القوى الشريرة فيه"[١].

وقال محمد رشيد رضا[٢] - رحمه الله - في بيان أهمية الإيمان بالملائكة:"إن الإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر ذكر الكتاب والنبيين،قال تعالى:(ولَكِن الْبِر من آمن بِاللّهِ والْيومِ الآخِرِ والْملآئِكَةِ والْكِتابِ والنبِيين)[٣]، فالملائكة هم الذين يؤتون النبيين الكتاب، قال تعالى:(تنزلُ الْملَائِكَةُ والروح فِيها بِإِذْنِ ربهِم من كُلِّ أمرٍ)[٤]،وقال سبحانه:(نزلَ بِهِ الروح الْأَمِين * علَى قَلْبِك لِتكُونَ مِن الْمنذِرِين)[٥] ، فيلزم من

---

(1)- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن ناصر السعدي، ص ٣٧ الطبعـة الثانيـة ١٤٠٩هـ ، وانظر : شرح العقيدة الواسطية ٦٤/١.

(2)- محمد رشيد بن علي بن رضا البغدادي الأصل ، صاحب"مجلة المنار" من العلمـاء بالحـديث والأدب والتاريخ والتفسير،رحل إلى مصر فـلازم الـشيخ محمـد عبـده وتتلمـذ عليـه ، مـن مصنفاته:"تفسير القرآن الكريم"و"شبهات النصارى وحجج الإسلام"،تـوفي سـنة ١٣٥٤هـ . انظر:الأعلام١٢٦/٦ .

(3)- البقرة:١٧٧ .

(4)- القدر:٤ .

(5)- الشعراء:١٩٣-١٩٤ .

إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة وإنكار الأرواح، وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر"[١].

المبحث الثاني

الإيمان بالملائكة عند البقاعي

قرر البقاعي هذا الركن من الإيمان على وفق ما جاء في الكتاب والسنة، قال:"فيقال آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتعليقه بكل منها باعتبار مخالف للآخر،فآمنت بالله أي : بأنه واحد متصف بأوصاف الكمال م ه عن شوائب النقص، وآمنت بالرسول ، أي : بأنه مبعوث من الله صادق فيما جاء

(1)- تفسير المنار،لمحمد رشيد رضا ١١٣/٢،ط الثانية،دار المعرفة،بيروت .

به،وبالملائكة بأ م عباد مكرمون معصومون لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة،إلى غير ذلك من تفاصيل المتعلقات"[١].

وقال أيضا:"والملائكة يجب الإيمان م وبأ م عباد الله، وبأ م أجسام لا جواهر مفردة - كما قالته الفلاسفة - كما ورد في الأحاديث المتواترة المعنى؛ من وصف بعضهم بأن له كذا وكذا جناحاً، وأن الآخر ما بين شحمة أذنه وعاتقه كذا وكذا[٢]، وأن الآخر قدماه في الأرض السفلى وعاتقه تحت العرش[٣] إلى غير ذلك من أشكاله"[٤].

وفي قوله تعالى:(وإِذْ قُلْنا لِلْملائكَةِ)[٥] قال:" أي الـبولين على مضي العزم والتصميم على القصد،من غير مانع تردد، ولا عائق فتور"[٦].

وقال متحدثاً عن صفا م في تفسير قوله تعالى:(الذِين يحمِلُونَ الْعرش ومن حولَه يسبحونَ بِحمدِ ربهم ويؤمِنونَ بِهِ ويستغفِرونَ لِلذِين آمنوا ربنا وسِعت كُلَ شيءٍ رحمةً وعِلْما فَاغْفِر لِلذِين تابوا واتبعوا سبِيلَك وقِهِم عذَاب

---

(1)- النكت ق١/١١٤.

(2)- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " أذن لي أن أحـدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مـسيرة سـبعمائة عـام " أخرجه أبو داودفي كتاب السنة ، باب في الجهمية، ٢٣٢/٤ ،رقم ٤٧٢٧، وصـححه الألبـاني في صحيح أبي داود.

(3)- أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦٦/٦،والطبراني في " المعجم الأوسط"٦ / ٣١٤ ،عن أنس بـن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجـلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة يقول الملك سبحانك حيث كنت" قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك إلا ابنه منكدر تفرد به ولده عنه ،وقال في "مجمع الزوائد" ١ / ٢٥٢: رواه الطبراني في الأوسط وقال : " تفرد به عبد الله بن المنكدر قلت : هو وأبوه ضعيفان " ، وصححه الألباني في صـحيح الجـامع الصغير رقم ٨٥٣ .

(4)- النكت ق ١/١٣٠ .

(5)- البقرة:٣٤.

(6)- نظم الدرر:٣٥٥/١٢ .

الجحيم)[١]، قال:"(الذين يحملون العرش) وهم المقربون، وهم أربعة كما يذكر إن شاء الله تعالى في الحاقة، فإذا كانت القيامة كانوا ثمانية ... (ومن حوله) وهم جميع الملائكة وغيرهم ممن ربما أراد الله كونه محيطاً به كما تقدم في التي قبلها(وترى الْمَلَائِكَةَ حافين مِن حول الْعرش)[٢] أي طائفين به، فأفادت هذه العبارة النص على الجميع مع تصوير العظمة.

ولما كان ربما وقع في وهم أنه سبحانه محتاج إلى حملهم لعرشه ، أو إلى عرشه أو إلى شيء، نبه بالتسبيح على أنه غني عن كل شيء، وأن المراد بالعرش والحملة ونحو ذلك إظهار عظمته لنا في مثل محسوسة، لطفاً منه بنا، ت لا إلى ما تسعه عقولنا ، وتحمله أفهامنا، فقال مخبراً عن المبدأ وما عطف عليه .

(يسبحون) أي ي هون أي يوقعون ت يهه سبحانه عن كل شائبة نقص، ملتبسين (بحمد) .

وصرف القول إلى ضميرهم إعلاما بأن الكل عبيده من العلويين والسفليين ،القريب والبعيد، وكائنون تحت تصرفه وقهره، وإحسانه وجبره، فقال (ر م) أي بإحاطة المحسن إليهم بأوصاف الكمال .

ولما كان تعالى باطناً لا يحيط أحد به علما، أشار إلى أ م مع أ م أهل الحضرة هم من وراء حجاب الكبر، وأردية العظمة، لا فرق بينهم في ذلك وبين من هو في الأرض السفلى بقوله(ويؤمنون به)، لأن الإيمان إنما يكون بالغيب .

ولما كانوا لقر م أشد الخلق خوفاً لأنه على قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف، فهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء السادسة وهكذا، وكانوا قد علموا من تعظيم الله تعالى لنوع الإنسان ما لم يعلمه غيرهم لأمره سبحانه لهم بتعظيمه بما اختص به سبحانه من السجود، وكان من أقرب ما يتقرب به إلى الملك التقرب إلى أهل

---

(١)- غافر:٧ .

(٢)- الزمر:٧٥ .

وده، نبه سبحانه على ذلك كله بقوله: (ويستغفرون) أي يطلبون محو الذنوب أعيانا وآثارا. ولما كان الاشتراك في الإيمان أشد من الاتحاد في النسب، قال - دالاً على أن الاتصاف بذلك يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعثه على إمحاض الشفقة - (للذين آمنوا) أي أوقعوا هذه الحقيقة لما بينهم من أخوة الإيمان ومجانسته وإن اختلف جنسهم في حقيقة التركيب"[١].

وفي قوله تعالى:(إِن الذِين عِند ربك لاَ يستكْبِرونَ عن عِبادتِهِ ويسبحونه ولَه يسجدونَ)[٢] قال:" (إن الذين عند ربك) أي المحسن إليك بتقريبك من جنابه، وجعلك أكرم أحبابه، وهم الملائكة الكرام، أولو العصمة والقرب، دنو مكانة لا مكان[٣] .

(لا يستكبرون) أي لا يوجدون ولا يطلبون الكبر، (عن عبادته) أي الخضوع له والتلبس بأنحاء التذلل مع مزيد قر م وغاية طهار م وحبهم .

(ويسبحونه) أي ي هونه عن كل مالا يليق مع خلوصهم عن دواعي الشهوات والحظوظ"[٤].

وهكذا وافق البقاعي أهل السنة والجماعة في تقرير هذا الركن من الإيمان على وفق ماجاء في الكتاب والسنة .

---

(1)- نظم الدرر ١٢/١٧-١٣.

(2)- الأعراف:٢٠٦ .

(3)- وهذا القول مبني على قوله بنفي العلو لله على خلقه أجمعين،وقد بينت فساد هذا القول فيمـا سبق.

(4)- نظم الدرر٢١٢/٨.

المبحث الثالث

المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر

قال شارح الطحاوية :" وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة[(١)]، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة.

وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.

وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن الناس من فصل تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر: إن الملائكة أفضل من بعض

---

(١)- قال ابن القيم في"مختصر الصواعق"٣٧٧/٢:"ومذهب أهل السنة أن صالحي البشر أفضل من الملائكة"،وقال شيخ الإسلام في الفتاوى٣٤٤/٤:"وهذا هو المـشهور عنـد المنتـسبين إلى الـسنة وأصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم وهو أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة " .

الأنبياء دون بعض، وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة، لقلة ثمر ا وأ ا قريب مما لا يعني ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه"(١).

ثم قال :" فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل ؛ فإن هذا لو كان من الواجبات لبين لنا نصاً وقد قال تعالى:(الْيوم أَكْملْت لَكُم دِينكُم)(٢) ، (وما كَانَ ربك نسِيا)(٣) ، فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً وإثباتاً والحالة هذه؛ أولى"(٤).

والبقاعي يرى أفضلية أنبياء البشر على رسل الملائكة عندما قال:" ولما أمر إبليس بالسجود لآدم وامتنع؛ وسئل عن سبب الامتناع ادعى أنه خير منه، أي ومقتضى الحكمة أمر الأدنى بالسجود للأعلى، فينبغي أن لا أسجد، وأمر الله تعالى جارٍ على هذه الحكمة، وقد أمرك بالسجود له، فهو خير منك وممن أمرته بالسجود غيرك، ولا قائل بالتفضيل بين الرسل في الأفضلية على الملائكة، فثبت أن أنبياء البشر أفضل من رسل الملائكة"(٥).

وفي قوله تعالى:(لن يستنكِف الْمسِيح أن يكُونَ عبداً للّهِ ولاَ الْملآئِكَةُ الْمقَربونَ)(٦) قال:" (والمقربون) أي الذين هم في حضرة القدس، فهم أجدر بعلم المغيبات وإظهار الكرامات، وجبرائيل الذي هو أحدهم كان سبباً في حياة عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد ادعى بعض الناس فيهم الإلهية أيضاً، و ذا طاح استدلال المعتزلة ذه الآية على أفضلية الملَك على البشر، بأن العادة في

---

(1)- شرح الطحاوية ٤١٠/٢.

(2)- المائدة:٣ .

(3)- مريم:٦٤ .

(4)- شرح الطحاوية ٤١٢/٢.

(5)- النكت ق ٢/١٧٧.

(6)- النساء:١٧٢.

مثل هذا السياق الترقي من الأدنى إلى الأعلى بعد تسليم مدعاهم، لكن في الخلق لا في المخلوق"[١].

وبهذا يتفق البقاعي مع أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة ، ولم أقف له على قول يبين موقفه من تفضيل صالحي البشر على الملائكة أوالعكس . وبأيهما قال فإنه لا يخالف أهل السنة ؛ إذ لهما قولان في ذلك ؛ كما سبق بيانه من عبارة شارح الطحاوية .

الفصل الرابع
الإيمـــــان بالكـــتب

وفيه مبحثان :

المبحث الأول:معنى الإيمان بالكتب .

---

(١)- نظم الدرر ٥/٥٢٤.

المبحث الثاني:موقف البقاعي من الإيمـان بالكتب .

المبحث الأول

معنى الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب هو أحد أركان الإيمان ، قال تعالى: (قُولُواْ آمنا بِاللّهِ ومآ أنزلَ إِلَينا وما أنزلَ إِلَى إِبراهِيم وإِسماعِيلَ وإِسحق ويعقُوب والأسباطِ وما أُوتِي موسى وعِيسى وما أُوتِي النبِيونَ مِن ربهم لاَ نفَرق بين أحدٍ منهم ونحن لَه مسلِمونَ)[١]، وقال تعالى:(يا أيها الذِين آمنواْ آمِنواْ بِاللّهِ ورسولِهِ والْكِتابِ الذِي نزلَ علَى رسولِهِ والْكِتابِ الذِي أنزلَ مِن قَبلُ ومن يكْفُر بِاللّهِ وملاَئِكَتِهِ وكُتبِهِ ورسلِهِ والْيومِ الآخِرِ فَقَد ضل ضلاَلاً بعِيدا)[٢].

ومعنى الإيمان بالكتب: هو التصديق الجازم بأن الله عز وجل أنزل كتباً على أنبيائه ورسله، رحمة بالخلق، وحجة عليهم، كالتوراة، والإنجيل ، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وغيرها.

(1)- البقرة:١٣٦ .

(2)- النساء:١٣٦ .

وأعظمها القرآن الكريم ، الذي هو ناسخ لجميع الكتب ومهيمن عليها، فيجب الإيمان بجميع الكتب إجمالاً، وما سمي لنا في الكتاب والسنة فنؤمن به مفصلاً[(١)].

وهذا الركن من أركان الإيمان لم يحدث فيه اختلاف بين الأمة.

المبحث الثاني

موقف البقاعي من الإيمان بالكتب

تكلم البقاعي - رحمه الله - عن هذا الركن في كتبه ، حيث ذكر بأن علينا أن نصدق ا من حيث الإجمال، أما ما هو موجود فيها الآن، فلا نصدقه ولا نكذبه، إلا ما وافق كتابنا فنصدق، وما خالفه فنكذبه، فقال:" وقد أمرنا أن نؤمن بالكتب الم لة على الأنبياء، إلا أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم صحيح ما يحكونه عن تلك الكتب من سقيمه ، فنتوقف ؛ فلا نصدقهم لئلا نكون شركاء معهم فيما حرفوه منه، ولا نكذ م فلعله يكون صحيحاً فنكون منكرين لما أمرنا أن نؤمن به، وعلى هذا كان توقف السلف عن بعض ما أشكل عليهم وتعليقهم القول فيه"[(٢)].

وقال عند قوله تعالى :(وقُلْ آمنت ِبما أنزلَ الله ِمن كِتابٍ)[(٣)]،:"لا أفرق بين شيء من كتبه، ولا أحد من رسله، بل كل كتاب ثبت أنه نزل على رسول

---

(1)- انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين ٦٥/١.

(2)- الأقوال القويمة ٣٢٣/١-٣٢٤.

(3)- الشورى:١٥ .

ثبتت رسالته بالمعجزة، فأنا به مؤمن، وإليه داع ، كما اقتضاه كمال القوة النظرية"[١].

ولا شك أن هذه الكتب ليست على مرتبةٍ واحدة، فأعظمها القرآن ثم التوارة، كما رجحه البقاعي بالنسبة للتوراة ، فقال معلقاً على قول التفتازاني في العقائد :" قوله: ثم التوراة ثم الإنجيل ثم الزبور، هكذا في نسختي، العطف بثم في الكل، وفي كثير من النسخ عطف ما بعد التوراة بالواو، فيكون غير القرآن من الكتب السماوية في رتبة واحدة، لا تفاوت بينها .

والظاهر أن الأفضلية راجعة إلى نفس بلاغة اللغة وتركيبها، ومن تأمل ترجمتي التوراة والإنجيل بالعربية، علم أن التوراة أبلغهما كلاماً وأعظمها خطاباً، وأقر بـما من مشكاة القرآن وأشبههما به في الجمع والتبيان"[٢].

وقال أيضاً :" وكان كتاب موسى عليه السلام بعد القرآن أعظم الكتب السماوية"[٣].

وقال أيضاً :"(قَالُوا يا قَومنا إِنا سمِعنا كِتابا أُنزِلَ مِن بعدِ موسى)[٤]عليه الصلاة والسلام، فلم يعتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب وبين التوراة من الإنجيل ومن قبله، لأنه لا يساوي التوراة في الجمع، ولا يعشر هذا الكتاب في الأحكام والحكم واللطائف والمواعظ، مع ما زاد به من الإعجاز وغيره"[٥].

---

(1)- نظم الدرر ٢٧٣/١٧.

(2)- النكت ق ٢/١٣٠.

(3)- نظم الدرر ٤٣٠/١٢.

(4)- الأحقاف:٣٠ .

(5)- نظم الدرر ١٨١/١٨ - ١٨٢.

وقال متحدثاً عن صفات القرآن العظيم، في قوله (يا أيها الناس قد جاءكُم برهانٌ من ربكُم وأنزلْنا إِلَيكُم نورا مبِينا)[1]،قال :" أي واضحاً في نفسه موضحاً لغيره، وهو هذا القرآن الجامع بإعجازه وحسن بيانه، بين تحقيق النقل وتبصير العقل، فلم يبق لأحدٍ من المدعوين به نوع عذر[2]".

وفي قوله تعالى:(لكِنِ اللّه يشهد بِما أنزلَ إِلَيك)[3] ، قال:" أي من الكتاب المعجز، الذي قد أخرس الفصحاء وأبكم البلغاء، وفيه هذه الأحكام الصادقة لما عندهم وهم يريدون الإضلال عنها، فشهادته ببلاغته وحكمته بصدق الآتي به هي شهادة الله لأنه قائله"[4].

وقال أيضاً في قوله تعالى (الله نزلَ أحسن الْحدِيثِ كِتابا متشابِها)[5] ، أي : في البلاغة المعجزة والموعظة الحسنة، لا تفاوت فيه أصلاً في لفظ ولا معنى، مع كونه نزل مفرقاً في نيف وعشرين سنة .

وأما كلام الناس فلا بد فيه من التفاوت وإن طال الزمان في التهذيب سواء اتحد زمانه أو لا، والاختلاف في المختلف في الزمان أكثر، ولم يقل: مشتبهاً ؛ لئلا يظن أنه كله غير واضح الدلالة وذلك لا يمدح به"[6].

وقال أيضاً :"(نزلَ علَيك الْكِتاب بِالْحق مصدقاً لما بين يديهِ وأنزلَ التوراةَ والإِنجِيلَ)[7] أي : القرآن الجامع للهدى منجماً بحسب الوقائع، لم يغفل

---

(1)- النساء:١٧٤ .

(2)- نظم الدرر ٥٢٦/٥.

(3)- النساء:١٦٦ .

(4)- نظم الدرر ٥١٤/٥.

(٨)- الزمر:٢٨ .

(6)- نظم الدرر ٤٨٨/١٦.

(7)- آل عمران: ٣ .

عن واحدة منها، ولا قدم جوا ا، ولا أخره عن محل الحاجة، لأنه قيوم لا يشغله شأن عن شأن"[١].

وقال:"(بالحق مصدقاً لما بين يديه) أي من الكتب السماوية التي أتت ا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم عن الحضرة الإلهية، ولما كان هذا الكتاب أولاً وجامعاً ومحيطاً ، كان كل كتاب بين يديه ، ولم يكن من ورائه كتاب"[٢].

والبقاعي ذا يتفق مع أهل السنة في أن القرآن العظيم أعظم الكتب السماوية ، وأنه معجز بذاته .

الفصل الخامس

النبـــــــــــوات

وفيه مباحث :

المبحث الأول: الإيمان بالرسل والأنبياء .

المبحث الثاني:الفرق بين النبي والرسول .

المبحث الثالث: آيات الأنبياء .

(1)- نظم الدرر ٢٠٦/٤.

(2)- نظم الدرر ٢٠٧/٤.

المبحث الرابع: مهمة الرسل .

المبحث الخامس:عصمة الأنبياء .

المبحث السادس : من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث السابع: بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثامن: نبوة الخضر.

المبحث الأول

الإيمان بالرسل والأنبياء

الإيمان بأنبياء الله ورسله ركن من أركان الإيمان، فلا يتحقق إيمان العبد إلا بالإيمان بهم،ولذلك قال تعالى : (آمن الرسولُ بِما أنزِلَ إِليْهِ مِن ربهِ والْمؤمِنونَ كُل آمن بِاللّهِ وملآئِكَتِهِ وكُتبِهِ ورسلِهِ لاَ نفَرق بين أحدٍ من رسلِهِ وقَالُواْ سمِعنا وأطَعنا غُفْرانك ربنا وإِلَيك الْمصِير)[1]، ولما سأل جبريل عليه السلام نبينا محمداً صلى الله وسلم عن الإيمان، قال :" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"[2].

(1)- البقرة:٢٨٥ .

(2)- أخرجه البخاري كتاب الإيمان،باب سؤال جبريل، ٢٧/١، رقم٥٠ ، ومسلم كتاب

وقد أكد البقاعي - رحمه الله - هذا الأصل المتفق عليه في هذه الأمة، عند قوله تعالى :(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) [(١)]، قال:" أي فيصدقون بالله، ويكذبون ببعض الرسل، فينفون رسالاتهم المستلزم لنسبتهم إلى الكذب على الله، المقتضي لكون الله سبحانه وتعالى بريئاً منهم :(ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقا)، ولزمهم الكفر بالجميع، لأن الدليل على نبوة البعض لزم منه القطع بنبوة كل من حصل منه مثل ذلك الدليل، وحيث جوّز حصول الدليل بدون المدلول تعذر الاستدلال به على شيء كالمعجزة، فلزم حينئذٍ الكفر بالجميع، فثبت أن من كذب بنبوة أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لزمه الكفر بجميع الأنبياء، ومن لزمه الكفر لزمه الكفر بالله وكل ما جاء به"[(٢)].

الإيمان،باب بيان الإيمان،١/٣٩، رقم ٩، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(1)- النساء:١٥٠-١٥١ .

(2)- نظم الدرر ٥/٤٥٠-٤٥١.

المبحث الثاني

الفرق بين النبي والرسول

النبي لغة: مشتق من النبأ ؛ فهو منبئ عن الله أي مخبر .

وقيل: مشتق من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض[١].

والرسول لغة: مشتق من رسلَ، وأصل الرسل الانبعاث على التؤدة، يقال: ناقة رسلة، سهلة السير، وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سـهلاً ومنـه الرسـول المنبعث[٢].

أما في الاصطلاح فاختلف أهل العلم في بيان معنى النبي والرسول، فقيـل إنهما مترادفان ؛ فكل نبي رسول، وكل رسول نبي .

وقيل الرسول صاحب الوحي بواسطة الملك، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، وقيل: الرسول ما أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي ما أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وقيل غير هذا[١].

---

(1)- انظر: الصحاح ٧٤/١، معجم مقاييس اللغة ٣٨٥/٥، لسان العرب ١٦٢/١.

(2)- الصحاح ١٢٠٨/٤، معجم مقاييس اللغة ٣٩٢/٢.

قال شارح الطحاوية:" وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول ، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها ، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم ، بل الأمر بالعكس ، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها"(٢)

رأي البقاعي:

والبقاعي يميل إلى القول الذي يعرف النبي بأنه لم يؤمر بالتبليغ، قال:" والحق أن النبي لم يبعث للتبليغ، وإنما يبعث لتأييد أحكام الرسول الذي كان قبله، أو يوحى إليه ليعمل ولا يؤمر بالدعاء"(٣).

وعند قول صاحب العقائد:" النبي إنسان بعثه الله لتبليغ الأحكام " قال البقاعي معلقاً "وأما الجمهور، فعندهم أن النبوة أعم ؛ فالنبي إنسان أوحى الله إليه ليعمل، والرسول أوحي إليه ليعمل ويبلغ غيره"(٤).

وقد تكلم شيخ الإسلام - ابن تيمية - في كتابه النبوات عن النبي والرسول والفرق بينهما ، فقال:" فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحدٍ يبلغه عن

---

(1)- انظر تفصيل ذلك: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ص ٤٦٨، تأليف د.محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، الطبقة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(2)- شرح الطحاوية١/١٤٩ .

(3)- النكت ق ٢/٢١.

(4)- النكت ق ٢/١٢٨.

الله رسالة، فهو نبي، وليس برسول ؛ فالأنبياء ينبئهم الله، فيخبرهم بأمره، و يه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين م ما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي، فـإن أرسلوا إلى كفار يدعو م إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ولا بد أن يكذب الرسل قوم ؛ فإن الرسل ترسل إلى مخالفين فيكـذ م بعـضهم، قـال تعالى:(وما أرسلْنا مِن قَبلِك مِن رسولٍ ولَا نبِي)[1]، دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق ؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كـان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق، كالعالم، وليس من شرط الرسـول أن يـأتي بشريعة جديدة ؛ فإن يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسـليمان كانـا رسولين، وكانا على شريعة التوراة"[2].

---

(1)- الحج:٥٢ .

(2)- انظر: النبوات لابن تيمية، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويـان ، ص ٧١٤-٧٢٢ ، أضواء السلف ، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

المبحث الثالث

آيات الأنبيـــــــــاء

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يؤيد رسله وأنبيـاءه بالآيـات الكونيـة والشرعية الدالة على صدقهم، والداعية إلى الإيمان بهم ،و" ظهور المعجزة ممـا يؤيد الرسالة ، لأن المعجزات موجبات للشهادات على صدق الأنبياء علـيهم الصلاة والسلام"[1]، وكان من أدل الأدلة على نبوتهم ؛ ما كانوا عليـه مـن مكارم الأخلاق، وبما يتصفون به من العقول السليمة والطباع المستقيمة.

وقد اصطلح العلماء على تسمية آيات الأنبياء بالمعجزات، وأولوها غايـة العناية والاهتمام في دراستهم ، قال شيخ الإسلام - ابن تيمية -:" فإن الكلام في المعجزات وخصائصها والفرق بينها وبين غيرها من أشرف العلوم"[2].

وهذه المعجزات كما أنها دلائل لنبوة الأنبياء، فهي دلائل على الخالق أيضاً قال ابن تيمية :" المعجزات قد يعلم بها ثبوت الصانع وصدق الرسول معاً "[3].

وقال أيضاً :" إن دلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر والبين لكل أحد، كالحوادث المشهورة ؛ فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار بالرسالة"[4].

---

(1)- عمدة القاري ٢٣٨/١٤ .

(2)- النبوات ٤١/١.

(3)- درء التعارض ٤٢/٥.

(4)- النبوات ٤٢/١.

ويجب أن يعلم أن أعظم الأنبياء هو محمد صلى الله عليه وسلم،فكان من أعظمهم معجزات وآيات، عن أبي هريرة ، قال قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "[١]،

" قوله" وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي"، أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي، وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره ،لأن كل نبي أعطى معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه" [٢] .

والإمام البقاعي، قد اعتنى بإبراز دلائل النبوة، وخاصة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال متكلماً على خوارق قصة موسى في سورة الكهف :" وقد كان في هذه القصة خوارق حياة الحوت، وإيجاد ما كان أكل منه، وإمساك الماء عن مدخله، وقد اتفق لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم نفسه أو أتباعه ببركته مثل ذلك "[٣].

ثم بدأ بالتكلم عن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشكل مفصل فقال:" أما إعادة ما أكل من الحوت المشوي - وهو جنبه - فقد روى البيهقي في أواخر دلائل النبوة[٤] ، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: خرجنا مع

---

(1)- أخرجه البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب كيف نزول الوحي١٩٠٥/٤ ، رقم ٤٦٩٦،ومسلم في الإيمان،باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ، ٢٣٢٣/٤، رقم ٦٨٤٦ ، كلاهما عن أبي هريرة .

(2)- فتح الباري٦/٩ .

(3)- نظم الدرر ١٠٠/١٢.

(4)- دلائل النبوة للبيهقي ،ت الدكتور عبد المعطي قلعجي،٢٥/٦،دار الكتب العلمية، بيروت،

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الحجة التي حجها حتى إذا كنا ببطن الروحاء - فذكر قصة المرأة التي أبرأ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولدها من الجنون ، إلى أن قال: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حجته انصرف حتى إذا نزل ببطن الروحاء، أتته تلك المرأة بشاة قد شوتها، فأمر بأخذ الشاة منها ثم قال:" يا أسيم - وكان إذا دعاه رخمه- ناولني ذراعاً"، وكان أحب الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مقدمها، ثم قال:" يا أسيم! ناولني ذراعاً!" فناولته، ثم قال:"يا أسيم! ناولني ذراعا!" فقلت: يا رسول الله! إنما هما ذراعان وقد ناولتك، فقال: "والذي نفسي بيده لو سكت ما زلت تناولني ذراعا ما قلت لك: ناولني ذراعا"[1]. فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لو سكت أوجد الله لها ذراعا ثم ذراعا وهكذا، وقوله الحق الذي لا فرق بينه وهو في عالم الغيب وبين ما وجد في عالم الشهادة.

وأما حياة الحوت المشوي فقد مضى عند (واللّه يعصِمك مِن الناس)[2]، ما هو أكبر من ذلك في قصة الشاة المشوية المسمومة، وهو أن ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه مسموم[3]، فهو أعظم من عود الحياة من غير نطق.

لبنان ،ط الأولى١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(1)- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٣٥/٢٢ رقم٨٤٢،وابن سعد في الطبقات الكبرى ٦٥/٧ عن أبي عبيد رضي الله عنه ، وذكره البزار في مجمع الزوائد وقال : " رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح ، غير شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد " . ٣١١/٨ ، وذكر له شاهدا عن أبي رافع رضي الله عنه .

(2)- المائدة:٦٧ .

(3)- أخرجه أبو داود كتاب الديات،باب فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيقاد منه ، ١٧٣/٤ رقم٤٥١٠ ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ، ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " ارفعوا أيديكم

وكذا حنين الجذع(١)، وسلام الحجر(٢)، وتسبيح الحصا(٣)، وتأمين أسكفة الباب وحوائط البيت(٤) ، ونحو ذلك، أعظم من عود الحياة إلى ما كان حياً، فقد روى البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد، قال: قال لي الشافعي: ما

" وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها فقال لها " أسممت هذه الشاة ؟ " قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال " أخبرتني هذه في يدي " للذراع قالت نعم قال " فما أردت إلى ذلك " قالت قلت إن كان نبيا فلن يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها .وضعفه الألباني،وقال العراقي في"تخريج الإحياء"٢٦٣/١ رواه أبو داود من حديث جابر وفيه انقطاع .

(1)- أخرجه البخاري كتاب المناقب،باب علامات النبوة رقم ٣٣٩٠ عن ابن عمر رضي الله عنه .

(2)- مسلم كتاب الفضائل ١٧٨٢/٤، رقم (٢٢٧٧) ، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن " .

(3)- عن أبي ذر قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ حصيات فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فسبحن في يده، ثم أعطاهن أبا بكر فسبحن في يده، ثم أخذهن النبي صلى الله عليه وسلم فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أعطاهن عمر فسبحن في يده، ثم أخذهن النبي صلى الله عليه وسلم فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أعطاهن عثمان فسبحن في يده، ثم أعطاهن عليا فوضعهن في يده فخرسن " أخرجه البيهقي في الدلائل ٦٤/٦،والطبراني في الأوسط٢٤٥/٤،وفي مسند الشاميين ٧٩/٣ رقم ١٨٣٧، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد "٣٢٧/٥:" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف "،وقال ابن الجوزي في "العلل المتناهية":"هذا حديث لايصح"،وضعفه ابن حجر في الفتح٥٩٢/٦ .

(4)- عن أبي أسيد الساعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب :" يا أبا الفضل لا ترم منزلك أنت وبنوك غدا حتى آتيكم "، فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم ، فقال :" السلام عليكم " قال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال :" كيف أصبحتم ؟ "، قال : بخير أحمد الله فقال :" تقاربوا تقاربوا تقاربوا ، يزحف بعضكم إلى بعض "، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته ثم قال :" يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه " قال : فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت، فقالت: آمين آمين آمين.أخرجه الطبراني في" المعجم الكبير" ١٩ / ٢٦٣ رقم ٥٨٤ ،والبيهقي في الدلائل٧١/٦،وأبو نعيم في الدلائل ص٣٧٠، وفيه محمد بن يونس الكديمي وهو وضاع، وكان يضع على الثقات الحديث وضعا،ولعله وضع أكثر من ألف حديث.انظر:المجروحين لابن حبان١٣١٢/٢، وقال في مجمع الزوائد : " روى ابن ماجه بعضه في الأدب ورواه الطبراني وإسناده حسن " ٢٧٠/٩ .

أعطى الله نبيا ما أعطى محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى؟ فقال: أعطى محمداً صلى الله عليه وعلى آله الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيئ له المنبر، فلما هيئ له المنبر، حن الجذع، حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك انتهى"[١].

كرامات الأولياء آيات للأنبياء:

الكرامة : أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد عبد من عباده الصالحين، حياً أو ميتاً، إكراماً له، فيدفع عنه ضراً، أو يحقق له نفعاً، أو ينصر به حقاً [٢].

قال البقاعي في تعليقه على قول صاحب العقائد (قوله :خارق للعادة من قِبله) قال :" هو بكسر القاف وفتح الموحدة بمعنى (عند) أي من عنده ، فلا يكفيه أن يظهر ذلك في شخص آخر من جنسه كتلميذه مثلاً.كما يكون ظهور الكرامة على يد الولي معجزة للنبي الذي هو تابع له" [٣]

التصديق بكرامات الأولياء :

" ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء ، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات "[٤] .

وقال في الطحاوية واصفاً الأولياء والصالحين : " ونؤمن بما جاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من رواياتهم"[٥].

---

(1)- نظم الدرر ١٢/١٠٠-١٠٢.

(2)- التعريفات الاعتقادية ٢٦٩ .

(3)- النكت ق ٢/١٣١ .

(4)- مجموع الفتاوى ١٥٦/٣.

(5) - شرح الطحاوية ٥/ ٧٤٥.



قال الإمام النووي في شرحه لبعض الأحاديث:"... ومنها إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة، وفيه أن كرامات الأولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا المتكلمين ، ومنهم من قال لا تقع باختيارهم وطلبهم، وفيه أن الكرامات قد تكون بخوارق العادات على جميع أنواعها ، ومنعه بعضهم وادعى أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه، وهذا غلط من قائله، وانكار للحس، بل الصواب جريانها بقلب الأعيان، وإحضار الشيء من العدم ونحوه" [1]

وقد أنكر المعتزلة كرامات الأولياء، وحجتهم في ذلك حتى لا تشتبه بالمعجزة النبوية فيؤدي إلى التباس النبي بالولي ، قال شارح الطحاوية : " قول المعتزلة في إنكار الكرامة ظاهر البطلان ، فإنه بمنزلة المحسوسات ،وقولهم : لو صحت لاشتبهت بالمعجزة فيؤدي على التباس النبي بالولي وبذلك لا يجوز، وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ، ويدعي النبوة ، وهذا لا يقع ، ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً بل كان متنبئاً كذابا "[2]

كرامات الصحابة وغيرهم :

لقد ذكر البقاعي – رحمه الله – في كتابه (النكت والفوائد) كثيراً من كرامات الصحابة وغيرهم من العلماء من الورقة ١٣١- إلى الورقة ١٣٨ أذكر هنا مثالا على ذلك حيث قال :" والمشي على الماء ، وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما بعث رسول لله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى البحرين تبعته ، فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب :انتهينا على شاطئ البحر ، فقال : سموا واقتحموا قال : فسمينا واقتحمنا ، فعبرنا ،فمابل الماء إلا أسافل خفاف إبلنا فلما قفلنا صرنا معه بفلاةٍ من الأرض، وليس معنا ماء ، فشكونا إليه فصلى ركعتين ثم دعا ، فإذا

---

(1)- شرح مسلم للنووي١٦/١٠٨ .

(2)- شرح الطحاوية٧٥٢/٢ .

سحابة مثل التُرس ، ثم أرخت غزاليها ، فسقينا واستقينا ، ومـات فـدفناه في الرمل ، فلما سِرنا غير بعيد قلنا :يجي سبع فيأكله فرجعنا ،فلم نره"[١].

العلماء هم أولياء الله :

قال البقاعي- رحمه الله -:" والعلماء العاملون هم أولياء الله، قال الإمامان - أبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما - : (إن لم تكن العلمـاء أوليـاء الله فليس لله ولي) [٢] رواه عنهما الحافظ أبو بكر الخطيب[٣] ، وهو مـذكور في التبيان[٤] وغيره من مصنفات النووي "[٥] .

ومع تعظيم البقاعي للأولياء والاعتراف بكراما م، فقد اتهم أنه يكـره الأولياء كما هو الشأن عند المخالفين إذا أنكرت عليهم ا موك ذه التهمـة، فقال مدافعاً عن نفسه:"وليس عند أحد ممن يعرفني شك في تصلبي في الـسنة، حتى أن بعض من يتمضغ بي ينسبني إلى الإنكار على الأولياء لعـدم معرفتـهم بالمشي على سواء المنهج السوي ، فيظنون أنّ إنكاري على بعض الأبالـسة – لمنابذته السنة بشهادة أكابر مشايخ الطائفة – إنما هو لسوء اعتقادي في الطائفة ،وعند الله تجتمع الخصوم "[٦]

---

(١)- رواه الطبراني في الأوسط رقم ٣٤٩٥ ، د ار الحرمين بالقـاهرة ،الطبعـة الاولى ١٤١٥-١٩٩٥م ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٧٦/٩) : " فيه إبراهيم بن معمر الهروي ولد اسماعيـل ، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات " ، و الاثر له طرق كثيرة عند البيهقي في (الدلائل) ٥١/٦وغيره .

(٢)- انظر : مناقب الشافعي للبيهقي ١٥٥/٢ .

(٣)- لم أقف عليه عنده .

(٤)- التبيان في آداب حملة القرآن ص ٢١ للإمام النووي ، دار الرشاد للنـشر، الطبعـة الثانيـة ١٤٠٨-١٩٨٧م .

(٥)- نظم الدرر٧٩/٢٢ ،وانظر : الأقوال القويمة٤٨٨/١ . ونسبه إليهما الـسخاوي في كـشف الخفاء ٢٥٩/١ .

(٦)- الأقوال القويمة ٥٢٤/٢ .

المبحث الرابع

مهمـــة الرســـــــل

لقد بعث الله الرسل يدعون الناس إلى عبادة الله عز وجل وحده ، قطعـاً للعذر وإقامة للحجة على العباد، قال تعالى:(ولَقَد بعثْنا فِي كُلِ أُمةٍ رسـولاً أن اعبدواْ اللّه واجتنِبواْ الطاغُوت)[١]، وقال تعالى :(رسلاً مبشرِين ومنذِرِين لِئَلا يكُونَ لِلناسِ علَى اللّهِ حجةٌ بعد الرسلِ وكَانَ اللّه عزِيزا حكِيما)[٢] .

قال البقاعي - رحمه الله - :"(إِنا كُنا مرسِلِين)[٣] أي لنا صفة الإرسال بالقدرة عليها في كل حين، والإرسال لمصالح العباد، لا بد فيـه مـن الفرقـان بالبشارة والنذارة وغيرها ؛ حتى لا يكون لبس، فلا يكون لأحدٍ على الله حجة بعد الرسل"[٤].

ولا يمكن للعقل أن ينفرد بمعرفة الحق والباطل دون بعثة الأنبياء، فكما أن العين لا تبصر إلا بنور الشمس، فكذلك العقل لا يهتدي ولا يبـصر إلا بنـور الشرع.

قال البقاعي :" لما جعل الله تعالى نور العقل هادياً لآيـات مـا ظهـر في الكون، وكان من الخلق مهتدٍ به ومعرض عنه، بعث الله النبيين مبشرين، لمـن اهتدى بنور العقل بمقتضى الآيات المحـسوسة وتلـك هـي الحنيفيـة والملـة الإبراهيمية"[٥].

---

(1)- النحل:٣٦.

(2)- النساء:١٦٥.

(3)- الدخان:٥ .

(4)- نظم الدرر ٧/١٨.

(5)- نظم الدرر ٢٢٩/١.

وكل هذا فضل من الله ورحمة، ولا يجب على الله شيء من ذلك، قال البقاعي:" ولما كان له سبحانه أن يعذب من خالف داعي العقل من غير إرسال رسول، وكان إرسال الرسل جائزاً له وفضلاً منه سبحانه إذ لا واجب عليه"(١).

غير أننا لا نوافق البقاعي أن الله له أن يعذب دون بعثة الرسل، فقد قال تعالى :(وما كُنا معذِبين حتى نبعثَ رسولاً)(٢) ، ولكن هذا مبني على أصل عند البقاعي، اتبع فيه الأشاعرة ، أن لله أن يعذب من يشاء من عباده دون سبب، وهذا مبني عندهم على مسألة التحسين والتقبيح العقليين كما سنراه في بحث القضاء والقدر .

وأصاب البقاعي في أنه لاواجب على الله ؛ إذ لا يجب عليه سبحانه إلا ما أوجبه على نفسه، وفي هذا رد على المعتزلة الذين يقولون أن إرسال الرسل واجب على الله سبحانه وتعالى، قال ابن تيمية :" وهو سبحانه مع غناه عن العالمين، خلقهم وأرسل إليهم رسولا ، يبين لهم ما يسعدهم وما يشقيهم، وإرساله الرسول بفضله، فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله، وإن كان أوجب ذلك على نفسه، كما حرم على نفسه الظلم، فهو واقع لا محالة ، واجب بحكم إيجابه ووعده ،لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئاً، أو يحرمون عليه شيئا، بل هم أعجز من ذلك وأقل من ذلك، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل"(٣).

وبناء على بعثة الرسل إلى كل قوم فإن الدعوة قد بلغت كل أحد قال البقاعي :(ولَقَد بعثْنا فِي كُل أمةٍ رسولاً أن اعبدواْ اللّه واجتِنبواْ الطاغُوت) فما بقي في الأرض أحد لم تبلغه الدعوة"(٤).

---

(1)- نظم الدرر ٣٩٣/٧- ٣٩٤.

(2)- الإسراء:١٥.

(3)- الفتاوى ٧٢/٨- ٧٣. وانظر:النبوات لابن تيمية٣٣/١ .

(4)- نظم الدرر ١٥٦/١١.

المبحث الخامس

عصمـــــة الأنبيـــــــاء

وفيه مطالب :

المطلب الأول:معنى العصمة .

المطلب الثاني:أقوال النـاس في عـصمة الأنبياء .

المطلب الثالث:رأي البقاعي في عـصمة الأنبياء .

المطلب الأول

معنى العصمة

العصمة في اللغة: المنع[١]، قال القرطبي:" سميت العصمة عصمة لأ ا تمنع من ارتكاب المعصية "[٢].

والعصمة في الاصطلاح :

قيل : هي ملكة إلهية تمنع الإنسان من فعل المعصية ، والميل إليها مع القدرة عليها [٣].

وقيل هي حفظ الله أنبياءه ورسله من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة [٤].

المطلب الثاني
أقوال الناس في عصمة الأنبياء

---

(1)- ذيب اللغة ٥٤/٢.

(2)- تفسير القرطبي ١٨٣/٩.

(3)- انظر : التعريفات ١٥٠ .

(4)- فتح الباري ٥٠١/١١ .

اختلف الناس في عصمة الأنبياء من ارتكاب الذنوب الصغائر والكبـائر، مع الاتفاق على عصمتهم في تبليغ الرسالة، وأهم الأقوال في ذلك هي بإيجاز[١]:

١- قول من يرى عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر عمداً وسهواً قبل النبوة وبعدها، وهذا ما عليه الرافضة[٢] ، والقاضي عبد الجبار[٣] من المعتزلة ، وبه يقول القاضي عياض[٤].

٢- ومنهم من يرى عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر بعد النبوة وبـه يقول البغدادي[٥] وغيره .

٣- ومنهم من لم ير عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر عدا الكـذب ، وهذا هو قول الكرامية[٦] ، وبعض الخوارج[٧].

٤- ومنهم من يرى أن الأنبياء معصومون من الكبائر مطلقا ومن الصغائر عمداً ، و بهذا يقول الإيجي[٨] ، والتفتازاني[٩] ، والجاحظ[١٠] ، وغيرهم .

٥- ومنهم من يرى أن الأنبياء معصومون من الكبـائر دون الـصغائر ، فجوزوا وقوع الصغائر من الأنبياء مطلقا ، وهذا ما عليه ابن جرير[١]، وشـيخ الإسلام ابن تيمية[٢] ، والجويني[٣] ، وغيرهم .

---

(1)- انظر تفصيل ذلك: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ٤٨٠- ٤٨٤.

(2)- شرح العقائد النسفية ١٤٠ .

(3)- شرح الأصول الخمسة ٥٧٣ .

(4)- الشفا ٨٠٩/٢ ، ٨٤٨ .

(5)- أصول الدين ١٦٧ .

(6)- الفصل ٢/٤ .

(7)- أصول الدين للبزدوي ١٦٧ .

(8)- شرح المواقف ٢٦٥/٨ .

(9)- شرح المقاصد ٥١/٥ .

(10)- شرح المواقف ٢٦٥/٨ .

ونسبه شيخ الإسلام إلى الجمهور حيث قال :" والجمهور الذين يقولـون بجواز الصغائر عليهم يقولون : إ م معصومون من الإقرار عليها ، وحينئذ فمـا وصفوهم إلا بما فيه كمالهم ؛ فإن الأعمال بالخواتيم ، مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم"(٤) .

وقال أيضا :" والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام ، وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكـلام ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول"(٥).

المطلب الثالث

رأي البقاعي في عصمة الأنبيياء

---

(1)- **جامع البيان ١٩١/١٢ .**

(2)- **الفتاوى ٢٩٢/١٠-٢٩٣ .**

(3)- **شرح المقاصد ٥١/٥ .**

(4)- **منهاج السنة ٢٢٧/١.**

(5)- **الفتاوى ٤/ ٣١٩.**

قال البقاعي : " الكفر ممتنع عليهم بالإجماع... وأما فعل الكبائر سهواً فجوزه الأكثرون ، والله تعالى لا يقرهم على سهوهم بل ينبههم فإذا انتبهوا انتهوا"[١].

وذلك لما لهم من الصفات العلية، التي جبلوا عليها ، قال- رحمه الله - متكلماً عن الأنبياء :" ولهم من المعاني الجليلة التي صرفهم الله فيها بتكميل أبدانهم وأرواحهم ما لا يعلمه إلا هو، فعليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام"[٢].

والبقاعي يفضل رسل البشر على رسل الملائكة عندما قال :" ومذهب أهل السنة أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة"[٣].

المبحث السادس

---

(1)- النكت ق ٢/١٢٨.

(2)- نظم الدرر ٤/٣.

(3)- نظم الدرر ٦٤/٧.

من خصائص نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم

وفيه مطالب :

المطلب الأول: ختم النبوة .

المطلب الثاني: عموم رسـالته صـلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث:الشفاعة العظمى.

المطلب الأول

ختم النبـــــوة

ختم الله النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا نـبي بعـده ، قـال تعالى:(ما كَانَ محمد أبا أحدٍ من رجالِكُم ولَكِن رسولَ اللهِ وخـاتم النبِـيين وكَانَ الله بِكُل شيءٍ علِيما)[1] ،قال ابن كثير في تفسيره:"هذه الآية نص في أنه لانبي بعده ،وإذا كان لانبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأن

---

(1)- الأحزاب: ٤٠ .

مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، وبـذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم "[١] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" وإنه سيكون في أمـتي كـذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي"[٢].

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : " ... وأنا العاقـب ، والعاقـب الذي ليس بعده شيئ " [٣].

ولقد قرر البقاعي - رحمه الله - ختم النبوة عندما قال مفسراً قوله تعالى (ولَٰكِن رسولَ اللهِ وخاتم النبيين) : " أي لأن رسالته عامة ، ونبوته معها إعجاز القرآن ، فلا حاجة مع ذلك إلى استنباء ولا إرسال ، فلا يولد بعده من يكـون نبياً"[٤] ثم ذكر حديثا فقال :" وللبخاري[٥] من حديث ابن أبي أوفى رضـي الله عنه:(لو قضى أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه، ولكن لا نبي بعده).

---

(1)- تفسير ابن كثير٣/٦٥٠.

(2) – أخرجه أبو داود في كتاب الفتن،باب ذكر الفتن (٤/٩٧)، رفم ٤٢٥٢ ، والترمذي كتـاب الفتن(٤/٤٩٩)، رقم ٢٢١٩ ،كلاهما عن ثوبان ، وقال الترمذي بإثره : "هـذا حـديث حـسن صحيح".وصححه الألباني .

(3)- أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه صلى الله عليـه وسـلم ، ١٨٢٨/٤ بـرقم ٢٣٥٤ .

(4)- نظم الدرر ٣٦٥/١٥.

(5)- أخرجه البخاري في كتاب الأدب،باب من سمى بأسماء الأنبياء ٥ / ٢٢٨٩ ،رقم٥٨٤١،عن إسماعيل، قلت لابن أبي أوفى: رأيت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال: مات صغيرا ، ولو قضي أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده.

والحاصل أنه لا يأتي بعده نبي بشرع جديد مطلقاً ، ولا يتجدد بعده أيضا استنباء نبي مطلقا"[١].

ثم أورد إشكالا وهو نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، فهل هذا يقدح في عقيدة ختم النبوة ؟ قال:" وإتيان عيسى عليه الصلاة والسلام غير قادح في هذا النص ، فإنه من أمته صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته ، وهو قد كان نبيا قبله ، لم يستجد له شيء لم يكن ، فلم يكن ذلك قادحاً في الختم ، وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم ، لولا هو لما وجد"[٢].

المطلب الثاني

عموم رسالته صلى الله عليه وسلم

مما اختص به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أنه مرسل إلى الخلق أجمعين، وكانت الرسل قبله تبعث إلى أقوامها خاصة، قال تعالى :(وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمونَ)[٣] .

---

(1)- نظم الدرر ٣٦٥/١٥.

(2)- نظم الدرر ٣٦٧/١٥.

(3)- سبأ:٢٨.

قال ابن كثير في تفسيره:" يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليما ،(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)، أي إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين "[١].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر،وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[٢].

وقال الطحاوي في عقيدته :" وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء"[٣].

البقاعي يقرر عموم الرسالة حتى للملائكة:

العلماء اختلفوا في إرسال النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الملائكة على قولين:

الأول:لم يرسل إليهم،وهو قول الأكثر، بل بعضهم نقل الإجماع على ذلك،كالإمام الرازي في تفسيره[٤].

الثاني:أنه قد أرسل إليهم ،وقاله البعض، وهو الذي رجحه البقاعي، قال - رحمه الله - معلقاً على قول التفتازاني:"بل إلى الجن والإنس" قال:" بل والملائكة، بدليل قوله تعالى:(لِيكُونَ لِلْعالَمِين نَذِيرا)[5]، وهم من جملة

---

(1)- تفسير ابن كثير٧١١/٣.

(2)- أخرجه البخاري كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم، ١٢٨/١،رقم ٣٢٨ ، ومسلم كتاب المساجد،باب فضل المساجد،٣٧٠/١، رقم ٥٢١ كلاهما عن جابر بن عبد الله.

(3)- شرح العقيدة الطحاوية ١٦٧/١.

(4)- تفسير الرازي ٤٠/٢٤،دار الكتب العلمية- بيروت-ط الأولى١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(5)- الفرقان:١.

العالمين"[١]، وقال أيضاً :" (إِنْ هو إلا ذِكْرى لِلْعالَمِين)[٢] أي الجن والإنس والملائكة"[٣].

وقد استدل البقاعي على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم حتى للملائكة بأدلة كثيرة، منها:

١- استدل على ذلك بقول الله تعالى:(لِتنذِر بِهِ وذِكْرى لِلْمؤمِنين)[٤]، قال :" فحذف مفعول (تنذر) دالٌ على عموم رسالته، وتعليق الذكرى بالمؤمنين مدخل لهم بلا ريب ،لأ م من رؤوسهم عليهم السلام، وقوله تعالى:(لِتبشر بِهِ الْمتقِين)[٥] إلى غيرها من الآيات فيكون عموم رسالته لهم زيادة شرف له وهو واضح"[٦].

٢- واستدل أيضاً بقوله صلى الله عليه وسلم :" وأرسلت إلى الخلق كافة"[٧] ،قال :" وقد خرج من هذا العموم من لا يعقل بالدليل العقلي، فبقي غيرهم داخلاً في اللفظ، لا يحل لأحد أن يخرج منه أحداً منهم إلا بنص صريح ودلالة قاطعة ترفع النزاع"[٨].

---

(١)- النكت ق ١/١٢٦.

(٢)- الأنعام:٩٠.

(٣)- نظم الدرر ١٨٣/٧.

(٤)- الأعراف:٢.

(٥)- مريم:٩٧.

(٦)- نظم الدرر ٦٥/٧.

(٧)- جزء من حديث أخرجه مسلم كتاب المساجد،٣٧١/١ رقم٥٢٣ عن أبي هريرة.

(٨)- نظم الدرر ٦٧/٧.

٣- واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم في التأمين :" فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة...."[١] الحديث، قال :" وفي ذلك مما يؤذن بائتمام الملائكة بأئمتنا، وذلك ظاهر في التقيد بشرعنا"[٢].

٤- واستدل أيضاً باستماع الملائكة للخطيب يوم الجمعة، قـال :" فـإن تركهم لكتابة الناس، وإقبالهم على الاستماع، دليل واضح على الائتمام"[٣].

وقد ذكر البقاعي نفسه بعض أقوال أهل العلم الذين يخالفونـه في هـذا الباب، مثل الحليمي[٤] والبيهقي، في الباب الرابع من شعب الإيمان بأنه عليـه الصلاة والسلام لم يرسل إلى الملائكة، وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم مـن شرعنا، وفي تفسير الإمام الرازي والبرهان النسفي حكاية الإجماع في تفسير الآية الثانية أي (لِيكُونَ لِلْعالَمِين نذِيرا)[٥]أنه لم يكن رسولاً إليهم[٦].

وممن رجح أنه مرسل صلى الله عليه وسلم للملائكة السيوطي والـسبكي وغيرهم ، وممن قال بأنه لم يرسل للملائكة الحافظ العراقي في نكته علـى ابـن الصلاح والجلال المحلي وغيرهم[٧]

---

(1)- البخاري كتاب صفة الصلاة،باب جهر الإمام بالتأمين،٢٧٠/١، رقم ٧٤٧ ،ومسلم كتـاب الصلاة ،باب التسميع والتحميد،٣١٥/١، رقم٤١٩.

(2)- نظم الدرر ٦٨/٧.

(3)- نظم الدرر ٦٨/٧.

(4)- هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الشافعي الجرجاني البخاري ، المشهور بالحليمي بفتح الحاء المهملة وكسر اللام ، ت : ٤٠٣هـ ، قال عنه الذهبي : " العلامة البارع رئيس أهل الحديث بما وراء النهر ..."انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٣٠/٣ ، والـسير ٢٣٢/١٧ ، وطبقـات الـشافعية الكبرى للسبكي ٣٣٣/٤ .

(5)- الفرقان:١.

(6)- انظر: نظم الدرر ٦٩/٧ ، وجميع الجوامع للعطار(٤٧٣/٢)

(7)- انظر: الخصائص الكبرى(٣٢١/٢) ،والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ٣٧١/١ ، لعلـي برهان الدين الحلبي (ت:١٠٤٤) دار المعرفة ، بيروت١٤٠٠.

المطلب الثالث

الشفاعة العظمى

لقد اختص الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالشفاعة العظمى لأهـل الموقف يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع"[1].

(1)- أخرجه مسلم كتاب الفضائل ،باب تفضيل نبينا صلى الله عليـه وسـلم،١٧٨٢/٤، رقـم ٢٢٧٨ عن أبي هريرة.

والشفاعة العظمى هي المقام المحمود، كما جاء في قوله تعالى :(عـسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[١]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها :" هي الشفاعة"[٢].

قال البقاعي متحدثا عن هذه الشفاعة : "الشفاعة العامة التي هي خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، فإن كل أحد يحجم عنها، حتى يصل الأمر إليه صلى الله عليه وسلم فيقول : أنا لها أنا لها ، ثم يذهب إلى المكان الذي أذن له فيشفع، فيشفعه الله تعالى ،فيفصل الله سبحانه وتعالى بين الخلائق، ليذهب كل أحد إلى داره جنته أو ناره .

روى الشيخان : البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها سة ، فقال : (أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس،فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحملون، فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه وإلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم...) فذكر سؤالهم أكابر الأنبياء ، وكل واحد منهم يحيل على الذي بعده، إلى أن يقول عيسى عليه السلام : اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم حين يأتونه :" أنا لها" ، فينطلق فيسجد تحت العرش[٣]...وهو مروي عن غير أبي هريرة ،عن أنس[١] ،وغيره من الصحابة

---

(1)- الإسراء:١٧٩.

(2)- أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن سورة بني اسرائيل (٣٠٣/٥)، رقـم٣١٣٧ عـن أبي هريرة، وقال:" هذا حديث حسن"، وأحمد٤٤٤/٢ ، وصححه الألباني.

(3) - أخرجه البخاري كتاب التفسير،سورة بني اسرائيل ،١٧٤٥/٤ ، رقـم ٤٤٣٥، ومـسلم

رضي الله عنهم، ولكن لم أر فيه التصريح بالشفاعة العامة بعد رفع رأسه صلى الله عليه وسلم من السجود ، إلا فيما رواه البخاري في الزكاة من صحيحه في باب : من سأل الناس تكثرا [٢]، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى عليه وسلم قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ،ثم بموسى، ثم بمحمد ، فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ،يحمده أهل الجمع كلهم "[٣].

وعندما تكلم عن قوله تعالى:(وما أرسلْناك ِإلا رحمةً للْعالَمِين)[٤] . قال البقاعي - رحمه الله - :" ومن أعظم ما يظهر فيه هذا الشرف في عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى، يوم يجمع الأولون والآخرون، وتقوم الملائكة صفوفاً والثقلان وسطهم، ويموج بعضهم في بعض من شدة ماهم فيه، يطلبون من يشفع لهم في أن يحاسبوا ليستريحوا من الكرب، إما إلى جنة أو نار، فيقصدون الأنبياء نبياً نبياً عليهم الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، فيحيل بعضهم على بعض، وكل منهم يقول: لست لها، حتى يأتوه صلى الله عليه وسلم فيقول: أنا لها ، ويقوم ومعه لواء الحمد، فيشفعه الله وهو المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون"[٥].

كتاب الإيمان،باب أدنى أهل الجنة ،٢٥٨/١، رقم ٣٢٧ ، كلاهما عن أبي هريرة.

(1) – أخرجه البخاري كتاب التوحيد ،باب كلام الرب عز وجل ،٢٧٢٧/٦، رقم٧٠٧٢،ومسلم في الإيمان،باب أدنى أهل الجنة ،١٨٠/١، رقم١٩٣ عن أنس رضي الله عنه.

(2) - أخرجه البخاري الزكاة باب من سأل الناس تكثرا ، ٥٣٦/٢ ،رقم ١٤٠٥ ، ومسلم في الزكاة باب كراهة المسألة للناس ،٧٢٠/٢، رقم ١٠٤٠.

(3) - نظم الدرر ٣٤/١٧-٣٦.

(4)- الأنبياء:١٠٧.

(5)- نظم الدرر ٥٠٩/١٢.

وفي هذا يتفق البقاعي مع أهل السنة والجماعة بإثباته لهذه الشفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث السابع
بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد شاء الله عز وجل الحكيم أن يكون رسله إلى الناس بشراً من جـنس المرسل إليهم، وبلسا م ؛ ليبينوا لهم شرع ر م، ولتقوم الحجة على الناس، قال تعالى :(وما أرسلْنا مِن رسولٍ إلا بِلسان قَومِهِ لِيبين لَهم)[١].

وقال تعالى :(قَالَت لَهم رسلُهم إِن نحن إلا بشر مثْلُكُم ولَكِن اللّه يمـن علَى من يشاء مِن عِبادِه)[٢] . وقال تعالى : (قُلْ إِنما أنا بشر مـثْلُكُم يـوحى إِلَي)[١].

---

(1)- إبراهيم:٤.

(2)- إبراهيم:١١.

وهذا دليل أكيد على أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا ، له كل خصائص البشر وصفا م، ويفضل عليهم بالوحي، وليس له من صفات الـرب وخصوصياته شيء، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يمتلك الـصفات العليـا البشرية، التي لا يوازيه ا أحد، فهو سيد ولد آدم، بل فضله العلماء على أهل السماء.

قال البقاعي - رحمه الله - :" وفي دلائل النبوة للبيهقي في باب التحدث بالنعمة والخصائص[٢] ، أن هذه الآية[٣] مع قوله تعالى :(لِيغفِر لَكَ الله ما تقَدم مِن ذَنبِك وما تأخر)[٤] ، دليل على فضله صلى الله عليه وسلم علـى أهـل السماء"[٥]،

وقد أكد البقاعي - رحمه الله - هذه المعاني العقدية من بشرية النبي صلى الله عليه وسلم عندما تكلم عن قوله تعالى : (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) ، فقال : " مالنا علـيكم مـن فضل بما تقتضيه ذواتنا ، غير أن التماثل في البشرية لا يمنع اختـصاص بعـض البشر عن بعض بفضائل "[٦] .

وعند قوله تعالى :(قُل لا أَقُولُ لَكُم عِندِي خزآئِن اللّهِ ولا أَعلَم الْغيـب ولا أَقُولُ لَكُم إِني ملَك إِنْ أَتبِع إِلا ما يوحى إِلَي قُلْ هلْ يـستوِي الأَعمـى

---

(1)- الكهف:١١٠

(2)- دلائل النبوة للبيهقي(٤٨٦/٥).

(3)- وهي قوله تعالى : (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم) الأنبياء .

(4)- الفتح:٢.

(5)- نظم الدرر ٤١٠/١٢.

(6)- نظم الدرر ٣٩٤/١٠ .

والبصير أفلا تتفكرون)[١]، قال:"(قل لا أقول لكم عنـدي خـزائن الله) أي الملك الأعظم الذي له الغنى المطلق، والعزة البالغة، فلا كفؤ له ، أي : فـآتيكم ما تقترحون من الآيات وما تشتهونه من الكنوز، وما تستهزؤون به من العذاب، وإنما الخزائن بيده، يفعل فيها ما يشاء... (ولا أعلم الغيـب) أي فـأخبركم بوقت الفصل بيني وبينكم، من مطلق العذاب أو قيام الساعة فإن هاتين الحالتين - ملك الخزائن وعلم الغيب - ليستا إلا لمرتبة الألوهية، وإنما لم أدع الأول كما ألزمتموني به، ولا اتصفت بالثاني بما ظننتم... (ولا أقول لكم إني ملك) فأقوى على الأفعال التي تقوى عليها الملائكة من التحرز عن المأكل والمشرب، وغيرها من أفعال الملائكة ... (إن اتبع إلا ما يوحى إلي) أي ما رتبتي إلا امتثـال مـا يأمرني به ربي في هذا القرآن ، الذي هو - بعجزكم عن معارضـته - أعظـم شاهد لي، ولم يوح إلي فيه أن أقول شيئاً مما تقدم نفيه، وأوحى إلي لأنذركم بـه خصوصاً، وأنذر به كل من بلغه عموماً"[٢].

ومع هذا التقرير السني من البقاعي - رحمه الله - فقد وقـع في الغلـو بالرسول صلى الله عليه وسلم، مع أنه من أكبر الرادين على البدع والضلالات الصوفية، وذلك عندما قال- عفا الله عنه -:"ولعمري إن الأمر لعلى ما قـال صاحب البردة ، وتلقته الأمة بالقبول ، وطرب عليه في المحافل والجموع :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم"[٣]

أي قبول وأي طرب أيها الشيخ إذا كان الكلام يخالف الكتاب والسنة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، متكلما عـن أنواع الغلو الذي وقع في الأمـة : " و منهم من يقول أسقط الربوبية ، وقل في الرسول ما شئت

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه و احتكم "[١]

---

(1)- الأنعام: ٥٠ .

(2)- نظم الدرر ٧/ ١٢٣-١٢٤.

(3)- نظم الدرر٧/٧٨.

ومثل ذلك في الغلو، عندما قرر أن الأنبياء خلقوا من نور النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أول الأنبياء خلقاً ، وذلك عندما قال :" ولما كان الأنبياء عليهم السلام من نوره صلى الله عليه وسلم ، لأنه أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً ، فكانوا في الحقيقة إنما هم ممهدون لشرعه ، وكان سبحانه إنما أرسله ليتمم مكارم الأخلاق"(٢).

وهاتان ضلالتان صوفيتان ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول الخلق ، وأن الأنبياء قد خلقوا من نوره ، و هي عقيدة الغلاة من الصوفية ، حيث يعتقدون أن النور المحمدي هو المخلوق الأول ، وأن خلق الأشياء من هذا النور(٣)، وهم يعتمدون في ذلك الاعتقاد الباطل، على أحاديث باطلة منكرة ، مثل حديث :" كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث، فبدأ بي قبلهم"(٤)، ومنها حديث النور المنسوب إلى مصنف عبد الرزاق ،عن جابر بن

(1)- الرد على البكري،لابن تيمية،٤٢٨/١ ، تحقيق : محمد علي عجال،مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة،الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ . قال الشيخ الألباني-رحمه الله- في كتابه"التوسل"ص٨٠:"ومع هذا التحذير الشديد من الغلو في الدين، وقع المسلمون فيه مع الأسف، واتبعوا سنن أهل الكتاب ،فقال قائلهم :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فهذا الشاعر الذي يعظمه كثير من المسلمين، ويترنمون بقصيدته هذه المشهورة بالبردة، ويتبركون بها وينشدونها في الموالد وبعض مجالس الوعظ والعلم، ويعدون ذلك قربة إلى الله تبارك وتعالى ، ودليلا على محبتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم،وهذا الشاعر، قد ظن النهي الوارد في الحديث السابق منصبا فقط عن الادعاء بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ابن الله، فنهى عن هذه الفواحشة، ودعا إلى القول بأي شيء آخر مهما كان، وهذا غلط بالغ وضلال مبين".

(2)- نظم الدرر ٩٠/١٦.

(3)- انظر: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع ، تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان ، ص١٦٨، طبعة دار الافتاء ١٤١٤هـ .

(4)- وهو حديث باطل ومنكر سنداً ومتناً ، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١١٥/٢.

عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء! فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" نور نبيك يا جابر...." الحديث، وهذا الحديث كذب موضوع، وليس هو في مصنف عبد الرزاق ولا رواه أحد من الأئمة المعتمدين[١].

وكل هذا يخالف أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر، خلقه الله من نطفة أبيه عبد الله، ونطفة أمه آمنة، حيث اجتمعا في رحمها ، وولد بعد تسعة أشهر، في عام الفيل، كما يلد سائر البشر، ثم إن ذلك يخالف حديث :" أول ما خلق الله القلم.."[٢].

والخلاف في أول الخلق هل هو القلم أو العرش معروف عند أهل السنة[٣].

وكذلك نقل البقاعي كلاماً عن الرازي، مقراً له، ولم يعترض عليه، ولا دليل على أكثره من كتاب أو سنة، بل هو داخل في الغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال البقاعي:" قال الإمام الرازي في اللوامع وكان صلى الله عليه وسلم أبصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة مشاهدة، لم يسترب فيه، حتى روى أنه قال: رأيت ليلة أسرى بي إلى العلى الذرة تدب على وجه الأرض،

---

(1)- انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس تأليف اسماعيل العجلوني ١١٣/١.

(2)- أخرجه أبو داود كتاب السنة باب في القدر ،(٢٢٥/٤) رقم٤٧٠٠ والترمذي في القدر ،(٤٥٧/٤) رقم٢١٥٥ وأحمد ٣١٧/٥ وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند

(3)- قال في "شرح العقيدة الطحاوية " ١ / ٢٦٣:" واختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات أو العرش ؟ على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني أصحهما : أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرشه على الماء) . فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم بحديث عبادة هذا ".

من سدرة المنتهى[١]، وذلك لحدة بصره، والبصر على أقسام: بصر الروح، وبصر العقل الذي فيه التوحيد ، وبصر القربة الذي خص به الأولياء، وهو نور الفراسة، وبصر النبوة، وبصر الرسالة، وهذه الأبصار كلها مجموعة لرسولنا صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم وبجل وعظّم دائماً أبداً، وله زيادة بصر قيادة الرسل وسيادتهم فإنه سيد المرسلين وقائدهم، وكان مطلعاً على الملك والملكوت كما قال: زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها[٢] انتهى"[٣].

وقال أيضاً :" ومن استجلى أحواله صلى الله عليه وسلم علم اطلاع حسه على إحاطة المحسوسات، وإحاطة حكمها، وألسنتها؛ ناطقها؛ وأعجمها، حيها وجمادها، جمعاً لما في العادة حكمة، وكما في خرق العادة آية، يؤثر عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه فكأنما يتكلمان بلسانٍ أعجمي لا أفهم مما يقولون شيئاً "[٤].

وهذه طامة أخرى، حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالإحاطة وهذا لا يكون إلا لله عز وجل.

وأما ما ذكره عن عمر رضي الله عنه، فهو باطل كذب، فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله عن هذا الحديث فقال :" وما قال عمر بن الخطاب ما ذكر عنه قط، ولا روى هذا أحد بإسنادٍ صحيح ولا ضعيف، وهو كلام باطل ؛ فإن من كان دون عمر كان يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1)- ذكره في : نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، ١٠٣/٠٣ ، ولم أقف عليه عند غيره .

(2)- أخرجه ابن ماجه ٢ / ١٣٠٤ رقم ٣٩٥٢ ،والطبراني في الأوسط ٣٩٥٢ كلاهما عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها . وأعطيت الكنزين الأصفر (أو الأحمر) والأبيض وقيل لي إن ملكك إلى حيث زوى لك" ،وصححه الالباني في صحيح ابن ماجه رقم٣١٩٢ .

(3)- نظم الدرر ٢٩٢/١١.

(4)- نظم الدرر ٢٤٣/٢.

ويفهم ما ينفعه الله به، فكيف بعمر؟ وعمر أفضل الخلق بعد أبي بكر، فكيف يكون كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر به لة كلام الزنجي؟.

ثم الذين يذكرون هذا الحديث من ملاحدة الباطنية، يدعون أ م علموا ذلك السر الذي لم يفهمه عمر، وحمله كل قوم على رأيهم الفاسد ، فهل يقول عاقل: إن عمر وهو شاهد لم يفهم ما قالا .

وإن هؤلاء الجهال والضلال أهل الزندقة والإلحاد والمحال علموا معنى ذلك الخطاب، ولم ينقل أحد لفظه، وإنما وضع مثل هذا الكذب ملاحدة الباطنية، حتى يقول الناس: إن ما أظهره الرسل من القرآن والإيمان والشريعة له باطن يخالف ظاهره، وكان أبو بكر يعلم ذلك الباطن دون عمر، ويجعلون هذا ذريعة عند الجهال إلى أن يسلخوهم من دين الإسلام"[١].

ومما سبق يتضح أن البقاعي وافق أهل السنة في قوله ببشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه خافهم في الغلو فيه .

ووافق الصوفية الذين يقولون بأن الأنبياء خلقوا من نور النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه أول الخلق ، ولاحول ولاقوة إلا بالله .

المبحث الثامن
نبوة الخضر

اختلف فيه هل هو ولي أم نبي؟ فمنهم من قال إنه ولي ، والأكثر على أنه نبي .

وهو الذي رجحه البقاعي رحمه الله عندما قال :" (فَوجدا عبدا من عِبادِنا آتيناه رحمةً مِن عِندِنا وعلمناه مِن لدنا عِلْما)[٢] أي وحياً ونبوة، وكونه نبياً قول الجمهور"[١].

---

(1)- مجموع الفتاوى ١٠٩/١٠-١١٠.

(2)- الكهف:٦٥.

قال القرطبي:" والخضر نبي عند الجمهور، وقيل : هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته ، لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي "(٢).

وقال ابن حجر:" ومن أوضح ما يستدل به على نبوة الخضر قوله وما فعلته عن أمري ، وينبغي اعتقاد كونه نبيا ، لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل في دعواهم أن الولي أفضل من النبي حاشا وكلا"(٣).

وقال أيضا:" ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة، فقالوا أنه يستفاد من قصة موسى والخضر أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة والأغبياء، وأما الأولياء والخواص فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم لصفاء قلوبهم عن الأكدار ، وخلوها عن الأغيار، فتنجلي لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات ،ويعلمون الأحكام الجزئيات ، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات ،كما اتفق للخضر فإنه

---

(1)- نظم الدرر ١٠٦/١٢.

(2)- تفسير القرطبي١٧/١٢.

(3)- الفتح٢٢٠/١،وقال ابن حجر في"الإصابة"(٢٨٨/٢):" قال الله تعالى في خبره مع موسى حكاية عنه،" وما فعلته عن أمري"، وهذا ظاهره أنه فعله بأمر الله، والأصل عدم الواسطة، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكر وهو بعيد، ولا سبيل إلى القوم بأنه إلهام ،لأن ذلك لا يكون من غير النبي وحيا حتى يعمل به من قتل النفس وتعريض الأنفس للغرق، فإن قلنا: إنه نبي فلا إنكار في ذلك، وأيضا فكيف يكون غير النبي أعلم من النبي، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: أن الله قال لموسى: بلى عبدنا خضر، وأيضا فكيف يكون النبي تابعا لغير نبي ،وكان بعض أكابر العلماء يقول أول عقد يحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيا، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي ،كما قال قائلهم :

مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي ".

استغنى بما ينجلي له من تلك العلوم، عما كان عند موسى، ويؤيـده الحـديث المشهور:" استفت قلبك وإن أفتوك "[١]،قال القرطبي: وهذا القول زندقة وكفر لأنه إنكار لما علم من الشرائع، فإن الله قد أجرى سنته وأنفـذ كلمتـه، بـأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقـه المبيـنين لـشرائعه وأحكامه، كما قال الله تعالى:(الله يصطَفِي مِن الْملَائِكَةِ رسلًا ومِن الناس)[٢] ، وقال: (اللّه أعلَم حيثُ يجعلُ رِسالَته)[٣] ، وأمر بطاعتهم في كل ما جاؤوا به ،وحث على طاعتهم والتمسك بما أمروا به، فإن فيه الهدى، وقد حصل العلـم اليقين وإجماع السلف على ذلك، فمن ادعى أن هناك طريقا أخرى يعرف ـا أمره و يه، غير الطرق التي جاءت ا الرسل ، يستغني ا عن الرسول فهو كافر يقتل ولا يستتاب ، قال: وهي دعوى تستلزم إثبات نبوة بعد نبينا، لأن من قال أنه يأخذ عن قلبه لأن الذي يقع فيه هو حكم الله، وأنه يعمل بمقتضاه من غـير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة[٤] "[٥].

حياة الخضر:

قال النووي:"جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنـا، وذلـك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكايا م في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخـير ،أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر "[٦].

---

(١)- أخرجه أحمد ٢٢٨/٤،والدارمي٣٢٠/٢ رقم٢٥٣٣،وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه علـى المسند:إسناده ضعيف،وحسنه الألباني لغيره،في صحيح الترغيب والترهيب١٥١/٢ رقم ١٧٣٤.

(٢)- الحج:٧٥.

(٣)- الأنعام:١٢٤.

(٤)- انظر: تفسير القرطبي٣٧/١١.

(٥)- الفتح٢٢٢/١.

(٦)- شرح مسلم للنووي١٣٥/١٥ .

هكذا قال ، والذي رجحه البقاعي أنه ميت وليس بحي،قال رادا على من أثبت حياته:"وليس كذلك ، بل فيه خلاف كثير جدا، والذي يترجح العـدم، ولقد شفى الغليل شيخنا شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر في ترجمة الخضر في كتابه الإصابة في أسماء الصحابة[١]"[٢].

قال ابن حجر[٣] :" وجميع ما ورد في حياته لا يصح منه شيء باتفاق أهل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علته، إما لكونه لا يعرفهـا ، وإما لوضوحها عند أهل الحديث، وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يـنقم منـه ،كيف يجوز لعاقل أن يلقى شخصا لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" والخضر الذى يأتي كثيرا من الناس، إنما هو جني تصور بصورة إنسي، أو إنسي كذاب ، ولا يجوز أن يكون ملكا، مع قوله أنا الخضر، فإن الملك لا يكذب، وإنما يكذب الجني والإنسي، وأنا أعرف مـن أتاه الخضر وكان جنيا مما يطول ذكره في هذا الموضع"[٤].

قال ابن حجر :" وجميع ما ورد في حياته لا يصح منه شيء باتفاق أهـل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علته، إما لكونه لا يعرفهـا ، وإما لوضوحها عند أهل الحديث، وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يـنقم منـه ،كيف يجوز لعاقل أن يلقى شخصا لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه"[٥].

---

(1)- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر٢/٢٨٦-٣١٤ ، تحقيق : علي محمد البجـاوي ، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

(2)- النكت ق٢/١٦٤.

(3)- الإصابة ٢/٢٩٧ .

(4)- مجموع الفتاوى٢٤٩/١.

(5)- الإصابة ٢/٢٩٧ .

الفصل السادس
الإيمان باليوم الآخر

وفيه مباحث :

المبحث الأول :تعريف الإيمـان بـاليوم الآخر وأدلة وجوب الإيمان به .

المبحث الثاني: أشراط الساعة .

المبحث الثالث: الموت .

لمبحث الرابع: الحياة البرزخية .

المبحث الخامس: قيام الساعة .

المبحث السادس: الجنة والنار .

المبحث الأول

تعريف الإيمـان باليوم الآخر

وأدلة وجوب الإيمان به

تعريفه:

"الإيمان باليوم الآخر : هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليـه مـن الإعادة بعد الموت ،والحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، وأ ما دار ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح من النقل"[١]

أدلة وجوب الإيمان باليوم الآخر:

---

(1) - شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، ص١٢.

أدلة الإيمان باليوم الآخر في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر،قال تعالى:(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)[١] ،وقال أيضا: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٢].

وفي حديث جبريل الطويل عندما سأله عن الإيمان:" قال فأخبرني عن الإيمان، قال:" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت "[٣]

---

(1) - البقرة:١٧٧.

(2) - البقرة:٦٢.

(3) - مسلم كتاب الإيمان،باب الإيمان والإسلام ،٣٦/١ رقم ٨ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الثاني

أشراط الساعة

تعريفها وأقسامها :

أولا:تعريف الساعة لغة واصطلاحاً :

١- الساعة لغة : هي جزء من أجزاء الليل والنهار ، قال في "المعجم الوسيط": "جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار ، وآلة مصنوعة يعرف بها الوقت بالساعات والدقائق والثواني"[١].

٢- الساعة اصطلاحاً :

الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها ، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة ، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[٢]

ثانيا:تعريف الأشراط لغة واصطلاحاً :

٣- الأشراط لغة : جمع شرط ، والشرط بفتحتين : العلامة ، وأشراطها: علاماتها[٣].

---

(1)- المعجم الوسيط ٤٦٦/١.

(2) - النهاية لابن الأثير٤٢٢/٢.

(3) - مختار الصحاح ص٣٢٤.

٤- أما اصطلاحاً : فهي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتـدل علـى قدومها[1].

وقال الحافظ ابن حجر : " المراد بالأشراط : العلامات التي يعقبها قيام الساعة"[2].

ويطلق بعض العلماء على هذا الأشراط اسم (الآيات).

قال البقاعي – رحمه الله - : " والأشراط جمع شرط بفتح الـراء وهـو العلامة ، وأصله في الشرط بالسكون "[3].

وفي قوله تعالى : "(فَقَدْ جاء أشراطُها)[4] ،قال:" أي علاما ا المنـذرات ا ، من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة كهـاتين "[5] وانشقاق القمر المؤذن بآية الشمس في طلوعها من مغر ا ، وغير ذلك ، ومـا بعد مقدمات الشئ إلا حضوره "[6].

ثالثا:أقسام أشراط الساعة :

تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين :

- أشراط صغرى : وهي التي تتقدم الساعة الكبرى بأزمان بعيدة متطاولة ، منها ما وقع ومنها لم يقع ، مثل قبض العلم ، وظهور الجهل ، وكثرة شـرب الخمر ، والتطاول في البنيان وغيرها .

---

(1) - النهاية٤٦/٢.

(2) - فتح الباري٧٩/١٣ .

(3) - النكت ق٢/١٧٥.

(4) - محمد:١٨.

(5) – جزء من حديث أخرجه البخاري كتاب التفسير،سورة النازعات، ١٨٨٤/٤، رقـم٤٦٥٢، ومسلم كتاب الجمعة،باب تخفيف الصلاة (٥٢٩/٢) رقم ٨٦٧ ، كلاهما عن جابر بـن عبـد الله رضي الله عنهما.

(6) - نظم الدرر٢٢٨/١٨-٢٢٩.

- أشراط كبرى : وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة سريعة ، مثل ظهور الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج و مأجوج ، وغير ذلك من العلامات الكبرى .

وقد قسم العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم قد ظهر وانقضى .

٢- وقسم ظهر ولا يزال يتتابع باستمرار .

٣- وقسم لم يظهر بعد(١) .

أشراط الساعة الصغرى:

وردت أحاديث كثيرة ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم عددا من أشراط الساعة الصغرى،وقد أورد البقاعي رحمه الله بعضا من تلك الأحاديث فقال:

" روى الشيخان، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال :" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، وتكثر النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد "(٢)

وللبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث ،جاء أعرابي فقال متى الساعة؟ قال :" إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة "، قال: كيف إضاعتها ؟ قال:" إذا وسِد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة "(٣).

---

(1) - انظر:صحيح أشراط الساعة، ص١٩-٢٢،تأليف مصطفى الشلبي،مكتبة السوادي جدة،ط الأولى١٤١٣هـ/١٩٩٣م،وكتاب اليوم الآخر،القيامة الصغرى ص١٣٦-١٣٧،للدكتور عمر سليمان الأشقر،مكتبة الفلاح،ط الثالثة ١٤١١هـ/١٩٩١م

(2) - أخرجه البخاري كتاب العلم،باب رفع العلم،٨٧/١، رقم٨٠،ومسلم كتاب العلم،باب رفع العلم ١٠٤٠/٣،رقم٢٦٧١ عن أنس رضي الله عنه.

(3) – أخرجه البخاري كتاب العلم،باب من سئل علما،٧٨/١ رقم ٥٩ عن أبي هريرة رضي الله

ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، فيقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء "(١).

وللشيخين عنه رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم:" لا تقوم الساعةحتى تجئ نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببـصرى"(٢)، وهي كثيرة جداً"(٣) .

وهذه الأحاديث التي أوردها البقاعي تضمنت الإشارة إلى كثير من أشراط الساعة التي ظهرت،أو التي لم تظهر بعد.

أشراط الساعة الكبرى :

هناك علامات كبرى تدل على قرب قيام القيامة ، فإذا ظهـرت كانـت الساعة على أثرها ،ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال :اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال :" ماتذاكرون" ؟ قـالوا: نذكر الساعة ، قال:"إ ا لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ،فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ،وطلوع الشمس من مغر ا ، ونزول عيـسى بـن مـريم ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق ، وخـسف بـالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من الـيمن تطـرد النـاس إلى محشرهم "(٤).

عنه.

(1) - مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٧٠/١ رقم ١٥٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) – أخرجه البخاري كتاب الفتن،باب خروج النار ٢٦٠٥/٦،رقـم٦٧٠١،ومـسلم كتـاب الفتن،٢٢٢٧/٤، رقم٢٩٠٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) - النكت ق٢/١٧٥.

(4) – أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب في الآيات التي قبـل الـساعة،٢٢٢٥/٤، رقم٢٩٠١.

والآيات الكبرى متتابعة في وقوعها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الأمارات خرزات منظومات في سلك ، فإن يقطع السلك يتبـع بعـضها بعضاً "(١).

وقد ذكر البقاعي في كتبه ثلاث آيات كبرى ، نذكرها مرتبـة بحـسب وقوعها:

١- ظهور المسيح الدجال :

فتنة المسيح الدجال من أعظم الفتن وأخطرها ،حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ في صلاته من فتنته ،ودعا أمته إلى الاستعاذة منه في صلاتهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا فرغ أحدكم مـن التـشهد الأخير ، فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال"(٢).

ومن أجل هذا حذر جميع الأنبياء من فتنته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور، وإن ربكـم ليس بأعور ،وإن بين عينيه مكتوب كافر"(٣).

وقد ذكر البقاعي الدجال عند تفسيره لقوله تعالى:(إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُـمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)(٤) ، فقال : "أنا وأنتم فيه سواء لا أدعـوكم إلى شئ إلا كنت أول فاعل له، ولا أدعي أني إله ولا أدعو إلى عبادة غير الله تعالى

---

(1) - أخرجه أحمد٢١٩/٢، والحاكم ٥٨٩/٤ ، وقال: صحيح علـى شـرط مـسلم، ووافقـه الذهبي،وصححه الألباني في الصحيحة رقم١٧٦٢.

(2) - مسلم كتاب المساجد،باب مايستعاذ منه، ٤١٢/١،رقم ٥٨٨ عن أبي هريرة .

(3) - البخاري كتاب الفتن،باب ذكر الدجال ،٢٦٠٨/٦، رقم٦٧١٢ عن أنس رضي الله عنه.

(4) - آل عمران:٥٠.

،كما يدعى الدجال وغيره من الكذبة، الذين تظهر الخوارق على أيديهم امتحاناً من الله سبحانه وتعالى لعباده ، فيجعلو ا سبباً للعلو في الأرض والترفع علـى الناس"[١].

وفي هذا النص يشير إلى الدجال الذي تظهر على يديه الخوارق، مع أنه لم يذكر أنه من أشراط الساعة الكبرى ، ولكن هذا من المعلوم عنـد المـسلمين ضرورة .

٢- نزول عيسى عليه السلام :

أخبرنا الله جل وعلا في كتابه عن نبيه عيسى عليه السلام بأنـه لم تقتلـه اليهود كما زعموا وصدقهم على ذلك النصارى، بل رفعه الله إلى الـسماء ثم ي له آخر الزمان ، قال تعالى :(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شـبه لهـم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلـوه يقينا* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما)[٢] .

وأشار الله الحق في كتابه الحق إلى أن عيسى سي ل آخـر الزمـان ، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب وقوع الساعة ، قال تعالى : (وإنـه لعلـم للساعة)[٣] ، قال البقاعي – رحمه الله - في تفسيرها : "(وإنه) أي عيسى عليه الصلاة والسلام (لعلم للساعة) أي نزوله سبب للعلم بقرب الساعة، التي هـي إعدام الخلائق كلهم بالموت ، وكذا ما نقل عنه من أنه كان يحيي ، وكذا إبراؤه الأسقام، سبب عظيم للقطع بالساعة، التي هي القيامة؛ فهو سبب للعلم بالأمرين : عموم الإعدام ، وعموم القيام"[٤].

---

(1) - نظم الدرر٤/٤١٠.

(2) - النساء:١٥٧-١٥٨.

(3) - الزخرف:٦١.

(4) - نظم الدرر١٧/٤٦٠.

وعند قوله تعالى:(وإن من أهل الْكِتابِ إلا لَيؤمِنن بِهِ قَبلَ موتِهِ ويوم الْقِيامةِ يكُونُ عليهم شهيدا)[١] . قال - رحمه الله - :" أي بعيسى عليه الصلاة والسلام ، (قبل موته) أي موت عيسى عليه الصلاة والسلام ، أي إنه لا يموت حتى ينزل في آخر الزمان، يؤيد الله به دين الإسلام، حتى يدخل فيه جميع أهل الملل، إشارة على أن موسى عليه السلام إن كان قد أيده الله تعالى بأنبياء كانوا يجددون دينه زماناً طويلاً ، فالنبي الذي نسخ شريعة موسى، وهوعيسى عليهما الصلاة والسلام، وهو الذي يؤيد الله به هذاالنبي العربي في تجديد شريعته ، وتمهيد أمره، والذب عن دينه ، ويكون من أمته ، بعد أن كان صاحب شريعة مستقلةٍ، وأتباع مستكثرةٍ، أمراً قضاه الله في الأزل فأمضاه ، فأطيلوا أيها اليهود أو أقصروا فمعنى الآية إذن - والله أعلم - أنه ما من أحدٍ من أهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه الصلاة والسلام على شك إلا وهو يوقن بعيسى عليه الصلاة والسلام قبل موته، بعد نزوله من السماء.

روى الشيخان، وأحمد، وأبوبكر بن مردويه[٢]، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً إماماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" ، وفي رواية :" وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين [٣]"، وفي رواية

---

(1) - النساء:١٥٩.

(2)- الحافظ الثبت العلامة أبو بكر احمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، صاحب التفسير والتاريخ وغير ذلك ،وعمل المستخرج على صحيح البخاري ، وكان فيما بمعرفة هذا الشان بصيرا بالرجال طويل الباع مليح التصانيف ، ولد سنة ٣٢٣ هـ ،وتوفي سنة ٤١٠هـ .انظر:تذكرة الحفاظ ١٠٥٠/٣ .

(3)- هذه الرواية جزء من حديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، رقم٢٠٨٤٤(٤٠١/١١) ، وابن مردوية كما ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور(٧٣٥/٢) .

: "حتى يهلك الله الملل كلها غير الإسلام ، فيهلك الله في زمانه الملل كلـها إلا الإسلام[١]" يقول أبو هريرة:" اقرءوا إن شئتم :(وإن من أهـل الكِتـابِ إلا ليُؤمِنن بِهِ قَبلَ موتِهِ) الآية ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ويدعون إلى المال فلا يقبله أحد " [٢]، ولمسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قـال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فيـنزل عيسى ابن مريم عليه الـصلاة والـسلام فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة[٣] "[٤].

وقال أيضاً :(ويكلم الناس فِي الْمهدِ وكهلاً ومِن الصالِحِين)[٥] أي بعد نزوله من السماء في خاتمة اليوم المحمدي ، ويكون كلامه في الحـالتين كـلام الأنبياء من غير تفاوت"[٦]

٣- خروج يأجوج و مأجوج :

وهو من العلامات الكبرى من علامات القيامة التي ثبتـت في الكتـاب والسنة وبإجماع الأمة . قال تعالى :(حتى إِذَا فُتِحت يأجوج ومأجوج وهم من

---

(1)- هذه الرواية جزء من حديث أخرجه الطبري في تفسيره(٣/٢٩١) وابن حبان في صحيحه رقم ٦٨٢١(١٥/٢٣٣) ، وأبو داوود في سـننه كتـاب الملاحم بـاب خـروج الـدجال ، رقـم ٤٣٢٤(٤/١١٧) وأحمد في مسنده ، رقم ٩٢٥٩(٢/٤٠٦) ، وقال ابن حجر: "رواه أحمد وأبـو داود بإسناد صحيح" الفتح(٦/٤٩٣) .

(2) – أخرجه البخاري بنحوه كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم(٣/١٢٧٢) رقم ٣٢٦٤، ومسلم بنحوه كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم رقم ١٥٥(١/١٣٥)وأحمـد ٢١٧/١رقـم ٣٨٨.

(3) - أخرجه مسلم كتاب الإيمان ،باب نزول عيسى، ١٣٧/١،رقم ٢٤ .

(4) - نظم الدرر٤٩٧/٥-٤٩٩

(5) -آل عمران:٤٦.

(6)- نظم الدرر٣٩٨/٤.

كُل حدبٍ ينسِلُونَ)[١] ، وهم يخرجون بعد قتل عيسى عليه السلام للـدجال ، وقد جاء في الحديث الطويل عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله تعالى يوحي إلى عيسى بن مريم عليه الـسلام بعد قتاله الدجال ، إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حـدب ينـسلون... الحديث بطوله "[٢]

وقد أكد البقاعي خبرهم في قوله تعالى :(قَالُوا يا ذَا الْقَرنين ِإن يـأجوج ومأجوج مفْسِدونَ ِفِي الْأَرضِ فَهلْ نجعلُ لَك خرجا علَى أن تجعلَ بيننا وبينهم سدا)[٣] ،قال:" وهما قبيلتان من الناس من أولاد يافث لايطاق أمرهم ،ولا يطفأ جمرهم وقد ثبت في الصحيح في حديث بعث النار أ م مـن ذريـة آدم عليـه السلام "[٤].

والحديث الذي أشار إليه هومن حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقول الله سبحانه وتعـالى يـوم القيامة : يا آدم قم فابعث بعث النار ، قال : فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك، يارب وما بعث النار ؟ قال : فيقول من كل ألف تسعمائة وتـسعة وتسعين ، فحينئذ يشيب المولود ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى النـاس سكارى وماهم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد ، قال : فيقولون : وأينا ذلك

---

(1) - الأنبياء:٩٦.

(2) – أخرجه مسلم كتاب الفتن،باب ذكر الدجال،٢٢٥٣/٤، رقم ٢٩٣٧ .

(3) - الكهف:٩٤.

(4) - نظم الدرر١٣٥/١٢.

الواحد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه:"تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد، قال:فقال الناس : الله أكبر "[1] .

ومما سبق يتضح أن البقاعي موافق لأهل السنة في الإيمان بأشراط الساعة ، ومن أعظمها ظهور المسيح الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليـه السـلام ، وخروج يأجوج ومأجوج .

المبحث الثالث

المـــــــــوت

١ - الموت حق :

الموت حتم لازم ،لا مناص منه لكل حي من المخلوقات ،كما قال تعالى : (كُل نفْسٍ ذَاِئقَةُ الْموتِ)[2] ،وقال أيضا:(إنك ميت وإنهم ميتونَ)[3] .

والموت حق على الإنس والجن ، قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : "أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت ،والجن والإنس يموتون"[4].

---

(1) - البخاري كتاب الأنبياء،باب قصة يأجوج ومأجوج،١٢٢١/٣ رقم٣١٧٠،مـسلم كتـاب الإيمان ،٢٨٧/١، رقم٣٧٩ .

(2) - الأنبياء:٣٥

(3) - الزمر:٣٠

(4) - البخاري كتاب التوحيد،باب قول الله تعالى: وهوالعزيز الحكـيم،رقـم ٦٩٤٨(٢٦٨٨/٦) ،ومسلم في الذكر والدعاء،باب التعوذ ،٢٠٨٦/٤، رقم٢٧١٧،عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والموت هو مفارقة الروح للجسد ، التي تصعد إلى باريها ، فأما المؤمن فتحمل روحه ملائكة الرحمة وتفتح له السماء ، وأما الكافر فتحمله ملائكة العذاب وتغلق دونه أبواب السماء[١] .

قال تعالى:(إِن الذِين كَذبواْ بِآياِتنا واستكْبرواْ عنها لاَ تفَتح لَهم أَبواب السماء ولاَ يدخلُونَ الْجنةَ حتى يلِج الْجملُ فِي سم الْخِياطِ وكَذَلِك نجزِي الْمجرِمِين)[٢] . قال البقاعي – رحمه الله – :"(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم) أي لصعود أعمالهم ، ولا دعائهم ، ولا أرواحهم، ولا نزول البركات عليهم، (أبوب السماء) لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية والمعنوية ، فإذا صعدت أرواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الأبواب دونها، ثم ألقيت من هناك إلى سجين ، (ولا يدخلون الجنة) أي التي هي أطهر المنازل وأشرفها(حتى يلج الجمل في سم الخياط)"[٣].

وقال أيضاً :" (فَكَيف إِذَا توفتهم الْملاَئِكَةُ)[٤] أي: قبضت رسلنا - وهم ملك الموت وأعوانه - أرواحهم كاملة "[٥].

ماهية الروح :

اختلف الناس في ماهية الروح على عدة أقوال ، ذكرها ابن القيم كلها في كتابه " الروح" ، ورجح القول بأنها :" جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر

---

(1)- وردت أحاديث عديدة حول هذا المعنى انظر مثلاً مارواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم ٢٨٧٢(٢٢٠٢/٤).

(2) - الأعراف:٤٠.

(3) - نظم الدرر٣٩٩/٧.

(4) - محمد:٢٧.

(5) - نظم الدرر٢٤٩/١٨.

الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم ، فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها في هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ،وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية ، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح[١]".

قال ابن القيم بعد أن ساق هذا القول : " وهذا القول هو الصواب في المسألة ، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأدلة العقل والفطرة ، ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد"[٢]، ثم ساق خمسة عشر دليلاً ومائة فأجاد وأفاد .

وهذا الذي رجحه البقاعي حين اختصاره لكتاب الروح عندما قال : " فهذا وأمثاله يدل على كون الروح جسماً"[٣].

وقال أيضاً :" الروح جسم، ومذهب أهل الحق أ ا أجسام، لم يخالف في ذلك منهم إلا قليل ،منهم الحليمي والغزالي والدبوسي[٤]، وقالوا إ ا جواهر مفردة "[٥]

انتفاع الأموات من سعي الأحياء :

---

(1)- الروح (١٧٨-١٧٩).

(2) - كتاب الروح لابن القيم ص٢٦٦ - مطبوعات مكتبة محمد على صـبيح وأولاده، بميـدان الأزهر، القاهرة .

(3) - سر الروح للبقاعي، ص ٢٢.

(4)- اهو القاضي أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي النجاري شيخ الحـنفين بمـا وراء النهر كان من الأذكياء ، توفي سنة ٤٣٠ .

(5) - النكت ق ٢/٨٧.

قال شارح الطحاوية: "اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين :

أحدهما : ما تسبب إليه الميت في حياته .

والثاني : دعاء المسلمين واستغفارهم له ، والصدقة والحج على نزاعٍ فيما يصل من ثواب الحج ، واختلف في العبادات البدنية ، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فذهب أبوحنيفة وأحمد وجمهور السلف على وصولها، والمشهور في مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها [١].

وقد نقل البقاعي ، الكلام السابق في كتابه " سر الروح "[٢] ؛ إذ هو اختصار لكتاب ابن القيم رحمه الله ، وشارح الطحاوية ناقل عن ابن القيم .

قال البقاعي - بعد ذلك- : " والعبادات قسمان : مالية وبدنية ، وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر الأعمال المالية، أما أداء الدين فبالإجماع ، ولو كان من أجنبي بدون إذنه أو من غير تركة الميت، وبوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر الأعمال البدنية ، وبوصول ثواب الحج على وصول ثواب المركب منهم، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك أن ثواب العبادات البدنية المتمحضة لا يصل ، لأن العبادات نوعان :

أحدهما : لا تدخله النيابة كالإسلام والصلاة وقراءة القرآن والصيام؛ فهذا النوع يختص ثوابه بفاعله لايتعداه كما في الحياة.

والثاني : تدخله النيابة، كرد الودائع، وأداء الديون، وإخراج الصدقة، والحج ،فهذا يصل ثوابه إلى الميت ؛ لأنه يقبل النيـابة في الحيـاة ، فبعد الموت أولى "[١] .

---

(1) – شرح الطحاوية(٥١١) و انظر: مجموع الفتاوى ٣٠٦/٢٤ - ٣١٣ ، والروح لابن القـيم ص ١٧٤.

(2) - سر الروح ص ٢٢١.

وبهذا وافق البقاعي أهل السنة والجماعة في تعريف ماهية الروح ، أما انتفاع الأموات من سعي الأحياء فهو خلاف فقهي ، وماقال به البقاعي هو المشهور في مذهب الشافعي كما سبق .

المبحث الرابع
الحياة البرزخيـــــة

البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين[2]، قال تعالى :"(وجعلَ بينهما برزخا)[3]،أي حاجزا ، والبرزخ في الشريعة الدار التي تعقب الموت إلى البعث، قال تعالى :"(وَمِن ورائِهِم برزخٌ إِلَى يومِ يبعثُونَ) [4]، قال مجاهد :" هوما بين الموت والبعث "،و قال ابن زيد : "البرزخ ما بين الموت إلى البعث "[5]، وهذه الحياة البرزخية فيها أحداث ينبغي على المسلم اعتقادها منها :

---

(1) - سر الروح ص ٢٢٦.

(2) - انظر:لسان العرب،مادة برزخ(٨/٣)، ومختار الصحاح(٢٠/١).

(3) - الفرقان:٥٣.

(4) - المؤمنون:١٠٠.

(5) - انظر: تفسير الطبري ٢٤٤/٩.

١ - عذاب القبر :

قال شارح الطحاوية : " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر، ونعميه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به ، ولا نتكلم في كيفيته،إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذا الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، وقد يأتي بما تحار فيه العقول ؛ فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا " [١].

وقال في موضع آخر:"واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ؛ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، ُقبِر أو لم ُيقبر، أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ، وما ورد في إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك ، فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير"[٢] .

"وأنكرت الملاحدة، ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة، عذاب القبر بأنه ليس حقيقة، واحتجوا لذلك بأ م يفتحون القبور فلا يرون شيئاً مما أخبرت به النصوص"[٣] .

وأنكره أيضاً الخوارج وبعض المعتزلة ، وخالفهم جميع أهل السنة ، وأكثر المعتزلة[٤].

---

(1) - شرح الطحاوية ٥٧٩/٢.

(2) - شرح الطحاوية ٥٨٠/٢.

(3) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م ص ١٣٩.

(4) - فتح الباري ٢٣٣/٣.

وهؤلاء كذبوا بما لم يحيطوا به ، والأدلة كثيرة من الكتاب والسنة على عذاب القبر .

وقد جرى البقاعي على منهج أهل السنة في هذه العقيدة فقال : " أما عذاب القبر فحق أعاذنا الله منه ، ولا خلاف بين أهل السنة فيه ، لثبوته في الأخبار الصحيحة الصريحة المتواترة أي تواتراً معنوياً"[1] .

وقال أيضاً : " واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل ميت أراد[2]تعذيبه ناله ما أراده به قبر أو لم يقبر ، لو صلب أو غرق في البحر، ولو أكلته الدواب ، أو حرق حتى صار رماداً ، وذري في الريح ، فسبحان ذي القدرة الشاملة والعظمة الباهرة الكاملة "[3].

وعند قوله تعالى :" (وحاق ِبآل ِفرعونَ سوءُ الْعذَابِ * النار يعرضونَ عليْها غُدوا وعشِيا ويوم تقُوم الساعةُ أدخِلُوا آلَ ِفرعونَ أشد الْعذَابِ)[4] ، قال البقاعي في تفسيرها :" (النار يعرضون عليها) أي في البرزخ ، (غدواً وعشياً) أي غادين ورائحين، في وقت استرواحهم بالأكل واستلذاذهم به ، هذا دأ م طول أيام البرزخ، وكان عليهم في هذا العرض زيادة نكد،فوق ما ورد عاماً ، مما روى مالك والشيخان وغيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار

---

(1) - سر الروح للبقاعي ص ٢٣٣.

(2) – هكذا بالأصل المراد "أراد الله تعذيبه" وهو من الروح ذا النص :فكل مـن مـات وهـو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صـار رمـاد أو نسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحـه وبدنـه مـن العـذاب مايـصل إلى القبو"الروح(٥٨١١) .

(3) - سر الروح ص ٢٤٥.

(4) - غافر:٤٥-٤٦.

فمن أهل النار فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة"[١] ،ولعل زيادة النكد أ م هم المعروضون فيذهب م في الأغلال يساقون لينظروا ما أعد الله لهم، وعامة الناس يقتصر في ذلك على أن يكشف لهم وهم في محالهم ، عن مقاعدهم ، ففي ذلك زيادة إهانة لهم " [٢].

وقد أورد البقاعي أحاديث على صحة عذاب القبر قال : " عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها : (أعاذك الله من عذاب القبر)، قالت عائشة : فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال:(نعم عذاب القبر حق) قالت : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر[٣]"[٤].

وقال أيضاً : " ففي صحيح مسلم وجميع السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ،ومن شر المسيح الدجال [٥]، وفي الصحيحين[٦] عن ابن عباس رضي

---

(1) – أخرجه البخاري في الجنائز باب الميـت يعـرض عليـه في الغـداة والعـشي ، ٤٦٤/١ ،رقم١٣١٣، ومسلم في الجنة،باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النـار عليـه،٢١٩٩/٤، رقـم ٢٨٦٦ ، وهو في موطأ مالك (٢٣٩/١) برقم (٥٦٦).

(2) - نظم الدرر ٨١/١٧-٨٢.

(3) - أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ٤٦٢/١، رقم ١٣٠٦.

(4) - النكت ق١/٨٣.

(5) – أخرجه مسلم كتاب المساجد،باب مايستعاذ منه،٤١٢/١، رقم ٥٨٨،وأبـو داود كتـاب الصلاة باب ما يقول بعد التشهد رقم٩٨٣، والنسائي كتاب الصلاة بـاب التعـوذ٥٨/٣ رقـم ١٣١٠ ، وابن ماجه كتاب الصلاة، باب مايقال في التشهد رقم ٩٠٩.

(6) – أخرجه البخاري كتاب الطهارة،باب ما جاء في غسل البول،٨٨/١ رقم٢١٥،ومسلم كتاب الطهارة،باب الدليل على نجاسة البول ،٢٤٠/١، رقم٢٩٢ .

الله عنهما قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين ،فقال إ ما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، ثم قال :بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ،وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ،ثم قال :ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ،ثم غرز كل واحد منهما على قبر ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ، ما لم ييبسا "(١).

وقد رد البقاعي على المنكرين لعذاب القبر، بحجة أ م لا يرون ذلك ولا يسمعونه ، فقال رحمه الله : " النائم فإنه ساكن فيما ترى وأنت إلى جنبه ،ومع ذلك يرى الأمور العظام ، ويقاتل ويقتل،ويضرب ويطير، لا يرى عليه أثر شيء من ذلك في الغالب.

وقد أشبعت الكلام في هذا في كتاب "سر الروح " فمن أراد الوقوف على حقيقة الروح ، وغالب أحوالها بعد الموت ؛ فليراجعه، فإنه عظيم في بابه جداً، والأحاديث الواردة في هذه الأشياء وإن كانت آحاداً فقد استندت بالإجماع ، فصارت قطعية، ولا يضر خلاف المعتزلة بعد انعقاد الإجماع"(٢) .

٢- عذاب القبر على الروح والبدن جميعاً :

قال شيخ الإسلام: " العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل ا ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين ، كما يكون للروح منفردة عن البدن "(٣).

وهذا ماذهب إليه الإمام البقاعي حيث فقال : " وأما محل العذاب فالروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة" (٤)، وقال أيضاً : " والحاصل أن مذهب سلف الأمة أن المرء إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه

---

(1) - سر الروح ص٢٣٣.

(2) - النكت ق ١/٨٧

(3) - مجموع الفتاوى ٢٨٢/٤ ، وانظر: شرح الطحاوية ٥٧٩/٢، والروح لابن القيم ص.٧٦

(4) - سر الروح ص٢٤٦.

، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأ ا تتصل بالبدن أحياناً ، يحصل لها مع النعيم أو العذاب، فإذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وجميع هذا ثابت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين أهل الشرائع المسلمين واليهود والنصارى، وإنما أوقع من أحال عذاب القبر في الضلال، قياسهم غيب المآل على شاهد الحال "[١].

٣- سؤال منكر ونكير :

قال البقاعي معلقاً على قول التفتازاني في:" (قوله وسؤال منكر ونكير) ،الأحاديث فيه كثيرة جداً ، منها ما أخرجه الشيخان وغيرهما، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة فيراهما جميعاً - قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون - وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال لادريت ولا تليت،ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين "[٢].

وهل هذا السؤال عام في كل المسلمين؟ قال السفاريني رحمه الله : " ورد في صحيح الأخبار أن بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر، ولا يأتيهم الفتانان وذلك على ثلاثة أنحاء، مضاف إلى عمل، ومضاف إلى حال ابتلاء نزل بالميت،

---

(1) - سر الروح ص ٢٤٦.

(2) – أخرجه البخاري في الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال ،٤٤٨/١، رقم١٢٧٣ ، ومسلم في الجنة باب عرض مقعد الميت ،٢٢٠٠/٤، رقم ٢٨٧٠ .

ومضاف إلى زمان، كالشهداء[١] ومن لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب، والمرابطين في سبيل الله[٢]، والمراد أن من مات مرابطاً لم يفتن في قبره ، وروى أن سورة تبارك من قرأها كل ليلة عصم من فتنة القبر[٣]، ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كفي فتنة القبر[٤] ، وممن لا يسئل الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام "[٥].

---

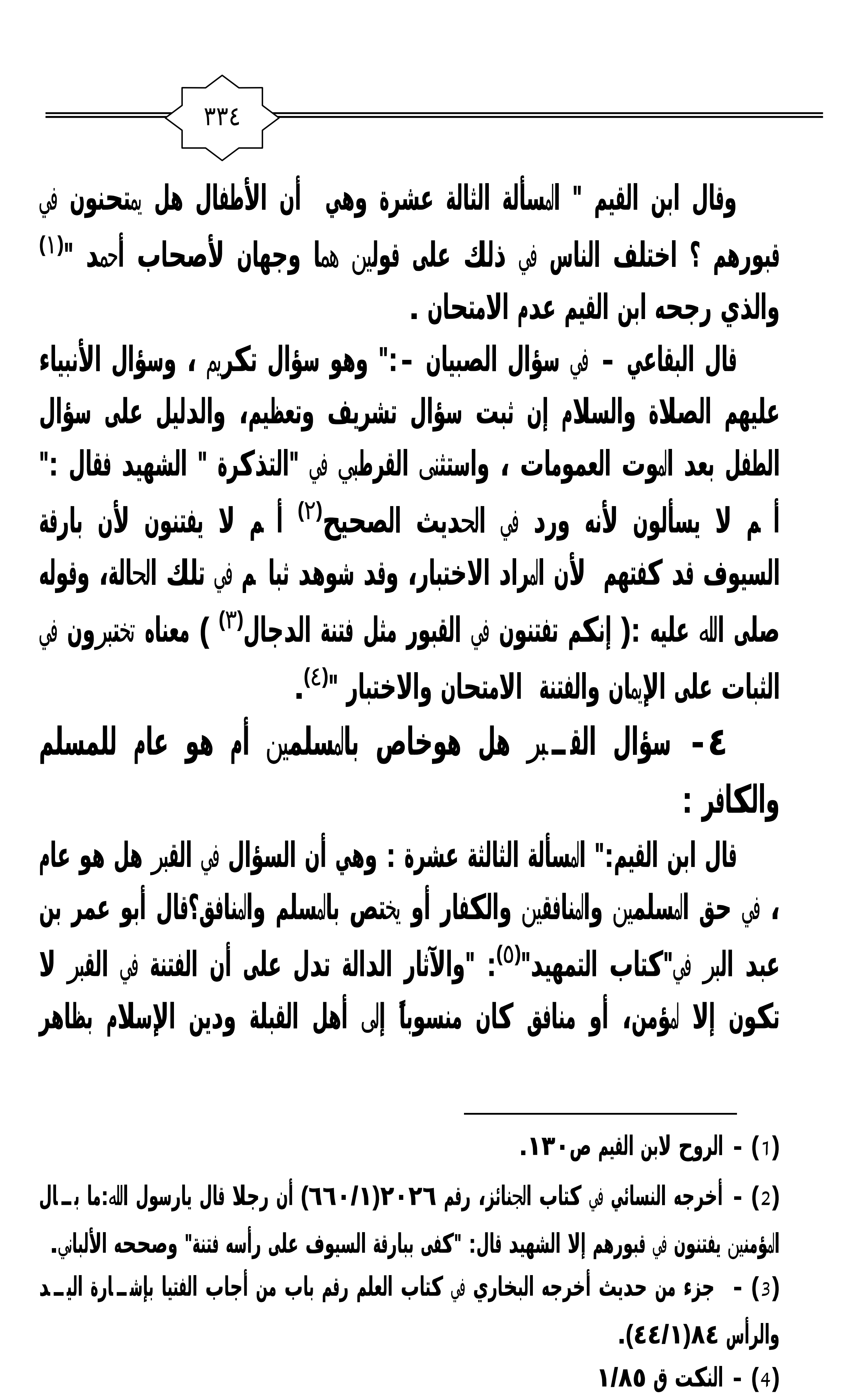
(1) - عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه" أخرجه الترمذي في الجهاد باب في ثواب الشهيد رقم ١٦٦٣(٥٧/٤)، وقال:" هذا حديث حسن صحيح غريب"،وصححه الألباني .

(2) - عن سلمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه ، وأمن الفتان " أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب فضل الرباط ،١٥٢٠/٣، رقم١٩١٣

(3) - عن أبي هريرة : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له (تبارك الذي بيده الملك) " . أخرجه أبو داود كتاب الصلاة في عدد الآي رقم (٥٧/٤) ١٤٠٠،وحسنه الألباني.

(4) - أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب ماجاء فيمن مات يوم الجمعة برقم١٠٧٤(٣٨٦/٣) عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر" وقال: "حديث غريب ليس إسناده بمتصل" ، وأخرجه أحمد في مسنده برقم ٦٥٨٢(١٦٩/٢)وقال ابن حجر عن هذا الحديث " أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً (وذكره) ثم قال : " وفي إسناده ضعف ، وأخرجه أبو يعلى من حديث أنس نحوه وإسناده أضعف) الفتح (٢٥٣/٣) .

(5) - لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١١/٢.



وقال ابن القيم " المسألة الثالة عشرة وهي أن الأطفال هل يمتحنون في قبورهم ؟ اختلف الناس في ذلك على قولين هما وجهان لأصحاب أحمد "(١) والذي رجحه ابن القيم عدم الامتحان .

قال البقاعي - في سؤال الصبيان -:" وهو سؤال تكريم ، وسؤال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إن ثبت سؤال تشريف وتعظيم، والدليل على سؤال الطفل بعد الموت العمومات ، واستثنى القرطبي في "التذكرة " الشهيد فقال :" أ م لا يسألون لأنه ورد في الحديث الصحيح(٢) أ م لا يفتنون لأن بارقة السيوف قد كفتهم لأن المراد الاختبار، وقد شوهد ثبا م في تلك الحالة، وقوله صلى الله عليه :(إنكم تفتنون في القبور مثل فتنة الدجال(٣)) معناه تختبرون في الثبات على الإيمان والفتنة الامتحان والاختبار "(٤).

٤- سؤال القـبر هل هوخاص بالمسلمين أم هو عام للمسلم والكافر :

قال ابن القيم:" المسألة الثالثة عشرة : وهي أن السؤال في القبر هل هو عام ، في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟قال أبو عمر بن عبد البر في"كتاب التمهيد"(٥): "والآثار الدالة تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن، أو منافق كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر

---

(1) - الروح لابن القيم ص١٣٠.

(2) - أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٦(٦٦٠/١) أن رجلا قال يارسول الله:ما بـال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة" وصححه الألباني.

(3) - جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب العلم رقم باب من أجاب الفتيا بإشـارة اليـد والرأس ٨٤(٤٤/١).

(4) - النكت ق ١/٨٥

(5) - التمهيد٢٥٢/٢٢.

الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه ، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام فـ (يثَبت اللّه الذِين آمنواْ بِالْقَول الثابِتِ فِي الْحياةِ الدنيا وفِي الآخِرةِ ويضِل اللّه الظالِمِين ويفْعلُ اللّه ما يشاء)[١] ، وقد ثبت في الصحيح[٢] أ ا نزلت في عذاب القبر حين يسأل من ربك وما دينك ومن نبيك "[٣].

وقد مال البقاعي إلى قول ابن القيم عندما قال : " والحق إنه عام لنا ولغيرنا، ولا دلالة في الأحاديث المذكورة على الخصوص "[٤] ، ثم قال : " بل في بقية هذا الحديث بعينه ما يشعر بالعموم ، وهوحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهودية جاءت تسألها فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ، وفي رواية : فذكرت عذاب القبر : فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيعذب الناس في قبورهم ،فقال صلى الله عليه وسلم عائذاً بالله من ذلك ،ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم مركباً فخسفت الشمس ، الحديث وفي آخره :وانصرف فقال ما شاء الله أن يقول ، ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر، وأخرجه الشيخان والنسائي[٥] ،

---

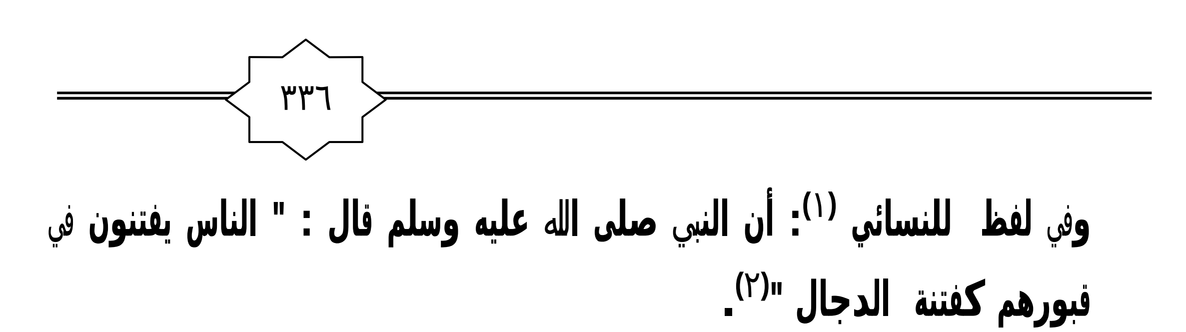
(1) - إبراهيم:٢٧.

(2) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (يثبت الله الذين آمنـوا بـالقول الثابـت) رقـم ٤٤٢٢(١٧٣٥).

(3) - الروح لابن القيم ص١٢٤.

(4) - سر الروح للبقاعي ص٢١٣

(5) - أخرجه البخاري في كتاب الكسوف،باب التعوذ من عذاب القبر ،٣٥٦/١، رقـم١٠٠٢ ، ومسلم في كتاب الكسوف،باب ذكرعـذاب القـبر ،٦٢١/٢، رقـم ٩٠٣،والنـسائي كتـاب الكسوف١٣٣/٣ رقم١٤٧٥ ، جميعهم عن عائشة رضي الله عنها.



وفي **لفظ للنسائي** [١]**: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الناس يفتنون** في **قبورهم كفتنة الدجال "**[٢]**.**

المبحث الخامس

قيـــام الساعـــــــــة

وفيه مطالب :

المطلب الأول:الساعة علمها عند الله .

---

(1) - أخرجه النسائي كتاب الكسوف١٣٣/٣ رقم ١٤٧٥ وصححه الألباني.

(2) - سر الروح ص٢١٣.

المطلب الثاني: بعض صور يوم القيامة .

المطلب الثالث: البعث .

المطلب الرابع : الحشر .

المطلب الخامس: النفخ في الصور .

المطلب السادس: الشفاعة .

المطلب السابع: العرض والحساب .

المطلب الثامن : الميزان .

المطلب التاسع: الحوض .

المطلب الأول

الساعة علمها عند الله

قال تعالى:(إن الساعةَ ءاَتِيةٌ أكاد أخفِيها لِتجزى كُل نفْسٍ بِما تسعى)[1] ، وقا ل تعالى : (يسألونك عن الساعةِ أيانَ مرساها قُلْ إنما عِلْمها عِند ربي لا يجليها لِوقْتِها إلا هو ثَقُلَت فِي السماواتِ والأرض لا تأتِيكُم إلا بغتةً يسألونك

---

(1) - طه:١٥.

كَأنك حفِي عنها قُلْ إنما عِلْمها عِند اللَّهِ ولَكِن أكْثَر الناسِ لاَ يعلَمونَ)[١]، قال البقاعي في تفسيرها :" (يسئلونك) أي: عن الساعة مطلقاً في وقت وقوعها وما يحصل من أمورها ويحدث من شدائدها ، أي ويلحفون في سؤالك كلما أخبرتهم أنه لايعلمها إلا الله (كأنك حفي) أي : عالم بأمرها مستقص مبالغ في السؤال (عنها قل) أي : قطعا لسؤالهم (إنما علمها عند الله) أي الذي له جميع العزة والعظمة والكبرياء فلا يستطاع علم شيء مما عنده إلا بإذنه، ولم يأذن في علمها لأحدٍ من الخلق "[٢] .

وفي حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم : " أخبرني عن الساعة ، قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " الحديث[٣].

قال البقاعي:" قال ابن كثير : " وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه : يا محمد ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من صوته :" هاؤم" : فقال : متى الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ويحك إنها كائنة فما أعددت لها" ؟ فقال : حب الله ورسوله فقال :" أنت مع من أحببت "[٤] قال ابن كثير : فقوله في الحديث(

---

(1) - الأعراف:١٨٧.

(2) - نظم الدرر ١٨٦/٨ -١٨٧.

(3) - البخاري كتاب الإيمان،باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام ،٢٧/١ رقم ٥٠، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام ، ٣٩/١، رقم ٩ ، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(4) - البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ، ١٣٤٩/٣،رقم٣٤٨٥ ،ومسلم كتاب البر والصلة،باب المرء مع من أحب ،٢٠٣٢/٤، رقم ٢٦٣٩ عن أنس رضي الله عنه .

المرء مع من أحب) متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها انتهى"[١].

المطلب الثاني

بعض صور يوم القيامة

وعند قوله تعالى:(إن الله عِنده عِلْم الساعةِ وينزلُ الْغيثَ ويعلَم ما فِي الْأرحامِ وما تدري نفْس ماذَا تكْسِب غَدا وما تدري نفْس بِأي أرض تموت إِن الله علِيم خبِير)[٢]، قال البقاعي - رحمه الله - : "(إن الله عنده علم الساعة) أي:وقت قيامها لا علم لغيره بذلك أصلاً وهذا هو المفتاح الأول من مفاتيح الغيب، ينفتح به من العلوم ما يجل عن الحصر عن قيام الأنفس بأبدا ا مائلة

---

(1) - نظم الدرر ٢٨٣/١٧ - ٢٨٤ .

(2) - لقمان:٣٤

على مذاقها بجميع أركا ا ، وأشكالها وألوا ا وسائر شأ ا، وطيران الأرواح بالنفخ إليها واحتوائها عليها على اختلاف أنواعهم ، وتغاير صورهم وأطوالهم وتباين ألسنتهم وأعمالهم إلى غير ذلك من الأمور وعجائب المقدور، ثم سعيهم إلى الموقف ثم وقوفهم ثم حسا م إلى استقرار الفريقين في الدارين، هذا إلى موجهم من شدة الزحام والكروب العظام بعضاً في بعض، يطالبون من يشفع لهم في الحساب حتى يقوم المصطفى صلى الله عليه وسلم المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون إلى انتقاض السماوات، وانكدار ما فيها من النيرات، ونزول الملائكة بعد قيامهم من منامهم وهم من لا يحصى أهل سماء منهم كثرة ، كيف وقد أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم إلا فيه ملك قائم يصلي ، هذا إلى تبدل الأراضي وزوال الجبال ونسف الأبنية والروابي والتلال ، وغير ذلك مما لا يعلمه حق علمه إلا هو سبحانه "[١].

المطلب الثالث

البعـــــــــــث

قال الراغب : " أصل البعث إثارة الشئ وتوجيهه ، يقال بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب ماعلق به فبعثت البعير : أثرته وسيرته وقوله عز وجل:(والموتى يبعثُهم اللّه)[٢] أي يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة .

فالبعث ضربان: بشري وإلهي ؛ فالبشري:كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة ،والإلهي ضربان :

---

(1) - نظم الدرر ٢١٦/١٥ - ٢١٧.

(2) - الأنعام:٣٦.

أحدهما :إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن لا شئ ، وذلك يختص به الباري تعالى ، ولم يقدر عليه أحداً .

الثاني : إحياء الموتى ، وقد خص بذلك بعض أوليائه كعيسى صلى الله عليه وسلم وأمثاله ،ومنه قوله عز وجل:(فَهذَا يوم الْبعثِ)[١] يعني الحشر .وقوله عز وجل:(فَبعثَ اللّه غُرابا يبحثُ ِفي الأَرض)[٢] أي قيضه ، وقوله تعالى:(ثُم بعثْناهم ِلنعلَم أي الْحِزبين أحصى ِلما لَِبثُوا أمدا)[٣] وذلك إثارة بلا توجيه إلى مكان "[٤]

١- معنى البعث في الاصطلاح الشرعي :

يراد به : إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم أحياء للحساب والجزاء.

قال الإمام ابن كثير : " البعث: وهو المعاد وقيام الأرواح والأجسام يوم القيامة "[٥].

٢- الأدلة على البعث :

لقد تنوعت الأدلة على البعث في القرآن العظيم ، وتظاهرت الحجج والبراهين فيه في الرد على المنكرين له ، قال تعالى : "(وضرب لَنا مثَلًا ونسِي خلْقَه قَالَ من يحيِي الْعِظَام وهِي رمِيم * قُلْ يحيِيها الذِي أنشأَها أولَ مرةٍ وهو ِبكُل خلْقٍ علِيم)[٦] .

---

(1) - الروم:٥٦.

(2) - المائدة:٣١.

(3) - الكهف:١٢.

(4) -المفردات ص٥٢-٥٣.

(5) - تفسير القرآن العظيم ٣٠٦/٣.

(6) - يس:٧٨-٧٩.

قال البقاعي - مشيرا إلى قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى -:" وترتيب القياس أن يقال : الله أنشأ العظام وأحياها أول مرة ، وكل من أنشأ شيئاً وأحياه أول مرة ، فهو قادر على إنشائه وإحيائه ثاني مرة ، وينتج أن الله قادر على إنشاء العظام وإحيائها بعد إفنائها "[١] .

وقال تعالى:(يوم نطْوِي السماء كَطَيِّ السجِل ِللْكُتبِ كَما بدأنا أولَ خلْقٍ نعِيده وعدا علَينا ِإنا كُنا فَاعِلِين)[٢] ،قال البقاعي : في تفسيرها : " أي بتلك العظمة بعينها غير ناسين له ولا غافلين ولا عاجزين عنه، فما كان متضام الأجزاء فمددناه نضمه بعد امتداده ، وما كان ميتاً فأحييناه نميته بعد حياته ، وما كان حياً فأمتناه نحييه بعد موته ، ونعيد منهم من التراب من بدأناه منه ، والحاصل أن من أوجد شيئاً لا يبعد عليه التصرف فيه كيفما كان ، وروى البخاري[٣] في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " إنكم محشورون إلى الله عراة غرلاً (كَما بدأنا أولَ خلْقٍ نعِيده)"[٤].

---

(1) - نظم الدرر ٨٣/١٦ وانظر ٣٩١/٢.

(2) - الأنبياء:١٠٤

(3) - أخرجه البخاري كتاب الأنبياء ١١٠٠/٣، رقم ٢٨٥٩

(4) - نظم الدرر٤٨٨/١٢

المطلب الرابع

الحشـــر

وهو حشرالأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف[١] ، قال الله عز وجل : (ويوم نسير الجِبالَ وترى الأرض بارِزةً وحشرناهم فَلَم نغادِر مِنهم أحدا)[٢] .

وفي قوله تعالى:(وإن كُل لما جمِيع لدينا محضرونَ)[٣] قال البقاعي - رحمه الله - : " أي يوم القيامة بعد بعثهم بأعيا م كما كانوا في الدنيا، سواء إشارة على أن هذا الجمع على كراهة منهم، وإلى أنه أمر ثابت لازم دائم كأنه لعظيم ثباته لم يزل ، وأنه لابد منه ، ولا حيلة في التفصي[٤] عنه ، وأنه يسير لا

---

(1) - انظر فتح الباري ٣٧٩/٤

(2) - الكهف:٤٧

(3) - يس:٣٢

(4)-أصل التفصي أن يكون الشيء في مضيق ثم يخرج إلى غيره ، وتفَصى الإنسانُ إذا تخلص مـن الضيق والبلية وتفصى من الشيء تخلص.انظر:لسان العرب ١٥ / ١٥٦.

توقف له على غير الإذن ، فإذا أذن فعله كل من يؤمر به من الجنود كائنا من كان ، وما أحسن ما قال القائل :

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شئ" (١)

وقد أجمعت جميع الملل على بعث الأجساد،وحشرها بالروح والجسد إلا الفلاسفة، فإنهم أنكروا معاد الأبدان وحشرها،قال ابن الجوزي:"وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد، ورد الأرواح إلى الأبدان "(٢)، وقال عنهم شارح الطحاوية:" وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان "(٣). وقد رد البقاعي على الفلاسفة المنكرين لذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة فقال: " أدلة حشر الجسد والروح الموجودين في هذه الدار على ما هما عليه " (٤)

فذكر من الآيات القرآنية :

١- قوله تعالى :"(قُل للذِين كَفَرواْ ستغلَبونَ وتحشرونَ إِلَى جهنم وبِئْس الْمِهاد)(٥)

٢- وقوله تعالى:(ويوم نسير الْجِبالَ وترى الْأَرض بارِزةً وحشرناهم فَلَم نغادِر مِنهم أحدا)(٦)

٣- وقوله تعالى:"(ولَو ترى إِذْ وقِفُواْ علَى النارِ فَقَالُواْ يا لَيتنا نرد ولاَ نكَذب

---

(1) - نظم الدرر ١٢٢/١٦.

(2) - تلبيس إبليس ص٤٧.

(3) -شرح الطحاوية ص٤٥٧.

(4) - النكت ق١/٨٨.

(5) - آل عمران:١٢.

(6) - الكهف:٤٧.

بِآيَاتِ ربنا ونكُونَ مِن الْمؤمِنين)[١] .

٤- وقوله تعالى :" (من ورآئِهِ جهنم ويسقَى مِن ماء صدِيدٍ * يتجرعه ولاَ يكَاد يسِيغه ويأْتِيهِ الْموت مِن كُل مكَانٍ وما هو بِميتٍ ومِن ورآئِهِ عذَاب غَلِيظٌ)[٢].

ثم قال البقاعي بعد إيراد الآيات القرآنية : " إلى غير ذلك من الآيات البينات، والحجج النيرات ، وهي أكثر آيات القرآن ، وأظهر أعلام الفرقان ، وأما الأحاديث فقد بلغت أيضاً من التكرار مبلغ التواتر "[٣]. ثم ذكر بعض الأحاديث التي تدل على ذلك فقال:

١-" روى الشيخان والترمذي عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ:(كَما بدأْنا أولَ خلْقٍ نعِيده وعدا علَينا إِنا كُنا فَاعِلِين)[٤] الحديث[٥]

٢- وللشيخين والنسائي عن أنس رضى الله عنه، أن رجلاً قال : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: "أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة"[٦].

٣- وللشيخين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن أناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء

---

(1) - الأنعام:٢٧.

(2) - إبراهيم:١٦-١٧.

(3) - النكت ق ٨٨ /٢.

(4) - الأنبياء:١٠٤.

(5) - تقدم تخريجه.

(6) - أخرجه البخاري كتاب التفسير،سورة الفرقان ،١٧٨٤/٤، رقم ٤٤٨٢، ومسلم صـفات المنافقين،باب يحشر الكافر على وجهه ،٢١٦١/٤ رقم ٢٨٠٦.

ليس فيها سحاب، قالوا :لا ، قال:" وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله ، قال: "ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ... الحديث[١] ، والأحاديث في ذلك زائدة الانتشار، بعيدة الانحصار، و في هذا المقدار كفاية والله الموفق"[٢].

المطلب الخامس

النفخ في الصور

قال الراغب :" النفخ ، نفخ الريح في الشيء ، قال تعالى : (يوم ينفخ في الصور)[٣]، وذلك نحو قوله :(فإذا نقر في الناقور)[٤] ، ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى" [٥].

وهذا النفخ يكون لتحقيق أمر الله عز وجل في قيام الناس لرب العالمين،بعد إماتتهم ثم إحيائهم مرة أخرى ، والذي يقوم بذلك إسرافيل عليه السلام ، قال ابن جرير الطبري:"والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار

---

(1) - أخرجه البخاري كتاب التوحيد،باب قول الله تعالى:وجـوه يومئـذ ناضـرة ،٢٧٠٤/٦، رقم٧٠٠٠، ومسلم كتاب الإيمان،باب معرفة طريق الرؤية ١٦٤/١رقـم١٨٢ كلاهـا عـن أبي هريرة رضي الله عنه رقم ٢٩٩ .

(2) - النكت ق ٢/٨٨.

(3) - النبأ:١٨.

(4) - المدثر:٨.

(5) - المفردات ص٥٠٠.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال:" إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ "[١]،وأنه قال:" الصور قرن ينفخ فيه "[٢][٣].

قال البقاعي - متكلما عن الصور- :"وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل ، وانقطاع أوان التعامل ، وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه واتساعه إلا الله تعالى ، وهو عليه الصلاة والسلام التقم الصور من حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وحنى جبهته،وأصغى سمعه، ينتظر حتى يؤمر، فيا لها من عظمة ما أغفلنا عنها وأنسانا لها ، وأمننا منها ، والمراد ذه النفخة البعث"[٤].

وفي قوله تعالى:"(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ)[٥] ، قال البقاعي:"(فإذا نقر) أي نفخ وصوت بشدة، وصلابة ونفوذ وإنكاء، (في الناقور) أي الصور، وهو القرن الذي إسرافيل عليه السلام ملتقمه الآن، وهو مصغ لانتظار الأمر بالنفخ فيه للقيامة"[٦].

عدد النفخات :

اختلف العلماء في عدد النفخات : فمنهم من يجعلها نفختين ، ومنهم من يجعلها ثلاثاً ، وبعضهم يجعلها أربعاً ، كما رجحه البقاعي كما سيأتي.

---

(1) – أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الزمر ٣٢٤٣(٣٧٢/٥)، وقال:هـذا حديث حسن، وأحمد ٧/٣ ، وصححه الألباني.

(2) – أخرجه أبو داود كتاب السنة،باب في ذكر البعث والصور رقم٤٧٤٢(٢٣٦/٤)،والترمذي صفة القيامة،شأن الصور رقم٢٤٣٠،أحمد١٦٢/٢ عن عبد الله بن عمرو وصححه الألباني وشـعيب الأرناؤوط.

(3) - جامع البيان ٢٤١/٧.

(4) - نظم الدرر٤٢٣/١٨-٢٢٤ .

(5) - المدثر:٨.

(6) - نظم الدرر ٤٦/٢١.

قال الشوكاني : " والنفخات في الصور ثلاث : الأولى : نفخة الفزع، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة: نفخة البعث... وقيل أ ا نفختان ، وأن نفخة الفزع إما أن تكون راجعة إلى نفخة الصعق أو إلى نفخة البعث"[١]، وممن اختار أ ما نفختان البغوي[٢]،والزمخشري[٣]،والقرطبي[٤]، والبيضاوي[٥]، وأكثر العلماء على أ ا ثلاث ، ومنهم من رجح أن تكون أكثر من ثلاث، قال القاضي عياض : "فظهر أن النفخات ثلاث بل أربع ، نفخة يميت الله تعالى جميع الخلق ا ، ونفخة البعث ، ونفخة الصعق وهي نفخة الفزع ونفخة للإفاقة "[٦]، وضعف الآلوسي هذا القول[٧] .

" ومما تقدم نقله يتبين لنا الأمور الآتية :

١- أن أكثر العلماء على أن النفخات ثلاث ، نفخة الفزع ، والصعق ، والبعث .

٢- أن نفخة الفزع هي النفخة الأولى ، ثم تتبعها نفخة الصعق، وأن بعضهم قد خالف في هذا جاعلاً نفخة الفزع ونفخة الصعق بمعنى واحد أو أن نفخة الفزع ونفخة البعث بمعنى واحد .

٣ - القول بتعدد النفخات إلى أكثر من ثلاث ، كما نقله الألوسي عن القاضي عياض ليس عليه نص ثابت .

---

(1) - فتح القدير ١٥٤/٤-١٥٥.

(2) - انظر: تفسير البغوي (٤٣١/٣)،(١٥/٤).

(3) - الكشاف ١٢٩٠/١.

(4) - تفسير القرطبي٢١٤/١٣ .

(5) - تفسير البيضاوي٣٨١/١.

(6) - روح المعاني ٣١/٢٠-٣٢.

(7) - المصدر السابق(٣٢/٢٠).

٤ - القول بأن نفخة الصعق تكون قبل نفخة البعث ، هو ما ذهب إليه كثير من العلماء"[١].

والذي رجحه البقاعي أن النفخات أربع ، وهي كما يلي:

النفخة الأولى :

قال تعالى:(يوم ترجف الراجِفَةُ)[٢] ،قال البقاعي:" أي الصيحة، وهي النفخة الأولى التي هي بحيث يبلغ من شدة إرجافها للقلوب، وجميع الأشياء الساكنة في الأرض والجبال، إلى نزع النفوس من جميع أهل الأرض"[٣].

وقال أيضا:"(ما ينظُرونَ إلا صيحةً واحِدةً)، وهي النفخة الأولى المميتة(تأخذُهم وهم يخِصمونَ * فلَا يستطِيعونَ توصِيةً ولَا إلى أهلِهم يرجِعونَ * ونفِخ في الصورِ)، أي الذي أخذ م صيحته، والمأذون له إسرافيل عليه السلام(فإذَا هم من الأجداثِ إلى ربهم ينسِلُونَ)[٤] أي يسرعون المشي مع تقارب الخطا بقوة ونشاط"[٥]

النفخة الثانية :

قال البقاعي:"(تتبعها الرادِفَةُ)[٦]، أي: الصيحة التابعة لها التي يقوم لها جميع الأموات،وتجتمع الرفات ،وتضطرب من هولها الأرض و السموات"[٧].

---

(1) - الحياة الآخرة مابين البعث إلى دخول الجنة أو النار ١٩٤/١ د.غالب عواجي دار لينة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧ م.

(2) - النازعات:٦.

(3) - نظم الدرر ٢٢٢/٢١.

(4) - يس:٤٩- ٥١.

(5) - نظم الدرر ٥٠/١٦.

(6) - النازعات:٧.

(7) - نظم الدرر ٢٢٣/٢١.

وقال أيضاً :" (يوم ينفَخ ِفي الصور)[1] ، وهو قرن من نور، على ما قيل سعته أعظم مما بين السماء والأرض ، وهي نفخة البعث وهي الثانية من النفخات الأربع، كما مر في آخر الزمر" [2].

وقال أيضاً :"(فَإنما هِي زجرةٌ واحِدةٌ)[3]، وهي الثانية التي كانت الإماتة لجميع الأحياء في آن واحد بمثلها ، وأصل الزجر الانتهار، ويكون لحثٍ أو منع"[4].

النفخة الثالثة والرابعة :

قال البقاعي:"(ونفِخ ِفي الصور)[5] ، أي القرن العاطف للأشياء، المقبل ا نحو صوته، المميل لها عن أحوالها، العالي عليها في ذلك اليوم، بعد بعث الخلائق، وهي النفخة الأولى بعد البعث، التي هي بعد نفختي الموت والبعث المذكورتين في سورة يس، والمراد ا - والله أعلم - إلقاء الرعب والمخافة والهول في القلوب ، وإظهار للعظمة وترديا بالكبرياء والعز في عزة يوم المحشر ، وليكون أول ما يفجأهم يوم الدين ما لا يحتمله القوى ، ولا تطيقه الأحلام والنهى، كما كان آخر ما فجأهم في يوم الدنيا وان افترقا في التأثير ، فإن تلك أثرت الموت ، وهذه أثرت الغشي، لأنه لا موت بعد الـبعث، وهي الثالثـة من النفخـات

---

(1) - النبأ:١٨.

(2) - نظم الدرر٢١/٢٠٠.

(3) - النازعات:١٣.

(4) - نظم الدرر١٦/٢٠٥.

(5) - ق:٢٠.

(فَصعِق) أي مغشيا عليه ...(ثُم نفِخ ِفيهِ أُخرى)[1] ، أي نفخة ثانية من هذه وهي رابعة من النفخة المميتة "[2].

ثم قال:" وهاتان النفختان هما المرادتان في حديث تخاصم اليهودي مع المسلم الذي لطم وجهه ، وفي آخره :" يصعق الناس يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقه الطور" ، وقد رواه البخاري في الخصومات في موضعين[3] ، وفي أحاديث الأنبياء في موضعين[4]، وفي الرقاق[5]، وفي التوحيد[6]، ومسلم في الفضائل[7]، وأبو داوود في السنة[8] ، والنسائي في التفسير[9] والنعوت[1] ، وبتفصيل رواياته

---

(1) - الزمر:٦٨.

(2) - نظم الدرر ٥٥١/١٦-٥٥٣

(3) – جزء من حديث أخرجه البخاري كتاب الخصومات باب ما يذكر في الخصومة بين المسلم واليهودي ،٨٤٩/٢، رقم ٢٢٨٠ وفيه " ... فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله " عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وبرقم ٢٢٨١ وفيه " فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى " عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه .

(4) - أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب وفاة موسى ،١٢٤٥/٣ رقم٣٢١٧ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه " ...أم جوزي بصعقة الطور " ، ورقم ٣٢٢٧ عن أبي هريرة بنفس لفظ حديثه السابق.

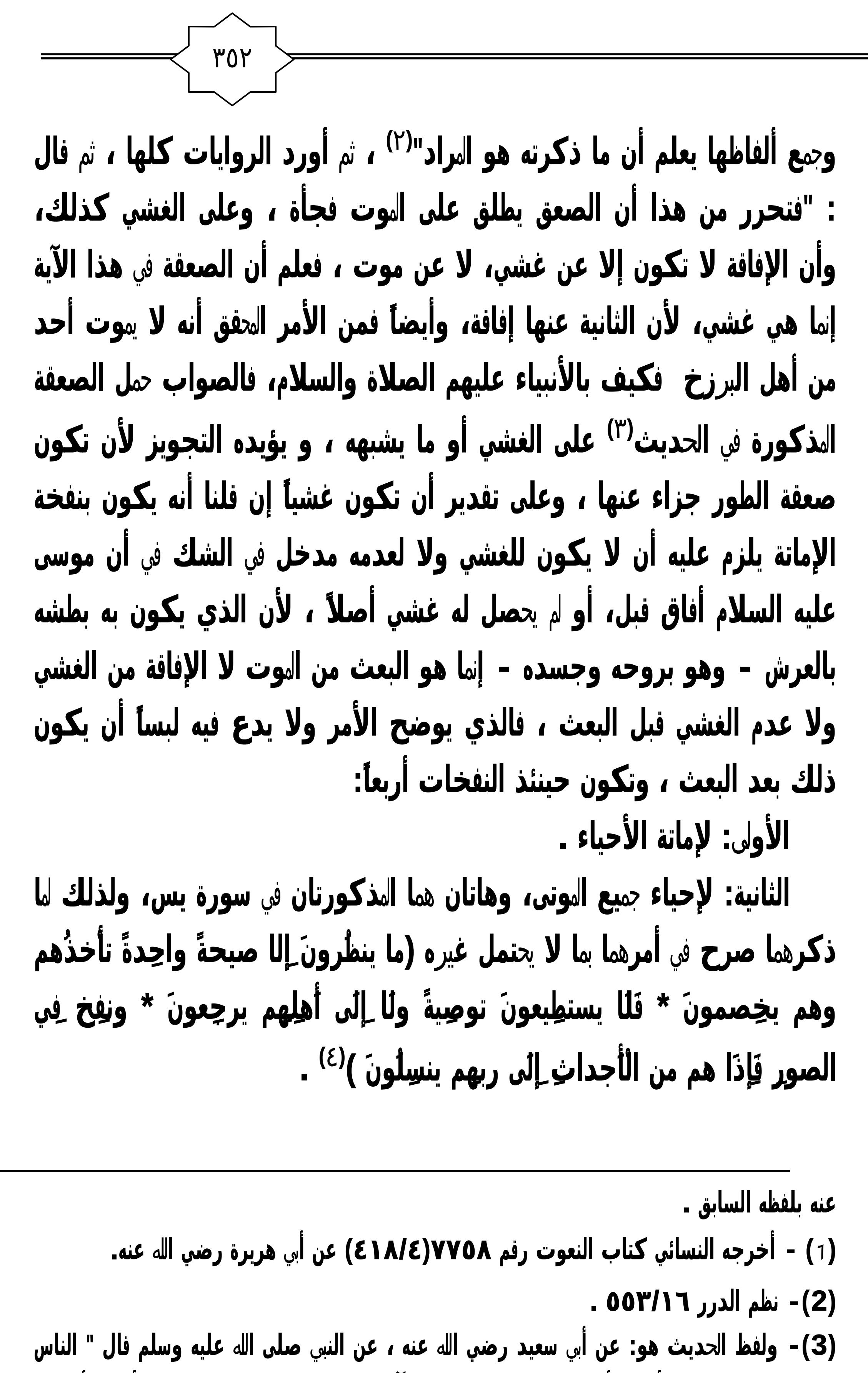
(5) - أخرجه البخاري كتاب الرقاق ، باب نفخ الصور ٢٣٨٩/٥ رقم ٦١٥٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(6) - أخرجه البخاري كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة ٢٧١٧/٦، رقم ٧٠٣٤٦١٥٢عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(7) - أخرجه مسلم الفضائل،باب فضائل موسى عليه السلام ١٨٤٥/٤، رقم ٢٣٧٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه :"...أواكتفي بصعقة الطور".

(8) - أخرجه أبو داود باب في التخيير بين الأنبياء رقم٤٦٧١(٢١٧/٤) عن أبي هريرة ، وفيه "...فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل " .

(9) - أخرجه النسائي في الكبرى كتاب التفسير رقم ١١٤٥٧(٤٤٨/٦) عن أبي هريرة رضي الله



وجمع ألفاظها يعلم أن ما ذكرته هو المراد"[٢] ، ثم أورد الروايات كلها ، ثم قال : "فتحرر من هذا أن الصعق يطلق على الموت فجأة ، وعلى الغشي كذلك، وأن الإفاقة لا تكون إلا عن غشي، لا عن موت ، فعلم أن الصعقة في هذا الآية إنما هي غشي، لأن الثانية عنها إفاقة، وأيضاً فمن الأمر المحقق أنه لا يموت أحد من أهل البرزخ فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالصواب حمل الصعقة المذكورة في الحديث[٣] على الغشي أو ما يشبهه ، و يؤيده التجويز لأن تكون صعقة الطور جزاء عنها ، وعلى تقدير أن تكون غشياً إن قلنا أنه يكون بنفخة الإماتة يلزم عليه أن لا يكون للغشي ولا لعدمه مدخل في الشك في أن موسى عليه السلام أفاق قبل، أو لم يحصل له غشي أصلاً ، لأن الذي يكون به بطشه بالعرش - وهو بروحه وجسده - إنما هو البعث من الموت لا الإفاقة من الغشي ولا عدم الغشي قبل البعث ، فالذي يوضح الأمر ولا يدع فيه لبساً أن يكون ذلك بعد البعث ، وتكون حينئذ النفخات أربعاً:

الأولى: لإماتة الأحياء .

الثانية: لإحياء جميع الموتى، وهاتان هما المذكورتان في سورة يس، ولذلك لما ذكرهما صرح في أمرهما بما لا يحتمل غيره (ما ينظُرونَ إلا صيحةً واحِدةً تأخذُهم وهم يخِصمونَ * فلَا يستطِيعونَ توصِيةً ولَا إِلى أهلِهم يرجِعونَ * ونفِخ فِي الصورِ فإِذَا هم من الْأجداثِ إِلى ربهم ينسِلُونَ)[٤] .

عنه بلفظه السابق .

(1) - أخرجه النسائي كتاب النعوت رقم ٧٧٥٨(٤١٨/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2)- نظم الدرر ٥٥٣/١٦ .

(3)- ولفظ الحديث هو: عن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفـاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور " البخاري رقم ٣٢١٧.

(4) - يس:٤٩- ٥١.

الثالثة : لابتدائهم بعد البعث بالهول الشديد ، والحال يقتضيه، لأن ذلك اليوم يوم الأهوال والإرعاب والإرهاب، وإظهار العظمة والجلال لتقطيع الأسباب ، والذي يدل عليه في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم في كثير من رواياته (فإن الناس يصعقون يوم القيامة)[١] ،فإن يوم القيامة اسم للوقت الذي أوله البعث وآخره تكامل دخول كل فريق إلى داره، ومحل استقراره .

وأما صعقة الموت ، فإ ا في دار الدنيا، وهي للإنامة لا للإقامة، ويضعف حمله على ما قبل البعث الروايات الصحيحة الجازمة بأن النبي صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض[٢]، وما حكاه الكرماني من الإجماع على ذلك ، ولا فخر فيه إلا بحصول البعث بإظهار الجسد من غير بعث ، فهذا الجزم ينافي ذلك الشك ، فإذا كان المراد بما في الحديث الغشي كانت نفخة أخرى للإيقاظ منه ، وهاتان المرادتان بما في هذه السورة[٣] كما في رواية الترمذي[٤] وما في النمل[٥] ، ولذلك عبر عنها بالفزع .

ويؤيد ذلك التعبير في رواية البخاري[٦] في التفسير بالنفخة الأخرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، ولو أ ما نفختان فقط، كان التعبير بالآخرة قاصراً عما تفيده الثانية مع المساواة في

---

(1) - تقدم تخريجه ص (   )

(2) - تقدم تخريجه. ص (   )

(3) – أي سورة الزمر ، وهو يريد قوله تعالى (فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم صعق فيه أخرى ...الآية) آية ٦٨ .

(4) - رواه الترمذي كتاب التفسير،سورة الزمر رقم٣٢٤٥(٣٧٣/٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(5) - وهي قوله تعالى: (ويوم ينفَخ فِي الصور فَفَزِع من فِي السماواتِ ومن فِي الأرض إلا من شاء الله وكُل أتوه داخِرين) (٨٧) سورة النمل.

(6) - رواه البخاري في كتاب التفسير،باب سورة النمل١٨١٣/٤ رقم٤٥٣٥.

عدة الحروف ، وهو مما لا يظن ببليغ ، فكيف بأبلغ الخلق ، المؤيد بروح القدس صلى الله عليه وسلم .

فكان العدول عن الثانية إلى الآخرة مفيدا أ ا أربع، ولعل ذلك معنى(أمتنا اثْنتين وأحييتنا اثْنتين)[1] ، وسميت إماته لشدة الغشي ا لعظم أمرها، ومعنى زلزلة الساعة التي تسكر، ويؤيده التعبير عن القيام منها بالإفاقة لا بالبعث .

ولا يعكر على هذا شئ إلا رواية البخاري في الخصومات :" فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى إلى آخره[2] فالظاهر أن راويها وهم، أو روى بالمعنى فما وفّى بالغرض .

والراجح روايات من قالوا: فأكون أول من يفيق ، بالكثرة وبزوال الإشكال، هذا ما كان ظهر لي في النظر في المعنى وتطبيق الآيات والأحاديث عليه .

ثم رأيت شيخنا حافظ عصره أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المصري رحمه الله نقل ما جمعت به بين الروايات في كتاب الأنبياء من شرحه للبخاري[3] عن القاضي عياض فقال:(وقال عياض يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء والأرض[4])، وأقره على ذلك، ثم نقل عن ابن حزم عين ما قلته في النفخات فقال ما نصه: تكميل: زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع : الأولى نفخة إماتة يموت فيها من بقي في الأرض حياً

---

(1) - غافر:١١.

(2) - البخاري ٨٤٩/٢ رقم ٢٢٨٠.

(3)- فتح الباري٤٤٥/٦.

(4) - انظر: الفتح (٤٤٥/٦-٤٤٦).

ثانيها : نفخة إحياء فيقوم كل ميت ، والثالثة : نفخة فزع وصعق ، يفيقون منها كالمغشي عليهم، لا يموت منها أحد ، والرابعة:إفاقة من ذلك الغشي[١] .

ثم رده شيخنا بأن الصعقات أربع، ولا يستلزم كون النفخات أكثر من اثنتين ، وذلك أنه ينفخ في الصور النفخة الأولى فيموت من كان حياً، ويغشى على من كان ميتاً، فهاتان صعقتان في النفخة الأولى ، وينفخ النفخة الثانية فيفيق من كان مغشياً عليه ويحيا من كان ميتاً ، فهاتان اثنتان في النفخة الثانية[٢].

وهذا الرد مردود لمن حقق ما قلته بأدنى تأمل ، ويلزم عليه أن يكون أصفياء الله أشد حالا وفزعاً ممن تقوم عليهم الساعة وهم شر عباد الله ، والعجب أن الذي رده على ابن حزم سلمه لعياض والله الموفق"[٣] .

و بهذا يتلخص ما رجحه البقاعي من النفخات أنها أربع : الأولى : نفخة الإماتة، الثانية : نفخة البعث، الثالثة: نفخة الغشي بعد البعث ،الرابعة : نفخة الإفاقة من الغشي .

وهذا الخلاف بين العلماء هو ماأداه اجتهاد كل منهم للتوفيق بين النصوص الواردة في هذا الباب .

قال شارح الطحاوية:" فإن قيل: كيف تصنعون بقوله في الحديث :" إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش" ، قيل : لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا ، ومنه نشأ الإشكال ، ولكنه دخل منه على الراوي حديث فركب بين اللفظين ، فجاء هذان الحديثان هكذا : أحدهما : " إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق " كما تقدم ، وللثاني:" أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة "

---

(1) - انظر: الفتح (٤٤٦/٦).

(2) - فتح الباري٤٤٦/٦ ،وقد نقله البقاعي بتصرف.

(3) - نظم الدرر ٥٥٨/١٦- ٥٦١.

فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر، وممن نبه على هذا أبوالحجاج المزي ، وبعده الشيخ شمس الدين ابن القيم[(١)] وشيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير [(٢)]رحمهم الله . وكذلك اشتبه على بعض الرواة ، فقال : " فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل ، والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول، وعليه المعنى الصحيح، فإن الصعق يوم القيامة لتجلي الله لعباده إذا جاء لفصل القضاء، فموسى عليه السلام إن كان لم يصعق معهم ، فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكاً ، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضاً من صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة، فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله"[(٣)] .

المطلب السادس

الشفاعة

معنى الشفاعة في اللغة :

(1) - في كتاب الروح ص٥٢-٥٣.

(2) - في النهاية ١/٢٨٠-٢٨١.

(3) - شرح الطحاوية ٢/٦٠٢-٦٠٣.

الشفاعة في لغة العرب مشتقة من الشفع، الذي هو غير الوتر ، أي أن الشفع هو الزوج ، تقول: أعطيتك كتابا ثم شفعته بآخر ،أي صار معك زوجاً بعد أن كان وتراً، قال في اللسان :" شفع الوتر من العدد شفعاً ، صيره زوجاً"(١) .

معنى الشفاعة في الاصطلاح الشرعي :

المعنى الشرعي متقارب مع المعنى اللغوي ،ومعنى الشفاعة شرعاً : طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره ، من الله في الدار الآخرة، حصول منفعة لأحدٍ من الخلق أو دفع مضرة عنه .

قال ابن الأثير : " وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم" (٢) ،وقال الراغب : " والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه" (٣).

وهناك شفاعة مثبتة ، وشفاعة منفية .

فأما الشفاعة المنفية : فهي الشفاعة التي تطلب من غير الله، أو بغير إذنه أو لأهل الشرك ، وهذه التي تعلق ا المشركون وركنوا إليها .

قال البقاعي عند قوله تعالى:(ما لِلظالِمين مِن حمِيمٍ ولَا شفِيعٍ يطَاع)(٤)،:" أي ليس لهم شفيع أصلاً، لأن الشفيع يعلم أنه لو شفع ما أطيع فهو لا ينفع ، وقد يشفع في بعضهم بعض المقربين لعلامة فيهم يحصل ا اشتباه يظن م أ م ممن يستحق الشفاعة، فينبه على أ م ليسوا بذلك فيبرأ منهم، ولما كانت الشفاعة إنما تقع وتنفع بشرط براءة المشفوع له من الذنب، إما بالاعتراف بما نسب إليه والإقلاع عنه، وإما بالاعتذار عنه ، وكان ذلك إنما يجري عند

---

(1) - لسان العرب ١٨٣/٨.

(2) - النهاية ٤٨٥/٢.

(3) - المفردات ص٢٦٣.

(4) - غافر:١٨

المخلوقين على الظاهر ، ولذلك كانوا ربما وقع لهم الغلط فيمن لو علموا باطنه لما قبلوا الشفاعة فيه ، علل تعالى ما تقَدم بعلمه بأن المشفوع له ليس بأهل لقبول الشفاعة فيه لإحاطة علمه "[١].

وأما الشفاعة المثبتة : فهي خاصة بأهل التوحيد ، ولا تتحقق إلا بشرطين :

الأول : رضاه عن المشفوع له ، ولكونه من أهل التوحيد .قال تعالى:"(ولَا يشفَعونَ إِلَّا لِمنِ ارتضى)[٢] .

الثاني : إذنه للشافع أن يشفع ،قال تعالى : "(من ذَا الذِي يشفَع عِنده إِلا بِإِذْنِهِ)[٣] ،

وقد جمع الله بين الإذن والرضى في آية واحدة ،كما في قوله تعالى:(وكَم من ملَكٍ فِي السماواتِ لَا تغنِي شفَاعتهم شيئًا إِلَّا مِن بعدِ أن يأذَنَ الله لِمن يشاء ويرضى)[٤] .

الشفاعة العظمى :

---

(1) - نظم الدرر ٣٢/١٧

(2) - الأنبياء:٢٨.

(3) - البقرة:٢٥٥.

(4) - النجم:٢٦

ومن أعظم مايشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، هي شفاعته في الموقف العظيم ، عندما يقوم الناس لرب العالمين، فيكونون في كرب عظيم ،لا يدرون كيف يهتدون إلى الخلاص مما هم فيه ، عند ذلك يلهم الله تعالى بعض عباده طلب الشفاعة من الرسل إلى الله تعالى لفصل القضاء وإراحتهم مما هم فيه، فيتجهون إلى أبيهم آدم عليه السلام فيعتذر ، ويقول عليكم بفلان، وهكذا، حتى يأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقول : أنا لها أنا لها ، وهذه الشفاعة العظمى هي المقام المحمود الذي وعده الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقد تحدثت عن هذه الشفاعة وعن موقف إقرار البقاعي لها في خصائـص النبي صلى الله عليه وسلم في بحث النبوات .

شفاعته صلى الله عليه وسلم في خروج الموحدين من النار :

قال البقاعي : " وأما غير المتقين من العصاة ، فيدخل الله من أراد منهم النار ، فيعذب كلا منهم على قدر ذنوبه ... ويستمرون إلى أن يأذن الله في الشفاعة فيهم فيخرجهم "

ثم قال : " روى الإمام أحمد في مسنده[١] ، ومسلم في الإيمان من صحيحه[٢]، وابن حبان في الشفاعة من صحيحه[٣]، والدارمي في صفة الجنة والنار من سننه المشهور بالمسند[٤] ، وابن أبي حاتم في تفسيره[٥]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم :" أما أهل النار الذين هم أهلها – وقال الدارمي : الذين هم للنار- ، فإ م لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس منكم أصابتهم النار بذنو م ،أو قال بخطاياهم ، فأما م

(1) - رواه أحمد٣/٥.

(2) - أخرجه مسلم كتاب الإيمان،باب إثبات الشفاعة رقم ١٨٥(١/١٧٢).

(3) - أخرجه ابن حبان برقم(١/٤١١)١٨٤.

(4) - أخرجه الدارمي كتاب الرقاق، باب ما يخرج الله من النار برحمته رقم٢٨١٧(٢/٤٢٧).

(5) - تفسير ابن ابي حاتم رقم ١٥٠٠(١/٢٧٩).

الله إماتة ، وقال الإمام أحمد : فيميتهم إماتة ، وقال : الدارمي : فإن النار تصيبهم على قدر ذنو م فيحرقون فيها حتى إذا كانوا فحماً أذن في الشفاعة فجئ م " وقال الدارمي : فيخرجون من النار ضبائر ضبائر، فنبتوا على أ ار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم ، فينبتون ، وقال الدرامي: فتنبت لحومهم نبات الحبة في حميل السيل"[١] .

---

(1) - نظم الدرر٥٢/١٨.

شفاعة الأنبياء :

قال البقاعي :"وروى ابن حبان في صحيحه[١]- قال المنذري : ولا أعلم في إسناده مطعناً[٢] – عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة : يا رباه ، فيقول الرب جل وعلا : يا لبيكاه ، فيقول إبراهيم يارب حرقت بني، فيقول الله : أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة أو شعيرة من الإيمان وفي البخاري في أحاديث الأنبياء وتفسير الشعراء بلفظ :" يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ،فيقول له إبراهيم عليه السلام : ألم أقل لك :لا تعصني، فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال لإبراهيم عليه السلام انظر ما تحت رجلك، فينظر فإذا هو بذيخ – وهو ذكر الضبعان – متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار"[٣] وروى أبو يعلى الموصلي والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين[٤]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة، فتقطعه النار يريد أن يدخله الجنة ، قال : فينادي أن الجنة لا يدخلها مشرك، ألا إن الله قد حرم الجنة على كل مشرك ،

---

(1) - رواه ابن حبان في صحيحه رقم ٧٣٧٨(٣٨٣/٦) عن حذيفة رضي الله عنه.

(2) - الترغيب والترهيب للمنذري٢٠/٤،دار الكتب العلمية بيروت،ط الأولى١٤١٧هـ،وانظر: صحيح الترغيب والترهيب٢٤٠/٣ رقم ٣٦٤٥

(3) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:واتخذ الله إبراهيم خليلا،١٢٢٣/٣ رقم٣١٧٢،وفي كتاب التفسير،سورة الشعراء ،١٧٨٧/٤،رقم ٤٤٩١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) - أخرجه ابن حبان رقم ٢٥٢،والحاكم في المستدرك٦٣١/٤ وأبو يعلى رقم ١٠٤٩، وصححه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان.



قال : فيقول أي رب أبي، فيحول في صورة قبيحة وريح منتنة فيتركه ، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه إبراهيم عليه السلام "[١].

---

(1) - نظم الدرر١٧/٣٩-٤٠

شفاعة المؤمنين :

إن الله يكرم المؤمنين يوم القيامة بالشفاعة ، كما جاء في الحديث الطويل الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنه : " يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ،ويصومون معنا، ويعملون معنا ؟ فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه .. الحديث [١] .

وقد أثبت البقاعي شفاعة المؤمنين وذلك عند قوله تعالى:(إلا من رحِم الله ۚ إنه هو العزيز الرحِيم)[٢]،قال:"(إلا من رحم) أي أراد إكرامه الملك الأعظم، وهم المؤمنون، يشفع بعضهم لبعض بإذن الله في الشفاعة لأحدهم ،فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته، ويكرمه بقبول الشفاعة فيه"[٣].

والبقاعي بهذا يوافق أهل السنة والجماعة في إثبات الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وللأنبياء ، والملائكة ، والمؤمنين ، كما وردت بذلك الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، مع نفي الشفاعة التي نفتها الأدلة من الكتاب والسنة .

---

(1) - تقدم تخريجه ص ٢٠٥ .

(2) - الدخان:٤٢

(3) - نظم الدرر ٤٢/١٨

المطلب السابع
العرض والحساب

قال تعالى:(يومئذٍ تعرضونَ لَا تخفَى مِنكُم خافِيةٌ)[١] ، وقال تعالى:(وعرضوا على ربك صفا لقَد جِئْتمونا كَما خلقْناكُم أولَ مرةٍ بلْ زعمتم ألن نجعلَ لَكُم موعِدا)[٢] .

وعن جرير بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أما أنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر"[٣] ، وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من نوقش الحساب عذب "، قالت : قلت : أليس يقول الله تعالى:(فَسوف يحاسب حِسابا يسِيرا)[٤] قال : ذلك العرض"[٥].

فالله عز وجل سريع الحساب، قال الله تعالى:(وهو سريع الْحِسابِ)[٦] ،قال البقاعي- رحمه الله-:" جزاءه محيط بكل عمل لا يتصور أن يفوته شئ، فلابد من لقاء جزائه وكل ما هو آت سريع "[٧] وقال البقاعي في العرض : " روى البخاري [٨] في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله

---

(1) - الحاقة:١٨

(2) - الكهف:٤٨

(3) - مسلم كتاب المساجد،باب فضل صلاتي الصبح والعصر ،٤٣٩/١ رقم٦٣٣ .

(4) - الانشقاق:٨

(5) - البخاري كتاب العلم،باب من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه،٥١/١ رقم ١٠٣،ومسلم في الجنة باب اثبات الحساب ،٢١٨١/٤ رقم ٢٨٧٦ ، كلاهما عن عائشة رضي الله عنه.

(6) - الرعد:٤١.

(7) - نظم الدرر ٣٦٥/١٠.

(8) - أخرجه البخاري كتاب التفسير ، باب (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على الله)وكتاب

عليه وسلم قال في النجوى :" يدنُ المؤمن من ربه حتى يضع كنفه عليه ، فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ يقول :أعرف رب أعرف ، مرتين ، ويقول : ستر ا عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم ، ثم يعطى صحيفة حسناته ، وأما الآخرون أوالكفار فينادى على روؤس الأشهاد، (هؤلاء الذِين كَذَبواْ علَى ربهم ألاَ لَعنةُ اللّهِ علَى الظالِمين)[1] "[2].

وقال أيضاً : " والسؤال حق، لقوله صلى الله عليه وسلم إن الله يدني المؤمن "[3] ثم ذكر الحديث السابق .

المطلب الثامن

الميـــــزان

المظالم،باب قول الله تعالى:ألا لعنة الله على الظالمين، (١٧٢٥/٤)رقم ٤٤٠٨،ومسلم في التوبة، باب قبول توبة القاتل،٢١٢٠/٤، رقم ٢٧٦٨.

(1) - هود:١٨.

(2) - نظم الدرر٢٥٦/٩.

(3) - النكت ق٢/٩٧.

الميزان : الآلة التي توزن بها الأشياء [١] ، ووزن الوزن : معرفة قدر الشيء ، يقال : وزنته وزنا وزنة[٢] ، ووزن الشيء إذا قدره[٣].

قال شيخ الاسلام : " الميزان هو مايوزن به الأعمال وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى (فَمن ثَقُلَت موازينه)(ومن خفت موازينه)، وقوله(ونضع الْموازين الْقسطَ ليومِ الْقيامةِ) ، وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم، أنه قال:(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)... وهذا وأمثاله مما يبين أن الاعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات".

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالميزان ، جاء في العقيدة الطحاوية: " ونؤمن بالبعث ، وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب، والصراط، والميزان "[٤] .

قال شارح الطحاوية : " قوله " والميزان " أي ونؤمن بالميزان ، قال تعالى:(ونضع الْموازين الْقسطَ ليومِ الْقيامةِ فَلَا تظْلَم نفْس شيئًا وإِن كَانَ مثْقَالَ حبةٍ من خردلٍ أَتينا بِها وكَفَى بِنا حاسِبِين)[٥].

وقال تعالى:(فَمن ثَقُلَت موازينه فَأُولَئك هم الْمفْلحونَ * ومن خفت موازينه فَأُولَئك الَّذين خسِروا أَنفُسهم فِي جهنم خالِدونَ)[٦] .

---

(1) - المعجم الوسيط ١٠٣٠/٢.
(2) - المفردات في غريب القرآن ١/ ٥٢٢ .
(3) - لسان العرب ٤٤٧/١٣ .
(4) - شرح الطحاوية ٥٨٨/٢.
(5) - الأنبياء:٤٧.
(6) - المؤمنون:١٠٢-١٠٣.

قال القرطبي[١] :قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن الجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ،ليكون الجزاء بحسبها .. والذي دلت عليه السنة : أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان "[٢] .

قال ابن حجر :"أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وان أعمال العباد توزن يوم القيامة ،وان الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر انه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين" [٣].

والبقاعي رحمه الله بين عقيدته في الميزان فقال : " (والوزن) بميزان حقيقي لصحف الأعمال أو للأعمال أنفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور أو بغير ذلك بعد أن يقذف الله في القلوب العلم به "[٤] .

وقال أيضاً : "لكن الميزان متعلق بالكميات هذا اعتقادنا وأما كيفية فعلها فإلى الله تعالى " [٥].

وعند قوله تعالى : (ونضع الْموازين الْقِسطَ لِيومِ الْقِيامةِ فَلَا تظْلَم نفْس شيئًا وإِن كَانَ مِثْقَالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بِها وكَفَى بِنا حاسِبِين)[٦]، قال البقاعي رحمه الله : (ونضع الموازين) المتعددة لتعدد الموزونات ،أو أنواعها ، ولما كانت الموازين آلة العدل ، وصفها به مبالغة فقال (القسط) أي العدل

---

(1) - في التذكرة ص٣٠٩.

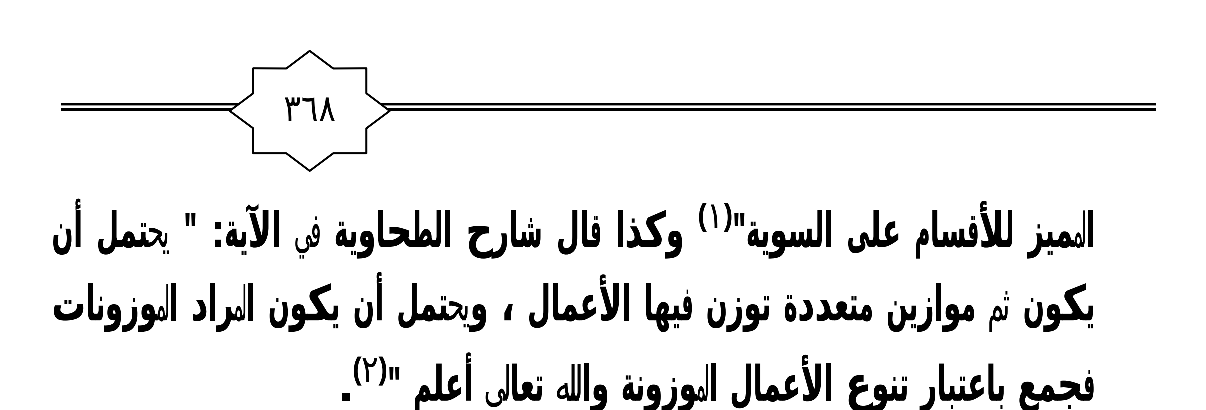
(2) - شرح الطحاوية ٦٠٩/٢،وانظر:تفسير الطبري٤٣٢/٥،والقرطبي١٤٩/٧ .

(3) – الفتح ٥٣٨/١٣ .

(4) - نظم الدرر ٣٥٩/٧.

(5) - النكت ق ١/٩٧.

(6) - الأنبياء:٤٧.



المميز للأقسام على السوية"(١) وكذا قال شارح الطحاوية في الآية: " يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة والله تعالى أعلم "(٢).

و ﺑﺬا يتفق البقاعي مع أهل السنة والجماعة في إثبات ميزان حقيقي توزن به الأعمال .

المطلب التاسع

الحـــــوض

---

(1) - نظم الدرر١٢/٤٢٨.

(2) - شرح الطحاوية ٢/٦٠٩.

الحوض مجتمع الماء[١] ، حوض الماء جمعه أحواض وحياض ، وأصل حياض الواو لكن قلبت ياء للكسرة قبلها ، مثل ثوب وأثواب وثياب[٢] .

قال صاحب العقيدة الطحاوية : " والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق"[٣] .

قال الشارح : " والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم ،ومورد كريم، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن ، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحاً من المسك وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، فسبحان الله الخالق الذي لا يعجزه شيء "[٤] .

وقال: "الأحاديث الواردة في ذلك الحوض تبلغ حد التواتر،رواها الصحابة بضع وثلاثون صحابياً رضي الله عنهم ... فمنها ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء)[٥].

وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصيحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)[٦] "[١].

---

(1) - المصباح المنير ١٥٦/١ .

(2) - المعجم الوسيط ٢٠٧/١ .

(3) - شرح الطحاوية ٢٧٧/١

(4) - شرح الطحاوية ٢٧٨/١-٢٨١.

(5) - أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب في الحوض رقم٦٢٠٩، (٢٤٠٥٢٤٠٥/٥) ومسلم في الفضائل، باب اثبات حوض نبينا رقم٢٣٠٣(١٨٠٠/٤).

(6) - أخرجه البخاري كتاب التفسير، سورة المائدة رقم ٤٣٤٩(١٦٩١/٤)،ومسلم في الفضائل،باب اثبات حوض نبينا رقم٢٣٠٤(١٨٠٠/٤).

وقد أورد البقاعي - رحمه الله - أحاديث في الحوض وصفته قال : "ولأحمد - قال المنذري: ورواته محتج بهم في الصحيح[٢] - ، وابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن يزيد بن الأخنس رضى الله عنه ، قال : يا رسول الله ما سعة حوضك ؟ قال : " كما بين عدن إلى عمان وأن فيه مثعبين[٣] من ذهب وفضة " قال : فما حوضك يا نبي الله ؟ قال:" أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى مذاقة من العسل ، وأطيب رائحة من المسك، من شرب منه لم يظمأ أبداً ولم يسود وجه أبداً "[٤] ولابن ماجة، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن لي حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم ، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة"[٥] وأحاديث الحوض كثيرة ، ومنها ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي[٦] وطرقه كثيرة"[٧].

الورود على الحوض :

---

(1) - شرح الطحاوية ٢٧٨/١-٢٨١.

(2) - الترغيب والترهيب٦٢/٤.

(3) - المثعب والثعب :هو مسيل الوادي.

(4) - أخرجه أحمد ٢٥٠/٥ وابن حبان رقم ٦٤٥٧(٣٧٠/١٤)،وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم٢٠٦٠.

(5) - أخرجه ابن ماجه كتاب الزهد،باب ذكر الحوض رقم٤٣٠١(١٤٣٨/٢)عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،قال البوصيري في "الزوائد":في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف،وصححه الألباني لشواهده،الصحيحة رقم٣٩٤٩.

(6) - أخرجه البخاري أبواب التطوع،باب فضل ما بين البيت والمنبر رقم١١٣٨(٣٩٩/١)،ومسلم في الحج،باب مابين البيت والمنبر روضة من رياض الجنة رقم١٣٩١ (١٠١١/٢)كلاهما عن أبي هريرة.

(7) - النكت ق ١/٩٩

قال البقاعي : " وللشيخين[١] في الحوض والفتن، ومسلم في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، عن سهل بن سعد ، وأبي سعيد رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أنا فرطكم على الحوض، من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم – زاد أبو سعيد رضي الله عنه : فأقول إ ـم مني – فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي" ولمسلم وابن ماجه - وهذا لفظه – عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكر خطبته في الحج - ثم قال :" ألا وإني فرطكم على الحوض، وأكاثر بكم الأمم ، ولا تسودوا وجهي ، ألا وإني مستنقذ أناساً ومستنقذ مني أناس، فأقول : يا رب أصحابي أصحابي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"[٢] . ولفظ مسلم :" أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم ،فأقول : يا رب أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك". ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وهو بين ظهراني أصحابه -:" إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم ، فوالله ليقطعن دوني رجال فلأ قولن : أي رب مني ومن أمتي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، مازالوا يرجعون على أعقا ـم"[٣] .

---

(1) - أخرجه البخاري كتاب الرفاق،باب في الحوض رقم ٦٢١٢ (٢٤٠٦/٥)ومسلم في الفضائل، باب اثبات حوض نبينا رقم ٢٢٩٠ (١٧٩٣/٤)كلاهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(2) - مسلم في الفضائل،باب اثبات حوض نبينا رقم ٢٢٩٧،وابن ماجه كتاب المناسك،باب الخطبة يوم النحر رقم ٣٠٥٧(١٠١٦/٢) كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(3)- أخرجه مسلم في الفضائل،باب إثبات حوض نبينا رقم ٢٢٩٤ عن عائشة رضي الله عنها.

وللشيخين[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله"، قالوا : يا نبي الله أتعرفنا ؟ قال:" نعم، لكم سيما ليست لغيركم، تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء ، ولتصدن عني طائفة منكم فلا يصلون ، فأقول : يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول : وهل تدري ما أحدثوا بعدك ؟ وفي رواية :" بينما أنا قائم على الحوض، إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل ، فقال هلم :فقلت : إلى أين ؟ فقال: إلى النار والله ، فقلت : ما شأ م ؟ فقال : إ م ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم (أي ضوالها)، أي الناجي قليل ، وفي رواية لمسلم[٢] في الوضوء :" ألا ليذادن رجال عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم ، فيقال : إ م قد بدلوا بعدك ، فأقول : "سحقا سحقاً" . قال المنذري[٣] : والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً"[٤]

وفي إيراد البقاعي لهذه الأحاديث عن الحوض ؛ دلالة واضحة على موافقته لعقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان به .

---

(1) - **أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب في الحوض رقم٦٢١٥ (٢٤٠٧/٥)، ومسلم كتاب الوضوء،باب استحباب إطاة الغرة رقم٢٤٧(٢١٧/١) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.**

(2) - **التخريج السابق.**

(3) - **الترغيب والترهيب٢٢٩/٤.**

(4) - **نظم الدرر ٤١/١٧-٤٣.**

المبحث السادس

الجنة والنار

قال شارح الطحاوية:"اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل على ذلك أهل السنة ، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت : بل نيشؤهما الله يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث! لأ ا تصير معطلة مدداً متطاولة ، فردوا النصوص وحرفوها عن مواضعها "[1] .

قال تعالى عن الجنة :(أُعِدت لِلْمتقِين)[2] ، وقال عن النار (واتقُواْ النار الِتي أُعِدت لِلْكَاِفرِين)[3] .

قال البقاعي : " أي هيئت وأكملت قبل زمن استعمالها " [4] .

والمؤمن إذا دخل الجنة لا يخرج منها أبداً ، ولا يموت فيها أبداً ، قال تعالى:(لَا يذُوقُونَ فِيها الْموت إِلا الْموتةَ الْأُولَى ووقَاهم عذَاب الْجحِيمِ)[5] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت"[6] .

---

(1) - شرح العقيدة الطحاوية**٦١٥/٢.**

(2) - **آل عمران:١٣٣.**

(3) - **آل عمران:١٣١.**

(4) - نظم الدرر**١٨٨/١.**

(5) - **الدخان:٥٦.**

(6) - **رواه مسلم كتاب الجنة،باب في دوام نعيم أهل الجنة رقم ٢٨٣٦(٢١٨١/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.**

أما من دخل النار من الموحدين ، فإنهم يخرجون منها يوماً ما بالشفاعة ولا يخلدون فيها ، بخلاف الكفار ، الذين لا يخرجون من النار أبداً .

وسبق أن تحدثت تقرير البقاعي لهذا الأمر واستدلاله بالأحاديث الواردة بشأنه[١] .

وقال البقاعي أيضا : (لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا)[٢]" أي : دهوراً عظيمة متتابعة لا انقضاء لها، على أن التعبير به ، ولو حمل على الأقل وجعل منقضياً – لا ينافي ما صرح فيه بالخلود، لأنه أثبت شيئاً ولم ينف ما فوقه"[٣] .

وفي قوله تعالى :(وما هم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)[٤] ، قال: " يوماً من الأيام ولا ساعة من الساعات، بل هم خالدون فيها على طول الآباد، ومر الأحقاب، بخلاف عصاة المؤمنين ، فإنهم إذا خرجوا منها لم يعودوا إليها "[٥] .

وفي قوله تعالى:(يريدونَ أن يخرجواْ مِن النارِ وما هم بِخَارِجِينَ مِنها ولَهم عذَاب مقِيم)[٦] قال:" أي يكون لهم خروج في وقت ما إذا رفعهم اللهب إلى أن يكاد أن يلقيهم خارجاً (من النار) ثم نفى خروجهم على وجه التأكيد الشديد، فقال (وما هم بخارجين منها) ، أي ما يثبت لهم خروج أصلاً "[٧] .

---

(1) – انظر ص (٣٣٧)

(2) - النبأ:٢٣.

(3) - نظم الدرر ٢٠٥/٢١.

(4) - البقرة:١٦٧.

(5) - نظم الدرر ٣١٣/٢.

(6) - المائدة:٣٧.

(7) - نظم الدرر١٣٤/٦.

وقد أورد بعضهم إشكالاً على خلود الكفار في نار جهنم ،وذلك في قوله تعالى :"(فَأما الذِين شقُواْ فَفِي النارِ لَهم ِفيها زفِير وشهيق *خالِدِين ِفيها ما دامتِ السماوات والأرض ِإلا ما شاء ربك ِإن ربك فَعالٌ لما يريد)[1] .

قال البقاعي - في حل هذا الإشكال - : " وقد جرى الناس في هذا الاستثناء على ظاهره ، ثم أطالوا الاختلاف في تعيين المدة المستثناة ،والذي ظهر لي ، والله أعلم ، أنه لما تكرر الجزم بالخلود في الدارين ، وأن الشرك لا يغفر ، والإيمان موجب للجنة، فكان ربما ظن أنه لا يمكن غير ذلك كما ظنه المعتزلة، لا سيما إذا تؤمل القطع في مثل قوله تعالى:(ويغفِر ما دونَ ذَلِك ِلمن يشاء)[2] ، جاء هذا الاستثناء معلماً أن الأمر فيه إلى الله تعالى كغيره من الأمور له أن يفعل في كلها ما يشاء، وإن جزم القول فيه لكنه لا يقع غير ما أخبر به " [3].

وقال أيضاً :" فإن السموات والأرض، وإن كان قد ثبت فناؤهما، لكن من شأن العرب أن تجعل مثل هذا الكناية عن الدوام الذي لا ينقطـ ـع وقوله تعالى:(ِإلا ما شاء ربك)[4] ، إن جعلت (ما) موصولة فيكون المعنى إلا الذين شاءهم ربك فإ م ليس لهم الخلود وهم العصاة ، أما في الجنة فإن خلودهم منقطع الأول ، وأما في النار فلأ م يخرجون منها ، فخلودهم منقطع الآخر ، وإن جعلت (ما) نكرة موصوفة بمعنى الزمن والمعنى خالدين فيها إلا زمناً شاءه ربك ، فإن الاستنثاء يكون وارداً على مجموع السكان ، أي خالدين فيها كلهم جميع الأزمان إلا زمناً شاءه ربك فلا يخلدون فيها كلهم ، بل يكون بعض أهل

---

(1) - هود:١٠٦-١٠٧.

(2) - النساء:١١٦.

(3) - نظم الدرر٣٨٢/٩.

(4) - هود:١٠٧.

الجنة في النار ، وأما الطبقة العليا التي هي دار عذاب العصاة من المؤمنين فإ ا تفنى "[١] .

وهذا الذي رجحه البقاعي – رحمه الله - هو الذي رجحه البغوي في تفسيره عندما قال : " اختلفوا في هذين الاستثنائين ،فقال بعضهم : الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس ، وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة "[٢].

وقال ابن كثير في تفسيره : " وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوالٍ كثيرة ، منها أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حيث يشفعون في أصحاب الكبائر"[3].

---

(1) - النكت ق١٠٢/٢

(2) - تفسير البغوي ٢٠٠/٤ ، تحقيق عثمان ضميرية ، دار طيبـة ، الريـاض الطبعـة الرابعـة ١٤١٧هـ.

(3) - تفسير ابن كثير ٣٥١/٤.

الفصل السابع
القضاء والقدر

وفيه مباحث :

المبحث الأول: مفهوم القضاء والقدر .

المبحث الثاني: مراتب القدر .

المبحث الثالث: نظرية الكسب .

المبحث الرابع: تكليف مالا يطاق .

المبحث الخامس: هل يجب على الله تعالى شيء

المبحث السادس: الحكمة والتعليل في أفعال الله عز وجل .

المبحث السابع: الإرادة هل تستلزم الرضا والمحبة .

المبحث الثامن: الهدى والضلال .

المبحث التاسع : الفطرة ومعناها .

المبحث العاشر : العهـ ـ ـد و الميثـاق .

المبحث الأول

مفهوم القضاء والقدر

١ - معنى القضاء لغة:

قال ابن فارس :" القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على إحكام أمر، وإتقانه وإنفاذه لجهته"(١).

وقال في النهاية :" القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه"(٢).

ويتبين مما تقدم أن معنى القضاء في اللغة هو إحكام الشيء، وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة، وقد يأتي بمعنى القدر(٣).

٢- القدر لغة:

"القاف والدال والراء أصل صحيح، يدل على مبلغ الشيء وكنهه و ايته"(٤).

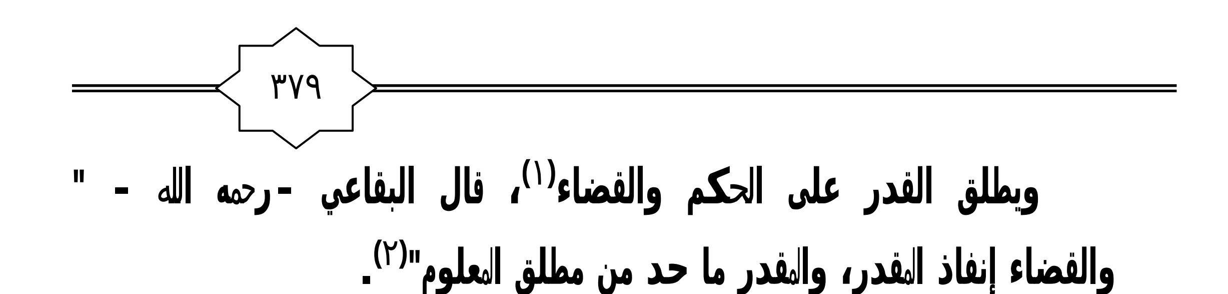
---

(1)- معجم مقاييس اللغة ٩٩/٥.

(2)- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير ٧٨/٤.

(3)- انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٢٢، وانظر: القضاء والقدر في ضـوء الكتاب والسنة ص٣٣ للدكتور عبد الرحمن المحمود، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م دار الوطن.

(4)- معجم مقاييس اللغة٦٢/٥.



ويطلق القدر على الحكم والقضاء[١]، قال البقاعي -رحمه الله - " والقضاء إنفاذ المقدر، والمقدر ما حد من مطلق المعلوم"[٢].

(1)- لسان العرب ٧٤/٥.

(2)- نظم الدرر ١٢٨/٢.

٣- معنى القضاء والقدر شرعاً:

هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه، لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها[١].

قال البقاعي متحدثاً عن القضاء والقدر:"(إنا كُل شيءٍ خلقْناه بقَدرٍ)[٢]، أي قضاء، وحكم، وقياس مضبوط، وقسمة محدودة، وتدبير محكم، في وقت معلوم، ومكان محدود مكتوب في ذلك اللوح قبل وقوعه"[٣].

المبحث الثاني
مراتب القـــدر

(1)- انظر:القضاء والقدر للمحمود ص٣٩ .

(2)- القمر:٤٩.

(3)- نظم الدرر ١٣٣/١٩.

مراتب القدر أربع وهي:

أولا: مرتبة العلم:

أي إن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم، قال البقاعي - رحمه الله - :"((إن الله عِنده عِلْم الساعةِ وينزلُ الْغيثَ ويعلم ما فِي الْأرحامِ وما تدري نفْس ماذَا تكْسِب غَدا وما تدري نفْس بِأي أرضٍ تموت إِن الله عِليم خبِير)(١)، أي شامل العلم للأمور كلها، كليا ا وجزئيا ا، فأثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد أن نفاه عن الغير"(2).

ثانيا: مرتبةالكتابة:

أي إن الله قد كتب كلّ ما هو كائن في اللوح المحفوظ ، وكان ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالى :(ألَم تعلَم أن الله يعلَم ما فِي السماء والْأرض إِن ذَلِك فِي كِتابٍ إِن ذَلِك علَى اللهِ يسِير)(٣) .

وهذه الآية جمعت بين المرتبتين العلم والكتابة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء"(٤).

وقد قرر البقاعي هذه المرتبة عند تفسير قوله تعالى:(ما أَصاب مِن مصِيبةٍ فِي الْأرض ولَا فِي أنفُسِكُم إِلا فِي كِتابٍ من قَبل أن نبرأها إِن ذَلِك علَى اللهِ يسِير)(5)، قال:" أي مكتوب، لأنه مقدر مفروغ من القدم، وبين أن الكتابة حدثت بعد أن كان هو سبحانه ولا شيء معه،(مِن قَبل أن نبرأها) أي نخلق

---

(1)- لقمان:٣٤.

(2)- نظم الدرر ٢٢١/١٥.

(3)- الحج:٧٠.

(4)- رواه مسلم في كتاب القدر،باب حجاج آدم موسى رقم٢٦٥٣ (٢٠٤٤/٤)عن عبدالله بـن عمرو.

(5)- الحديد:٢٢.

ونوجد ونقدر المصيبة والأرض والأنفس، (إن ذلك) أي الأمر الجليل، وهو علمه بالشيء، وكتبه له على تفاصيله قبل كونه، ثم سوقه النفوس والأسباب إلى إخراجه بعد التكوين، على مقدار ما سبق علمه به، وكتبه له ، (على الله يسير) لأن علمه محيط بكل شيء، وقدرته شاملة لا يعجز ها شيء"(١).

وقال أيضا :" ورد أن الله كتب الكتاب، وقضى القضية، وعرشه على الماء، وأن الله سبحانه وتعالى قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف عام"(٢).

وقال أيضاً :"(فِي لَوحٍ محفُوظٍ)(٣)، أي له الحفظ دائماً على أتم الوجوه من كل خلل ، ومن أن يصل إليه إلاّ الملائكة الكرام، فجميع ما جرى في العالم، وما سيجري، مكتوب فيه كتباً لا يشاهد ذه العين، وليس مما نعهده من الألواح، فلوحه تعالى لا يشبه ألواح خلقه، كما أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات خلقه"(٤).

والكتابة أنواع:

١- الكتابة في اللوح المحفوظ، وهي الأصل ،وقد تقدمت.

٢- الكتابة عند نفخ الروح، كما جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد"(5)،قال البقاعي:"(إنا نحن نحيِي

---

(1)- نظم الدرر ٢٩٥/١٩.

(2)- المصدر السابق ١٨٩/٤ .

(3)- البروج:٢٢.

(4)- نظم الدرر ٣٦٨/٢١.

(5)- أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق،باب ذكر الملائكة رقم٣٠٣٦(١١٧٤/٣) ، ومسلم في

الموتى ونكْتب ما قَدموا وآثَارهم وكُل شيءٍ أحصيناه ِفي ِإمامٍ مِبينٍ)[1]، (ما قدموا) من جميع أفعالهم، وأحوالهم، وأقوالهم، جملة عند نفخ الروح"[2].

٣- الكتابة في ليلة القدر، ودليله قوله تعالى :(فِيها يفْرق كُل أَمرٍ حكِيمٍ)[3] ،قال ابن كثير:" يقضى فيها أمر السنة كلها، من معايش الناس، ومصائبهم، وموتهم، وحياتهم، إلى مثلها من السنة الأخرى"[4].

وقال البقاعي في تفسيرها "أي محكم الأمر، لا يستطاع أن يطعن فيه بوجه، من جميع ما يوحي به، من الكتب وغيرها، والأرزاق، والآجال، والنصر، والهزيمة، والخصب، والقحط، وغيرها، من جميع أقسام الحوادث، في أوقاتها، وأماكنها، ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، فيجدونه سواء، فيزدادون بذلك إيماناً، قال البغوي[5] - رحمه الله - :" قال ابن عباس رضي الله عنهما: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال"[6].

٤- كتابة الملائكة اليومية، يكتبون أفعال الناس صالحها وطالحها.

قال البقاعي عند قوله تعالى:"(أَم يحسبونَ أَنا لَا نسمع سِرهم ونجواهم بلَى ورسلُنا لَديهِم يكْتبونَ)[7]،:" (ورسلنا) وهم الحفظة من الملائكة على مالهم من العظمة بنسبتهم إلينا، ولما كان حضور الملائكة معنا، وكتابتهم لجميع

كتاب القدر رقم ٢٦٤٣ (٢٠٣٦/٤) كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(1)- يس:١٢.

(2)- نظم الدرر١٠٢/١٦.

(3)- الدخان:٤.

(4)- تفسير ابن كثير ٢٣٣/٧.

(5)- تفسير البغوي٢٢٧/٧.

(6)- نظم الدرر ٥/١٨-٦.

(7)- الزخرف:٨٠.

أعمالنا، على وجه لا نحس به نوع إحساس، أمراً هو في غاية الغرابة،قال معبرا(بلدى) التي يعبر بها عند اشتداد الغرابة ، (لديهم يكتبون) أي يجددون الكتابة كلما تجدد ما يقتضيها، لأن الكتابة أوقع في التهديد، لأن من علم أن أعماله محصاة مكتوبة تجنب ما يخاف عاقبته"[١].

قال ابن القيم - رحمه الله - متحدثاً عن أنواع الكتابة:" فهذا تقدير يومي، (أي كتابة الملائكة)، والذي قبله تقدير حولي، (أي في ليلة القدر) ، والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به (عند نفخ الروح)، والذي قبله كذلك عند أول تخليقه، وكونه مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السموات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق"[٢].

ثالثا- مرتبة المشيئة:

وهو أن كل ما يجري في هذا الكون إنما هو بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء، قال تعالى:(وما تشاؤونَ إلا أن يشاء الله رب الْعالَمِين)[٣]،وقال رسول صلى الله عليه وسلم:" اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء"[٤].

---

(1)- نظم الدرر ٤٨٦/١٧-٤٨٧.

(2)- شفاء العليل لابن القيم ١١٣/١.

(3)- التكوير:٢٩.

(4)- أخرجه البخاري كتاب الزكاة،باب التحريض على الصدقة والشفاعة رقم١٣٦٥ (٥٢٠/٢)،ومسلم كتاب البر والصلة باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام رقم ٢٦٢٧ (٢٠٢٦/٤).

وقد أثبت البقاعي - رحمه الله - هذه المرتبة في تفسيره لقوله تعالى :(وما تشاؤونَ إلا أن يشاء الله رب الْعالَمِين). قال:" أي الملك الأعلى الذي لا حكم لأحد سواه على مشيئتكم، وإن لم يشأها لم تقدروا على مشيئة، فادعوه مخلصين له الدين، يشأ لكم ما يرضيه، فيوفقكم إليه. وعن وهب بن منبه أنه قال: الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بضع وتسعون كتاباً، قرأت بضعاً وثمانين كتاباً فوجدت فيها: من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر[1]انتهى"[2] .

رابعا- مرتبة الخلق:

أي أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، وهذه المرتبة هي محل النـزاع الطويل بين أهل السنة ومن خالفهم من المعتزلة القدرية، والجبرية، قال تعالى :(قَالَ أتعبدونَ ما تنحِتونَ*والله خلَقَكُم وما تعملُونَ)،أي خلقكم وعملكم، فتكون (ما) مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى والله خلقكم، وخلق الذي تعملونه بأيديكم وهو الأصنام، وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال :" وكلا القولين متلازم والأول أظهر"[3].

قال البقاعي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية :"(والله خلقكم) أي أوجدكم على هذه الأشكال، (وما تعملون) أي وخلق عملكم ومعمولكم، فهو المتفرد بجميع الخلق من الذوات والمعاني"[4].

---

(1)- رواه عنه الثعلبي في تفسيره بسنده (١٤٤/١٠)وذكره اللالكائي بنحوه برقم ١٢٥٨(٦٨٣/٤).

(2)- نظم الدرر ٢٩٦/٢١ .

(3)- تفسير ابن كثير ٢٢/٧.

(4)- نظم الدرر ٢٥٨/١٦.

المبحث الثالث
نظرية الكسب

١ - أفعال العباد لها متعلقان:

الأول: تعلق بالخالق سبحانه وتعالى، فقد اتفق أهل السنة والأشاعرة على أن الله خالق أفعال العباد، وخالف في هذا المعتزلة.

الثاني: تعلق بالعبد، وهل له قدرة على فعله أولا؟ وهل قدرته مؤثرة أو غير مؤثرة، وهذه وقع فيها الخلاف بين الطوائف إلى حد كبير.

وحتى تتضح المسألة لابد من عرضها من خلال أمرين:

الأول: الاستطاعة أو القدرة، هل هي كائنة قبل الفعل أو بعده.

والثاني: هل هذه القدرة مؤثرة أو غير مؤثرة(١).

أولا: الاستطاعة أو القدرة،هل هي قبل الفعل أو بعده؟:

الاستطاعة، والقدرة، والوسع، والطاقة، كلها متقاربة في المعنى،قال الجرجاني(٢):" الاستطاعة هي عرض، يخلقه الله في الحيوان، يفعل به الأفعال الاختيارية"(٣)، ثم يقول :" الاستطاعة، والقدرة، والقوة، والطاقة، متقاربة المعنى في اللغة، وأما في عرف المتكلمين: عبارة عن صفة ا يتمكن الحيوان من الفعل والترك"(٤).

---

(1)- انظر: موقف ابن تيمية من الاشاعرة ٣/١٣٣٠- - ١٣٣١.

(2)- علي بن محمد الحسيني ،متكلم بارز ومتصوف مشهور ،ولد في جرجان سنة ٧٤٠هـ ـ ،لـه كتاب التعريفات ،توفي سنة ٨١٦هـ ـ .

(3)- التعريفات للجرجاني ص٣٥.

(4)- المصدر السابق ص٣٥.

وقد وقع الخلاف حول الاستطاعة على أقوال:

القول الأول: قول الجهمية، وهو أنه ليس للعبد أي استطاعة، لا قبل الفعل ولا معه، بل له قدرة شكلية غير مؤثرة في الفعل أصلاً، وتسمى فعلاً له تجوزاً[١].

القول الثاني: قول المعتزلة، وهو أن الله قد مكن الإنسان من الاستطاعة، وهذه الاستطاعة قبل الفعل ، وهي قدرة عليه وعلى ضده، وهي غير موجبة للفعل، وهذا بإجماع المعتزلة[٢].

القول الثالث: قول الأشاعرة ومن وافقهم، وهو أن الاستطاعة مع الفعل، لايجوز أن تتقدمه، ولا أن تتأخر عنه، بل هي مقارنة له، وهي من الله تعالى، وما يفعله الإنسان ا فهو كسب له[٣].

القول الرابع: قول أهل السنة، وهو التفصيل:

أ - هناك استطاعة للعبد بمعنى الصحة، والوسع، والتمكن، وسلامة الآلات، وهي التي تكون مناط الأمر والنهي، وهي المصححة للفعل، فهذه لايجب أن تقارن الفعل، بل تكون قبله متقدمة عليه، وهذه الاستطاعة المتقدمة صالحة للضدين.

ب – وهناك استطاعة وهي التي يجب معها وجود الفعل، وهذه الاستطاعة هي المقارنة للفعل الموجبة له[٤].

الاستطاعة عند البقاعي:

ولقد جرى الامام البقاعي - رحمه الله - على ما سار عليه الأشاعرة من أن الاستطاعة هي واحدة، وهي المقارنة للفعل، فقال :" الاستطاعة على إيقاع

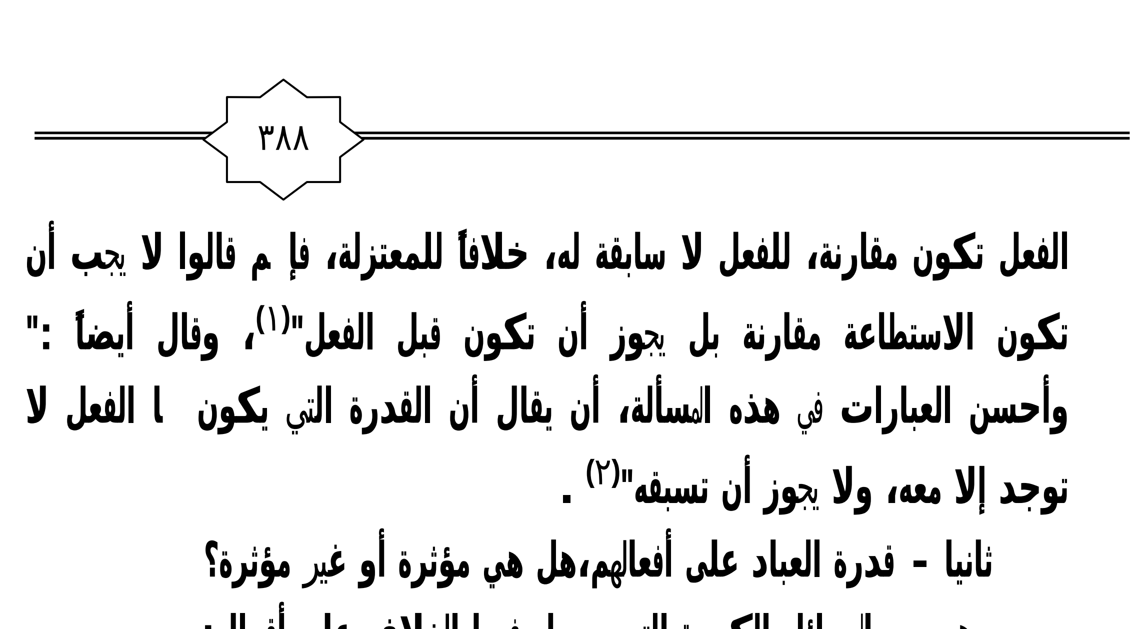
---

(1)- انظر: الملل والنحل ٨٥/١ ،الفرق بين الفرق ٢١١ .

(2)- انظر: مقالات الإسلاميين ٣٠٠/١.

(3)- الإرشاد للجويني ص ٢١٩.

(4)- انظر: شرح الطحاوية ٦٣٧/٢، القضاء والقدر للمحمود ص ٢٦٨.



الفعل تكون مقارنة، للفعل لا سابقة له، خلافاً للمعتزلة، فإ م قالوا لا يجب أن تكون الاستطاعة مقارنة بل يجوز أن تكون قبل الفعل"[(١)]، وقال أيضاً :" وأحسن العبارات في هذه المسألة، أن يقال أن القدرة التي يكون ا الفعل لا توجد إلا معه، ولا يجوز أن تسبقه"[(٢)] .

ثانيا - قدرة العباد على أفعالهم،هل هي مؤثرة أو غير مؤثرة؟

وهي من المسائل الكبيرة التي حصل فيها الخلاف على أقوال:

القول الأول: قول الجبرية، الذين يقولون أن العباد مجبورون على أعمالهم، لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار، والله وحده هو خالق أفعال العباد، وأعمالهم إنما تنسب إليهم مجازاً، وحركتهم واختيارهم كورق الشجر تحركه الرياح[(٣)].

القول الثاني: قول المعتزلة، أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، ولهم إرادة وقدرة مستقلة عن إرادة الله وقدرته، فأفعالهم لا فاعل لها ولا محدث سواهم[(٤)].

القول الثالث: قول الأشاعرة، وهؤلاء يقولون إن الله - سبحانه تعالى - خالق لأفعال العباد، و ذا الأصل خالفوا المعتزلة، ولكن خطأهم يتضح إذا نظرنا إلى مذهبهم من جانب آخر، وهو جانب تعلق الأفعال م، وهل هم الفاعلون لها؟ أم هي كسب لهم؟ وما مدى تعلق قدرة العباد بأفعالهم؟ وقد مر بنا أن البقاعي نسب الطاعات والمعاصي من حيث الفعل والخلق إلى الله عز وجل، وإنما تنسب إلى العباد ظاهراً، وليس لهم من فعلهم إلا الكسب. وهذه الصورة الملفقة

---

(1)- النكت ق ١/٦٨.

(2)- النكت ٢/٦٩.

(3)- الملل والنحل للشهرستاني ٨٧/١ ، مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١.

(4)- انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣٣٣/٣.

التي قال ا البقاعي تبعا للأشاعرة، تخالف مذهب أهل السنة والجماعة الذي سأبينه فيما يأتي، وسأوضح بعده فساد نظرية الكسب وبطلا ا.

القول الرابع: وهو قول أهل السنة والجماعة، الذين يقرون بأن أفعال العباد مخلوقة، والعباد فاعلون حقيقة، ولهم قدرة حقيقية على أعمالهم ولهم إرادة، ولكنها خاضعة لمشيئة الله الكونية فلا تخرج عنها.

ويقرون بالمراتب الأربع الثابتة، والتي دلت عليها النصوص، وهي: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق[١].

الرد على البقاعي :

قرر البقاعي نظرية الكسب كما هي عند الأشاعرة، من خلال تـأكيد أصلين اثنين:

الأول: عموم قدرة الله تعالى وفاعليته في هذا الكون، وأنه لا قدرة ولا تأثير البتة لأحد إلا الله عز وجل، ففي قوله تعالى:" (واللّه علَى كُل شيءٍ قَدِير)[٢]قال:" (والله) أي الذي له جميع العظمة، (على كل شيء قدير) وهو شامل القدرة، فمن كان في ملكه كان في قبضته، ومن كان في قبضته كان عاجزاً عن التفصي عما يريد به، لأنه الحي القيوم الذي لا إله إلا هو"[٣].

وقال أيضاً :"(يفْعلُ ما يشاء*)[٤] أي كله، فلو جاز أن يمانعه غيره، ولو في لحظة لم يكن فاعلاً لما يشاء فصح أنه لا فعل لغيره"[٥].

وقال أيضاً :" ولما تقرر ذا أن الكل فعله وحده، فلا فعل لغيره أصلاً، كان ربما أوقع في الوهم أنه لا حرج على أحد في شيء يفعله، بين أن السؤال

---

(1)- انظر: المصدر السابق٣/١٣٤١.

(2)- البقرة:٢٨٤.

(3)- نظم الدرر ١٥٤/٥.

(4)- الحج:١٨.

(5)- نظم الدرر ٢٧/١٣-٢٨.

يكون عن المباشرة ظاهراً على ما يتعارف الناس في إسناد الفعل إلى من ظهر اكتسابه"[١]. وقال أيضاً :" والعلم حاصل بأن المؤثر في الجميع في الحقيقة هو الله تعالى"[٢]. وقال أيضاً :(ولو آمنوا) أي بما دعوا إليه من هذا القرآن ومن اعتقاد أن الفاعل في كل شيء إنما هو الله لا السحر"[٣].

وقال :" جميع الأسباب إنما أثرها بالله تعالى"[٤]، فالفعل والأثر في هذا إنما هو لله تعالى، وبالتالي يتبين لنا الأصل الثاني.

الثاني: أن قدرة العبد غير مؤثرة، ولا قيمة لها ولا أثر في إيجاد الفعل ،وقد أكد البقاعي - عفا الله عنه - هذا المعنى، عندما قال معلقاً على قول التفتازاني في العقائد :"قوله: داخل تحت قدرتين أي غير مستقلين"، قال البقاعي:" بل المستقل منهما إنما هو قدرة الله تعالى، وأما قدرة العبد فلم تؤثر شيئاً، وقد كان المصنف غنياً عن هذا الالتزام، فإن التحقيق أن الفعل ليس داخلاً تحت قدرتين بل إنما هو مفعول بقدرة الله تعالى فقط، لأن قدرة العبد غير مؤثرة، وإنما الأثر لقدرة الله تعالى، والعبد ليس منه إلا صرف قدرته إلى الفعل، فلم يدخل تحت قدرتين"[٥].

وقال أيضاً :" العبد قادر على تعليق قدرته بالفعل، لا على تأثير قدرته في الإيجاد"[٦].

---

(1)- نظم الدرر ٢٤٥/١١.

(2)- نظم الدرر ٨٠/٢.

(3)- نظم الدرر ٨٢/٢.

(4)- نظم الدرر ٩٣/١٠.

(5)- النكت ق ٢/٦٦.

(6)- المصدر السابق ق ١/٦٣.

وقال أيضاً :" نحن نقول العبد له قدرة، وخلقها الله تعالى فيه، وإذا علقها بشيء ممكن له، خلق الله ذلك الشيء عند تعلقها به"[١].

والذي دعاه إلى هذا القول هو للتخلص من الجبر والإعتزال، فقال :" وهذا المعنى ضروري، أي اضطررنا إلى تقديره كذلك، لنتخلص من إشراك الجبر والاعتزال، لأنه إذا ثبت بالبرهان أنّ الله تعالى هو الخالق، وثبت بالضرورة أن للعبد فعلاً، للفرق بين حركة البطش والارتعاش، لزم أن ينسب الفعل إلى العبد بجهة، وإلى الله تعالى بجهة أخرى، واضطرارنا إلى هذا القدر[٢] أوجب لنا زيادة الفحص والمبالغة في التنقيب ففعلنا، فعثرنا على هذا المعنى، لأنه من أضيق المواضع، وأدحض المواطن، وأدق المسالك"[٣].فلذلك كان منتهى كلام الأشاعرة في هذا الباب الوقوع في الجبر ،وأن الإنسان مجبور في صورة مختار،قال البقاعي:"قال الرازي في اللوامع:وفيه دليل على أن العبد في اختياره غير مختار"[٤].

ولما كانت هذه المسألة من أدق المسائل حصل فيها الاضطراب، ولو اعتصم المخالفون بما كان عليه سلف الأمة، لنجوا من هذا الاضطراب، قال شارح الطحاوية راداً على هذا الإشكال :" فإن قيل: إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذاً لا فعل للعبد أصلاً؟ قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقية، قال تعالى:(وما تفْعلُواْ مِن خيرٍ يعلَمه اللّه)[٥]، وإذا ثبت كون العبد فاعلاً فأفعاله نوعان: نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له، ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش، ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد

---

(1)- المصدر السابق ق ٢/٦٣.

(2)- هكذا في الأصل ولعل الصواب:التقدير أو القول .

(3)- المصدر السابق ق ٢/٦٦.

(4)- نظم الدرر٣٤٠/١٤.

(5)- البقرة:١٩٧.

قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفةً وفعلاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً"[١]، ثم قال :" فالحاصل أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق"[٢]، ولحل هذا الإشكال عند الأشاعرة، خرجوا بنظرية الكسب، الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، ولكن اضطرب الأشاعرة في تعريف الكسب، قال ابن القيم - رحمه الله - :" وقد اضطربت آراء أتباع الأشعري في الكسب اضطراباً عظيماً، واختلفت عبارا م فيه اختلافاً كثيراً"[٣].

ولهم في ذلك عبارات:

١- ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به.

٢- مايقع به المقدور في محل قدرته.

٣- ما وجد بالقادر وله عليه قدرة محدثة.[٤]

وغير ذلك من الأقوال، فلذلك كان كسب الأشعري من الأشياء التي قيل فيها لا حقيقة لها، فإ م لم ينتهوا فيه إلى قول مستقيم[5].

ولقد دخل البقاعي - رحمه الله - في خضم هذه الأقوال المتدافعة في الفرق بين الكسب والخلق، قال رحمه الله :" في الفرق بين الكسب والخلق عند الأشاعرة عبارات منها: الكسب: ما وقع بآلة كالضرب الذي هو كسب العبد، فإنه يقع بآلة ، وهي يده مثلاً، والخلق يكون بغير آلة، تعالى الله عن ذلك، هذه

---

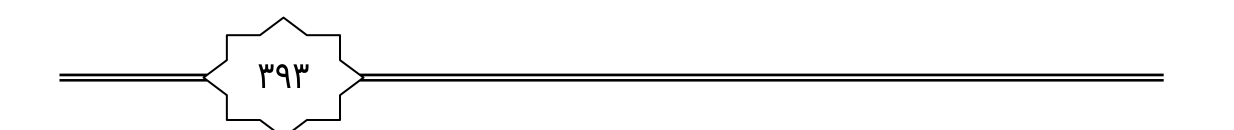
(1)- شرح الطحاوية ٦٥٠/٢.

(2)- المصدر السابق ٦٥٢/٢.

(3)- شفاء العليل لابن القيم ٣٦٩/١.

(4)- انظر: موقف ابن تيمية من الاشاعرة ١٣٣٨/٣.

(5)- الفتاوى ١٢٨/٨.



السماوات والأرضون معلقات بعجيب قدرته لا بآلة تمسكها، وتعليق القدرة بفعل وصرفها إليه كسب للعبد، والقدرة صفة للعبد لا كسب له فيها، بل هي بخلق الله تعالى من غير كسب للعبد، والمعتزلة موافقون على ذلك فقد شاع في كلامهم أنه سبحانه وتعالى خالق القوى والقُدر منهم، فيثبتون إيجاد أفعال العباد لله بواسطة"(١).

ومما سبق يتضح أن البقاعي وافق أهل السنة والجماعة في إثبات مراتب القدر الأربع ، إلا أنه خالفهم ووافق الأشاعرة في أنه ينسب أفعال العباد إلى الله تعالى وأنه ليس لهم منها إلا الكسب ، وأن الاستطاعة من العبد لا تكون إلا مع الفعل ؛ لا يجوز أن تتقدمه ولا تتأخر عنه ، وأن قدرة العبد غير مؤثرة .

---

(1)- النكت ق ١/٦٧.

المبحث الرابع

تكليف مالا يطاق

أولا:تصوير المسألة:

هذه المسألة متفرعة عن المسألة السابقة، فإن الطاقة هي الاستطاعة، والخلاف في هذا الموضوع - على ما ذكره أهل الفرق غير محدد، فما معنى :(ما لا يطاق)؟ هل هو الممتنع عادة؟ أو المستحيل كالجمع بين الضدين؟ أو هو كتكليف الكافر وهو لا يؤمن؟ أو كتكليف أبي لهب وقد أخبر الله أنه يموت كافراً إلى آخر عشرات الأمثلة التي يذكرو ا ويبنون على مثلها مذاهبهم، وهذا الخلط ناتج عن عدم التفريق بين أمرين متعلقين بال اع في هذه المسألة وهما:

١- ما يرجع إلى الفعل المأمور به، وهذا فيما يتعلق بالقضاء والقدر.

٢- ما يرجع إلى جواز الأمر بالشيء، وهذا فيما يتعلق بمسائل الأمر والنهي[(١)].

فمن " جعل القسمين قسماً واحداً، وادعى تكليف ما لا يطاق لوقوع بعض الأقسام التي لا يجعلها عامة الناس من باب مالا يطاق، وال اع فيها لا يتعلق بمسائل الأمر والنهي، وإنما يتعلق بمسائل القضاء والقدر، ثم إنه جعل هذا القسم مستلزماً لجواز القسم الذي اتفق المسلمون على أنه غير مقدور عليه، وقاس أحد النوعين بالآخر، وذلك من الأقيسة التي اتفق المسلمون بل وسائر أهل الملل، بل وسائر العقلاء على بطلا ا، فإن من قاس الصحيح المأمور بالأفعال كقوله: إن القدرة مع الفعل ، أو أن الله علم أنه لا يفعل على العاجز

(١)- انظر: القضاء والقدر - للمحمود ص ٢٧٢.

الذي لو أراد الفعل لم يقدر عليه، فقد جمع بين ما يعلم الفرق بينهما بالاضطرار عقلاً وديناً، وذلك من مثارات الأهواء بين القدرية وإخوا م الجبرية"[١].

ولذا يرى شيخ الإسلام أن إطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الاسلام[٢].

ثانيا:أقوال الناس في هذه المسألة:

وقع الخلاف في تكليف ما لا يطاق على أقوال:

١- جواز تكليف مالا يطاق مطلقاً، ومنه تكليف الأعمى البصر، وهذا قول جهم بن صفوان[٣].

٢- عدم جواز تكليف مالا يطاق، وقد منعوه لقبحه عقلاً، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم[٤].

٣- أن تكليف مالا يطاق جائز، وهذا مذهب الأشاعرة، وهو الذي مشى عليه البقاعي، وبنوا ذلك على ما في مذهبهم من أنه لا يجب على الله شيء ولا يقبح منه شيء[٥].

لكن الأشاعرة- ومنهم البقاعي- يقولون إن مالا يطاق أقسام:

أ - أن يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه، كتكليف الكافر الإيمان في حالة كفره، وهذا جائز عند جميع الأشاعرة، وهذا النوع هو مالا يستطيعه المكلف لا شتغاله بضده فقط.

---

(1)- درء تعارض العقل والنقل ٦٤/١-٦٥.

(2)- المصدر السابق ٦٥/١.

(3)- انظر الفتاوى ٢٩٧/٨.

(4)- شرح المواقف للإيجي٢٩٢/٣،٢٩٠.

(5)- قال في "المواقف"(٣ /٢٩٠):" تكليف ما لا يطاق جائز عندنا، لما قدمنا آنفا من أنه لا يجب عليه شيء، ولا يقبح منه شيء، إذ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ومنعـه المعتزلـة لقبحه عقلا". وانظر: الملل والنحل للشهرستاني٩٣/١.



قال البقاعي- عفا الله عنه - متحدثا عن تكليف الكافر بالإيمان:" الإيمان ممكن عقلاً وعادة، غير أن إيمان بعض الأفراد وهم في علم الله أ م لا يؤمنون لا يكون، لعلم الله تعالى أنه لا يكون مع أنه في حد ذاته لم يخرج عن كونه ممكناً، ولم يصر ممتنعاً، إلا باعتبار عارض له مع أنه إذا نظر إليه بحسب ذاته كان ممكناً، وإذا نظر إليه باعتبار علم الله أنه لا يكون كان ممتنعاً"[١].

ب - أن يمتنع الفعل لنفسه، بكونه محالاً كالجمع بين الضدين، وهذا اختلف فيه الأشاعرة، منهم من أجازه كالرازي ومنهم من منعه[٢].

قال البقاعي :" لا يقع تكليف بما ليس في وسعه كجمع الضدين والنقيضين، كأن يكون العدد الواحد زوجاً وفرداً، أو الشيء الواحد أحمر وأسود في حالة واحدة، فإن الضدين والنقيضين هما اللذان لا يجتمعان"[٣].

ج - ألا تتعلق به القدرة الحادثة عادة، كحمل الجبل، والطيران، فهذا يجوزه بعض الأشاعرة، وإن لم يقع من خلال الاستقراء[٤].

قال البقاعي في قوله تعالى (لاَ يكَلف اللّه نفْسا إِلا وسعها)[٥]،:" أي ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه، وذلك هو الممكن لذاته الذي يتعلق اختيار العبد بفعله، ولم يخبر الله تعالى بأنه لا يقع لا المحال لذاته، ولا الممكن لذاته، سواء كان مما لا مدخل للإنسان في اختياره كالنوم، أو كان له مدخل فيه، وقد تعلق العلم

---

(1)- النكت ق ١/٧٣.

(2)- الإرشاد للجويني ص ٢٢٦، معالم أصول الدين للرازي ص ٨٥.

(3)- النكت ق ٢/٧٢.

(4)- مجموع الفتاوى ٨/ ٢٩٥.

(5)- البقرة:٢٨٦

الأزلي بعدم وقوعه وأخبر سبحانه وتعالى بعدم وقوعه معيناً لصاحبه، فهذا لا يقع التكليف به، ويجوز التكليف به"(١).

٤- مذهب السلف،هوالتفصيل، وذلك أن يقال: تكليف مالا يطاق على وجهين:

أحدهما: مالا يقدر على فعله لا ستحالته، إما لا متناعه عادة كالطيران، وإما هو ممتنع في نفسه كالجمع بين الضدين، فهذا قد اتفق حملة الشريعة على أن مثل هذا ليس بواقع، وأنه لا يجوز تكليفه(٢).

والثاني: مالا يقدر عليه لا لاستحالته ولا للعجز عنه، لكنه لتركه والاشتغال بضده، مثل تكليف الكافر بالإيمان في حال كفره، فهذا جائز خلافاً للمعتزلة، لأنه من التكليف الذي اتفق المسلمون على وقوعه في الشريعة، ولكن إطلاق تكليف مالا يطاق على هذا مما منعه جمهور أهل العلم، وإن كان بعض المنتسبين إلى السنة قد أطلقه في ردهم على القدرية(٣).

---

(1)- نظم الدرر ١٧٥/٤-١٧٦.

(2)- انظر: مجموع الفتاوى ٣٠١/٨.

(3)- قال الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي:"اعلم أن تكليف ما لا يطاق، ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: ما لا يطاق للعجز عنه بطريق الآلات، كتكليف المقعد القيام والمشي، وتكليف الإنسان الطيران، والأعمى نقط المصاحف، فهذا غير واقع في الشريعة ولم يكلف الله به أحد.

ثانيهما: تكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده، مع سلامة الآلات، كتكليف الكافر الإيمان مع سبق علم الله بأنه لا يؤمن، والتكليف بهذا واقع بالاتفاق، فاشتغال الكافر بالكفر هو الذي صده عن ضده الذي هو الإيمان ،فإنه بمنزلة القاعد المأمور بالقيام، فإن اشتغاله بالقعود هو الذي يمنعه أن يكون قائما ،والإرادة الجازمة لأحد الضدين تنافي الضد الآخر، وتكليف الكافر والعاصي السابق علم الله وقدره فيهما من هذا الباب ،وتكليف مثل هذا ليس بقبيح شرعا ولا عقلا "،كتاب" رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر"،لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي،ص٤٨-٤٩، تحقيق : أسعد محمد المغربي، دار حراء - مكة المكرمة،الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .وانظر: مجموع الفتاوى ٢٩٨/٨، درء التعارض ٦٠/١.

المبحث الخامس

هل يجب على الله تعالى شيء ؟

١ - أقوال الناس في هذه المسألة:

لقد وقع الخلاف في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: إنه لا يجب على الله شيء، بل له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهذا قول جماهير المسلمين، أهل السنة والأشاعرة.

ولكن ينبغي أن يعلم أن اتفاق هؤلاء في عدم الوجوب على الله[١]، لا يعني اتفاقهم على أن الله يفعل ما فيه مصلحة عامة للعباد، فقد اختلفوا في ذلك على قولين:

١ - أن خلق الله وأمره متعلق بمحض المشيئة، لا يتوقف على مصلحة وهذا قول الجهمية[٢].

٢ - أن الله أمر العباد بما فيه صلاحهم، و اهم عما فيه فسادهم، وأن فعل المأمور به مصلحة عامة لمن فعله، وأن إرسال الرسل مصلحة، وإن كان فيه ضرر على بعض الناس لمعصيته، وهذا وقول أكثر الفقهاء وأهل الحديث والتصوف، وطوائف من أهل الكلام وهو الصواب[٣].

---

(1)- انظر: شرح المواقف،٤٥/١، الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي ص ١٥٦.

(2)- انظر: منهاج السنة ٣٢٥/١.

(3)- منهاج السنة ٣٢٥/١.

القول الثاني: وجوب فعل الأصلح على الله، وهذا هو قول المعتزلة الذين يقولون بالصلاح والأصلح[1].

١- منهج البقاعي في هذه المسألة:

درج البقاعي - عفا الله عنه - في هذه المسألة على منهج الجهمية، إذ جوز وقوع الظلم من الله، ولكن على اعتبار أنه ليس بظلم، فقال :" وإلا فمعلوم أنه تعالى لا يجب عليه شيء، وله أن يعذب الطائع، ولو عذب لكان عدلاً"[2]، وفي قوله تعالى :(وكَانَ اللّه عزِيزا حكِيما)[3]، قال:" أي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، فهو قادر على ماطلبوه، ولكنه لا يجب عليه شيء"[4].

وفرق بين إيجاب العبيد على الله، وإيجابه على نفسه، قال ابن تيمية رحمه الله :" وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم، بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية - أي المعتزلة - وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول ،وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، فهو الخالق لهم، وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح"[5].

---

(1)- الفرق بين الفرق ص ١٣٣- الملل والنحل ٥٤/١.

(2)- النكت ق ١/١١٣.

(3)-النساء:١٦٥.

(4)- نظم الدرر ٥١٣/٥.

(5)- اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠٩.

المبحث السادس
الحكمة والتعليل في أفعال الله عز وجل

١- معنى الحكمة لغة:

جاء في القاموس المحيط:"والحِكْمةُ بالكسر : العدلُ، والعِلْم، والحِلْم، والنبوةُ،والقُرآنُ، والا نجِيلُ،وأحكَمه:أتقَنه، فاستحكَم ومنعه عن الفَسادِ"[١].

وقال في لسان العرب:"الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها:حكيم"[٢].

وفي المفردات للراغب الأصفهاني:"الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل"[٣].

٢- حكاية الخلاف في هذه المسألة:

وهذه من أجل مسائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر، وبالشرع والقدر، وقد اختلف الناس في ذلك على أقوال:

القول الأول: أن الله تعالى خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات، لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل إنه - تعالى - فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة، وهذا قول الأشاعرة، قالوا:" لا يجوز تعليل أفعاله - تعالى - بشيء من الأغراض والعلل الغائية"[٤]، ويقول بهذا القول " كثير ممن يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم، وقد قال بهذا طوائف من أصحاب

---

(1)- القاموس المحيط١٤١٥/١،باب الميم فصل الحاء.

(2)- لسان العرب١٤٠/١٢.

(3)- المفردات ص١٨١.

(4)- نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٢٩٧، والارشاد والجويني ص ٢٦٨.

مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول الأشعري وأصحابه، وقول كثير من نفاة القياس الظاهرية كابن حزم وأمثاله"(١).

القول الثاني: أن الله تعالى فعل المفعولات وخلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه، لاترجع إليه وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم(٢).

القول الثالث: قول جمهور أهل السنة، وهو قول سائر الطوائف من الذين يقولون بالتعليل من الفقهاء، وأهل الحديث، والصوفية، وأهل الكلام وغيرهم، وهو أن الله يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو(٣).

يقول ابن القيم - رحمه الله - :" إنه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة، وحكمته هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب ا فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا"(٤)،

١- منهج البقاعي في الحكمة والتعليل،والرد عليه:

لقد أثبت البقاعي - رحمه الله - الحكمة من حيث الإجمال، ولكنه إذا جاء إلى التفصيل فصل وأصل القضية على طريقة الأشاعرة، كما هو منهجه في عامة المسائل التي خالف فيها منهج أهل السنة، فقال في إثبات الحكمة لله عز وجل:(إِن اللّه يحكُم ما يريد)(5)،:" أي من تحليل وتحريم وغيرهما"، إلى أن قال :" فلا يسئل عن تخصيص، ولا عن تفضيل، ولا غيره، فما فهمتم من حكمته فذاك،

---

(1)- الإرادة والأمر "ابن تيمية" مجموعة الرسائل الكبرى ٣٢٦/١.

(2)- الارادة والأمر - مجموعة الرسائل الكبرى ٣٣١/١.

(3)- مجموعة الرسائل الكبرى ٣٣٥/١.

(4)- شفاء العليل لابن القيم ص ١٩٠

(5)- المائدة:١.

وما لا فَكِلوه إليه، وارغبوا في أن يلهمكم حكمته، قال الإمام[١]: وهذا الذي يقوله أصحابنا، إن علة حسن التكليف هو الربوبية والعبودية، لاما يقوله المعتزلة من رعاية المصلحة"[٢].

وقال أيضاً :"(أليس الله ِبأحكَمِ الحاكِمِين)[٣]، أي حتى يدع الخلق يهلك بعضهم بعضاً من غير جزاء، فيكون خلقهم عبثاً، بل هو أحكم الحاكمين علماً وقدرة وعدلاً وحكمة بما شوهد من إبداعه الخلق ومفاوتته بينهم، وجعل الإنسان من بينهم على أحسن تقويم، فلا بد أن يقيم الجزاء ويضع الموازين القسط ليوم القيامة فيظهر عدله وحكمته، ومقسماً عليه من حيث أن الخلق في أحسن تقويم يقتضي العدل لا محالة"[٤].

وفي قوله تعالى:(وما أرسلْنا ِمن رسولٍ ِإلا ِبِلسان قَوِمِه ِليبين لَهم فَيضِل اللّه من يشاء ويهدِي من يشاء وهو الْعزِيز الْحكِيم)[٥]،قال:" لأنا أضللناكم بحكمتنا، وآتينا الحكمة الذين قبلوا آياتنا ،وأحسنوا التعبد لنا، فما عبدوا صنماً ،ولا مالوا إلى لهو، لأن ذلك عين الحكمة، لكونه وضعاً للشيء في محله"[٦].

وقال أيضاً :" (لَا يسأَلُ عما يفْعلُ وهم يسأَلُونَ)[٧]، أي لا يعترض عليه، لأنه لا كفؤ له في علم، ولا حكمة، ولا قدرة، ولا عظمة، ولا غير ذلك، فليس في شيء من أفعاله لإتقا ا موضع سؤال، فمهما أراد كان، ومهما قال فالحسن

---

(١)- إذا أطلق الإمام عند الشافعية يريدون به إمام الحرمين .

(٢)- نظم الدرر ٧/٦.

(٣)- التين:٨.

(٤)- نظم الدرر ١٤٩/٢٢.

(٥)- إبراهيم:٤.

(٦)- نظم الدرر ١٥٥/١٥.

(٧)-الأنبياء:٢٣.

الجميل، فلو شاء لعذب أهل سماواته وأهل أرضه، وكان ذلك منه عدلاً حسناً"[(١)].

ثم نقل كلاماً عن الشهرستاني قائلاً :" ومن أعجب ما رأيت في حكم الأقدمين أن الشهرستاني قال في "الملل"[(٢)] وقد سأل بعض الدهرية أرسطاطاليس فقال: إذا كان لم يزل ولا شيء غيره، ثم أحدث العالم فلم أحدثه"؟ فقال:" لِم غير جائز عليه، لأن (لم) تقتضي علة، والعلة محمولة فيما هي علة له من فعل فوقه، ولا علة فوقه، وليس بمركب فتحمل ذاته العلل (فلم) عنه منفية[(٣)].

وهكذا يكون منشأ نفي العلة عن أفعال الله عز وجل منشؤه الفلاسفة[(٤)]، وعلى هذا القول جرت الجهمية وكذا الأشاعرة.

فلذلك كان البقاعي أصرح في نفي العلل بحجة أ ا أغراض عندما قال :" إنما جرت سنته تعالى أنه يفعل الأشياء لحكم ومصالح، ولا يقال أن هذه الحكم والمصالح أغراض، لأن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض والنهايات، إذ الغرض هو ما يمتنع الفعل بدونه، والله تعالى م ه عن امتناع شيء عليه، بل هو قادر على كل شيء، وهو سبحانه إذا فعل شيئاً لحكمة لا يمتنع عليه فعل ذلك الشيء لغير تلك الحكمة، أولا لحكمة أصلاً، فانتقض التعليل بالأغراض في أفعاله تعالى"[(٥)].

قال ابن تيمية - رحمه الله - رداً على الأشاعرة في الحكمة :" إن العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلاً لا لحكمة، فهو أولى بالنقص ممن فعل لحكمة كانت معدومة"[(٦)].

---

(1)- نظم الدرر ٤٠٤/١٢.

(2)- الملل والنحل للشهر ستاني١١٨/٢.

(3)- نظم الدرر ٤٠٥/١٢.

(4)- انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا - ص ٥٤٨ تحقيق سليمان دينا، ط دار المعارف مصر.

(5)- النكت ق ١/٦٨.

(6)- شرح الأصفهانية ص ٣٦٢.

والتعليل بالأغراض هو مذهب المعتزلة الذين يثبتون الغرض لله عز وجل، فعارضهم الأشاعرة بأن الغرض مستحيل على الله عز وجل، لأ م عرفوا الغرض "بالأمر الباعث للفاعل على الفعل، وهو المحرك الأول، وبه يصير الفاعل فاعلاً"[(١)].

والصحيح أن لفظ (الغرض) لا يطلق على الله عز وجل، فلذلك تجد السلف أعرضوا عن هذه الكلمة وتقيدوا بالألفاظ الشرعية[(٢)]، والانحراف إنما جاء من هذه الألفاظ المجملة المشتبهة، التي تطلق في حق الله نفياً أو إثباتا، فيكون في إثبات إثباتاً لمعنى باطل، ونفيها نفي لمعنى حق، فلذلك كان الحق في هذه الألفاظ أ ا لا تثبت ولا تنفى مطلقاً، وإنما يستفصل في المعنى، فما كان من حق أثبتناه، وما كان من باطل نفيناه، فلذلك بالغ الأشاعرة في نفي العلل والأسباب، حتى نفوا الأسباب التي جعلها الله في هذا الكون، فنفوا صفة الإحراق في النار، وقالوا إن الله يخلق صفة الإحراق حين إحراقها أما هي في الأصل فلا تحرق، قال البقاعي - رحمه الله - :" لا شك أنّ النار سبب ظاهر للإحراق، وإذا علل الفعل بذلك السبب لم ينكر، فلو قيل جرى كذا وكذا، للاءم العقل وارتضاه ولم ينكر في مجاري العادات، كما وقع في الكتاب والسنة، أن الناس يدخلون الجنة بأعمالهم بقوله تعالى (جزاء بِما كَانوا يعملُونَ)[(٣)] مع ما ورد من أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله، فالمراد ذا السبب الحقيقي، أي أن السبب الحقيقي في الدخول إنما هو رحمة الله، والمراد بالأول السبب الظاهري لأنه إذا قيل فلان

---

(١)- شرح العقائد العضدية للجلال الدواني ٢/٢٠٤.

(٢)- منهاج السنة لابن تيمية ١/٢٢٠.

(٣)- السجدة:١٧.

أطاع الله، فأدخله الجنة للاءم العقل وارتضاه، ولم ينكر في مجاري العادات، كما لوقيل فلان عوقب بسبب ترك الواجبات ونحو ذلك"[(١)].

والذين لم يثبتوا الأسباب، كالجهمية والأشاعرة ظنوا أن إثبا ا خروج ا عن قدرة الله عز وجل وهذا باطل من وجهين:[(٢)]

١- أن إثبات الأسباب وتأثيرها في مسببا ا لا يستلزم خروج شيء عن قدرته تعالى، وذلك لأن تأثير السبب في مسببه ليس بذاته، بل بما جعله الله فيه من قوة التأثير.

٢- أن في إنكار تأثير الأسباب إنكاراً لما جعل الله في بعض الأشياء من قوى، وفيه فتح ثغرة لأعداء الإسلام ينفذون منها للنيل من عقيدة الإسلام، وفي هذا يقول ابن القيم - رحمه الله - :" ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد، إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب، فإذا رأى العقلاء أنه لم يمكن إثبات توحيد الرب - سبحانه - إلا بإبطال الأسباب، ساءت ظنو م بالتوحيد، وبمن جاء به" إلى أن قال :" ولكن ضعفاء العقول، إذا سمعوا أن النار لا تحرق، والماء لا يغرق، والخبز لا يشبع، والسيف لا يقطع، ولا تأثير لشيء من ذلك البتة، ولا هو سبب لهذا الأثر وليس فيه قوة، وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا وكذا، قالت: هذا هو التوحيد، وإفراد الرب بالخلق والتأثير، ولم يدر هذا القائل أن هذا إساءة ظن بالتوحيد، وتسليط لأعداء الرسل على ما جاءوا به، كما تراه عياناً في كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان"[(٣)].

وقال شيخ الإسلام في الرد على منكري الأسباب :" ومن قال: إن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى ا المخلوقات ليست أسباباً، أو أن وجودها كعدمها، وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي، كاقتران الدليل بالمدلول،

---

(1)- النكت ق ١/١٧-٢.

(2)- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى. د. محمد المدخلي ص ١٩٠.

(3)- شفاء العليل لابن القيم ص ٣٩٦.

فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم، ولم يجعل في العين قوة تمتاز ا عن الخد تبصر ا، ولا في القلب قوة تمتاز ا عن الرجل يعقل ا، ولا في النار قوة تمتاز ا عن التراب تحرق ا، وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز، قال بعض الفضلاء: تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبائع، فأضحكوا العقلاء على عقولهم"(١).

المبحث السابع
الإرادة هل تستلزم الرضا والمحبة ؟

١ - الخلاف في هذه المسألة:

هذه المسألة لها علاقة بالمسألة السابقة: مسألة تعليل أفعال الله، والخلاف فيها على قولين:

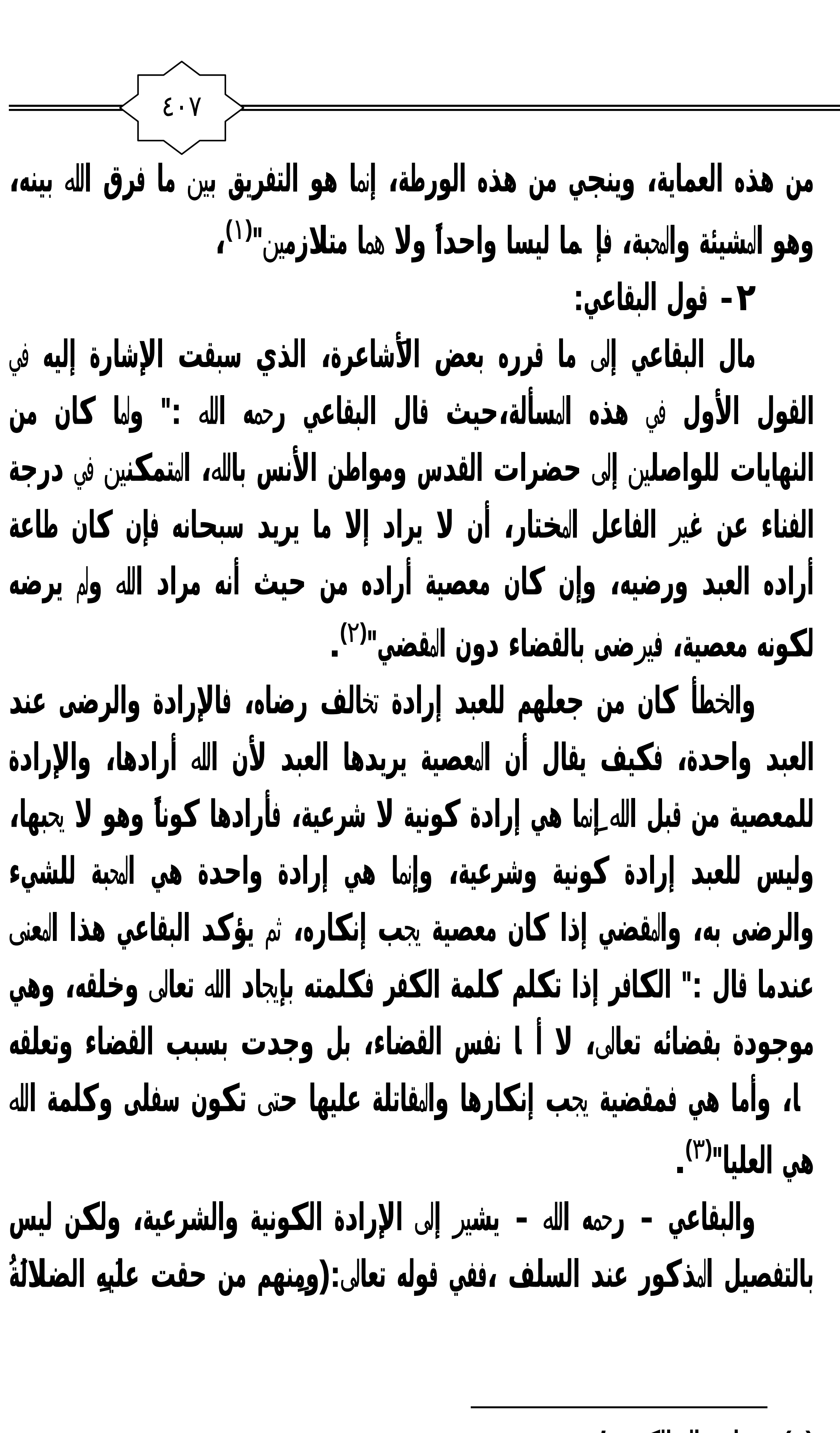
القول الأول: إن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة، وهذا قول المعتزلة والجهمية وأغلب الأشاعرة، وبعض الأشاعرة يقولون: إن الواجب هو الرضا بالقضاء لا بالمقضي، ومن هؤلاء من يحمل المحبة والرضا على الإرادة، ولكنه يقول: إذا تعلقت الإرادة بنعيم ينال عبداً فإ ا تسمى محبة ورضا، وإذا تعلقت بنقمة تنال عبداً فإ ا تسمى سخطاً(٢).

القول الثاني: أن الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة، بل بينهما فرق: وهذا قول عامة أهل السنة المثبتين للقدر، وقد دل الكتاب والسنة والفطرة والعقل على ذلك، قال ابن القيم - رحمه الله - :" والذي يكشف هذه الغمة، ويبصر

---

(1)- مجموعة الرسائل، رسالة الارادة لابن تيمية ١/ص٣٧٢.

(2)- انظر: الارشاد للجويني ص ٢٣٩،شرح المواقف ٢٨٨.



من هذه العماية، وينجي من هذه الورطة، إنما هو التفريق بين ما فرق الله بينه، وهو المشيئة والمحبة، فإ ما ليسا واحداً ولا هما متلازمين"[١]،

٢- قول البقاعي:

مال البقاعي إلى ما قرره بعض الأشاعرة، الذي سبقت الإشارة إليه في القول الأول في هذه المسألة،حيث قال البقاعي رحمه الله :" ولما كان من النهايات للواصلين إلى حضرات القدس ومواطن الأنس بالله، المتمكنين في درجة الفناء عن غير الفاعل المختار، أن لا يراد إلا ما يريد سبحانه فإن كان طاعة أراده العبد ورضيه، وإن كان معصية أراده من حيث أنه مراد الله ولم يرضه لكونه معصية، فيرضى بالقضاء دون المقضي"[٢].

والخطأ كان من جعلهم للعبد إرادة تخالف رضاه، فالإرادة والرضى عند العبد واحدة، فكيف يقال أن المعصية يريدها العبد لأن الله أرادها، والإرادة للمعصية من قبل الله إنما هي إرادة كونية لا شرعية، فأرادها كوناً وهو لا يحبها، وليس للعبد إرادة كونية وشرعية، وإنما هي إرادة واحدة هي المحبة للشيء والرضى به، والمقضي إذا كان معصية يجب إنكاره، ثم يؤكد البقاعي هذا المعنى عندما قال :" الكافر إذا تكلم كلمة الكفر فكلمته بإيجاد الله تعالى وخلقه، وهي موجودة بقضائه تعالى، لا أ ا نفس القضاء، بل وجدت بسبب القضاء وتعلقه ا، وأما هي فمقضية يجب إنكارها والمقاتلة عليها حتى تكون سفلى وكلمة الله هي العليا"[٣].

والبقاعي - رحمه الله - يشير إلى الإرادة الكونية والشرعية، ولكن ليس بالتفصيل المذكور عند السلف ،ففي قوله تعالى:(وِمنهم من حقت علَيهِ الضلالةُ

---

(1)- مدارج السالكين ١٩٢/٢.

(2)- نظم الدرر ١٢٠/٦.

(3)- النكت ق ٢/٦٤.

َ)[1] ، قال:" بأن أضله الله فنابذ الأمر فلم يعمل به، وعمل بمقتضى الإرادة فإن الأمر قد لا يكون ما تعلق به، والإرادة لا بد أن يكون ما تعلقت به، وقد يكون موافقا عاملاً بالضلالة فحق عليه عذا ا فحقت له النار، فهلك لأنه لم تبق له حجة يدفع ا عن نفسه"[2].

فقوله" فنابذ الأمر" أي الأمر الشرعي وهي الإرادة الشرعية، وقوله"وعمل بمقتضى الإرادة" أي الإرادة الكونية، وقد أكد رحمه الله هذه الإرادة الكونية راداً على المعتزلة النافين لها بقوله :" أي وهو الذي لا راد لما يريده، ولا فاعل لما يرده، فهذه أشد الآيات على المعتزلة"[3]، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :(أولِئك الذِين لَم يرِدِ اللّه أن يطَهر قُلُوبهم لَهم ِفي الدنيا خِزي ولَهم ِفي الآخِرةِ عذَاب عظِيم)[4] .

(1)- النحل:٣٦.

(2)- نظم الدرر ١٥٧/١١.

(3)- المصدر السابق ١٤٠/٦.

(4)- المائدة:٤١.

المبحث الثامن

الهدى والضلال

وهذه المسألة هي قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدر الله لعبده، وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال، وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه الم لة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لابيد العبد، وأن العبد هو الضال المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه[1].

وقد أكد البقاعي هذا المعنى بكلام له كثير وخاصة في تفسيره العظيم "نظم الدرر" ففي قوله تعالى:(ليس علَيك هداهم ولَكِن اللّه يهدِي من يشاء)[2]،قال:"(ليس عليك) أي عندك ،(هداهم) حتى تكون قادراً عليه فما عليك إلا البلاغ، وأما خلق الهداية لهم فليس عليك ولا تقدر عليه، (ولكن الله) الذي لا كفؤ له هو القادر على ذلك وحده فهو (يهدي من يشاء)"[3].

---

(1)- انظر: شفاء العليل لابن القيم ٢٢٩/١.

(2)- البقرة:٢٧٢.

(3)- نظم الدرر ١٠١/٤.

وقال أيضاً :"(ولَو شاء اللّه لَجمعهم علَى الْهدى)[1]، أي لأن قدرته شاملة وإيما م في حد ذاته ممكن، ولكنه قد شاء افتراقهم بإضلال بعضهم"[2].

وهذه الهداية بفضله والضلالة بعدله قال:" فهو(يضِل من يشاءَ)[3]، عدلاً منه لأنه تام الملك عام الملك، ولو كان الذي أضله على أحسن الحالات (ويهدي بفضله من يشاء) ولو كان على أخس الأحوال"[4].

وقال أيضاً :" من هداه الله فماله من مضل، ويضل به من يشاء، فلا تتأثر جلودهم لقساوة قلو م، فيكون هدى لناس ضلالاً لآخرين...(فَما لَه مِن هادٍ)[5]، لأنه لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، لأنه الواحد في ملكه، فلا شريك له...وهي دامغة للقدرية"[6].

والطبع على القلوب إنما هو نتيجة إعراض المعرضين عن الحق، قال البقاعي مؤكداً هذا المعنى :" إنه خلقها (أي القلوب) أولا على الفطرة، متمكنة من اختيار الخير والشر، فلما أعرضوا - بما هيأ قلو م من قبول النقيضين - عن الخير، واختاروا الشر باتباع شهوا م الناشئة من نفوسهم، وترك ما تدعو إليه عقولهم، طبع سبحانه وتعالى عليها، فجعلها قاسية محجوبة عن رحمته"[7].

ومعلوم أن الهداية التي يزرعها الله في القلوب إنما هي هداية التوفيق، أما هداية الإرشاد والدلالة فلا شك أن غير الله يملكها من الأنبياء والعلماء الذين

---

(1)- الأنعام:٣٥.

(2)- نظم الدرر ١٠٠/٧.

(3)- النحل:٩٣.

(4)- نظم الدرر ٢٤٤/١١.

(5)- غافر:٣٣.

(6)- نظم الدرر ٤٩١/١٦.

(7)- نظم الدرر ٤٦٣/٥.

يدلون الناس إلى طريق الخير ليتبعوه، وطريق الشر ليجتنبوه قال تعالى: (وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ)[1] ، فهذه الهداية أثبتها الله لرسول صلى الله عليه وسلم، ونفى عنه الهداية الأخرى هداية التوفيق والإلهام بقوله :(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)[2] .

وقد أشار البقاعي - رحمه الله - إلى الهدايتين في قوله تعالى :(وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)[3]، قال: "أي بالبيان والتوفيق"[4]، وفي قوله تعالى:(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) قال:"(إنك لا تهدي من أحببت) أي نفسه أو هدايته بخلق الإيمان في قلبه، وإنما في يدك الهداية التي هي الإرشاد والبيان (ولكن الله يهدي من يشاء)، هدايته بالتوفيق إلى ما يرضيه، (وهو أعلم بالمهتدين) أي الذين هيأهم لتطلب الهدى عند خلقه لهم، فيكونوا عريقين فيه، سواء كانوا من أهل الكتاب أو العرب، أقارب كانوا أو أباعد"[5]، وقال أيضاً:"(وإنك لتهدي) أي تبين وترشد، وأكده لإنكارهم ذلك (إلى صراطٍ) أي طريق واضح"[6].

وبهذا يوافق البقاعي أهل السنة في تقرير هدايتي التوفيق والإرشاد ، وقد رد على الذين ينفون الإضلال والإغواء عن الله عز وجل فقال :" ومن أسند الإغواء إلى غير الله بسبب اعتقاده أن ذلك مما ينزه الله عنه، فقد وقع في شر مما

---

(1)- الشورى:٥٢.

(2)- القصص:٥٦.

(3)- الأعراف:٤٣.

(4)- نظم الدرر ٤٠٣/٧.

(5)- نظم الدرر ٣١٧/١٤.

(6)- المصدرالسابق ٣٧٢/١٧.

فر منه، وهو أنه جعل في الوجود فاعلين، يخالف اختيار أحدهما اختيار الآخر"[١].

المبحث التاسع
الفطرة ومعناها

فطَر الشيءَ يفْطُره فَطْراً فانفَطَر، وفطره شقه، وتفَطر الشيءُ تشقق، وفَطَر الله الخلق يفْطُرهم خلقهم وبدأهم، والفِطْرةُ الابتداء والاختراع،والفِطْرةُ بالكسر الخِلْقة،والفِطْرةُ ما فَطَر الله عليه الخلق من المعرفة به،وقيل: فُطِر كل إنسان على معرفته، بأن الله رب كل شيء وخالقه[٢].

وقال في القاموس:" والفِطْرةُ : صدقَةُ الفِطْر، والخِلْقَةُ التي خلِق عليها المَولود في رحِمِ أمهِ والدين"[٣].

قال ابن القيم - رحمه الله - :" فقد تبين بدلالة الكتاب، والسنة، والآثار، واتفاق السلف، على أن الخلق مفطورون على دين الله، الذي هو معرفته، والإقرار به، ومحبته، والخضوع له، وأن ذلك موجب فطر م ومقتضاها، يجب حصوله فيها إن لم يحصل ما يعارضه، ويقتضي حصول ضده، وأن حصول ذلك فيها لا يقف على وجود شرط، بل على انتفاء المانع، فإذا لم يوجد، فهو لوجود منافيه، لا لعدم مقتضيه، ولهذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم لوجود الفطرة شرطاً، بل ذكر ما يمنع موجبها، حيث قال :" فأبواه يهودانه وينصرانه

---

(١)- نظم الدرر ٣٦٨/٧.

(2)- انظر:لسان العرب٥٥/٥،مادة:فطر.

(3)- القاموس المحيط ٥٨٧/١،مادة :فطر.

ويمجسانه"[١]، فحصول هذا التهويد والتنصير، موقوف على أسباب خارجة عن الفطرة، وحصول الحنيفية ، والإخلاص، ومعرفة الرب تعالى، والخضوع له، لا يتوقف أصله على غير الفطرة، وإن توقف كماله وتفصيله على غيرها وبالله التوفيق"[٢].

قال البقاعي - مقررا هذه المعاني في مسألة الفطرة- :"(أولئك الذين خسروا أنفسهم)[٣]، أي بتضييع الفطرة الأولى، التي هي سهولة الانقياد للخير، وصعوبة الانقياد للشر"[٤]، وفي قوله تعالى:(فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرةَ اللهِ التي فطر الناس عليها لا تبديلَ لخلْق اللهِ ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمونَ)[٥]قال:"(فطرة الله) أي الزم فطرة الملك الذي لا راد لأمره، وهي الخلقة الأولى، التي خلق عليها البشر، والطبع الأول، (التي فطر الناس عليها) كلهم الأشقياء والسعداء، وهي سهولة الانقياد، وكرم الخلق، الذي هو في الصورة فطرة الإسلام، وتحقيق ذلك أن المشاهد من جميع الأطفال سلامة الطباع، وسلاسة الانقياد لظاهر الدليل، ليس منهم في ذلك عسر كما في الكبار، وإن تفاوتوا في ذلك، فالمراد بالفطرة قبولهم للحق، وتمكنهم من إدراكه، كما تجد الأخرس يدرك أمر المعاد إدراكاً بيناً، وله فيه ملكة راسخة، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد بن منيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(كل مولود يولد على الفطرة، وفي رواية للبخاري: ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء،

---

(1)- سيأتي الحديث بتمامه في الصفحة التالية ، وانظر تخريجه هناك .

(2)- شفاء العليل ٨٢٣/٢.

(3)- هود:٢١.

(4)- نظم الدرر ٢٥٨/٩.

(5)- الروم:٣٠.

هل تجدعو ا فيها من جدعاء ،حتى تكونوا أنتم تجد عو ا"[١]، فذلك الجدع، والوسم ، وشق الأذن، ونحو ذلك، مثال للأخلاق التي يتعلمها الطفل ممن يعامله من الغش والكذب وغير ذلك"[٢].

المبحث العاشر

العهـــد و الميثـاق

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:" والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق"[٣]، وذلك لقوله تعالى:(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[٤] .

وقد اختلف في تفسير هذه الآية، بناءً على مدى صحة الحديث الوارد في ذلك[5].

---

(1)- أخرجه البخاري كتاب الجنـائز،بـاب إذا أسـلم الـصبي فمـات هـل يـصلى عليـه رقم١٢٩٢(٤٥٦/١) ،ومسلم في كتاب القدر رقم ٢٦٥٨(٨٢٣/٤) .

(2)- نظم الدرر ٨٥/١٥ -٨٦ .

(3)- شرح الطحاوية ٣٠٢/١.

(4)- الأعراف:١٧٢.

(5)- الحديث أخرجه الترمذي ٥ / ٢٦٦ ،رقم ٣٠٧٥، عن مسلم بن يسار الجهني : أن عمر بن الخطاب، سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتـهم وأشـهدهم علـى أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)، قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسئل عنها، فقال رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم:" إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه ، فأخرج منه ذرية ،فقال: خلقـت هـؤلاء للجنـة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن

والذي رجحه ابن القيم هو أن العهد والميثاق إنما هو ما فطر الله عباده عليه، من الإقرار بربوبيته، وأنه ربهم، وخالقهم، وفاطرهم، وأن ذلك حجة عليهم[(١)].

وهذا المعنى الذي رجحه ابن القيم هو الذي ذهب إليه البقاعي - رحمه الله - فقال في تفسير الآية السابقة:" إشارة إلى أنه كما أكد عليهم المواثيق، وشددها لهم، وأمرهم بالقوة في أمرها، أعطاهم من القوة في التركيب والمزاج ما يكونون به مطيعين بذلك، فهو تكليف بما في الوسع، وجعل لهم عقولاً عند من قال: هو على حقيقته، (وأشهدهم على أنفسهم) أي أوضح لهم من البراهين من الإنعام بالعقول مع خلق السموات والأرض وما فيهما على هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية، وتمام العلم والقدرة، ومن إرسال الرسل، المؤيدين بالمعجزات ما كانوا كالشهود بأنه لا رب غيره"[(٢)].

وتكلم عن الوفاء بالعهد عندما قال :" وهو الوفاء بالعهد، الذي يفهم منه العلماء بالله، ما دل عليه العقل من الحجج القاطعة بالتوحيد، وصدق الرسل، ووجوب اتباعهم، فكانت أعظم العهود"[(٣)].

الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمـال أهـل الجنـة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهـل النار فيدخله الله النار" قال أبو عيسى : "هذا حديث حسن ، و مسلم بن يسار لم يسمع من عمـر ، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهـولا " ، وصـححه ابـن حبان٣٧/١٤،رقم٦١٦٦، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

(1)- انظر شفاء العليل ٧٩/١.

(2)- نظم الدرر ١٥٢/٨.

(3)- المصدر السابق ٢٤٠/١١.

الفصل الثامن

الموقف من الصحابة رضي الله عنهم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة.

المبحث الثاني : موقف البقاعي من الصحابة .

المبحث الأول
عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة

إن"من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وصفهم الله في قوله – تعالى - :(والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)[١]، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:" لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه" [٢].

ويقبلون ما جاء به الكتاب، والسنة، والإجماع من فضائلهم، ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح – وهو صلح الحديبية – وقاتل؛ على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر:" اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" [٣]، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله، حيث قال يوم غدير خم:"أذكركم الله في أهل بيتي" [٤].

---

(١) - الحشر: ١٠

(٢)- رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة رقم ٣٤٧٠ (١٣٤٣/٣) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رقم ٢٥٤١ (١٩٦٧/٤)(عن أبي سعيد الخدري.

(٣)- جزء من حديث رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس رقم ٢٨٤٥ (١٠٩٥/٣)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة،باب فضائل أهل بدر (٢٤٩٤).

(٤)- رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رقم ٢٤٠٨ (١٨٧٣/٤)عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة، ويسبو م، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول، أو عمل"[١].

المبحث الثاني
موقف البقاعي من الصحابة

١ - فضائل الصحابة:

(1) - الواسطية باختصار ، وانظر:مجموع الفتاوى١٥٢/٣-١٥٦.

إن فضائل الصحابة في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى،ففي الكتاب قوله تعالى:(محمد رسولُ اللهِ والذِين معه أشِداء علَى الْكُفارِ رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغونَ فَضلًا من اللهِ ورِضوانا سِيماهم فِي وجوهِهِم من أَثَرِ السجودِ ذَلِك مثَلُهم فِي التوراةِ ومثَلُهم فِي الْإِنجِيلِ كَزرعٍ أَخرج شطْأَه فَآزره فَاستغلَظَ فَاستوى علَى سوقِهِ يعجِب الزراع لِيغِيظَ بِهِم الْكُفار وعد الله الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ مِنهم مغفِرةً وأجرا عظِيما)[١]،وقوله تعالى:(والسابِقُونَ الأَولُونَ مِن الْمهاجِرِين والأَنصارِ والذِين اتبعوهم بِإِحسانٍ رضِي اللّه عنهم ورضواْ عنه وأَعد لَهم جناتٍ تجرِي تحتها الأَنهار خالِدِين فِيها أَبدا ذَلِك الْفَوز الْعظِيم)[٢] .

وفي السنة قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"[٣].

لقد كان البقاعي - رحمه الله- في هذا الأصل سائرا على منهج أهل السنة ففي قوله تعالى: (يوم لَا يخزِي الله النبِي والذِين آمنوا معه)[٤] ، قال: "وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، إن كان المراد المعية في مطلق الزمان، وسابقوهم إن كان المراد في الوصف أو زمان مخصوص كبدر وبيعة الرضوان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة"

(1)- الفتح:٢٩.

(2)- التوبة:١٠٠.

(3)- أخرجه البخاري فضائل الصحابة١٣٤٣/٣ رقم ٣٤٧٠،ومسلم في فضائل الصحابة ،باب تحريم سب الصحابة رقم ٢٥٤٠ (١٩٤٢/٤).

(4) - التحريم:٨.

كما رواه مسلم عن أم مبشر رضي الله عنها [١] وأبو داود، والترمذي، عن جابر رضي الله عنه[٢] .

ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال : "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[٣] وقال تعالى :"(لَا يستوي مِنكُم من أنفَق مِن قَبل الْفَتح وقَاتلَ أولَئِك أعظَم درجةً من الذِين أنفَقُوا مِن بعد وقَاتلُوا وكُلا وعد الله الْحسنى)[٤] .ونساؤه رضي الله عنهن أحق بأن يكن أول راغب في الكون معه في الإيمان ليبعدن عن النيران " [5].

وقد أورد البقاعي– رحمه الله- أحاديث في فضل الصحابة، فقال رحمه الله:" حديث أكرموا أصحابي" أخرجه النسائي عن عمر رضي الله عنه بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أكرموا أصحابي فإ م خياركم، ثم الذين يلو م، ثم الذين يلو م، ثم يظهر الكذب، حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف، ويشهد ولا يستشهد، ألا من سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن" [٦] وحديث "اللهَ اللهَ في أصحابي"، أخرجه الأمام أحمد بسند حسن أو صحيح، والترمذي، وقال : غريب

---

(1) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة'باب من فضائل أصحاب الشجرة رقم٢٤٩٦

(2) - رواه أبو داود كتاب السنة،باب في الخلفاء رقم٤٦٥٣ (٢١٣/٤)،والترمذي في المناقب،رقم ٣٨٦٠ (٦٩٥/٥)وقال:هذا حديث حسن صحيح

(3) - تقدم تخريجه .

(4) - الحديد:١٠.

(5)- نظم الدرر ٢٠٢/٢٠

(6) - أخرجه النسائي في الكبرى ،كتاب عشرة النساء رقم ٩٢٢٢ (٣٨٧/٥)،والطبراني في الأوسط رقم ٢٩٢٩ (٢٠٤/٣)،وصححه الألباني في "مشكاة المصابيح" رقم ٦٠٠٣ .

عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومـن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل، ومن آذى الله تبارك وتعالى فيوشك أن يأخذه(١) " (٢).

٢- المهاجرون أفضل من الأنصار :

ولما تكلم عن فضائل الأنصار قال: "فلا يتوهم تفضيلهم على المهاجرين، بل المهاجرون أفضل، لأ م جمعوا إلى النصرة الهجرة ،ومع أن أكثرهم له من قرب النسب من الرسول صلى الله عليه وسلم والسبق في الإسلام حظ وافر" (3).

٣- أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر :

قال البقاعي - معلقاً في النكت على قول صاحب العقائد:" وأفضل البشر بعد نبينا" قال :"روى الترمذي من طريق الوليد بن محمد الموقري عن الزهـري عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت مع رسـول الله : إذ طلع أبو بكر وعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هـذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، يا علـي لا تخبرهما "، ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه ، والوليد بن محمد الموقري ، يضعف في الحديث وقد روى هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجـه "(٤) ثم

---

(1) - أخرجه الترمذي في المناقب رقم٣٨٦٢ وأحمد٥٤/٥ وابن حبان في صحيحه ،رقـم٧٢٥٦ ،وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم٣٠٨٥ ، وفي السلسلة الضعيفة رقم٢٩٠١،وقـال شـعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند:"إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن زياد".

(2)- النكت ق ٢/١٦٧

(3)- نظم الدر ٢٢١/٩

(4)- رواه الترمذي في المناقب،باب في مناقب أبي بكر وعمر رقم٣٦٦٥ (٦١١/٥)وأحمـد٨٠/١ وابن حبان في صحيحه رقم٦٩٠٤ (٣٣٠/١٥)،وصححه الألباني في الصحيحة رقم٨٢٤ وشـعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

أورد شواهد كثيرة لهذا الحديث ثم قال : " وفضائلهما في الأحاديث كثيرة جداً ، وإنما اقتصرت على هذا الحديث لموافقته لغرض المصنف والله الموفق"[١].

٤- فضل أبي بكر رضي الله عنه:

وقال - متكلماً عن فضل أبي بكر رضي الله عنه - : " لأن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين اشترى بلالاً رضي الله عنه، في جماعة من الضعفاء المسلمين يؤذيهم المشركون فأعتقهم ، فبين تعالى أنه مطبوع على تزكية نفسه، فهو المفلح كما ذكر في سورة الشمس ، وأنه مخلص لإعطائه الضعفاء من الأيتام والمساكين، وإعتاقه الضعفاء في كل حال، كما ذكر في سورة البلد" [٢].

ثم قال: "ومن أبدع الأشياء تعقيبها[٣] بالضحى التي هي في النبي صلى الله عليه وسلم وفيها (ولَسوف يعطِيك ربك فَترضى)[٤] إشارة إلى إنه أقرب أمته إلى مقامه صلى الله عليه وسلم، ماعدا عيسى عليه الصلاة والسلام لأنه الأنقى بعد النبيين مطلقاً, وإلى أن خلافته حق لا مرية فيه لأنه مما وعد النبي صلى الله عليه وسلم أنه يرضيه، وأنه لا يرضيه غيره ، كما أنه أرضاه خلافته له في الصلاة ولم يرضِه غيره،حين ى عن ذلك بل زجر لما سمع قراءة غيره، وقال[٥]:" يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر رضي الله عنه "[6].

---

(1)- النكت ق ٢/١٣٩.

(2)- نظم الدرر ٩٧/٢٢.

(3)- أي سورة"الليل" لأن فيها مدح للصديق رضي الله عنه .

(4) - الضحى:٥.

(5)- أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رقم ٢٣٨٧ (١٨٥٧/٤)عن عائشة رضي الله عنها.

(6)- نظم الدرر ٩٨/٢٢.



ولما تكلم في تفسيره عن قصة جالوت وطالوت قال : " وفي هذه القصة توطئه لغزوة بدر، وتدريب لمن كتب عليه القتال وهو كره لهم، وتأديب لهم و ذيب، وإشارة عظيمة واضحة إلى خلافة الصديق رضي الله عنه بما دل عليها من أمر استخلافه في الإمامة في الصلاة، والتي هي خلاصة هذا الدين، كما أن ما في تابوت الشهادة كان خلاصة ذلك الدين ، وتحذير لمن لعله يخالف فيها أو يقول إنه ليس من بني هاشم ولا عبد مناف ، الذين هم بيت الإمامة والرئاسة ونحو ذلك ، مما حمى الله المؤمنين منه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"يأبى الله ذلك والمؤمنون" وفي توجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه إعلام بأن أول مقصود به الأقرب منه صلى الله عليه وسلم فالأقرب ، وفيها تشجيع للصحابة رضوان الله تعالى عنهم فيما يند م إليه الصديق رضي الله تعالى عنه من قتال أهل الردة وما بعده إلى غير ذلك من الإرشادات التي تقصر عنها العبارات، والله سبحانه وتعالى الموفق " [1].

وعند قوله تعالى :(لا تحزنْ إن اللّه معنا)[٢]، قال:" وفي هذه الآية من التنويه بمقدار الصديق، وتقدمه، وسابقته في الإسلام، وعلو منصبه ، وفخامة أمره، ما لا يعلمه إلا الذي أعطاه إياه ، وقال أبوحيان[٣] وغيره[٤]: قال العلماء:من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر، لإنكاره كلام الله،

(1)- نظم الدرر ٤٢٥/٣

(2)- التوبة:٤٠

(3)- محمد بن يوسف بن علي بن حيان أبو حيان الأندلسي الغرناطي،ولد سنة٦٥٤هـ ،له اليد الطولى في التفسير والحديث، له التفسير المشهور"البحر المحيط"،توفي سنة٧٥٤هـ .انظر:طبقات المفسرين للداوودي٢٨٧/٢،البدر الطالع للشوكاني٢٨٨/٢.

(4)- انظر:تفسير القرطبي١٣١/٨ ، وتفسير النسفي٨٩/٢، تفسير أبي السعود ٤ / ٦٦ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت،

وليس ذلك لسائر الصحابة[1]، ولما كان رضي الله عنه نافذ البصيرة في المعارف الإلهية، راسخ القدم في ذلك المقام، لذلك لم يتلعثم من أول الأمر في عناد جميع العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث عشرة سنة، وكان الذي به من القلق إنما هو الخوف من أن يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين، وقمع المعتدين ، ولم يكن جبناً ولا سوء ظن ، ولما كان ذلك كذلك كان رضي الله عنه حقيقاً لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف الأعظم، الدال على ذلك المقام ، المذكر بتلك العظمة، التي يتلاشى عندها كل عظيم، ويتصاغر في جنبها كل كبير، ولذلك ذكر هذا الاسم الأعظم ، وقدم وأشرك الصديق في المعية ، وبدأ بالنهي عن الحزن، لأنه المقصود بالذات وما بعده علةٌ له " [2].

٥- فضل عمر رضي الله عنه :

وقال عن عمر رضي الله عنه :" (قوله عمر الفاروق) قال في القاموس:[3] والفاروق عمر لأنه فرق بين الحق والباطل وأظهر الإسلام بمكة ففرق بين الإسلام والكفر[4] ".

٦- تفضيل عثمان على علي :

قال ابن تيمية رحمه الله: " مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي – رضي الله عنهما- بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر – أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي ، وقدم قوم علياً ، وقوم

(1) -البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي٤٢١/٥،المكتبة التجارية،مصطفى الباز،مكة المكرمة.

(2)- نظم الدرر ٤٧٤/٨.

(3)- القاموس المحيط ص١١٨٣.

(4) - النكت من ٢/١٤٢.

توقفوا ولكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ، وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، ولكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة"[١].

وقد قرر البقاعي هذه المسألة، وأن عثمان أفضل من علي مع ذكر الخلاف في ذلك فقال معلقاً على العقائد: " قوله :(على هذا وجدنا السلف)، أي على تفضيل عثمان على علي، ولم يفضل أحد عثمان على أحد من الشيخين ، ولا فضل أحد عمر على الصديق ولا توقف أحد من أهل السنة في تفضيل الشيخين على من بعدهما"[٢]، ثم قال : " قال أبو عمر ابن عبد البر وغيره : وقد توقف جماعة من أهل السنة وأئمة السلف في علي وعثمان، فلم يفضلوا واحداً منهم على الآخر، منهم مالك بن أنس ويحيى بن سعيد القطان ، وابن معمر ، وأهل السنة اليوم على تقديم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعاً وعنا معهم، وهذا بخلاف أمر الشيخين، حيث جعلوا من أمارات السنة تفضيلهما، فمن توقف عنه وسموه بالبدعة، حتى قال علي نفسه رضي الله عنه كما روى عنه ابن عبد البر في الاستيعاب [٣] بسنده أنه قال : لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري، وكذا غيره نقل ذلك أيضاً " [٤].

٧- فضل عائشة رضي الله عنها :

قال البقاعي رحمه الله – " المراد منه أنه تعالى شامل العلم ، اللازم منه تمام القدرة، اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة ، اللازم منه تأكيد الشرف

---

(1)- العقيدبية الوسطية ، انظرمجموع الفتاوى ١٥٣/٣.

(2)- النكت ق ١/١٤٤.

(3)- الاستيعاب لابن عبدالبر ٢٩٧/١ ، والاعتقاد ص ٣٥٨ وأحمد في فضائل الصحابة رقم٤٩(٨٣/١)

(4)- النكت من ٢/١٤٤.

للنبي صلى الله عليه وسلم، اللازم منه شرف من اختاره لصحبته على منـازل قر م منه ، واختصاصهم به ، اللازم منه غاية ال اهة والشرف والطهـارة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنـها راض ، وماتت هي رضي الله عنها صالحة محسنة "[١].

٨- حق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أهل السنة يحبون أهل بيت رسول الله عليه وسلم، ويتولو م، ويحفظـون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال يوم غديرخم :" أذكركم الله في أهل بيتي "[٢] وقال أيضا للعباس عمه عندما اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال:"والذي نفـسي بيـده لا يؤمنـون حـتى يحبـوكم لله ولقرابتي"[٣].

وقد أكد البقاعي – رحمه الله – حق أهل البيت في تفسيره لقوله تعالى : (قُل لا أسألُكُم عليهِ أجرا إلا المودةَ فِي القُربى)[٤] قال - رحمه الله -: "قال ابن كثير[٥] : قال السدي لما جئ بعلي بن الحسين أسيراً، فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال :الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قـرن الفتنة ، فقال له علي : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم، قال :ما قـرأت (قـل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)؟، قال : وإنكم لأنتم هم؟ ، قال : نعم .

وعن العباس رضي الله عنه قال : "قلت : يا رسول الله إن قريشاً إذا لقـي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن ،وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، فغضب

---

(1)- نظم الدرر ٢٠٠/١٣.

(2)- رواه مسلم كتاب الفضائل،باب من فضائل علي رقم ٢٤٠٨(١٨٧٣/٤).

(3)- تقدم تخريجه .

(4)- الشورى:٢٣.

(5)- تفسير ابن كثير١٤٢/٤ .

النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً :وقال: (والذي نفسي بيده لا يـدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله)[١]، وعنه أنه دخل على رسـول الله صلى الله عليه وسلم .فقال :إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:(والله لا يدخل قلـب امـرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي) [٢]،... فمن كان بينه وبـين أحـد مـن المسلمين قرابة فهو مسؤول أن يراقب الله في قرابته تلك ،فيصل صاحبها بكـل ما تصل قدرته إليه من جميع ما أمره الله به ثواب أو عقاب ، فكيف بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم "[٣].

وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ذريته من آل بيته : " وأما هـو صلى الله عليه وسلم فقد ملأت ذريته من فاطمـة الزهـراء الأرض ، وهـم الأشراف مع مبالغة الملوك في قتلهم، وإخلاء الأرض من نسلهم، خوفـاً مـن شرفهم العالي على شرفهم " [٤].

---

(1)- أخرجه الترمذي كتاب المناقب،باب مناقب العباس رقم٣٧٥٨ (٦٥٢/٥)، وقال :"حـسن صحيح" ،وأحمد١/٢٠٧ ،وضعفه الألباني وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند

(2)- تقدم تخريجه .

(3)- نظم الدرر ١٧/٢٩٧- ٢٨٩.

(4)- الأقوال القوية ٢/ ٧٠٠.

الفصل التاسع
الإمامـــــة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الأئمة من قريش .

المبحث الثاني:طاعة الأئمة وعدم الخروج عليهم .

المبحث الأول
الأئمة من قريش

اشتراط القرشية في الإمام هو قول السلف رضي الله عنهم ،قال الإمام أحمد رحمه الله : "الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان ، ليس لأحدٍ من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم "[١].

وقال ابن حجر:"ذهب جمهـ ـور أهل العلم أن شرط الإمـام أن يكـون قرشياً "[٢].

وقد أكد البقاعي هذا الأصل عندما قال : " حديث الأئمة من قريش" [٣] صنف فيه شيخنا حافظ عصره أبو الفضل أحمد بن حجر كتاباً ، رواه فيه باللفظ وبالمعنى عن نيفٍ وثلاثين صحابياً من الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعلـي، ومنهم من الأنصار جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأبو قتادة والنعمان بـن بشير وكعب بن مالك رضي الله عنهم أجمعين "[٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم"[٥].

---

(1) - طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ٢٦/١.

(2) - فتح الباري ١١٨/١٣.

(3) - أخرجه أحمد١٢٩/٤ وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند:"حديث صحيح بطرقـه وشواهده" ،وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٧٥٧ .

(4) - النكت من ٢/١٦٤.

(5) - أخرجه البخاري كتاب المناقب رقم٣٣٠٥ (١٢٨٨/٣)،ومسلم في كتاب الإمـارة ،بـاب الناس تبع لقريش رقم ١٨١٨ (١٤٥١/٣)عن أبي هريرة.

قال النووي في الكلام على هذا الحديث : " إن الخلافة مختصة بقـريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمـن الـصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع، أو عرض بخلافٍ من غيرهـم، فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم بالأحاديث الصحيحة "[١]

المبحث الثاني

طاعة الأئمة وعدم الخروج عليهم

(1) - شرح صحيح مسلم ٢٠٠/١٢ للنووي ، المطبعة المصرية – القاهرة .

قال في الطحاوية : " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ، و لا ننزع يداً من طاعتهم ،ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ،ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة "[١].

وقال الصابوني في" عقيدة السلف وأصحاب الحديث" : " ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف"[٢].

وقد أكد البقاعي هذه العقيدة عندما علق على قول التفتازاني في العقائد" السلف كانوا ينقادون لهم.."، قال :" إنما فعلوا ذلك لما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني" [٣]. وللبخاري[٤]عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم حبشي كأن رأسه زبيبة"[٥]

.

وعند قوله تعالى : (يا أيها الذِين آمنواْ أَطِيعواْ اللّه وأَطِيعواْ الرسولَ وأُولِي الأَمرِ مِنكُم)[٦] قال : " أي الحكام فإن طاعتهم فيما لم يكن معصية ، كما

---

(1)- شرح الطحاوية ٥٤٠/٢ .

(2)- عقيدة السلف وأصحاب الحديث٢٩٤ .

(3)- أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به رقم٢٧٩٧ (١٠٨٠/٣)، ومسلم كتاب الإمارة،باب وجوب طاعة الأمير ١٨٣٥(١٤٦٧/٣).

(4)- أخرجه البخاري كتاب الجماعة والإمامة،باب إمامة العبد رقم٦٦١ (٢٤٦/١)عن أنس رضي الله عنه.

(5)- النكت ق٢/١٦٦ .

(6)- النساء:٥٩.

أشير إلى ذلك بعدم إعادة العامل[١] من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطاعته من طاعة الله عز وجل ،والعلماء من أولي الأمر أيضاً، وهم العـاملون، فإ م يأمرون بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم" [٢].

ولا يجوز الخروج على الإمام الجائر، لما يترتب على ذلـك مـن المفاسـد والفتن، قال البقاعي :" والصحيح أنه لا ينعزل (أي الإمام) بذلك، لأن الكلام فيه يؤدي إلى فتنة وسفك دماء وفساد كبير".[٣]

وقال أيضاً : " وروى أبوداود[٤] في الجهاد عن مكحول عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله وسلم :" الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً ، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم براً كـان أو فاجراً "[٥].

وقال أيضاً: (حديث صلوا خلف كـل بـر وفـاجر)[٦] ،رواه صـاحب الفردوس[٧] عن أنس رضي الله عنه بلفظ صلوا خلف كل أمير بر وفاجر"[٨].

---

(1)- العامل هو الفعل(أطيعوا)، فقد ذكر في طاعة الله ورسوله ولم يذكر في أولي الأمر.

(2)- نظم الدرر ٥/ ٣١٠.

(3)- النكت من ٢/١٦٦.

(4)- أخرجه أبو داود في الجهاد ،باب الغزو مع أئمة الجور رقم٢٥٣٣ (٣/١٨)والبيهقي٣/١٢١ عن أبي هريرة وفيه انقطاع مكحول لم يسمع من أبي هريرة،وضعفه الألباني

(5)- النكت ق٢/١٦٦.

(6)- الدارقطني (٢/٥٧)ومن طريقه البيهقي ٦٦٢٣(٤/١٩) ، وقد ذكر طرقـه ابـن حجـر في تلخيص الحبير ٢/٣٥ وضعفه ونقل أقوال الأئمة في تضعيفه ومنها قول العقيلي :" ليس في هذا المتن إسناد يثبت " .

(7)- الفردوس برقم ٣٧٠٥(٢/٣٨٤)

(8)- النكت من ٢/١٦٦ .

الباب الثالث
جهود الإمام البقاعي في الرد على المخالفين

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

الفصل الأول : معنى البدعة.

الفصل الثاني : جهود البقاعي في الرد على بعض البدع العقدية .

الفصل الثالث : جهوده في الرد على بعض البدع العملية .

تمهيـــــــــد

لقد كان للإمام البقاعي– رحمه الله– صولات وجولات مع المخالفين ، فألف كتبا عديدة دحض فيها كثيرا من البدع العقدية والعملية ؛ التي تخالف الكتاب والسنة .

قال رحمه الله :" وميزان العدل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما شرعه، فبذلك تزاح الفتن الظاهرة والباطنة، ولا طريق إلى الله إلا بما شرعه، وكل طريق لم يشرعه ضلال: من الكفر إلى ما دونه"(١).

ونقل البقاعي عن الجنيد بن محمد قوله :" إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تلتفتوا إليه؛ فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب، ويمشي على الماء، ولكن انظروا في اتباعه الكتاب والسنة؛ فإن الشيطان لا يقدر على ذلك أبدا"(٢).

وبين البقاعي أن التمسك بالسنة ، يحتاج إلى صبر وعزيمة ، لاسيما إذا ظهر الفساد ، قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)(٣)، :(يمسكون)، أي يمسكون إمساكاً شديداً يتجدد على وجه الاستمرار، وهو إشارة إلى أن التمسك بالسنة في غاية الصعوبة، لا سيما عند ظهور الفساد"(٤).

والصدع بالحق ينتج عنه الكثير من العداوات ؛ من أصاب الأهواء والبدع والضلالات ، أو من أتباعهم من جهلة الناس ، أو ممن يجامل في دين الله سلطانا معظما ، أو إماما متبوعا .

وقد تعرض البقاعي للكثير من الأذى بسبب إنكاره للبدع والمنكرات ، لكنه - فيما نحسبه - كان في ذلك مجاهداً صابراً محتسباً لما لاقاه من الأذى .

قال ابن العماد " ولما قدم العلامة برهان الدين البقاعي دمشق في سنة ثمانين وثمانمائة ، تلقاه الشيخ تقي الدين هو وجماعة من أهل العلم إلى القنيطرة .

---

(1) - نظم الدرر ١٢٦/٢.

(2) - المصدر نفسه ص٦٥.

(3) - الأعراف: ١٧٠.

(4) - نظم الدرر ١٤٩/٨.

ثم لما ألف كتابه في الرد على حجة الإسلام الغزالي في مسألة ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وبالغ في الإنكار على ابن العربي وأمثاله ، حتى أكفر بعضهم ، كان الشيخ تقي الدين ممن أنكر على البقاعي ذلك وهجره لهذا السبب ، خصوصا بسبب حجة الإسلام مع أنه كان ينهى عن مطالعة كتب ابن العربي "[1].

وقال البصروي : " جمع الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون جماعة من العلماء والقضاة بالمشهد من الجامع الأموي بسبب أن الشيخ برهان الدين البقاعي الشافعي أنكر على الإمام الغزالي قوله في إحياء علوم الدين ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وصرح بتكفير ابن عربي ... وذهب إلى البقاعي جماعة وهو في مسكنه قبلي المدرسة البدرائية وأساؤوا إليه إساءة بالغة " [2]

وقد ذكر البقاعي فوائد للرد على البدع وهي :

وقد أورد الإمام البقاعي - رحمه الله – فوائد كثيرة في الرد على أهل البدع وخاصة أهل الإلحاد، فقال :" والكلام فيه والتحذير منه(أي الإلحاد) ، فيه فوائد جلائل :

الأولى : بيان الأمر على ما هو عليه ، وتمييز الحق من الباطل، من غير ضرر يلحق به في الدنيا، ولا في الآخرة ، وذلك من أعظم مقاصد العقلاء .

الثانية : السلامة من خطر المخالفات للآيات والأحاديث، والمحذرة من كتمان العلم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثالثة : حيازة الثواب الموعود على ذلك ،لأنا مكلفون بالحكم على الظاهر، والله متولي السرائر.

الرابعة : إصلاح ذات البين .

الخامسة : إزالة ما يشوش العقائد ويجلب المفاسد.

---

(1) - شذرات الذهب ١٥٧/٨ .

(2) - تاريخ البصروي ج١/ص٨٧ .

السادسة : تقوية أهل الإسلام، الناصرين لسنة خير الأنام، عليـه أفـضل الصلاة والسلام .

السابعة : قمع أهل الفساد، وإذلال المتلبسين بالعناد .

الثامنة:اتباع سبيل المؤمنين،والكون في حزب الله ورسوله وسـائر النبـيين صلى لله عليهم وسلم أجمعين .

التاسعة : إقامة البرهان على ما يدعيه الإنسان، من تلبية الإيمان، على مـا أشار عليه قوله تعالى : "(أحسِب الناس أن يتركُوا أن يقُولُوا آمنا وهم لَا يفْتنونَ ولَقَد فَتنا الذِين مِن قَبلِهم فَلَيعلَمن الله الذِين صدقُوا ولَيعلَمن الْكَاذِبين)[1]، في أمثال ذلك من الآيات البينات وهي كثيرات ، ومن لم يرهب من هذه المفاسد، ويرغب في هذه الفوائد ، فقد هان عنده ما يدعيه من إيمانه ، وبان أنه لا رجاء له في أمانه، يوم حشره من رقيبه وديانه" [2].

الفصل الأول

معنى البدعة لغة واصطلاحا

---

(1)- العنكبوت:٢-٣ .

(2)- بذل النصح والشفقة للبقاعي ص ٥٤،تحقيق د.محمد نبيل طريفي ،دار الفكـر العـربي ،بيروت ،سنة٢٠٠٣م .

١- معنى البدعة لغة:

تدور مادة (بدع) في الاستعمالات اللغوية حول معنيين هما :

- ابتداء الشئ، واختراعه، وإحداثه، وصنعه على غير مثال سابق .

- الانقطاع والكلال ، ويصفون به الإبل إذا تعبت وهزلت فانقطعت، وتركت في الطريق، أو عطبت من داء ونحوه ، فيقولون : أبدع البعير فهو مبدع، وهذا المعنى يرجع إلى المعنى الأول، لأن معنى أبدعت الإبل : بدا بها التعب بعد أن لم يكن بها"[١] .

وقال البقاعي :" قال في القاموس[٢] : والبدعة الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعده صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال "[٣].

٢- معنى البدعة الاصطلاحي:

عرف الأئمة البدعة بتعاريف عديدة ، من أجمعها اثنان:

أ- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – قال : " البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب ،فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله "[٤].

ب- تعريف الشاطبي[٥]- وهو أشهر التعريفات - قال:" البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية " [1].

---

(1)- انظر: معجم مقاييس اللغة لأبن فارس ١/ ٢٠٩ .

(2)-القاموس المحيط (٩٠٦/١) .

(3)- نظم الدرر ١٣٤/١٨ .

(4)- مجموع الفتاوى ١٠٧/٤ .

(5)- أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أصولي فقيه لغوي يشارك في عدة فنون ت سنة ٧٩٠ه ، ومن مؤلفاته الموافقات والاعتصام .

٣- تعريف البقاعي للبدعة:

عرف البقاعي – رحمه الله – البدعة فقال:" والبدعة الاسم لما ابتدع، وضد البدعة السنة ،لأن السنة ما تقدم له إمام، والبدعة ما اخترع على غير مثـال ، وفي الحديث (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)[٢] - معناه – والله أعلم – أن يبتدع ما يخالف السنة إذا كانت البدعة ضد السنة ،فإذا أحدث ما يخالفها ، كان بإحداثه لها ضالاً مشركاً[٣]، وكان ما أحدث في النار، ولم يدخل تحـت هذا مايخترع الإنسان من أفعال البر فيسمى بدعة لعدم فعله قبل ذلك، فيخرج عما ذكرنا إن كان له نظير، في الأصول "[٤].

السبب الرئيس للابتداع في الدين عند البقاعي :

---

(1)- الاعتصام ٢١/١ .

(2)- جزء من حديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، رقـم ١٧٨٥ (١٤٣/٣) ، والنـسائي في السنن الكبرى ، رقم ١٧٨٦ (١/ ٥٥٠) ، والطبراني في الكبير ، رقم ٨٥٢١ (٩/ ٩٧) جميعهم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه دون قوله :" وكل ضلالة في النـار " الإمـام مـسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة ، ٥٩٢/٢ برقم ٨٦٧ .

(3)- المقصود من يرتكب بدعة كفرية ، قال الشاطبي – رحمه - : " الباب السادس : في أحكـام البدع وأ ا ليست على رتبة واحدة " ومما قال :"... ووجه ثان أن البدع إذا تؤمل معقولها وجـدت رتبها متفاوتة فمنها ما هو كفر صراح كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن ، كقوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية ... ومنها ما هـو من المعاصي التي ليست بكفر ، أو يختلف هل هي كفر أم لا ... فلا يصح مع هذا أن يقال إ ا على حكم واحد هو الكراهة فقط أو التحريم فقط " الاعتصام ٣٦/٢-٣٨ .

(4)- نظم الدر ١٣٤/١٨ .

للبدع سبب رئيس عند البقاعي، قال – رحمه الله - : " وسوء الفهم عـن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة ، بل أصل كل خطأ في الأصول والفـروع ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد"[١].

الفصل الثاني

جهود البقاعي في الرد

على البدع العقدية

---

(1) سر الروح للبقاعي ص ٢٤٧ .

وفيه مباحث :

المبحث الأول: بدعة الاتحاد .

المبحث الثاني : بدعة:"ليس في الإمكان أبدع مما كان" .

المبحث الثالث : جهوده في الرد على المعتزلة .

المبحث الرابع : جهوده في الرد على الجبرية .

تنقسم البدع إلى نوعين ، بدع اعتقادية أي : في مسائل الاعتقاد ، وبدع عملية أي : في الأمور العبادية الفعلية والقولية .

يقول شيخ الإسلام : " والبدع نوعان : نوع في الأقوال والإعتقادات ، ونوع في الأفعال والعبادات .

وهذا الثاني يتضمن الأول ، كما أن الأول يدعو إلى الثاني ؛ فالمنتسبون إلى العلم والنظر وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الأول ، والمنتسبون إلى العبادة والنظر والإرادة وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الثاني "(١) .

المبحث الأول
الرد على بدعة الاتحاد
عند غلاة الصوفية

معنى الاتحاد:

---

(1) انظر : مجموع الفتاوى ٣٠٦/٢٢ .

أ- يطلق ويراد به الاتحاد بين الخالق والمخلوق ،وهو ما سماه شيخ الإسلام ابن تيمية بالاتحاد الخاص[١].

ب- يطلق بمعنى وحدة الوجود ، وهو الذي سماه شيخ الإسلام ابن تيميـة بالاتحاد العام، وهو قول من يقول : إن الله هو عين وجود الكائنات، فلا موجود إلا الله، تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً، وهذا المعنى الثاني، هو الذي يعنيه البقاعي رحمه الله في ردوده على هذه البدعة.

جهود البقاعي في الرد على هذه البدعة :

قال البقاعي: " واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة في العقول مرت في جماعة من المسلمين، نشأوا على الزهد والخلوة والعبادة، فلما حصلوا من ذلك علـى شيء صفت أرواحهم وتجردت نفوسهم، وتقدست أسرارهم وانكـشف لهـم وكانت الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه، وكانت طرق أسمـاعهم مـن خرافات النصارى أنه إذا حل روح القدس في شيء نطق بالحكمة، وظهـر لـه أسرار ما في هذا العالم مع شوق النفس إلى المناصب العلية، فـذهبوا إلى هـذه المقالة السخيفة فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى الـذي قالتـه النـصارى، وزادوا عليه أ م لم يقصروه على المسيح، كما ذهب إليه الغلاة من الروافض في علي رضي الله عنه، وكذا ما ذهب إليه جماعة في خاتم الأوليـاء عنـدهم مـن الحلول، ولهم في ذلك كلمات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم، بـل منها ما لا يقبل التأويل "[٢].

وتأثر أصحاب وحدة الوجود بالنصارى واضح، حيث بين ذلك البقـاعي بقوله :" قد غلط هؤلاء كغلط النصارى لما رأوا إشراف نور الله تعالى وقد تلألأ في عيسى عليه السلام، فقالوا: هو الإله، وهؤلاء لما رأوا الوجود فائـضاً مـن

---

(1) انظر : مجموع الفتاوى ١٧٢/٢ ، جهود البقاعي في محاربة الاتحادية ٧٩/١ .

(2) - تنبيه الغبي ١٥٥-١٥٧.

الحضرة الإلهية على الموجودات، فلم يفرقوا بين الفيض والمفيض[1]، فقالوا: الوجود هو الله سبحانه وتعالى"[2].

تصنيف الكتب في الرد على من يقول بهذه البدعة :

ألف البقاعي كتباً كثيرة في الرد على هذه البدعة التي ظهرت على أيدي ابن عربي[3] وابن الفارض[4] ، وأتباعهما،فمن هذه الكتب :

أ - كتاب : تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي :

قال البقاعي – رحمه الله – " فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي المنسوب إلى التصوف، الموسوم عند أهل الحق بالوحدة ، ولم أر من شفى القلب في ترجمته، وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً، حتى يعلم حاله، فيهجر مقاله، ويعتقد انحلاله، وكفره وضلاله ، وأنه إلى الهاوية مآبه ومآله "[5].

---

(1) - الفيض في الاصطلاح الفلسفي يطلق على فعل فاعل دائماً لا لعوض ولا لغرض، ويتضمن كذلك معنى الصيرورة والحدوث في الزمان حدوثاً متعاقباً مستمراً، وهناك مذهب فلسفي يسمى مذهب الفيض، وهو شبيه بوحدة الوجود على اختلاف بينهما، يقول هذا المذهب: إن العالم يفيض عن الله كما يفيض النور عن الشمس، أو الحرارة عن النار فيضاً متدرجاً. انظر المعجم الفلسفي ١٧٢/١-١٧٣.

(2) - تنبيه الغبي ٧٥.

(3)- محمد بن علي الطائي الأندلسي الصوفي المعروف بابن عربي، قال الذهبي:" صاحب المصنفات وقدوة أهل الوحدة"، قال العز بن عبد السلام: "شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً"، قال الذهبي عنه "ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر "انظر تاريخ الاسلام ص ٣٥٢ السير ٤٨/٢٣.

(4)- هو عمر بن علي بن المرشد الحموي الأصل المصري المولد والمنشأ والوفاة ، قال الذهبي : " وديوان شعره مشهور ، وهو في غاية الحسن واللطافة والبراعة والبلاغة ؛ لولا ما شانه بالتصريح بالاتحاد الملعون في ألذ عبارة وأرق استعارةٍ ، كالفالوذج سمه سم الأفاعي ، وهاأنا أذكر لك منه أبياتاً لتشهد بصدق دعواي ..." ثم ذكر من أبياته مايدل على ذلك . تاريخ الإسلام ١١٠/٤٦ .

(5) تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي للبقاعي ص ٢١ ، ت عبد الرحمن الوكيل طباعة إدارة البحوث

وقال:" وسميت هذه الأوراق (تنبيه الغبي على تكفير ابن عـربي) وإن شئت فسمها (النصوص من كفر الفصوص) لأني لم أستشهد علـى كفـره وقبيح أمره إلا بما لا ينفع معه التأويل من كلامه "[١].

ثم نقل المقالات الكفرية لابن عربي ، مردفاً لها بأقوال العلماء مـن أهـل السنة المكفرين لابن عربي ، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا[٢].

ب - كتاب : تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد :

وهي رسالة في الرد على الصوفية، وخاصة ابن الفارض في تائيتـه،قـال البقاعي:" فهذه رسالة سميتها" تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد" أنفذ ا على العباد، في جميع البلاد، الراغبين في الاستعداد ليوم المعاد "[٣].

وقد بين البقاعي في هذا الكتاب أيضاً أن ابن الفارض يمشي على طريقـة ابن عربي، ولكن هذا بالنثر وذاك بالنظم . قال البقاعي :" إنه نظم التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ، وقال بعضهم : إن التائية هي الفصوص لا فرق بينهما" [٤]. ثم أورد شواهد على ذلك من قصيدة ابن الفارض .وقـد كفر البقاعي ابن الفارض فقال:" وأما التفصيل والتعيين ، فقد رماه بالزندقـة بشهادة الكتب الموثوق ا نحو من أربعين عالماً هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا"[٥] ثم ذكر أسماء العلماء الذين كفروا ابن الفارض .

والإفتاء في السعودية ١٤١٥هـ .

(1)- تنبيه الغبي ص ٢٥

(2)- انظر صفحة (   ) .

(3)- تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد للبقاعي ص ١٨٦ ، مطبوع مع تنبيه الغـبي علـى تكفير ابن عربي .

(4)- تنبيه الغبي ص ٥٤ .

(5)- تحذير العباد ص١٩٢ .

ج - كتاب : تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض :

وهو كتاب رد فيه على من اعترض عليه في تكفير ابن الفارض حيث قال :" وصنفت في ذلك عدة مصنفات ..." وذكر منها هذا الكتاب [1]، وألف في هذا المعنى كتابه التالي.

د - كتاب : القارض في تكفير ابن الفارض :

وهو رد على الاتحادية، قال البقاعي:" وقد أشبعت القول في هذا في كتابي " القارض في تكفير ابن الفارض" الذي بينت فيه عوارهم، وأظهرت عـارهم، وكذا كتابي " صواب الجواب للسائل المرتاب" "وتدمير المعارض في تكفير ابن الفارض" ولم أبق على شئ من ذلك"[2].

هـ - كتاب : صواب الجواب، للسائل المرتاب، المعارض المجـادل في كفر ابن الفارض :

وهو رد على أولئك الذين اعترضوا على تكفير ابن الفارض ،والعنـوان يدل على ذلك وأصل الرسالة سؤال ألقاه على بعض علماء القاهرة ، ليلزمهم بيان الصواب في حكم ابن الفارض ، بعد ما تبين له تواطؤهم ضد الحق الذي يراه في حكم هذا الملحد ، فأراد أن يحرجهم ويفحمهم حتى يبينوا الحـق، أو ينكشف خطؤهم ومجانبتهم للحق والصواب[3].

د - نظم الدرر :

وهو كتابه في التفسير لكني ذكرته هنا لأن البقاعي - رحمه الله - كان يرد فيه على أهل الوحدة كلما جاءت مناسبة ، فمن ذلك :

---

(1)- انظر نظم الدرر ٦٢١/٨ ، ٤٤٥/٢٢ .

(2)- نظم الدرر ٢٠/ ٤٣٤ .

(3)- انظر : جهود البقاعي في محاربة إلحاد الاتحادية والبدع العملية ٥٩٦/٢ اعداد الطالب محمد مسلم : رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٢هـ .



- عند قوله تعالى : (ولو كره المشركون)[١] قال:" أي المعاندون في كفرهم، الراسخون في تلك المعاندة ، وأعظم مراد بهذا أهل العناد ببدعة الاتحاد ، فإنهم ما تركوا شيئاً مما سواه حتى أشركوا به ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وهم مع بعد نحلتهم من العقول، وفسادها من الأوهام، ومصادمتها لجميع النقول في غاية الكثرة ، لمصير الناس إلى ما وعد الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله من أن أكثرهم قد مرجت عهودهم وخفيت أماناتهم وصاروا حثالة كحثالة التمر لا يعبأ الله بهم "[٢]

- وعند قوله تعالى :(وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا)[٣] قال - مبيناً مذهب ابن عربي - : " وقد بالغ ابن عربي في المروق من الدين، فقال في فصوصه : إن هذا الدعاء حسن في حقهم ، وقال: إن الضلال أهدى من الهدى، وأن الضال أحسن حالاً من المهتدي، لأن الضال لا يزال قريباً من القطب المقصود دائراً حوله ، والمهتدي صاحب طريقة مستطيلة فهو يبعد عن المقصود ، فأبان أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أسفه منه، إلا من اتبعه عليه، وعلى من ينحو نحوه، من الضلال الذي لا يرضاه عاقل من عباد الأصنام الذين لا أسفه منهم، عليهم أشد الخزي واللعنة " [٤].

- وقال أيضا:" ولعنة الله على من يشك في كفر من يحرف هذا التحريف أو يتوقف في لعنه ، وهم الاتحادية الذين مرقوا من الدين في آخر الزمان ، ومن

---

(1)- الصف:٩ .

(2)- نظم الدرر ٣٢/٢٠ .

(3)- نوح:٢٤ .

(4)- نظم الدرر ٤٥٢/٢٠ .

أكابرهم الحلاج وابن عربي وابن الفارض ، وتبعهم على مثل هـذا الهـذيان أسخف الناس عقولاً "[١].

- ولما تكلم عن فرعون وادعائه الإلهية قال - رحمه الله - : " فقبحه الله ولعنه، ولعن من تمذهب بمذهبه، كابن عربي، وابن الفارض، وأتباعهما، حيث أنكروا الملك القهار ، ورسوله المصطفى المختار، وتبعوا في وحدة الوجود بعض الفلاسفة، ثم الحلاج بعد فرعون هذا الذي لم يصرح الله بذم أحد ما صـرح بذمه، ولم يصرح بشقاء أحد ما صرح بشقائه"[٢].

- وقال أيضاً : " أنا لا أشك في أن الحلاج وابن عربي وابـن الفـارض وأتباعهم يكونون في النار تحتهم وتحت آله – يعـني فرعـون - ، يـشربون عصارتهم فإنهم ادعوا أنه ناج وصدقوه فيما ادعاه "[٣].

بيان البقاعي لموقف أهل بدعة الإتحاد من التوحيد :

أ - جهوده في بيان موقفهم من وجود الله تعالى وربوبيته :

وقد عني البقاعي - رحمه الله - بهذا الموضوع كثيراً، فقد نقل من مخالفات القوم في هذا الباب الشيء الكثير، لأن غالب كلامهم حوله .

قال عن ابن عربي :" وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر علـى الوحـدة المطلقة وهي أنه لا شيء سوى هذا العالم، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته"[٤].

وقد اشتمل هذا الموقف على مايلي :

- قولهم بأن وجود الله هووجود العالم:

---

(1)- نظم الدرر ٤٣٣/٢٠ .

(2)- نظم الدرر ٢٣٣/٢١ .

(3)- نظم الدرر ٢٣٦/٢١ .

(4) - تنبيه الغبي ص ٢٢ .

أورد البقاعي قول ابن عربي في هذا فقال :" فإنّ للحق في كل خلق ظهوراً، فهو الظاهر في كل مفهوم، وهو الباطن عن كل فهم، إلاّ عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته ..." [١]. ونقل عنه قائلاً :" فكل ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات "[٢].

ومن هذا قولهم بأن وجود الله هو وجود الإنسان ، فالإنسان عندهم هو المظهر الأكبر للذات الإلهية،فعندهم إذا رأيت الإنسان فقد رأيت الله، قال البقاعي :" قال ابن عربي في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية : لما شاء الله سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت: أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كلّه لكونه متصفاً بالوجود، ويظهر به سره إليه، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه، ما هي مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة... فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة "[٣]. فآدم في زعم الملحد ابن عربي هو عين الله، أي حقيقته وذاته، تعالى الله علوا كبيرا.

ثم قال (أي ابن عربي) :" فلا أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى، فهو حق مشهود في خلق متوهم، فالخلق معقول، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود، وما عدا هذين الصنفين فالحق عندهم معقول والخلق مشهود." [٤]".

- قولهم بأن الله ليس رباً للمخلوقات، بل الربوبية مشتركة بينه وبينهم:

---

(1) - تنبيه الغبي ٤٣ .

(2) - تنبيه الغبي ٧٤ .

(3) - تنبيه الغبي ٣٩- ٤٠، وانظر: فصوص الحكم ص٤٨-٤٩ .

(4) - تنبيه الغبي ٨٨- ٨٩ ، وانظر:الفصوص ١٠٨.

وقولهم هذا قلب لحقيقة توحيد الربوبية رأساً على عقب، فبـدلاً مـن أن يؤمنوا بأن الله هو الخالق الآمر، مع ما يلزم ذلك من صفات الجلال والكمـال زعموه رباً ومربوباً في نفس الوقت، قال البقاعي ناقلاً عن ابن عربي قوله :" ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف، وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال (أنا ربكُم الأعلى)[1] أي : وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم ؛ بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم" [2]. فقوله :(وإن كان الكل أرباباً) واضح في المقصود.

- جهوده في بيان موقفهم من توحيد أسماء الله وصفاته :

أسماء الله عند ابن عربي وأتباعه إنما هي بمعنى أسماء المخلوقات، قال البقاعي ناقلاً عن ابن عربي :" وجود الحق كانت الكثرة له، وتعداد الأسماء أنـه كـذا وكذا، بما ظهر عنه من العالم الذي يطلب بنشأته حقائق الأسماء الإلهية، وقد كان أحدي العين من حيث ذاته، كثير بالصور الظاهرة فيه، التي هو حامل لها بذاته،

(1) – النازعات : ٢٤ .

(2) - تنبيه الغبي ١٢٢.

كذلك الحق بما ظهر منه من صور التجلي، فكان مجلى صور العالم مع الأحدية المعقولة" [١].

فكل اسم عند ابن عربي حتى اسم العبد هو من الأسماء الإلهية، ثم ساق البقاعي نصوصاً لابن عربي في هذا المعنى، قال :" ومن أسمائه العلي، على من وما ثم إلا هو! فهو العلي لذاته أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو؟ فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو، فهو العلي لا علو إضافة" [٢].

ونقل أيضاً عن ابن عربي كلامه عن أسماء الله: الأول والآخر والظاهر والباطن،فقال :" فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه، وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات" [٣].

نماذج من كلامهم في الصفات الإلهية :

صفة الرحمة:

قال البقاعي :" قال (أي ابن عربي) : فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الإلهية، والنسب الربانية، ثم أوجبها على نفسه بظهورها لنا وأعلمنا أنه هويتنا،

---

(1) - تنبيه الغبي ١١٧- ١١٨ ، الفصوص ٢٠٠ .

(2) - تنبيه الغبي ٦١- ٦٢، الفصوص ٧٦ .

(3) - تنبيه الغبي ٦١- ٦٢، الفصوص ٧٧ .

لـ نعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا لنفسه، فما خرجت الرحمة عنه، فعلى مـن امتن ؟ وما ثم إلا هو"[١].

فأنكر هنا رحمة الله لمخلوقاته، على أصلهم في أن الوجود واحد لا خالق ولا مخلوق ولا رب ولا مربوب، بل شيء واحد فقط.

صفة العلو:

تقدم قريبا نص ابن عربي عن اسم الله العلي، حيث أنكر حقيقة علـو الله على الخلق، مستدلا بأنه ليس ثم إلا الله!

صفة اليدين:

نقل البقاعي عن ابن عربي :" فما جمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفاً، ولهـذا قال لإبليس: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)[٢] ، وما هو إلا عين جمعه الصورتين، صورة العالم وصورة الحق، وهما يدا الحق!"[٣].

صفات نقص نسبوها إلى الله تعالى:

لم يقف الاتحاديون في إلحادهم على ما سبق من سلب كل كمال وجلال لله، بل تجاوزوا إلى وصف الله بصفات النقص ومعايب النعوت، ومن ذلك:

أ- وصفهم لله تعالى بالفقر اقتداء بأسلافهم القردة والخنازير اليهود، الذين حكى الله عنهم قولهم:(وقالت اليهود يد اللهِ مغلولـةٌ)[٤] ، ورد علـيهم الله بقوله:(غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بلْ يداه مبسوطتان ينفِق كيف يشاء).

فحكى البقاعي أن ابن عربي قال :" ولولا سريان الحـق في الموجـودات بالصورة، ما كان للعالم وجود، كما أنه لولا تلك الحقائق المعقولة بالكلية، مـا

---

(1) - تنبيه الغبي ٩٩، فصوص ١٥٣.

(2) – سورة ص:٧٥ .

(3) - تنبيه الغبي ٤١، فصوص ٥٥ .

(4) - المائدة:٦٤ .

ظهر حكم في الموجودات العينية، ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العـالم إلى الحق في وجوده.

(شعر):

فالكل مفتقر ما الكل مستغن هذا هو الحق قد قلناه لا نكني"(١)

ب - ينسبون إلى الله تعالى الصاحبة والولد:

نقل عن ابن عربي في تفسير قوله تعالى :(وخلَق مِنها زوجها)(٢) :" فمـا نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة والولد، والأمر واحد في العدد"(٣).

ج - تثليث وتجزئة للذات الإلهية:

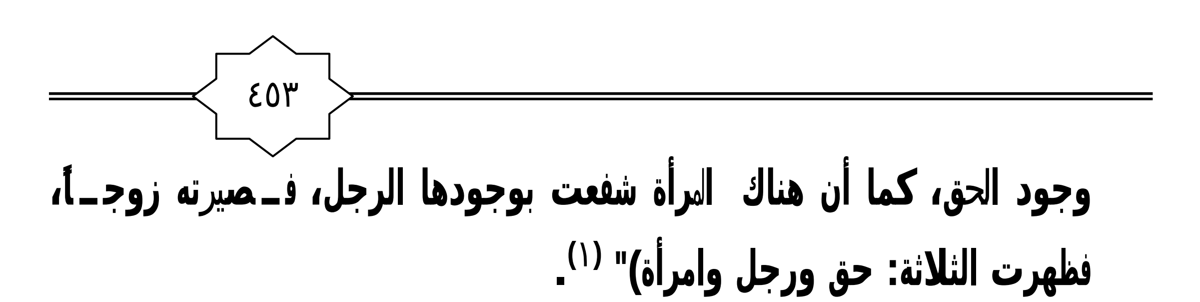
ساق البقاعي نصاً طويلاً عن ابن عربي يتضمن هذه الأمور كلـها، فممـا قالـه :

قال :" ثم قال : (فلما أبان أنه نفخ فيه من روحـه، فمـا اشـتاق إلا إلى نفسه،ألا تراه خلقه على صورته؛ لأنه من روحه ... وكنى عنه بالنفخ، يشير إلى أنه من نفس الرحمن، فإنه بهذا النفس الذي هو النفخة ظهر عينه، وباسـتعداد المنفوخ فيه كان الاشتعال ناراً لا نوراً، فبطن نفس الرحمن فيما كان به الإنسان إنساناً، ثم اشتق له منه شخصاً على صورته سماه: امرأة، فظهرت بصورته، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه، وحنت إليه حنين الشيء إلى وطنه، فحببت إليـه النساء، فإن الله أحب من خلقه على صورته، وأسجد له ملائكته... فمن هناك وقعت المناسبة، والصورة أعظم مناسبة وأجلها وأكملها، فإنها زوج أي شفعت

(1) - تنبيه الغبي ٤١ - ٤٢، فصوص ٥٨ – ٥٩ .

(2) - النساء:١.

(3) - تنبيه الغبي ٦٨، فصوص ٧٨ .



وجود الحق، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل، فـصيرته زوجـاً، فظهرت الثلاثة: حق ورجل وامرأة)" [١].

- جهوده في بيان موقفهم من توحيد العبادة:

وقد بين ضلالهم في هذا الباب أيضاً، فهم يعتقدون أن كل معبود إن كـان بحق أو باطل إنما هو إله حق، لأ م بزعمهم لم يعبدوا إلاّ الله.

---

(1) - تنبيه الغبي ١٣٠ - ١٣١، فصوص ٢١٦ - ٢١٧.

فقد نقل عن ابن عربي قوله :" فالأدنى من تخيل فيه - أي في كل معبود - الألوهية، فلولا هذا التخيل، ما عبد الحجر ولا غيره، ولهذا قال :(قُلْ سموهم)[١] ، فلو سموهم لسموهم حجارة وشجراً وكوكباً، ولو قيل لهم ما عبدتم؟ لقالوا إلها، ما كانوا يقولون الله ولا الإله، والأعلى ما تخيل، بل قال: هذا مجلى إلهي ينبغي تعظيمه، فلا يقتصر[٢]، فالأدنى يقول : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللهِ زلْفَى)[٣] ، والأعلى العالم يقول :(فَإلهكُم إله واحِد فَلَه أسلِموا وبشر المخبِتين)[٤] ، الذين خبت نار طبيعتهم، فقالوا: إلها ولم يقولوا طبيعة"[٥].

وقال البقاعي أيضا ناقلاً عن ابن عربي :" وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضى ألاّ نعبد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الله في كل شيء، بل يراه عين كل شيء" [٦].

وقال أيضاً :" والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سموه: إلهاً، مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو ملك أو كوكب" [٧].

---

(1) - الرعد:٣٣ .

(2) - "أي على شيء معين، بل يعبد كل شيء". تنبيه الغبي ٥٣ .

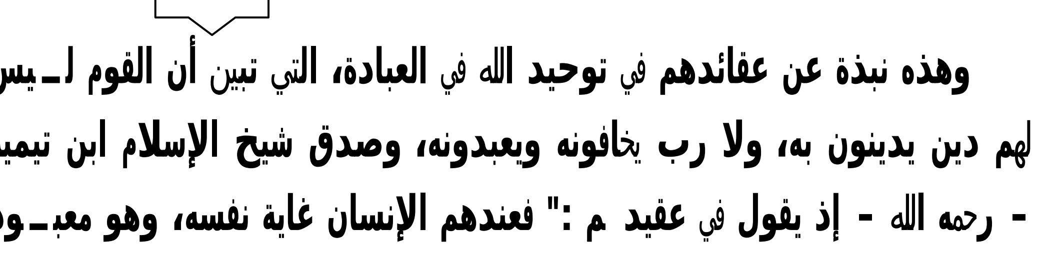
(3) - الزمر:٣ .

(4) - الحج:٣٤ .

(5) - تنبيه الغبي ٥٣ - ٥٤، فصوص ٧٢ .

(6) - تنبيه الغبي ١٥١ فصوص ١٩٥.

(7) - تنبيه الغبي ١١٥ فصوص ١٩٥.



وهذه نبذة عن عقائدهم في توحيد الله في العبادة، التي تبين أن القوم ليس لهم دين يدينون به، ولا رب يخافونه ويعبدونه، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذ يقول في عقيدتهم :" فعندهم الإنسان غاية نفسه، وهو معبود نفسه وليس وراءه شيء يعبده أو يقصده أو يدعوه أو يستجيب له" [1].

٤ - بيانه لعقائدهم في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

---

(1) - مجموع الفتاوى ٢/ ٢٦٦.

الأنبياء عند الاتحادية الملاحدة، من أسافل الناس والعياذ بالله ، كما تـشهد به نصوصهم التي سأذكر منها ماتحدث عنه البقاعي - رحمه الله - :

أ- يفرقون بين أنبياء الله في الظاهر، فيمدحون بعضهم ويذمون بعضاً، قال البقاعي :" ثم ادعى (أي ابن عربي) أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في مـشهد واحد سنة ٥٨٦، وأنه ما كلمه منهم إلا هود، وقال : (رأيته لطيف المحـاورة عارفاً بالأمور كاشفاً لها، ودليلي على كشفه لها قوله (ما مِن دآبةٍ إلا هو آخِذٌ بِناصِيتِها إن ربي على صِراطٍ مستقيم) [(١)]، وأي بشارة أعظم من هذه؟) " [(٢)].

ب- الأنبياء عند الاتحادية لا يعرفون الله، قال البقاعي رحمه الله :" وقـال ابن عربي :(وكان إلياس الذي هو إدريس، قد مثّل له انفلاق الجبـل المـسمى لبنان، عن فرس، فلما رآه ركب عليه، فسقطت عنه الشهوة، فكان عقلاً بـلا شهوة، فلم يبق له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية، فكان الحق فيه منـزهـاً، فكان على النصف من المعرفة بالله ...)" [(٣)].

ونقل البقاعي عنه أيضاً قوله :" وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضى ألا نعبد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لِما وقـع في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء" [(٤)].

وكذلك طعنوا في الرسول نوح عليه السلام،وذلك بدعوته لقومه بطريقـة غير صحيحة زعموا؟ قال الملحد ابن عربي - فيما نقل عنه البقاعي رحمه الله -

---

(1) - هود: ٥٦ .

(2) - تنبيه الغبي ٩٠ ، الفصوص ١١٠.

(3) - تنبيه الغبي ١٠٣ ، الفصوص ١٨١.

(4) - تنبيه الغبي ١١٢ ، الفصوص ١٩٢.

:" لو أن نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه؛ فدعاهم جهـاراً، ثم دعـاهم إسراراً، ثم قال لهم :(فَقُلْت استغفِروا ربكُم إنه كاَنَ غَفارا)[١] ، وقال :(قَـالَ رب إني دعوت قَومِي لَيلًا ونهارا *فَلَم يزِدهم دعائِي إلا فِرارا)[٢] ، وذكر عن قومه أ م تصامموا عن دعوته لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته".

ثم ادعى أن محمداً صلى الله عليه وسلم دعا قومه بالت يه والتشبيه معا، قال :" فإنه شبه ونزه في آية واحدة، بل في نصف آية، ونوح دعا قومه "ليلاً" مـن حيث عقولهم وروحانيتهم، فإ ا غيب، "و اراً" دعاهم أيضاً من حيث ظـاهر صورهم وحسهم، وما جمع في الدعوة مثل (لَيس كَمِثْلِهِ شيءٌ)[٣] ، فنفـرت بواطنهم لهذا الفرقان، فزادهم فراراً، ثم قال عن نفسه: إنه دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم، وفهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم لذلك (جعلُوا أَصابِعهم فِي آذَانِهِم واستغشوا ثِيابهم)[٤] ... فما دعا محمد قومه ليلاً و اراً، بل دعاهم ليلاً في ار، و اراً في ليل"[٥].

(1) - نوح:١٠ .

(2) - نوح:٥-٦ .

(3) - الشورى:١١ .

(4) - نوح:٧ .

(5) - تنبيه الغبي ٤٧ - ٤٩ مختصراً، الفصوص ٧٠- ٧١. ولا بد لهذا الكـلام الـسمج مـن توضيح، ولهذا علق الشيخ الوكيل رحمه الله هنا قائلاً :" يقصد بالليل باطن الذات الإلهية، وبالنـهار ظاهرها. والباطن هو وجه الذات وغيبها المسمى حقا، والظاهر هو وجهها الآخر المـسمى خلقـاً، ويذم نوحاً بأنه دعا قومه ليلا و ارا؛ أي إلى الإيمان بالحق (وهو الدليل) وبالخلق (وهو النـهار) وبأ ما غيران. ويمجد محمداً الذي يزعمه - وحاشا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم - لأنـه جمع في دعوته بين الدعوتين؛ إذ دعا قومه إلى الإيمان بأن الخلق عين الحق ، وعبر الزنديق عـن هـذا بقوله: ليلا في ار؛ أي حقا في خلق ، وإلى الإيمان بأن الخلق عين الحق ، وهذا ما يعبر عنه الـشيطان بقوله: اراً في ليل؛ أي خلقاً في حق. أي قال لهم: الواحد عين الكثير والكثير عين الواحد".

ج- يزعمون أن الأنبياء والرسل لا يعرفون كيف يؤدون وظيفتهم التي ابتعثوا من أجلها، وهي إرشاد الناس والأخذ بأيديهم وسياستهم. فابن عربي فيما سبق عنه زعم أن هارون عليه السلام ليس له معرفة بالله، وفيه ضمناً طعنه بقلة الخبرة، في الدعوة على بصيرة وحكمة.

د- الطعن على شخصيات الأنبياء عليهم السلام : وهذا دأب اليهود عليهم لعائن الله. قال الله تعالى :(يا أيها الذِين آمنوا لَا تكُونوا كَالَّذِين آذَوا موسى فَبرأه الله مِما قَالُوا وكَانَ عِند اللهِ وجِيها)[١] ، وهم اليهود، ولنصيب هؤلاء القوم من غضب الله أخذوا بقسط وافر من هذه العادة القبيحة لليهود، وحققوا تقليدهم لسلفهم الطالحين اليهود بكيل الشتائم على كليم الله موسى بن عمران عليه السلام نفسه، الذي كان موضع إيذاء اليهود بالأمس حتى حذر الله المسلمين من صنيعهم.

ولم يقفوا عند حد من الحدود حتى فعلوا فعلتهم في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال البقاعي رحمه الله :" وقال (أي صاحب الفصوص) في حكمة فردية في كلمة محمدية : وإنما حبب إليه النساء، فحن إليهن، لأنه من باب حنين الكل إلى جزئه..."[٢].

والحنين يعني الشوق والطرب [٣]، بخلاف الحب الذي ورد في الحديث. وقال بعد في شرحه لحديث :" حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة" [٤]. قال :" وإنما قدم النساء لأ ن محل الانفعال". ثم

---

(1) - الأحزاب:٦٩ .

(2) - تنبيه الغبي ١٣٠، فصوص ٢١٥.

(3) – القاموس المحيط ١٥٣٨.

(4) - قال الإمام السخاوي رحمه الله في المقاصد الحسنة ١٨٠، ح ٣٨٠ :" زيادة (ثلاث) : لم

قال :" إنه صلى الله عليه وسلم غلب في هذا الخبر التأنيث على التذكير لأنـه قصد التهمم بالنساء فقال :"ثلاث" ولم يقل: ثلاثة بالهـاء الـذي هـو لعـدد الذكران، إذ فيها ذكر الطيب، وهو مذكر، وعادة العرب أن تغلب التـذكير على التأنيث"[1].

فهو هنا يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم - وحاشاه - رجلا شهوانياً متغزلاً بالنساء حتى فيما يبلغه من رسالة ربه.

هـ - الكذب على الأنبياء بنسبة الضلال إليهم : وهـذا إنمـا يفعلونـه لتسليك باطلهم بين المسلمين، حيث يظهرونه في مظهر دين رضي بـه هـؤلاء الأصفياء، بل وباشروه ودعوا إليه.

قال البقاعي:"وأعظم الأمر أنه (أي ابن عربي) نسب كفره إلى إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الماحي لجميع الإشراك ، المخلص لمتبعيه من حبائل سائر الأشراك[2] ، فقال في الخطبة : أما بعد فإني رأيت رسول الله صـلى الله عليـه

أقف عليها إلا في موضعين من الإحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف، وما رأيتها في شيء مـن طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش، وبذلك صرح الزركشي" قلت: وكذا الحـافظ في التلخـيص ١١٦/٣. وزيادة ا تحيل المعنى؛ إذ الصلاة ليست من الدنيا. والصحيح في لفظ الحديث :" حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة"، عند أحمد برقم ح ١٢٢٩٣، وعند النسائي ح ٣٩٥٠، والحاكم ١٦٠/٢من طريق آخر، وقواه بعض أهل العلم كالحافظ في التلخيص الحبير - الموضع السابق -، والذهبي في الميزان، لكن رجح الدار قطني إرسال الحديث بطريقيه لرواية بعـض الثقات الكبار له كذلك - كما في المختارة للضياء ١١٣/٥ - وبالتالي ضعفه، فالله أعلـم. انظـر تحقيق المسند للشيخ الأرناؤوط ورفاقه ٣٠٥/١٩ - ٣٠٧. وفي الباب عن عائشة: " كان رسـول الله يعجبه من الدنيا ثلاثة: الطعام والنساء والطيب فأصاب ثنتين ولم يصب واحده ، أصاب النـساء والطيب ولم يصب الطعام ". عند أحمد برقم ٢٤٤٨٤ (٧٢/٦)، وذكره في مجمع الزوائد وقـال : " رواه أحمد وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح " (٣١٥/١٠) .

(1) - تنبيه الغبي ١٣٣، ١٣٤، فصوص ٢١٩.

(2) - جمع " شرك " بفتحتين، وهو " حبائل الصيد، وما ينصب للطير ". القاموس؛ مادة: شـرك (١٢٢٠/١) .

وسلم في مبشرة وبيده كتاب، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكـم، خـذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت السمع والطاعة لله ولرسـوله، وأولي الأمر منا ، كما أمرنا، فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان... فمن الله فاسمعوا ، وإلى الله فارجعوا" [(١)].

ومن هذا الباب دعواه لقيا الأنبياء عليهم السلام، وأن هوداً منهم كلمـه وأنه أخبره بسبب اجتماعهم عليهم السلام. ثم جعل يمدحه بكونه عارفاً كاشفاً للأمور، قال :" ودليلي على كشفه لها، قوله :(ما مِن دآبـةٍ إلا هـو آخِـذٌ بِناصِيِتِها إن ربي على صِراطٍ مستقِيمٍ)[(٢)] ، وأي بشارة أعظم مـن هـذه؟ ثم امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه في القرآن"[(٣)].

(1) - تنبيه الغبي ١٣٣، ١٣٤، فصوص ٢١٩.

(2) - هود:٥٦ .

(3) – تنبيه الغبي ٩٠، فصوص ١١٠.

٥ - جهوده في بيان عقائدهم في اليوم الأخر:

يتضمن الإيمان باليوم الآخر عند أهل السنة ثلاثة أمور:

١- الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانيـة، فيقوموا لرب العالمين.

٢- الإيمان بالحساب والجزاء؛ يحاسب العبد على عمله ويجازى عليه.

٣- الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، الجنة للمؤمنين المتقين، والنار للكافرين الظالمين.

وهذه الأمور الثلاثة ثابتة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة[١].

أما القوم فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض؛ حيـث ينكـرون حقيقـة الحساب والجزاء، وحقيقة الجنة والنار.

أما إنكارهم لحقيقة الجزاء، فإنهم يقولون إن العباد كلـهم علـى صـراط مستقيم، وكيف يعذب الله من هو على صراط مستقيم؟!

نقل البقاعي عند تفسير قوله تعالى :(ما مِن دآبةٍ إلا هو آخِذٌ بناصِيتِها إن ربي على صِراطٍ مستقِيمٍ)[٢]، عن ابن عربي قوله :" فكل ماش فعلى صراط الرب المستقيم، فهم غير مغضوب عليهم من هذا الوجه ولا ضالون، فكلما كان الضلال عارضاً فكذلك الغضب الإلهي عارض، والمآل إلى الرحمة التي وسـعت كل شيء" [٣].

(1) - انظر: شرح أصول الإيمان للشيخ العثيمين ٤٠ - ٤٣.

(2) - هود : ٥٦ .

(3) - تنبيه الغبي ص ٨٤ ، الفصوص ١٠٦.

فهنا صرح بأن مآلهم إلى الرحمة،وفي مكان آخر يقول بأ م في النعيم الرغيد، حيث نقل عنه البقاعي قوله عن المرمين عند تفسير قولـه تعـالى:(ونـسوق المجرمين)[١]،:"... ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق، لأ م مجرمـون، وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم؛ لأن نواصيهم كانـت بيد من له هذه الصفة، فما مشوا بنفوسهم، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب (ونحن أقْرب إليهِ منكُم ولَكِن لا تبصِرونَ)[٢]" [٣].

وقال البقاعي عن عقيد م في النار :" ثم إنه - أي ابن عربي - يـسعى في إبطال الدين من أصله بما يحل به عقائد أهله، بأن كل أحد على صراط مستقيم، وأن الوعيد لا يقع منه شيء، على تقدير وقوعه، فالعذاب المتوعد به إنما هـو نعيم وعذوبة ونحو ذلك، وإن حصل ألم فهو لا ينافي السعادة والرضى كمـا لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا" [٤].

والنتيجة اللازمة لهذه الأباطيل نفي المعاد ألبتة، قال رحمه الله بعـد ذكـر ملخص عقيدة ابن عربي :" وهذا يحط عند من له وعي على اعتقاد أنه لا إلـه أصلاً، وأنه ما ثم إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما وراء ذلك شيء"[5].

ولا شك أن قواعد دينهم تقتضي القول ذه الأباطيل.

---

(1) - مريم : ٨٦ . وفي التنبية والفصوص خطأ في كتابة الآية حيث كتب الفاء محل والواو.

(2) - الواقعة: ٨٥.

(3) - تنبيه الغبي ٨٨، فصوص ١٠٨.

(4) - تنبيه الغبي ٢٤.

(5) - تنبيه الغبي ٢٢.

٦ - جهوده في بيان قولهم بوحدة الأديان:

قال البقاعي :

" قال ابن الفارض:

وإن عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الأخبار من ألف حجة
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم ... سواي وإن لم يعقدوا عقد نيـــتي
وإن نار بالتنزيل محراب مسجـــد ... فما بار بالإنجيل هيكل بيعـــــة
وأسفار توراة الكليم لقومـــــه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلـــــة
وإن خر للأحجار في البدو عاكف ... فلا تعد بالإنكار بالعصبيـــــــة
فما زاغت الأبصار في كل ملـــة ... وما زاغت الأفكار في كل نحلـــة
وما اختار من للشمس عن غيره صبا ... و إشراقها من نور إسفار غـــرتي
ولا تحسبن الأمر عني خـــــارجاً ... فما ساد إلا داخل في عبـــودتي"(١)

هذا تلخيص لعقيدة القوم في هذا النوع من الإلحاد، انتقاه البقاعي من تائية ابن الفارض.

فالقوم يعترفون بكل معتقد؛ فإن ابن الفارض - كما يقول شراح تائيته :" مهد في هذه الأبيات أعذار كل فرقة، وأن كل صاحب ملة ونحلة - وإن بطـل

(١) - صواب الجواب ل ٢أ - ٢ب ، وهي في الديوان ٦١، ٦٦ - ٦٧ على غير هذا الترتيب.

سعيه - لعلى نصيب من الهدى؛ فعباد النار غير مؤاخذين من جميع الوجوه، بل من وجه دون وجه، ولا لوم على أحد بل لكل واحد وجه محمل خير يحمل عليه، فكل يعمل على شاكلته، وكذا عابد الأصنام؛ قالوا: لا تنكر عليه، فإن أنكرت لم يكن إنكارك إلا تعصباً .. كما أن القرآن نور المساجد، فكذلك الإنجيل نور المعابد، وقالوا نحو هذا في التوراة وفي عابد الشمس: إنه بإثباته عين الألوهية لم يكن ناقصاً، فقام له عذر من وجه من الوجوه.."[(١)].

وقد " قيل لبعض أكابرهم : ما الفرق بينكم وبين النصارى؟ قال: النصارى خصصوا. وهذا موجود في كلام ابن عربي وغيره؛ ينكرون على المشركين تخصيصهم في عبادة بعض، والعارف عندهم يعبد كل شيء"[(٢)].

ومن هذا المنطلق صوب ابن عربي قول فرعون اللعين :(فَقَالَ أَنا رَبكُمُ الأعلَى)[(٣)]. فيما نقله عنه البقاعي حيث قال :" ولما كان فرعون في منصب التحكم، صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف، وإن جار في العرف الناموسي، لذلك قال :(فَقَالَ أنا ربكُم الأعلَى) ، أي: وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما، فأنا الأعلى منهم، بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه فيما قاله، لم ينكروه، وأقروا له بذلك، فقالوا له: (إِنما تقْضِي هـذِهِ الْحيـاةَ الدنيا)[(٤)]. فالدولة لك، فصح قوله :(فَقَالَ أنا ربكُم الأعلَى) ، وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون ..."[(٥)].

---

(١) - تحذير العباد ٢١٤ - ٢١٦.

(٢) - تنبيه الغبي ١٤٩.

(٣) - النازعات: ٢٤.

(٤) - طه: ٧٢.

(٥) - تنبيه الغبي ١٢٢، فصوص ٢١٠ باختلاف يسير.

وحكم ابن عربي حكماً عاماً بما يعد قاعدة جامعة له في هذا الباب: أن كل معبود هو الله لا غير، وذلك فيما نقله البقاعي عند تفسيره لقــول الله تبــارك وتعالى :(وقَالُوا لَا تذَرن آلِهتكُم ولَا تذَرن ودا ولَا سواعا ولَا يغوثَ ويعــوق ونسرا) [(١)]. قال :" فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا مــن هؤلاء، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه، ويجهلــه مــن جهلــه. :(وقَضى ربك ألا تعبدوا إِلا إِياه)[(٢)]، أي حكم، فالعالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحــسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود"[(٣)]. هذا زعمه وافتراؤه، نعوذ بالله من الخذلان والضلال.

---

(1) - نوح: ٢٣.

(2) - الإسراء: ٢٣.

(3) - تنبيه الغبي ٥١.

٧ - بيان خروجهم عن الشريعة:

دين القوم كله خارج عن الشريعة، بل معارض ومنابذ لها، لكن المقصود هنا بيان كونهم لا يتقيدون بالشريعة ولا يعترفون بمصادرها، ويعارضون المسلمات منها وينكرون البدهيات، وينقضون أوثق عراها، ويحرفون ما استطاعوا من معناها، أو يكذبون ما لم يقدروا على تحريفه منها.

قال البقاعي رحمه الله :" وقد ضربوا لتصحيح زندقتهم مثالا مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه في الإسلام... حاصل ذلك المثال: أنهم يصلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع، فتم لهم المكر وتبعهم في ذلك أكثر الرعاع، ولم يبالوا بخرق الإجماع، وذلك المثال: أن ملكاً أقام على بابه سيافا، وقال له : من دخل بغير إذنك فاقتله، وقال لغيره : أذنت لك في الدخول متى شئت ، فإذا دخل الغير فقد أصاب، وإن قتله السياف فقد أصاب، وعنوا بالسياف الشارع، فما أفادهم مثالهم مع زندقتهم شيئاً؛ فإنهم اعترفوا فيه بإباحة دمائهم، وهو قصد أهل الشريعة، ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع؛ فإن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة، ودعوته شاملة"[1].

---

(1) - تنبيه الغبي ٢٣ - ٢٤.

٨ - دعواهم إيمان فرعون عليه لعائن الله:

لقد اجتهد البقاعي في تبيان إصرار الاتحادية على منابذة الشريعة الإسلامية، وأنهم - استمراراً لقاعدتهم في الإلحاد - اختاروا أحد أكبر قادة الملحدين الكفرة بنصوص الكتب الإلهية، والسنة النبوية، وإجماع الأمة المحمدية، فرضوه وأثنوا عليه، ووصفوه بالمعرفة الإلهية، وحكموا له بالجنة والنجاة الأبدية.

ذاك هو فرعون موسى عليه لعنة الله تعالى الذي (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ)[1].

وأما أهل الإلحاد بالاتحاد - وعلى رأسهم ابن عربي - فعلى عادتهم خالفوا صريح القرآن والسنة والعقل، فقد نقل البقاعي عن ابن عربي أنه قال عن رئيس معشر الملحدين أمثاله :" وكان (يعني موسى) قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه الله طاهراً مطهراً، ليس فيه شيء من الخبث؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجب ما قبله، وجعله آية على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء ؛ حتى لا ييأس من رحمة الله، فـ(إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[2]"[3].

---

(1) - هود: ٩٨ .

(2) - يوسف : ٨٧ .

(3) - تنبيه الغبي ١١٨، فصوص ٢٠١ .

وقد رد البقاعي على هذه الفرية العظيمة عندما قال: "العلم الضروري لكل من شم رائحة العلم من المسلمين وغيرهم أن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس، وتصريح الله تعالى في غير آية من كتابه العزيز بأنه لا ينفع أحداً إيمانه عند ذلك، وأن ذلك سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تحويلاً"[١].

وأورد البقاعي رحمه الله عددا من الآيات التي تدل على بطلان هذه الفرية ،منها:

قوله تعالى في دعاء موسى عليه السلام : (فَلاَ يؤمِنواْ حتى يرواْ الْعذَاب الأَليم) [٢]، وقوله :(قَد أُجِيبت دعوتكُما)[٣].

وقوله تعالى منكراً على فرعون :(آلآنَ وقَد عصيت قَبلُ وكُنت مِن الْمفْسِدِين)[٤].

وقوله تعالى :(فَكَذبوهما فَكَانوا مِن الْمهلكِين)[٥]" [٦].

وفي موطن آخر استدل البقاعي أيضا بقوله تعالى :(فَأَخذَه الله نكَالَ الْآخِرةِ والْأُولَى) [٧].

---

(1) - تنبيه الغبي ١١٩ .

(2) - يونس : ٨٨ .

(3) - يونس : ٨٩ .

(4) - يونس : ٩١.

(5) - المؤمنون : ٤٨.

(6) - انظر كل هذه الأدلة وغيرها في تنبيه الغبي ١١٩ - ١٢٠.

(7) - النازعات : ٢٥.

وقوله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ)(١) (٢).

وقال عند قوله تعالى :(وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً)(٣)، :" فهم يلعنون فيها من كل لاعن من المسلمين وغيرهم من أهل الملل، فلعنة الله على من حسن حالهم، وارتضى ضلالهم، لإضلال العباد، من أهل الإلحاد بفتنة الاتحاد"(٤).

واستدل رحمه الله من السنة فقال: "وأما السنة فقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: ذكر الصلاة يوماً فقال :" من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف" (٥).

وقال البقاعي أيضا: " وقال الإمام أبو العباس ابن تيمية في الفتوى التي أجاب فيها الشيخ سيف الدين بن بلبان السعودي :(ويكفيك معرفة بكفرهم - يعني ابن عربي وأتباعه - أن [من] أخف أقوالهم أن فرعون مات مؤمناً،

---

(1) - القصص : ٤٠ - ٤٢.

(2) - انظر هذين الدليلين في نظم الدرر ٢١/ ٢٣٣- ٢٣٤.

(3) - هود :٩٩.

(4) - النظم ٩/ ٣٧٠.

(5) – أخرجه أحمد ٢/ ١٦٩، وقال محققو المسند ١٤٢/١١:" إسناده حسن " ، والدارمي في سننه (٣٩٠/٢) رقم ٢٧٢١ ، وابن حبان في صحيحه (٣٢٩/٤) رقم ١٤٦٧ ، جميعهم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وذكره في مجمع الزوائد وقال : " رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات " (١/ ٢٩٢) .

وقد علم بالاضطرار من دين أهل الملل: المسلمين واليهود والنصارى أن فرعون من أكفر الخلق بالله)" [١].

وقال البقاعي أيضا :" وأنا لا أشك أن الحلاج وابن عربي وابن الفـارض وأتباعهم يكونون في النار تحتهم وتحت آله (يعني: فرعون) يشربون عصار م؛ فإ م ادعوا أنه ناج، وصدقوه فيما ادعاه، وادعوا لأنفسهم وغيرهم مثـل مـا ادعاه تكذيباً للقرآن وإغراقاً في العـدوان، وزادوا عليـه بابتـذال الاسـم الأعظم...فادعوا أنه يطلق عليهم وعلى كل أحد بل كل شيء " [٢].

٩ - جهوده في بيان وسائل الاتحادية لنشر دعو م :

أولا - بيانه للوسيلة الأولى ؛ وهي نسبتهم المقالة إلى الأنبياء وشرائعهم وإلى كل مقبول عند الناس[٣]:

ومن هذه الافتراءات بل أعظمها نسبة هذه المقالة إلى خاتم الأنبياء، وإمـام الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. قـال البقـاعي رحمـه الله :" وأعظم الأمر أنه (أي ابن عربي) نسب كفره إلى إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الماحي لجميع الإشراك، المخلص لمتبعيه من حبائل سائر الأشراك ، فقال في الخطبة :" أمابعد، فإني رأيت رسول الله في مبشرة أريتها في العشر الآخر مـن

---

(1) - تنبيه الغبي ١١٩- ١٢٠، وانظره في مجموع الفتاوى ١٢٥/٢ بـأطول منـه ، ومـا بـين المعقوفتين منه.

(2) - انظر النظم ٢٣٦/٢١.

(3) - المراد بالمقبولين عند الناس هم الصالحون والعباد والزهاد والعلماء، ممن هم بريئون من هـذا الضلال المبين، وإن كانوا على نصيب من الخطأ فيما عدا ذلك من الأمور.

محرم سنة ٦٢٧، بمحروسة دمشق، وبيده كتاب، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا، كما أمرنا، فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله من غير زيادة ولا نقصان، فمن الله فاسمعوا، وإلى الله فارجعوا)"[1].

وقد رد البقاعي على هذا الكلام بقوله :" ولا شك أن النوم والرؤيا في حد ذا ما في حيز الممكن، لكن ما أصله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك محالا؛ وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو الله، فإذن الكل هو الله لا غير، لا نبي ولا رسول، ولا مرسل ولا مرسل إليه، فلا خفاء في امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبي بشيء في المنام، فمن هنا يعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألفه أهله..."[2].

ثانيا - بيانه للوسيلة الثانية ؛ وهي تظاهرهم بالزهد والتنسك :

إذا علمنا أن حقيقة أمر أهل الاتحاد أ م لا يؤمنون بكتاب ولا شريعة، ولا نبي ولا رسالة، فإنه لا يخفى علينا أن ما يقومون به من أداء لبعض الواجبات، وقيام ببعض التطوعات، وامتثال لبعض أبواب الخير من تزهد وتورع وتقشف ليس على ظاهره الذي شرعه الشارع من أجله، من الإخلاص لله والشكر له، ولا بد أن يكون لهم غرض آخر غير الذي يظهر منهم.

من هذه الأغراض استمالة قلوب المغترين بالمظاهر والشكليات، دون التنبه للحقائق والمحتويات.

قال البقاعي رحمه الله :" وخواص أهل هذه النحلة يتسترون بإظهار شعائر الإسلام، وإقامة الصلاة والصيام، وتمويه الإلحاد بزي التنسك والتقشف،

---

(1) – تنبيه الغبي : ١٣٣- ١٣٤ ، فصوص ٤٧ - ٤٨.

(2) - تنبيه الغبي ٣٩.

وتزويق الزندقة بتسميتها بعلم التصوف، فهو(١) ممن أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) (٢)... وهذا هو السر في تنسكهم. على أنهم استغنوا في هذا الزمان عن التنسك لانقياد أهله بغير ذلك" (٣).

ثالثا - بيانه للوسيلة الثالثة ؛ وهي انتحالهم مصطلحات مشايخ الصوفية :

الاتحادية بعيدون كل البعد عن الصوفية الأوائل ومن حذى حذوهم، وهو ما أكد عليه الشيخ البقاعي وغيره، وبين أن استعمالهم لمصطلحات الصوفية فيه تلبيس على الناس، ويعد خيانة علمية ودينية لغيرهم.

واعتبر البقاعي هذا التصرف حيلة من حيل القوم في ترويج مقالتهم الإلحادية، كما فعلوا في إلصاقهم المقالة بأنبياء الله ورسله وشرائعهم.

ونقل نقلا طويلاً عن الشيخ علاء الدين البخاري٤ ومما جاء فيه :" إن الملاحدة عبروا عن ضلالتهم بعبارات العارفين بالله يتسترون بها في زندقتهم، فينبغي الحذر من ذلك. فأرادوا بالفناء: نفي حقائق الأشياء، وجعلوها خيالا وسراباً على ما هو مذهب السوفسطائية. وبالبقاء : ملاحظة الوجود المطلق . وبالوحدة المطلقة كون ما سوى الوجود من الأشياء خيالا وسرابا، وكون وجود جميع الأشياء - حتى الخبائث والقاذورات - إلها، وذلك غير ما أراده العارفون، فإنهم أرادوا بها معاني يصدقها الشرع، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردها

---

(1) - يعني ابن عربي؛ وكان السياق عنه.

(2) – أخرجه البخاري كتاب المناقب؛ باب علامات النبوة في الإسلام؛ ح ٣٤١٤ (١٣٢١/٣) ، ومسلم،كتاب الزكاة؛باب ذكر الخوارج وصفاتهم؛ ح ١٠٦٤(٧٤٤/٢) .

(3) - تنبيه الغبي ٢٢ -٢٣.

4 - هو محمد بن عبد الرحمن المفسر البخاري علاء الدين صاحب التفسير الكبير ، توفي سنة ٥٧٦ هـ . انظر : طبقات المفسرين للداودي ١٩٤/١ ، وطبقات الحنفية ٨٠/٢ .

الشرع فهي زندقة، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع... والفناء عندهم عبارة عن اضمحلال الكائنات في نظرهم مع وجودها، وعن الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم. وكذا الوحدة المطلقة عبارة عن مشاهدة الله لا غير من بين الموجودات لاضمحلالها مع تحققها ووجودها عند ظهور أنوار التجليات، كاضمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار..."[1].

رابعا - بيانه للوسيلة الرابعة ؛ وهي بيانه لدعواهم أن من أنكر عليهم يصاب بسوء :

وهذه الدعوى من وسائلهم في ترويج باطلهم، وإسكات الناقدين، وإخراس ألسنة المعارضين، وذلك عن طريق تخويفهم وإدخال الرعب في قلوبهم، وإنذارهم بأنهم سيصابون في أنفسهم أو أهاليهم أو أموالهم، بدعوى أنهم عارضوا أولياء الله، وقد آذن الله بالحرب كل من عادى وليا من أوليائه.

قال البقاعي رحمه الله :" ومن مكر هذه الطائفة - كما شرعه لهم شيخهم من أن الدعوة إلى الله مكر - أن يخيلوا إلى كل من ظنوا أنه مال عنهم بأنه يصاب في نفسه أو ماله، ويقولون : ما تكلم أحد فيهم إلا أصيب، ويباهتون بأشياء هي كذب ظاهر ، ولا عليهم .

وأكثر الناس صبيان العقول، مرضى الأفكار، تجد أحدهم إذا سمع هذا نفر منك نفرة النعام الشارد، ثم يكون أحسنهم خلالا الذي يقول: التسليم أسلم! ولا يتأمل أن الشك في الكفر بعد البيان كفر"[2].

حكمه على المقالة وأدلته على ذلك :

---

(1) - تنبيه الغبي ١٨٦ - ١٨٨. وفي كلامه هفوات وسقطات ، لم تذكر هنا، نبه عليها الشيخ الوكيل في تعليقاته، فلتراجع .

(2) - تنبيه الغبي ١٧٧.

إنه ليس بخاف على كل من تابع مقالات هؤلاء القوم أنها ليست من الإسلام في شيء، وهذا الذي استقر عليه رأي علماء الإسلام ،وقد حكى البقاعي رحمه الله ذلك عن كثير منهم، فمما قال:" أهل الإسلام مجمعون على أن مذهب الحلول وكذا الاتحاد كفر، وأهله كفرة، وأن ما صادم ظواهر الكتاب والسنة بمذهب من مذاهب الكفرة فهو كفر، ومن اعتقد ما يصادمهما بذلك فهو كافر مرتد عن الإسلام"(١).

وقال أيضا:" من قال: الجمع أن ترى جميع الحقائق مندرجة في حقيقة الحق بحيث صار الكل ذاتا واحدة فهو كافر بدون وقفة"(٢).

وقال ناقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية:" ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو يعتذر لهم بأن هذا الكلام لم يدرك ما هو، أو من قال إنه ما صنف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل يجب عقوبة كل من عرف حالهم ، ولم يعاون على القيام عليهم؛ فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فساداً ، ويصدون عن سبيل الله، فضررهم في الدين أعظم من ضرر من يفسد على المسلمين دنياهم ويترك دينهم ؛ كقطاع الطريق الذين يأخذون منهم الأموال .

وهم أشبه الناس بالقرامطة الباطنية، ولهذا يقرون اليهود والنصارى على ما هم عليه، ويجعلونهم على حق، كما يجعلون عباد الأصنام على حق، وكل واحد من هذه المقالات من أعظم الكفر.

---

(1) - صواب الجواب ل ٥/أ .

(2) - الجواب الهاد ٦/أ بتصرف يسير.

ومن كان يحسن الظن بهم وادعى أنه لم يعرف حالهم ؛ عرف حالهم، فإن لم يجانبهم ويظهر لهم الإنكار، وإلا ألحق بهم، وجعل منهم.

وأما من قال: لكلامهم تأويل يوافق الشريعة ؛ فإنه إن كان كذاباً فهو يعرف كذب نفسه، وإن كان معتقداً لهذا ظاهراً وباطناً فهو أكفر من اليهود والنصارى ؛ فمن لم يكفرهم وجعل لكلامهم تأويلاً كان كمن أنكر تكفير النصارى بالتثليث، تعالى الله الخالق، والله أعلم بالصواب وهو أحكم الحاكمين"(١).

ونقل عن أبي حيان مقطعاً طويلاً، يشتمل على قائمة طويلة بأسماء أهل الوحدة، قال أبو حيان بعدها :" وأنا سردت ذكر هؤلاء نصحا لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليحذروا، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث. وقد أولع جهلة من ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه"(٢).

ونقل من فتوى القاضي المالكي شرف الدين عيسى الزواوي قوله فيهم :" وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان والكفر والبهتان، فهو كله تلبيس وضلال، وتحريف وتبديل، فمن صدق بذلك أو اعتقد صحته كان كافراً ملحداً صاداً عن سبيل الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ملحداً في آيات الله، مبدلا لكلماته، فإن أظهر ذلك، وناظر عليه كان كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وإن أخفى ذلك وأسره، كان زنديقا، فيقتل متى ظهر عليه، ولا تقبل توبته إن تاب، لأن توبته لا تعرف، فقد كان قبل أن يظهر عليه يقول بخلاف ما يبطن، فعلم بالظهور عليه خبث باطنه، وهؤلاء قوم يسمون الباطنية، لم يزالوا

---

(1) - صواب الجواب ل ٢٥/أ - ب، وانظره في مجموع الفتاوى ١٣٢/٢ - ١٣٣ مع بعض التصرف والاختصار.

(2) - صواب الجواب ل ٢٦/أ، تنبيه الغبي ١٤٢ - ١٤٣، نقلا من تفسير النهر الماد لهامش البحر المحيط ٤٤٨/٣.

من قديم الزمان ضلالا في الأمة، معروفين بالخروج من الملة، يقتلون متى ظهر عليهم، وينفون من الأرض وينفون من الأرض. وعاد م التمصلح والتدين وادعاء التحقيق، وهم على أسوء طريق، فالحذر الحذر منهم، فإ م أعداء الدين وسوس الملة ، وشر من اليهود والنصارى؛ لأ م قوم لا دين لهم يتبعونه ولا رب يعبدونه. ويجب على ولي الأمر إذا سمع ذا التصنيف البحث عنه وجمع نسخه حين وجدها وإحراقها، وأدب من ا م ذا المذهب ونسب إليه أو عرف به على قدر قوة التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه"[1].

ونقل عن العلامة إسماعيل ابن المقرئ قوله :" إن من شك في كفر طائفة ابن عربي كفر"[2]!

ونقل عن العلامة ابن خلدون رحمه الله في فتوى له في حكم القوم، قال فيها :" وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس، مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي، والبد لابن سبعين، وخلع النعلين لابن قسي[3] ،[وعين اليقين لابن برجان ،وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض، والعفيف التلمساني وأمثالهما أن يلحق ذه الكتب وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض] فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيا ا متى وجدت بالتحريق بالنار، والغسل بالماء حتى ينمحي

---

(1) - تنبيه الغبي ١٤٣-١٤٤، انظر صواب الجواب ل ٢٣/ب، والعقد الثمين للفاسي المكي ١٨٦/٢ - ١٨٨.

(2) - صواب الجواب ل ٣/ ب.

(3) - أحمد بن الحسين بن قسي أبو القاسم الرومي، استعرب وتأدب وقال الشعر، ثم تصوف، وادعى المهدية، وتسمى بالإمام، وثار على دولة المرابطين حتى قتل سنة ٥٤٦، وكان له طريقة يعرف أتباعها باسم " بالمريدين "، وقد لقيه ابن عربي في بعض رحلاته. وكتابه المذكور في المتن شرحه ابن عربي. وأفاد د. رشاد سالم أنه طبع أخيراً ببيروت. انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١١٣، ١٦/١٠، درء تعارض العقل والنقل ١٦٣/١، تعليق المحقق. فصوص الحكم ٢/ ٥٥- ٥٦ .

أثر الكتاب، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائـد المختلفـة، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق"[١].

إلى غير ذلك من نصوصهم في ذلك، وهي كثيرة يراها القارئ في ثنايا هذا البحث، في مناسبات مختلفة.

حكمه على ابن عربي :

يعتبر ابن عربي زعيماً لهذه الفرقة الاتحادية ومنظراً لها، بل يـرى بعـض المحققين المعنيين بهذه الفرقة أنه أول من ابتدع هذه المقالة بهذه الصورة المتناهية في الضلال والبطلان[٢]. وعليه، فإن كل ما تقدم من كلام البقاعي وسائر العلماء في هذه الطائفة يصدق - أول ما يصدق - على ابن عربي.

وقد خصه البقاعي بتأليف مستقل ليبين فيه رأيه ورأي العلماء فيه، علـى معيار العلم والشرع، مستشهداً في ذلك بأدلة نصية على أقواله الصريحة الـتي تبين موقفه وآراءه بياناً واضحاً.

ومن عنوان الكتاب يظهر للقارئ حكمه عليه بالكفر الصريح، حيث سماه :" تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي" .

وكذلك في مطلع مقدمته صرح بتكفيره قـائلاً :" كفـر ابـن عـربي في الفصوص أظهر منه في غيره، فأحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً، حتى يعلـم حاله، فيهجر مقاله، ويعتقد انحلاله وكفره وضلاله، وأنـه إلى الهاويـة مآبـه ومآله"[٣].

---

(1) - تنبيه الغبي ١٥١- ١٥٢، وما بين المعقوفتين زيادة من الشيخ الوكيل من نص فتـوى ابـن خلدون في مراجع أخرى. والأعلام المذكورون فيه مترجمون في أماكن أخرى، فراجع الفهارس.

(2) - راجع ص

(3) - تنبيه الغبي ٢١.

وقال في بيان عقيدة ابن عربي : " ينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة، وهي أنه لا شئ سوى هذا العالم، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته، ثم إنه يسعى في إبطال الدين من أصله ، بما يحل به عقائد أهله، بأن كل أحدٍ على صراط مستقيم، وأن الوعيد لا يقع منه شـئ، وعلى تقدير وقوعه فالعذاب المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة ونحو ذلـك، وإن حصل لأهله ألمٌ فهو لا ينافي السعادة والرضى ،كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا"(١).

ونقل عن ابن النقاش المصري(٢) قوله :"حقيقة قولهم: أن ما ثم وجـوداً إلاّ هذا العالم لا غير، كما قاله فرعون، لكن هم يقولون إن العالم هو الله، وفرعون أنكر وجود الله"(٣).

أقوال العلماء التي نقلها البقاعي في بيان ضلال ابن عربي وكفره :

نقل البقاعي أقوال العلماء في تكفير ابن عربي فقال رحمه الله :" وقد صرح بكفر هذا الرجل ومن نحا نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة في الضلال جماعـة من العلماء الأعلام، مشايخ الإسلام، كما نقل عنهم الإمام شهاب الدين أحمـد بن أبي حجلة التلمساني الحنفي في كتابه الذي صنفه في ذلك، وكذا نقل بعـض ذلك الإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودي الصوفي في جزء نقلـه عنه أحمد بن أقشى الحراني، قال :(وقد كتب كل من راقب الله تعالى وخشيه، وامتنع كل من التبسه مخافة غيره وغشيه. فالذي كتب قام لله تعالى بلوازمـه،

---

(1) - المصدر السابق ص٢٢ .

(2) - عبد الرحمن بن محمد بن علي،أبو هريرة المصري الشافعي،فقيه محدث شاعر،ولد سـنة٧٤٧ ومات سنة٨١٩، وكان أمارا بالمعروف ناهيا عن المنكر معارضا للظلمة،له ديوان شعر . انظر:الضوء اللامع٤/١٤٠،معجم المؤلفين١٩٣/٥

(3) - تنبيه الغبي ص ٢٥

والذي امتنع[١] فهو المسؤول عن ذلك يوم عرضه، فإن زعم أنه ترك خوف الفتنة من المخالفين، فتلك محنة في الدين بما وجب على كل عالم من التبيين).

وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن في تصنيفه المسمى (كشف الغطاء عن حقائق التوحيد)"[٢].

إذن، فليس البقاعي ببدع في هذا الأمر من التأليف لبيان كفر هذه الطائفة الضالة، فقد سبقه عدد من العلماء بذلك، كما سبقه جم غفير منهم بتكفيرهم والطعن فيهم في مواضع أخرى من فتاو ومؤلفات غير متخصصة في الموضوع.

وهذه قائمة بأسماء العلماء وأقوالهم الدالة على المقصود، لخصت جلها من كتابه" تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي"[٣]:

١- أبو عمرو بن الصلاح (٦٤٣) حكاه عنه الشمس العيزري في "الفتاوى المنتشرة" ولم يحك له نصاً في ذلك.

٢- الشيخ عز الدين ابن عبد السلام (سلطان العلماء) (٦٦٠) : ذكر البقاعي بأنه ورد عنه من طرق مختلفة قوله فيه :" هو شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجاً"[٤].

٣- الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني[5] (٦٨٦) : ذكر عنه البقاعي أنه تابع عز الدين بن عبد السلام في الإنكار وحذر الناس من تصديقه، وبين في مصنفاته فساد قاعدته وضلال طريقة في كتاب سماه :(الارتباط)" [١].

---

(1) - في التنبيه :" امتيح " والمثبت استحسنه المحقق وعينه السياق والسباق.

(2) - تنبيه الغبي ١٣٧ - ١٣٨.

(3) - انظر ص ١٣٧ وما بعدها.

(4) – ذكره شيخ الإسلام بسنده عنه ، انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٢٤٤) ، وانظر تاريخ الإسلام (٣٨٠/٤٦) .

(5) - محمد بن أحمد بن علي المصري، محدث صوفي فقيه لغوي، ولد سنة ٦١٥ ، له مصنفات في الحديث والتصوف والفقه. انظر النجوم الزاهرة..... المعجم ٨٦/٣ (ط الجديدة).

٤- الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم الجعبري (٦٨٧): نقل البقاعي عن الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام أن الجعبري ذكر ابن عربي فقال :" كان يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجاً"[٢].

وأنه قال لما اجتمع مع ابن عربي :" رأيت شيخا نجساً، يكذّب بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله"[٣].

٥- ابن دقيق العيد (٧٠٢) : لم يحك عنه في ذلك نصاً، إلا ما ذكر من أنه سأل شيخه العز بن عبد السلام عن ابن عربي فأخبره بما تقدم ذكره .

٦- الشيخ إبراهيم الرقي[٤] (٧٠٣) : حكى عنه البقاعي أنه حذر من ابن عربي وحط عليه .

٧- عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي (٧١١) "القدوة العارف عماد الدين قال عنه البقاعي "وقال : إنه علق في ذم هذه الطائفة ثلاثـة كـراريس: البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد ، الثاني : لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد ، الثالث : أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص . كل ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة" ، وحكى عنه كلاماً جيداً في تلخـيص مذهب الاتحادية، وقد تقدم.

٨- شمس الدين محمد بن يوسف الجزري (٧١١) : نقل البقاعي قوله عن ابن عربي :" وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر، وقوله : إن الحق المـ ه

---

(1) - انظر: مجموع الفتاوى ٢٤٣/٢.

(2) - تاريخ الإسلام (٢٧٩/٤٧) .

3 - ذكرها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بإسناده كما في مجموع الفتـاوى ٢/ ٢٤٠ ، ٢٤٦، مع حكايات أخرى في ذم ابن عربي عن الجعبري وغيره .

(4) - إبراهيم بن أحمد محمد الحنبلي، عارف بالتفسير والحديث والفقه والأصلين، ولد سنة ٦٤٧، وتوفي - رحمه الله - سنة ٧٠٣، له عدد من كتب في الزهد والتفسير. انظر ذيل طبقـات الحنابلـة لابن رجب ٣٤٩/٢، الدرر الكامنة ١٤/١-١٥.

هو الخلق المشبه كلام باطل متناقض، وهو كفر، وقوله في قوم هود : وحصلوا في عين القرب افتراء على الله تعالى، ورد لقوله فيهم، وقوله : وصيرورة جهنم في حقهم نعيماً كذب وتكذيب للشرائع. وأما من يصدقه فيما قال، فحكمه كحكمه في التضليل والتكفير إن كان عالماً، وإن كان ممن لا علم له؛ فإن كان قال ذلك جهلاً عرف بحقيقة ذلك، ويجب تعليمه وردعه عنه مهما أمكن".

٩- أبو علي السكوني (٧١٧) : نقل عنه البقاعي أنه قال :" وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائي في فصوصه وفتوحاته المكية، وغيرهما. وليحترز أيضاً من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله، مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد؛ لأنه باطل بالبراهين القطعية - ثم قال : وكل كلام وإطلاق يوهم الباطل فهو باطل بالإجماع، فأحرى وأولى بطلانه إذا كان صريحاً في الباطل، فإن قالوا: لم نقصد بكلامنا ورموزنا وإشاراتنا الاتحاد ولا الحلول، قصدنا أمرا آخر يفهم عنا، قلنا لهم: الله أعلم بما في الضمائر وما يخفى في السرائر، وإنما اعترضنا نحن أيضاً الألفاظ والإطلاقات التي تظهر منها الإشارات إلى الإلحاد ،والحلول ،والاتحاد" انتهى[١].

١٠- نور الدين البكري (٧٢٤) : نقل له البقاعي فتوى طويلة عن كتب أهل الاتحاد ؛ ومنها كتب ابن عربي ، جاء فيها :" وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ، ويكون المراد ا ظاهرها فصاحبها ألعن وأقبح من أن يتأول له ذلك ، بل هو كاذب فاجر كافر في القول والاعتقاد ظاهراً وباطناً، وإن كان صاحبها لم يرد ظاهرها فهو كافر بقوله، إلا أن يكون جاهلاً بالأحكام جهلاً تاماً عاماً، ولا يعذر في جهله لمعصيته بعدم مراجعة العلماء والتصانيف على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض في أمر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ومتبعيهم رضي الله عنهم؛ أعني معرفة الأدب في التعبيرات..."[٢].

---

(1)- تنبيه الغبي ص ١٢٦-١٢٧ .

(2) – وانظر : صواب الجواب ق ٢٣ /٢.

١١- الإمام ابن تيمية (٧٢٨) : حكى عنه البقاعي أنه نقل قول الشيخ عز الدين ابن عبد السلام السابق :" هو شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العـالم، ولا يحرم فرجاً" . وقال (أي ابن تيمية) بعده " فكفره الفقيه أبو محمد بـذلك، ولم يكن بعد ظهر قوله :" إن العالم هو الله، والعالم صورة الله وهوية الله"[١] .

وورد عن ابن تيمية رحمه الله أنه قال بعد حكاية بعض عقائد هذه الفرقة :" وكل واحد من هذه المقالات من أعظم الكفر"[٢].

١٢- علاء الدين القونوي (٧٢٩) : نقل البقاعي مارواه عنه الذهبي فقال " قال الذهبي: حدثني ابن كثير أنه حضر مع المزي عند القونوي، فجرى ذكـر الفصوص، فقال القونوي :" لا ريب أن الكلام الذي فيه : كفر وضلال". فقال بعض أصحابه :" أفلا يتأوله مولانا"؟ فقال :" إنما يتأول كلام المعصوم" [٣]"[٤].

١٣- العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالسي الشافعي (٧٢٩) : تقدمت كلمته، والشاهد منها قوله رحمه الله :" من صدق هذه المقالة الباطلة أو رضيها، كان كافراً بالله تعالى، يراق دمه"[٥].

١٤- البدر بن جماعة (٧٣٣) : نقل عنه البقاعي قوله :" وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن في المنام فيما يخالف أو يضاد قواعد الإسلام، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنته وتلاعبه برأيه وفتنته، وأما إنكاره (يعني ابن عربي) ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد فهو كافر به عند علماء التوحيد، وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قول لغو باطل مردود"[٦].

---

1 - انظر الفتاوى ١٣١/٢ .

2 - الفتاوى ٢٣٢/٢ ، الصفدية ٢٢٤/٢ .

(3) - انظر ذيل تاريخ الإسلام للذهبي ٣٣٣ .

(4) - الجواب الهاد ٧٥/ ب .

(5) – تنبيه الغبي ١٦١ ، وانظر: ص ٢٨٢ من جهود البقاعي في محاربة الاتحادية .

6 - تنبيه الغبي ١٥٣ .

١٥- الشيخ عبد اللطيف السعودي (٧٣٦) صنف كتاباً في ذلك، وذكر فيه جملة من العلماء الذين أفتوا بكفر ابن عربي، وهو الذي استفتى ابن تيمية في ذلك في الجواب الطويل الذي اقتبس منه البقاعي كثيراً في رسائله(١).

١٦- الزين الكتناني (٧٣٨) :قال عنه البقاعي : "ومن جوابه وقولـه في قوم هود كفر؛ لأن الله تعالى أخبر في القرآن العظيم عن عاد أ م كفروا بر م، والكفار ليسوا على صراط مستقيم، فالقول بأ م كانوا عليه(٢) مكذب لصريح القرآن، ويأثم من سمعه ولم ينكره، إذا كان مكلفاً، وإن رضي به كفر"٣.

١٧- شرف الدين الزواوي (٧٤٢) : حكى عنه البقاعي أنه قال :" وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان والكفر والبهتان، فهو كله تلبيس وضلال، وتحريف وتبديل، فمن صدق بذلك أو اعتقد صحته كان كافراً ملحداً صاداً عن سبيل الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ملحـداً في آيـات الله، مبدلا لكلماته، فإن أظهر ذلك، وناظر عليه كان كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وإن أخفى ذلك وأسره، كان زنديقاً ... "٤.

١٨- الشيخ إبراهيم السفاقسي (٧٤٣) : حيث حكى عنه بأنـه نظـم قصيدة طويلة يتحرق فيها ويندب أهل الإسلام لهؤلاء الضلال، قال فيها:

فشيخهم الطائي في ذالك قدوة ... يرى كل شيء في الوجود هو الحقا
وكم من غوي كابن سبعين مثله ... وكلهم بالكفر قد طوقوا طوقا٥

---

(1) - انظر التنبيه ١٣٨، ١٦٢.

(2) - كما قال هو، انظر تنبيه الغبي ٨٤.

3 - تنبيه الغبي ١٥٦ .

4 - تنبيه الغبي ١٥٨ .

5 - تنبيه الغبي ١٧٦- ١٧٧ .

١٩- العلامة أبو حيان الأندلسي (٧٤٥) : تقدمت كلمته، والشاهد منها ههنا قوله بعد سرد طويل لأسمائهم :" فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث"[1].

٢٠- شمس الدين الذهبي (٧٤٨) : حيث نقل عنه البقاعي كلامه عن ابن عربي في تاريخ الإسلام ، ومن ذلك قوله :" ...كلام ابن عربي الذي هو محض الكفر والزندقة"[2] .

٢١- العضد الإيجي (٧٥٦) : حيث قال البقاعي بأن علاء الدين البخاري قال بأنه صح عن الإيجي لما سئل عن كتاب الفتوحات لابن عربي أنه قال :" أفتطمعون من مغربي يابس المزاج بحر مكة؟ ويأكل الحشيش شيئاً غير ذلك؟"[3].

المبحث الثاني

بدعة:"ليس في الإمكان أبدع مما كان"

أولا- أصل هذه المقولة:

أشار البقاعي في معرض رده على هذه المقالة إلى أن أصلها من كلام الفلاسفة، قال في مقدمة تهديم الأركان: " أرد فيه كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة، بهذه العبارة التي عنوا بها أن الله سبحانه، وجلت ذاته، وتعالت

---

(1) - راجع ص ٢٨٢ من هذه الرسالة .

2 - تنبيه الغبي ١٧٨ ، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧٩/٤٧ .

3 تنبيه الغبي ١٨٢ .

أسماؤه، وتقدست نعوته وصفاته، لا يمكن أن يوجد شيئاً أبدع من هذا الـذي كان من هذا الكون الذي نشاهد " [١].

وقال أيضاً:" لأن ذلك على زعمهم من قبيل المحال فلا تتعلق به القدرة ... وهذا يشبه أن يكون قول من يقول أن الإله يفعل بالذات لا بالاختيار، وهـو قول باطل، يبدو عليه قدم العالم بالزمان، أو أنه قول من يقـول بقـدم العـالم بالذات، حتى لا يكون شئ سوى هذا الوجود المشهود ، وإنما هو على زعمـه أرحام تدفع وأرض تبلع ، وهو قول أهل الطبيعة كفرعون وابن عـربي وابـن الفارض وأنظارهم، وهو أبطل من الأول ،أو قول من يقول بأنه تعالى يجب عليه رعاية الأصلح، وقد تضافر أهل السنة على رده "[٢].

ثم أشار البقاعي إلى ما يعتقد أنه سبب رواج هذه المقالة فقـال : " وأكـد غرورهم بهذه المقالة أن أحد القائلين بها : الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رأس الشافعية في زمانه ، وأودعها بعض كتبه وهو الإمام الذي لا مطعن في دينه ولا علمه، ولم يقصد بها إن صحت عنه إلا خيراً، غير أنه ليس بالمعصوم، وهـي زلة منه[٣] "[٤].

ثم قال: " وقد رد عليه صناديد العلماء رحمهم الله تعالى في أشياء كثيرة من أحاديث موضوعة، لا تحل روايتها إلا مقرونة بالبيان، أثبتها في كتبه محتجاً بها ، ومن أقوال مرذولة لا يليق بتلميذ من تلامذته "[٥].

---

(1)- تهديم الأركان ق ٢/١ .

(2) المصدر السابق ق ٢/١ .

(3)- قال في تهديم الاركان ق١/١١،بعد أن نقل ردودا من العلماء على بعضهم:"ثم إذا اتقن هـذا وتحرر ، علم أنه لا يلزم منه رد إنسان على غيره بغضه له ولا غضه منه،وعلـم أن علمـي في ردي هذه الكلمة من كلام حجة الإسلام على تقدير صحتها عنه،وهو والله عندي تقدير بعيد جدا".

(4) - المصدر السابق ق ١/٢ .

(5)- تهديم الأركان ق ٢/٢ .

وقال في معرض الرد على هذه البدعة:"ولا يثبت كون الشئ محالا بمجـرد الدعوى،بل نقول إنه ممكن فهو مقدور عليه وادخاره لايلزم منه بخل ولا عجـز كما أنه لايلزم ذلك من خلق شخص من أشخاص الآدميين على غاية البشاعة في صورته ومعناه خلقا وخلقا،مع علمنا بالقدرة على جعله من أكمل الخلق حـتى يكون على صورة من هو أكمل منه سواء بسواء لاشبهة بذلك....ولو شاء الله لجمعهم على الهدى،ولو شاء لأعطى كل نفس هداها،ولو شاء لحفظ الأرض من الفساد بعد إصلاحها"(١).

ثانيا- الكتب التي صنفها البقاعي في الرد على هذه البدعة:

صنف البقاعي –رحمه الله- عددا من الكتب في رد هذه المقولة وهي التالي:

١- تهديم الأركان على من قال ليس في الإمكان أبدع مما كان.

٢- دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان.

٣- المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي.

٤- إطباق الأغلال في أعناق الضلال.

٥- القول الفارق بين الصادق والمنافق.

قال البقاعي - متكلماً عن هذه البدعة - : "كما بينت ذلك في كتابي" تهديم الأركان على من قال ليس في الإمكان أبدع مما كان" وكتابي"دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان" وكتابي"إطباق الإغلال في أعناق الضلاّل"(٢).

٦- نظم الدرر: فقد تكلم البقاعي عن هذه البدعة وردها في تفـسيره في مواضع كثيرة ،

---

(1)- تهديم الأركان ق1/5.

(2)- نظم الدرر١٧٧،/٢٠ والكتاب الأخير لم يذكر الذين ترجموا للبقاعي في أي شـئ موضـوعه فيما وقفت عليه ، فاتضح من الكلام السابق أن موضوعه في الرد على هذه البدعة.

فعند تفسير قوله تعالى : (خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير)[١]، قال :" فجعلها أحسن صور الحيوانات كلها، كما هو مشاهد في الدنيا ، وكذا في الآخرة ، خلافاً لأهل التناسخ .. ثم قال :"فخلق الإنسان في أحسن تقويم، لا ينفي أن يكون للنوع الذي جعل أحسن أفراد أنواع لما فوقه من الجنس ، لا غاية لأحسنية بعضها بالنسبة إلى بعض، يشاهد ما وجد من أفراد نوعه من الذوات ، فقدرة الله لا تتناهى ،فإياك أن تصغي لما وقع في كتب الغزالي: إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان [٢] ، وإن كان قد علم أنه اعترض عليه في ذلك ، وأجاب عنه في الكتاب الذي أجاب فيه عن أشياء اعترض عليه فيها[٣] ، فإنه لا عبرة بذلك الجواب أيضاً ، فإن ذلك يصل إلى أنه سبحانه وتعالى لا يقدر على أن يخلق أحسن من هذا العالم ، وهذا لا يقوله أحد " [٤].

---

(1) - التغابن:٣ .

(2)- قال الغزالي في الإحياء : " وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض ، لا جور فيه ، وحق صرف لا ظلم فيه ، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي ، وكما ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي ، وليس في الإمكان أصلا أحسن منه ، ولا أتم ، ولا أكمل ، ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود ، وظلما يناقض العدل ، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الإلهية " إحياء علوم الدين ٢٥٨/٤ . وجاء في كتاب " حاشية العطار على جمع الجوامع " ٤٥٨/٢ " وقال الفلاسفة الإرادة هي العلم بالنظام الأكمل ويسمونه العناية الأزلية ، قال ابن سينا : العناية هي إحاطة علم الأول تعالى بالكل وبما يجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن النظام. ا ه . ومن ههنا شنع طائفة من العلماء على الغزالي في قوله ليس في الإمكان أبدع مما كان بأنه ميل لكلام الفلاسفة وانتصر له آخرون فقيل مدسوس عليه " حاشية العطار على جمع الجوامع، تأليف: حسن العطار، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى.

(3)- يريد كتاب الغزالي : الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المشكلة في الإحياء . انظر : تاريخ البصروي (٨٨) تأليف : علي بن يوسف البصروي ، تحقيق : أكرم حسن العلبي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٨ ، الطبعة الأولى .

(4)- نظم الدرر ٧/٨ .

وقال أيضا عن هذه المقولة : " وقد بينت ذلك في تصنيف مفـرد لهـذه الكلمة سميته (ـديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان) وأوضـحته غاية الإيضاح والبيان، وجرت فيه فتن تصم الأذان، ونصر الله الحـق بموافقـة الأعيان، وقهر أهل الطغيان، ثم أردفته بكتاب (دلالـة البرهـان علـى أن في الإمكان أبدع مما كان) ثم شفيت الأسقام ودمغت الأخصام وخسأت الأوهـام (بالقول الفارق بين الصادق والمنافق) ، وهو نحو ورقتين في غاية الإبـداع في قطع الـ اع "[1].

المبحث الثالث

جهوده في الرد على المعتزلة

لقد انتشر القول بنفي القدر على أيدي المعتزلة، وكان لهم علماء يؤلفون ويناظرون في عقيد م .

---

(1) - نظم الدرر ١٤١/٢٢ .

وقد سموا القدرية، مع أ م ينفون عن أنفسهم هذا المسمى ويطلقونه على الجبرية[1]، ولكن هذا اللقب إلتصق م لحديث النبي صلى الله عليه وسلم :" القدرية مجوس هذه الأمة"[2] .

قال الخطابي:" إنما جعلناهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب الـوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية .

وكذلك القدرية، يضيفون الخير إلى الله عز وجل، والشر إلى غيره، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته"[3].

وقال البقاعي في تفسيره للمجوسية هذه :" وأما وجه وقوع الـوسية ونظيرها في هذه الأمة، فإطباق الناس على رؤية الأفعال من أنفسهم خيرها وشرها وإسنادهم أفعال الله إلى خلقه" .

ثم قال:" وهذه هي مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب وجعلوا له معه تعالى قدرة وقوة ومشيئة واختياراً وتدبيراً، ولم يعلموا أن التقدير منع التدبير وأنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، قال صلى الله عليه وسلم: (القدرية مجوس هذه الأمة)"[4] .

والبقاعي رد على المعتزلة على طريقته في نفي القدرة المؤثرة، وهذا ليس بصحيح وإنما كانوا مجوساً كما قدمنا عن الخطابي أ م يقولون أن العبد خالق لأفعاله .

---

(1)- القضاء والقدر ١٨١.

(2)- أخرجه أبو داود كتاب السنة،باب في القدر ٤٦٩١ عن ابن عمر، وحسنه الألبـاني لكثـرة طرقه، مشكاة المصابيح ٣٨/١.

(3)- معالم السنن للخطابي طبع مع سنن أبي داود ٦٦/٥ ، إعداد وتعليق: عزت عبيد الـدعاس ، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ.

(4)- نظم الدرر ٥٣٠/٨.

الإنسان يموت بأجله:

ومن الأشياء التي انحرف ا المعتزلة عن منهج أهل السنة، قولهم أن القاتل يقطع أجل المقتول، فلو لم يقتله لعاش إلى أجله .

وقد رد البقاعي هذا الكلام الباطل فقال :" وأما قول الزمخشري: (أي مستوفي أجلك، ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم، ليكون كناية تلويحية عن العصمة من القتل لأ ا ملزومة لتأخيره إلى الأجل المكتوب، والتأخير ملزوم للموت حتف أنفه)[١]، فلا ينبغي الاغترار به ،لأنه مبني على مذهب الاعتزال ، من أن القاتل قطع أجل المقتول المكتوب"[٢] .

وقال أيضاً :" فجعل الكلام الذي هو الكناية الإيمائية- التي ليس في العبارة ا بين السلامة والموت حتف الأنف غير واسطة واحدة، وهي العصمة من القتل كناية تلويحية[٣]، لإثباته واسطتين بين السلامة والموت حتف الأنف، وذلك بناءً منه على مذهبهم الفاسد في أن للمقتول أجلين، وأن القاتل قطع الأجل المكتوب"[٤].

رده عليهم بتقريره لمشيئة الله تعالى لأفعال العباد :

---

(1)- الكشاف للزمخشري ١٩٢/١.

(2)- نظم الدرر ٤٢٠/٤.

(3)- تنقسم الكناية عند علماء البلاغة إلى أقسام منها: التعـريض والتلـويح والرمـز والإيمـاء والإشارة، وقد أشار المصنف إلى قسمين من هذه الأقسام وهما: الكناية الإيمائية والكناية التلويحيـة، فأما الايمائية: فهي الكناية التي تقل فيها الوسائط أو تنعدم بين اللازم والملزوم بـلا خفـاء، وأمـا التلويحية: فهي الكناية التي تكثر فيها الوسائط بين اللازم والملزوم، كما في كثرة الرماد المستعملة في المضياف، فإن بينهما وسائط وهي كثرة الإحراق وكثرة الطبائخ وكثرة الأضياف. انظـر: مفتـاح العلوم للسكاكي ص ٦٣٧.

(4)- الأقوال القويمة ٥٢٢/٢.

قال البقاعي - رحمه الله – مثبتا صفة المشيئة لله تعالى خلافا للمعتزلة الذين ينفو ا عنه - عز وجل – وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :(وما تشاؤونَ إلا أن يشاء الله رب الْعالِمين). قال:" أي الملك الأعلى الذي لا حكم لأحد سـواه على مشيئتكم، وإن لم يشأها لم تقدروا على مشيئة، فادعوه مخلصين له الـدين، يشأ لكم ما يرضيه، فيوفقكم إليه .

وعن وهب بن منبه أنه قال: الكتب التي أنزلها الله على الأنبيـاء علـيهم الصلاة والسلام بضع وتسعون كتاباً، قرأت بضعاً وثمانين كتاباً فوجدت فيهـا: من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر[1] انتهى.

ومن تأمل هذه الأية أدنى تأمل علم أن كلام المعتزلة بعدها في القدر دليـل على أن الإنسان إذا كان له هوى لا يرده شيء أصلاً، (ومن يضلِل اللّه فَما لَه مِن هادٍ)[2]"[3].

وقال أيضاً :" ولما أثبت لهم المشيئة التي هي مناط التكليف، وهي الكسب وكان ربما ظن ظان، أو ادعى مدع في خلق الأفعال، كما قال أهل الاعتـزال، قال نافياً عنهم الاستقلال، (وما تشاوؤن) أي في وقت من الأوقات، مشيئة من المشيئات، لهذا وغيره، على سبيل الاختراع والاستقلال (إلا أن يشاء الله) .

وقد صح ذا ما قال الأشعرية وسائر أهل السنة من أن للعبد مشيئة تسمى كسباً، لا تؤثر إلا بمشيئة الله تعالى وتحريكها لقدرة العبد، وانتفى مذهب القدرية الذين يقولون: إنا نحن نخلق أفعالنا، ومذهب الجبريـة القـائلين: لافعـل لنـا أصلاً"(٤) .

---

(1)- رواه عن الـثعلبي في تفـسيره بـسنده (١٤٤/١٠)وذكـره اللالكـائي بنحـوه بـرقم ١٢٥٨(٦٨٣/٤).

(2)- الرعد:٣٣.

(3)- نظم الدرر ٢٩٦/٢١.

(4)- نظم الدرر ١٦١/٢١.

والبقاعي هنا أصاب في إبطال قول المعتزلة القـائلين بالاختيـار المطلـق، والجبرية الذين ينفون فعل العبد، لكنه أخطأ في قوله بنظرية الكسب الأشـعرية التي تحدثت عنها سابقاً[1] .

رده عليهم في قولهم بأن العبد يخلق أفعاله :

حيث قال:" وأما وجه وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الأمة، فإطباق الناس على رؤية الأفعال من أنفسهم خيرها وشرها، وإسنادهم أفعال الله إلى خلقـه، حيث استحكمت عقائدهم على أن فلاناً فاعل خير، وفلاناً فاعل شر، وفلانـاً يعطي، وفلاناً يمنع، وفلاناً خير مني، وفلاناً أعطاني، حتى ملؤوا الدواوين مـن الأشعار والخطب والرسائل أمداحاً لخلق الله على ما لم يفعلوا، وذماً لهم على ما لم يمنعوا، يحمدون الخلق على رزق الله، ويذمونهم على مالم يؤته الله، ويلحـدون في أسمائه، حتى يكتب بعضهم لبعض، سيدي وسندي عبدك ومملوكك، ويبطلون بذلك أخوة الإيمان، ويدعون لأنفسهم أفعال الله، فيقولون فعلنا وصنعنا وأحسنا وعاقبنا، وهذه هي المجوسية الصرف، والقدرية المحضة، التي لا يصح دين الإسلام معها، لأن المسلم من أسلم الخلق والأمر لربه"[2].

والبقاعي هنا يخلط بين أمرين، فعل الله وفعل العبد، فالعبد له فعل قائم به، وينسب إليه، ولكنه مخلوق لله، والله له فعل قائم به ينسب إليه، ولا ينسب إلى العبد منه شيء .

ولكن البقاعي ينسب أفعال العباد إلى الله وليس لهم منها شيء إلا الكسب، قال :" فعلم من هذا، أن الله تعالى هو الفاعل وحـده لجميـع الأفعـال مـن الطاعات، والمعاصي، والعادات، والعبادات، لأنه خالق الكل، ومدحوا لفعل الله بهم، لأنهم الفاعلون في الظاهر ،وإنما وضع فعل الله - وهو لا يمـدحون عليـه

---

(1)- انظر الرد على البقاعي والأشاعرة في قولهم بنظرية الكسب صفحة (٣٦٨) .

(2)- النكت ق ٢/٧٥.

موضع فعلهم الذي يمدحون عليه - للحث على الشكر والانسلاخ من العجب"[١] .

وهذه المقالة منه، هي عين مقالة الجبرية، فكيف يقال أن الله عز وجل هو الفاعل لجميع الأفعال من الطاعات والمعاصي، فهل هو فاعل الخمر والزنا والربا، وقد يقول قائل أن مقصوده بالفعل هو الخلق، قلنا هذا بعيد لأنه علل الفعل بقوله "لأنه خالق الكل" فعلل الفعل بالخلق، فلأنه خالق لأفعال العباد فهو فاعلها، وهذا باطل لغة وعقلاً وشرعاً، فإن هناك فرقاً بين الخلق والفعل، ومن هنا نتج عن هذه العقيدة الباطلة قول فاسد وهو نظرية الكسب.

تقريره لإرادة الله الكونية لأفعال العباد :

أكد - رحمه الله - الإرادة الكونية راداً على المعتزلة النافين لها بقوله :" أي وهو الذي لا راد لما يريده، ولا فاعل لما يرده، فهذه أشد الآيات على المعتزلة"[٢]، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :(أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[٣] .

رده عليهم وعلى الخوارج بتقريره لخروج الموحدين العصاة من أصحاب الكبائر من النار وأنهم لا يخلدون فيها :

(1)- نظم الدرر ٣٦٨/١٨.

(2)- المصدر السابق ١٤٠/٦.

(3)- المائدة:٤١.

حيث قال عند قوله تعالى:(إن اللّه لا يغفِر أن يشرك ِبِهِ ويغفِر ما دونَ ذَلِك ِلمن يشاء)[١] : " الأمر الكبير العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة أو كبيرة سواء تاب فاعلها أو لا"[٢]، وقال أيضاً :(وما ِللظاِلمِين ِمن أنصارٍ)[٣]، وهذا على التهديد على الكفر فلا يصح أن يكون على مطلق المعصية، ولو كانت كبيرة، فبطل قول المعتزلة"[٤].

وقد أورد بعضهم إشكالاً على خلود الكفار في نار جهنم ،وذلك في قوله تعالى :"(فَأما الذِين شقُواْ فَفِي النارِ لَهم ِفيها زفِير وشهيق *خاِلدِين ِفيها ما دامتِ السماوات والأرض ِإلا ما شاء ربك ِإن ربك فَعالٌ لما يريد)[٥] ، قال البقاعي - في حل هذا الإشكال - : " وقد جرى الناس في هذا الاستثناء على ظاهره ، ثم أطالوا الاختلاف في تعيين المدة المستثناة ،والذي ظهر لي ، والله أعلم ، أنه لما تكرر الجزم بالخلود في الدارين ، وأن الشرك لا يغفر ، والإيمان موجب للجنة، فكان ربما ظن أنه لا يمكن غير ذلك كما ظنه المعتزلة، لا سيما إذا تؤمل القطع في مثل قوله تعالى:(ويغفِر ما دونَ ذَلِك ِلمن يشاء)[٦] ، جاء هذا الاستثناء معلماً أن الأمر فيه إلى الله تعالى كغيره من الأمور له أن يفعل في كلها ما يشاء، وإن جزم القول فيه لكنه لا يقع غير ما أخبر به " [٧].

---

(1)- النساء:٤٧.

(2)- نظم الدرر ٢٩٧/٥.

(3)- آل عمران:١٩٢ .

(4)- نظم الدرر ٢٤٩/٦.

(5) - هود:١٠٦-١٠٧.

(6) - النساء:١١٦.

(7) - نظم الدرر٣٨٢/٩.

وقال أيضاً :" فإن السموات والأرض، وإن كان قد ثبت فناؤهما، لكن من شأن العرب أن تجعل مثل هذا الكناية عن الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى:(إلا ما شاء ربك)[١] ، إن جعلت (ما) موصولة فيكون المعنى إلا الذين شاءهم ربك فإنهم ليس لهم الخلود وهم العصاة ، أما في الجنة فإن خلودهم منقطع الأول ، وأما في النار فلأنهم يخرجون منها ، فخلودهم منقطع الآخر ، وإن جعلت (ما) نكرة موصوفة بمعنى الزمن والمعنى خالدين فيها إلا زمناً شاءه ربك ، فإن الاستثناء يكون وارداً على مجموع السكان ، أي خالدين فيها كلهم جميع الأزمان إلا زمناً شاءه ربك فلا يخلدون فيها كلهم ، بل يكون بعض أهل الجنة في النار ، وأما الطبقة العليا التي هي دار عذاب العصاة من المؤمنين فإنها تفنى "[٢] .

وهذا الذي رجحه البقاعي – رحمه الله - هو الذي رجحه البغوي في تفسيره عندما قال : " اختلفوا في هذين الاستثنائين ،فقال بعضهم : الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس ، وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة "[٣].

وقال ابن كثير في تفسيره : " وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوالٍ كثيرة ، منها أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حيث يشفعون في أصحاب الكبائر"[4].

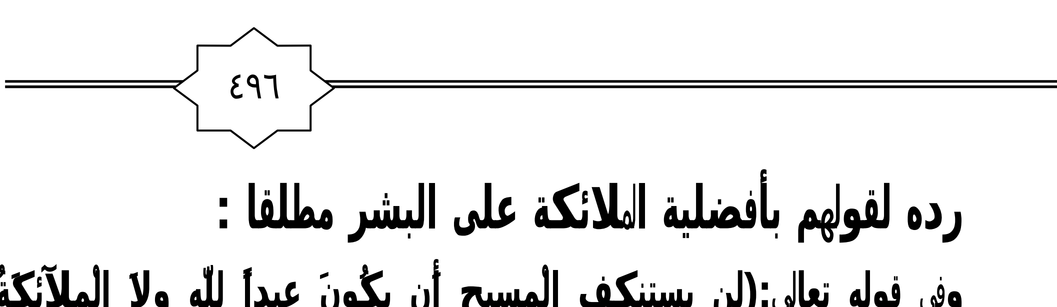
---

(1) - هود:١٠٧.

(2) - النكت ق١٠٢/٢

(3) - تفسير البغوي ٢٠٠/٤ ، تحقيق عثمان ضميرية ، دار طيبة ، الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

(4) - تفسير ابن كثير ٣٥١/٤.



رده لقولهم بأفضلية الملائكة على البشر مطلقا :

وفي قوله تعالى:(لن يستنكِف الْمسِيح أن يكُونَ عبداً للّهِ ولاَ الْملآئِكَةُ الْمقَربونَ)[١] قال:" (والمقربون) أي الذين هم في حضرة القدس، فهم أجدر بعلم المغيبات وإظهار الكرامات، وجبرائيل الذي هو أحدهم كان سبباً في حياة عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد ادعى بعض الناس فيهم الإلهية أيضاً، و بهذا طاح استدلال المعتزلة بهذه الآية على أفضلية المَلَك على البشر، بأن العادة في مثل هذا السياق الترقي من الأدنى إلى الأعلى بعد تسليم مدعاهم، لكن في الخلق لا في المخلوق"[٢].

(1)- النساء:١٧٢.

(2)- نظم الدرر ٥٢٤/٥.

المبحث الرابع

جهوده في الرد على الجبرية

الجبرية قسمان:

١- جبرية خالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً، وإنما هو كالريشة في مهب الريح، أو ورق الشجر تحركها الرياح، وهؤلاء هم الجهمية.

٢- وجبرية متوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وهم الأشاعرة[١] .

والبقاعي - رحمه الله - إنما رد على الجبرية الخالصة الجهمية، قال رحمه الله:" الجبرية: قال في الصحاح[٢]: والجبر خلاف القدر، قال أبو عبيد: هو كلام مولد، والجبرية بالتحريك خلاف القدرية، قال في القاموس[٣] والتسكين لحن أو هو الصواب، والتحريك للازدواج"[٤]، وقال في الرد على الجبرية:" أن الجبرية سووا بين إسناد قام وإسناد طال إلى العبد[٥]، وقالوا: كما أن طال يسند إليه حقيقة، وليس له فعل في الطول، كذلك يسند إليه مثل قام ولا قيام منه، فأجاب أهل السنة بالفرق بين ما يستدعي سابقة قصد واختيار، فلا يسند إليه حقيقة إلا مع القصد والاختيار، وبين مالا يتأثر فيه ذلك فيسند حقيقة من غير شرط"[٦].

---

(1)- انظر: القضاء والقدر للمحمود ، ص ٢٠١.

(2)- الصحاح للجوهري مادة جبر ٦٠٨/٢.

(3)- القاموس ٤٣٦/١.

(4)- النكت ق ٦٥/٢.

(5)- والقيام من العبد يتعلق بإرادته واختياره،بخلاف الطول فإنه بغير إرادته، والجبرية سووا بينهما

(6)- النكت ق ٦٦/١.

وقال أيضاً:" وقد بطل بالأمر بالاستعاذة قول الجبرية: إنا كالآلة لا فعل لنا أصلاً، وإنما نحن كالحجر لا يتحرك إلا بمحرك، لأنه لو كان هو المحرك لنا بغير اختيار لم يكن للأمر فائدة، وقول القدرية: إنا نخلق أفعالنا، وقول الفلاسفة: إنه إذا وجد السبب والمسبب حصل التأثير من غير احتياج إلى ربط إلهي، كالنار والحطب، لأنه لو كان ذلك لكانت هذه الأفعال المسببات إذا وجدت من فاعليها الذين هم الأسباب، أو الأفعال التي هي الأسباب، والمسببات التي هي الأبدان المراد تأثيرها أثرت ولم تنفع الاستعاذة والشاهد خلافه، وثبت قول الأشاعرة أهل السنة والجماعة أنه إذا وجد السبب والمسبب توقف وجود الأثر على إيجاد الله تعالى فإن أنفذَ السبب وجِد الأثر وإن لم ينفذه لم يوجد"[١].

الفصل الثالث

جهوده في الرد على البدع العملية

---

(١)- نظم الدرر ٢٢/٤١٤-٤١٥.

لقد كان للبقاعي - رحمه الله - الموقف القوي ضد البدع ، التي انتشرت في عصره ؛ موقف العالم الصابر المحتسب ، الذي يقوم بواجب التبليغ والبيان ، وإن عاداه الناس والجهال وآذوه .

وقد ألف الكتب الكثيرة في بيان هذه البدع ومخالفتها للكتاب والسنة فمن تلك البدع :

١ - موقفه من الذكر والقراءة جماعة:

والمقصود به: أن تجتمع الجماعة على الذكر أو القراءة مترسلين بصوت واحد، لا مجرد الاجتماع على ذلك مع استقلال كل بنفسه أو نحو ذلك[١].

ولذا لما رأى البقاعي هذه البدعة في وطنه بلاد الشام بعد عودته من مصر، لم يجد ما يعذره عن إنكاره. قال رحمه الله :" وبعد: فإني لما رجعت من مصر - بعد طول الغيبة - إلى دمشق، راجياً حسن الأوبة بقلة المناكر، وكثرة الناصر على الظالم الجائر، والجاهل الحائر، وجدتها قد تغير أهلها، وتبدلت صورها وشكلها، فلا الخيام الخيام، ولا الأنام الأنام، دخل والله فيهم الدخيل، وكثر القال والقيل بكثير من الأباطيل، وانتشر الشر بغير دليل، فوجدت في جامعها الأعظم قوماً يتحلقون ويهللون بصوت واحد من بعد صلاة الجمعة إلى العصر، ذكراً يخرجونه عن وجهه إلى حيز المعصية، بالأصوات المزعجة، والزعقات المرجفة المدمجة، والقيام المصاحب للوثب الفاحش، والدق بالأرجل على هيئة مهولة، وكيفية منكرة جداً غير مقبولة، بحيث يزعج دكهم ووثبهم ودقهم - وهو في الجامع من شرقيه - من بطرفه الآخر من غربيه، فلا يدعون مصلياً يعرف كيف يصلي، ولا ذاكراً يعي ما يذكر، ولا مدرساً يفهم ما يدرس، ولا تالياً يحفظ ما يتلو"[٢].

---

(1) - انظر: إنارة الفكر ص٤٨.

(2) - إنارة الفكر ص٥٠.

وقال في وصفهم : " فإن أكثرهم أصحاب اللباس الذي يراد به الشهرة بالصلاح بين الناس، الذي ورد عليه الوعيد، والزجر والتهديد، وهم المتهمون باتباع ابن الفارض وابن العربي، الكافرين بالكتاب والنبي، اللذين لا يجهل ذلك منهما إلا غبي"[١].

ومن أجل هؤلاء ألف كتابه "إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر"، ليرد الأمر إلى نصابه، ويحق الحق ويبطل الباطل بقلمه[٢].

وقد استدل على بدعية هذه الهيئة وكل ذكر جماعي بعدة نصوص يمكن تقسيمها إلى النوعين التاليين:

النوع الأول : عدم الدليل على هذه الهيئة لا من كتاب ولا من سنة ولا من أثر، بل ثبت ما يدل على كراهة السلف لها.

النوع الثاني : من أدلة بدعية القراءة والذكر الجماعيين، هو ما يترتب على الذكر الجماعي من مفاسد؛ فإن الإسلام مبني على جلب المصالح ودرء المفاسد.

ومن هذه المفاسد:

أ - فوات الأجر الجزيل المترتب على إخفاء العمل.

ب - تشويشه على المصلين إن كان في المسجد - وهو الغالب على هذا النوع - وهذا ورد فيه نهي صريح عنه عليه الصلاة والسلام.

قال البقاعي:" فإن كان - أي الاجتماع بالقراءة جهراً بصوت واحد - في مسجد ؛ فهو موضع النهي ؛ لحديث : (لا يجهر بعضكم على بعض)[٣]، ولأن

---

(1) - المصدر السابق ص٥٢.

(2) - المصدر السابق ص٥٢.

(3)- أخرجه النسائي ، كتاب فضائل القرآن ، رقم ٨٠٩١ (٣٢/٥) ، وأحمد رقم ١٩٠٤٤ (٣٤٤/٤) كلاهما عن البياضي ، وذكره في مجمع الزوائد وقال : " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح " ، وللحديث شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٣٦/٢) رقم ٤٩٢٨ ، والطبراني في المعجم الكبير رقم١٣٥٧٢ ،وله شواهد أخرى ، والحديث صححه الألباني في الصحيحة رقم١٦٠٣.

المسجد إنما بني للصلاة، وقراءة القرآن تبع للصلاة، ما لم تضر التلاوة بالصلاة التي بنيت المساجد لها، فإذا أضرت بها منعت. وقل أن يخلو مسجد من الصلاة، وإن خلت فهي معرضة للصلاة، فإذا دخل الداخل فهو مأمور بتحيته إن لم يدخل لفريضة، وإن دخل لفريضة فمن باب أولى، فعلى كلا الأمرين فالداخل إلى المسجد يجد التشويش برفع الصوت بالذكر في المسجد لأجل صلاته، فيمنع كل ما يشوش على المصلي"[1].

والإجماع قائم على المنع من رفع الصوت في المسجد عند وجود أي مصل فيه يتشوش بذلك[2].

ج - مفاسد أخرى لازمة للذكر الجهري من مخالفة الأفضل وسرعة الإعياء وقرب دخول الرياء في العمل.

٢- بدعة رفع الصوت بالقراءة في المصحف عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة :

فإنه "إذا قرأ القارئ إذ ذاك قطع عليهم ما هم فيه، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة في المسجد بقوله : (لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن) وهذا نص في عين المسألة، ولا التفات إلى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره، فإن شوش على واحد منهم منع من ذلك؛ لوجود الضرر، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر ولا ضرار)[3].

وقال : (من ضار ضار الله به، ومن شاق شق الله عليه)[4].

---

(1) - إنارة الفكر ص٥٦.

(2) - انظر: المصدر السابق ص٥٦.

(3)- أخرجه أحمد١/٣١٣ رقم٢٨٦٧،ومالك في الموطأ٢/٧٤٥،وصححه الألباني لكثرة طرقه وشواهده في السلسة الصحيحة رقم٢٥٠.

(4)- أخرجه أخرجه أبو داود كتاب الاقضية،باب:أبواب من القضاء رقم ٣٦٣٥،والترمذي في كتاب البر والصلة،باب حق الجوار رقم١٩٤٠،عن أبي صرمة رضي الله عنه،وحسنه الألباني في

وقال : (ملعون من ضار مؤمنا) [1] رواهما الترمذي"[2].

٣- بدعة دخول المسجد مع رفع الصوت بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم :

قال البقاعي - رحمه الله - "يـ ه المسجد عن تلك الزعقات فيه، ولو فعل ذلك في السوق أو في الطرقات، لكان جائزاً أو مندوباً إليه بحسب الحال، وأما في المسجد فيمنع لما فيه من التشويش على من تقدم ذكره ممن في المسجد والله الموفق"[3].

٤- السؤال في المسجد :

لأنه يشوش على من يتعبد فيه، ولأن المسجد لم يبن لذلك، بل ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :" من سأل في المسجد فاحرموه[4]"[5].

٥- بيان البقاعي لحكم الرقص والتصفيق:

الرقص هو مجرد حركات على استقامة واعوجاج بترتيب خاص[1]. وهو كالغناء قد يراد به اللهو واللعب ونحوه، وقد يراد به التعبد.

صحيح الجامع رقم٦٣٧٢.

(1)- أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة،باب حق الجوار رقم١٩٤١،والطبراني في الأوسط١٢٤/٩ رقم٩٣١٢، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه،وقال الترمذي:هذا حديث غريب،وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم ٥٢٧٥.

(2)- إنارة الفكر ص 55 ، قلت:وهذه البدعة أحدثت في زمن الحجاج،فقد نقل ابن رجب في جامع العلوم والحكم٣٠٢/٢ :" وقال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: لم تكن القراءة في المسجد من أمر الناس القديم، وأول من أحدث ذلك في المسجد الحجاج بن يوسف، قال مالك: وأنا أكره ذلك الذي يقرأ في المسجد في المصحف".

(3) - إنارة الفكر ص٥٧.

(4)- قال الألباني:لا أصل له.السلسلة الضعيفة رقم١٤٥٧.

(5)- إنارة الفكر ص٥٨.

قال البقاعي - رحمه الله -:" وقد نص القرآن على تحريم الرقص، فقال: (ولاَ تمشِ فِي الأَرضِ مرحا إِنك لَن تخرِق الأَرض ولَن تبلُغَ الْجِبالَ طُولاً)[2] "[3].

ونقل عن القرطبي قوله في تفسير نفس الآية :" استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه"[4]. ووجه الدلالة من الآية أن الرقص ضرب من المشي يصحبه التكبر والخيلاء، وهو المنهي عنه في الآية[5].

وقال أيضا في إنكار هذه البدعة:"مما يجب أن يعلم أن هؤلاء لم يذمهم الله لأنه أعلى الذم ، بل ذمهم لكونهم اتخذوا العبادة لعباً، لينبه بذلك على ذم من أشبههم في ذلك ،فعمد إلى ما هو مباح في أصله فاتخذوه ديناً، فكيف إذا كان مكروهاً ،أم كيف إذا كان حراماً، فقبح الله قوماً ادعوا أنهم أعرضوا عن الدنيا ثم اتخذوا الطبول والغنى والتصدية شعارهم، ثم ضربوا به حتى فعلوه في المساجد، وزادوا على فعل الجاهلية الرقص الذي ابتدعه قوم السامري لما عبدوا العجل ، فأخذوا أنواعاً من أفعال أنواع من الكفرة وجعلوها عادتهم وشعارهم وديانتهم ، فلقد انتهكوا حرمات الشريعة، وبدلوها، واستهانوا بها، واسترذلوها "[6].

٦- بدعة الغناء والسماع :

---

(1) - المصدر السابق ٢٠٧.

(2) - الإسراء : ٣٧.

(3) - إنارة الفكر ص٢٠٨.

(4) - المصدر السابق ص ٢١٠.

(5) - انظر تفسير القرطبي لهذه الآية ٢٦٣/١٠.

(6) - نظم الدرر ٢٧٥/٨ .

وقد ألف فيها كتاباً عنوانه:" بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع" وكذلك أنكره في كتابه"إنارة الفكر"،وذكر كلام ابن الحاج والطرطوشي في ذم ذلك [١].

٧- بدعة قراءة الفاتحة عقب الصلوات المفروضة:

وقد بين صورة هذه المسألة، وسبب إنكارها ، قال رحمه الله :" إن أهل دمشق وغالب أعمالها صاروا إذا فرغوا من الذكر عقب الصلاة، ومسحوا عند ختم الدعاء وجوههم بأيديهم، فتحوا أيديهم وقرأوا الفاتحة، فأهدوها لمن أرادوا، وأطبقوا على ذلك، بحيث إنهم لو أخل بها أحد من إمام أو غيره ظهرت عليهم اللائمة له"[٢].

ويرى الإمام البقاعي أن قراءة الفاتحة عقب الصلوات المفروضة والجنازة على الصورة التي حكاها عن أهل دمشق، حيث صيروها عادة لازمة، وسنة ثابتة، ووظيفة معممة على الناس، يرى أن هذه القراءة - مع هذه القيود - بدعة ضلالة وحرام.

قال رحمه الله بعد ذكر بعض الصورة المذكورة هنا :" هذه المجموع هو الذي قلت إنه حرام، لأنهم صيروه كالواجب بل أعز، لأنا قل أن رأيناهم لاموا من أخل بواجب، ولو أن أحدهم ذهب من المسجد قبل أن يصلي السنة، أو بعد الأذان قبل أن يصلي الفرض ما لاموه"[٣].

---

(١)- انظر : إنارة الفكر ص ٦٣ .

(2) - إنارة الفكر ص ٢٠٠.

(3)- إنارة الفكر ص٢٠٣.

٨- صلاة الرغائب:

وهي صلاة تصلى بين العشائين ليلة أول جمعة من شهر رجـب، وصـفتها طويلة وردت في حديث موضوع [١].

وقد أطال البقاعي النفس في تقرير بدعيتها وإنكار مشروعيتها، وبين أنها لم تنقل نقلا صحيحا عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، بل ولا عن أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، والحديث الوارد فيهـا ضـعيف ساقط الإسناد عند أهل الحديث، ثم منهم من يقول إنه موضوع[٢].

وذكر بأنه قد اعترف المدافع عن هذه البدعة بأنها إنما أحدثت بعـد المائـة الرابعة، يعني في القرن الخامس "وشيء هو كذلك فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"[٣].

وقد نقل البقاعي الكلام في بدعية هذه الصلاة عن كثير من العلمـاء [٤]، وكذلك في كتابه" هديم الأركان" ، نقل كلاماً للإمـام النـووي في المجـموع

---

(1) - وقد جاء في وصفها في ذلك الحديث الموضوع : "... يصلي بين العشاء والعتمة ١٢ ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وإنا أنزلناه في ليلة القـدر ٣ مرات، وقل هو الله أحد ١٢ مرة. فإذا فرغ من صلاته صلى على النبي صلى الله عليه وسـلم ٧٠ مرة؛ يقول :" اللهم صلى على محمد النبي الأمي وعلى آله"، ثم يسجد ويقول في سجوده ٧٠ مـرة :" سبوح قدوس رب الملائكة والروح"، ثم يرفع رأسه، ويقول ٧٠ مرة :" رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم"، ثم يسجد سجدة أخرى، ويقول فيها مثل ما قـال في الأولى، ثم يسأل حاجته في سجوده، فإنها تقضى". انظر الإحياء ١/ ٢٠٣، وفي المغني للعراقي بحاشية الإحياء، قال رحمه الله: هو حديث موضوع!.

(2) - انظر:إنارة الفكر ص٨١ .

(3)- المصدر السابق ص٨٢ .

(4) - المصدر السابق ص ٨١ .

والفتاوى في ذم صلاة الرغائب[1]، ونقل كلام العز بن عبد السلام في رده على ابن الصلاح في هذه المسألة[2].

٩- التثويب في غير أذان الفجر:

والمقصود به هنا: كل إعلام بالصلاة زيادة على الأذان المعتاد في سائر الصوات. و ذا يدخل أذان الفجر في مسمى التثويب[3].

ويطلق كذلك على كل زيادة على الأذان المشروع، بعده أو قبله. وقد ذكرت أنواعا عدة لذلك ، فبعضهم يثوب بقوله :" الصلاة "! وبعضهم بقوله :" قد قامت الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح". والبعض الآخر يفعل بقوله :" أصبح ولله الحمد"، وغير ذلك مما يحكيه العلماء بالبدع[4].

وأورد البقاعي هذا الفعل حاكما عليه بالبدعية في سياق بيان تأثير التخصيص بغير إذن الشارع على حكم الفعل، فيخرجه من السنية إلى البدعية؛ فإن التثويب قيد سنيته بصلاة الفجر، وهو قول: الصلاة خير من النوم، فلما عدي إلى غيرها انحط إلى الكراهة والتسمية بالضلالة[5].

١٠ - زيادة :" حي على خير العمل":

---

(1) - ـديم الأركان ق ١/٦ .

(2) - المصدر السابق ق٢/٧ .

(3) - أفاد البقاعي الحكمة في تخصيص الفجر بالتثويب، قال رحمه الله :" ولما كان المدعو قد يكون نائماً، وكان النوم قد يكون خيراً؛ إما بأن يكون القصد به راحة البدن للتقوي على الطاعة، أو يكون للتخلي عن المعصية، وكان أكثر ما يكون ذلك في آخر الليل، كان التثويب خاصا بأذان الصبح". الإيذان بأسرار التشهد والأذان ٥٧- ٥٨.

(4) - انظر: البدع والنهي عنها ص٨٥ - ٨٦، الحوادث والبدع ١٤٩، والاعتصام ٢٥٦/١، ٥٣/٢، ٦٩ - ٧٠.

(5) - انظر :السيف المسنون ق ١/٢٠.

عقد البقاعي مقارنة بين لفظة :" حي على خير العمل" وبين اللفظ المستقر في الشرع :" حي على الفلاح"، فقال :" ولا شك أنه أحسن مما ورد في بعض الآثار الموقوفة في الموطأ رواية محمد بن الحسن وجامع عبد الرزاق على ابن عمر - وصرح الحفاظ بأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم - من قوله : (حي على خير العمل) ؛ لأنه مع كونه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد صار شعاراً للرافضة، ولا يشمل جميع الأعمال الصالحة، فكان الوارد في الصحيح أبلغ.."[1].

١١- بدعة زيادة كلمة"يا دائم المعروف" بعد أذان صلاة الفجر:

ألف البقاعي كتاباً في الرد على ذلك عنوانه" القول المعروف في الرد على منكري المعروف" أو" القول المألوف في الرد على منكر المعروف" .

قال - رحمه الله - في سبب تأليف هذا الكتاب " فإن بعض أتباع الشياطين قد أحدثوا في القاهرة عقب أذان الصبح الذي مع الفجر : يا دائم المعروف وأخذوا ذلك من مكة المشرفة، لأن السخفاء تقول ذلك على البناء الذي على زمزم بعد الأذان وأول ما ابتدع فيها ؛ قام بعض أهل الخير في إبطاله ، فعارضه من الفقهاء من زل عن الصراط الأقوم... فزاد هؤلاء الذين بالقاهرة أن جعلوه على موضع الأذان من المؤذن نفسه ، فعمت بذلك البلوى في سنة (٨٧١هـ) فتألمت من ذلك وأبطلته من كل مؤذن ... فأجبت ذاكراً مستندي في ذلك إعلاماً بالحق لمن أراد ، وخروجاً من عهدته بين يدي الله "[2].

١٢- بدعة المصافحة عقب الصلوات :

قال عنها :" فإن قالوا: هي كالمصافحة بعد الصبح والعصر، كانت سنة مرسلة في جميع أوقات الملاقاة، فقّيدت بهذين الوقتين، فصارت بدعة مباحة،

---

(1)- الإيذان ٥٦ - ٥٧.

(2)- الأقوال القويمة ١/ ٩٣ .

قلنا: المصافحة لم يحد فيها حد في صلاة من الصلوات، ليكون هناك تعدّ له ؛ كمسألتنا ؛ فخصت هاتان الصلاتان للقاء من الليل والمفارقة بالسكون في المنازل، ومع كونها سنة مجمعاً عليها ومرغباً فيها غاية الترغيب، حطّها القيد الذي سوغ تسميتها بدعة إلى الإباحة، فإن سويتموها بها انحطت أيضاً فيسقط الثواب عليها، وليست كالمصافحة في أنها ذات جهتين، فإن لم تسموها عبادة جئتم بما لا وفاق عليه، وإن قلتم عبادة، قلنا: لم يتبعها مقصودها ؛ فبطلت كما اقتضته القواعد، وإذا بطلت كان فعلها تعاطي عبادة على وجهٍ فاسد، وقد علمتم ما فيه" [1].

١٣- موقفه من الشرك ووسائله :

البدع هي وسائل للشرك، وقد قيل :" البدع بريد الشرك". ولذا فقد تطرق البقاعي ضمن جهوده في محاربة البدع إلى إنكار الشرك عن طريق إنكار بعض وسائله.

وقد ذكر من البدع التي تجر إلى الكفر والشرك:

أ - الاحتفاء بالآثار التي تسمى مقامات، مما يقال إنه رؤي بها نبي أو غيره، بتخليقها[2] أو نحو ذلك[3].

ب - المبالغة في تعظيم القبور والتمسح بها وتقبيلها والتبرك بذلك ونحوه ؛ فقد قال:" فترى من لا علم عنده يطوف بالموضع الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به، ويقبله، ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم، ويقصدون به التبرك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له

---

(1) - السيف المسنون ق ٢/١٣.

(2) - التخليق بمعنى التطييب بالخلوق، وهو نوع من أنواع الطيب، يتخذ من الزعفران وغيره. انظر اللسان مادة :" خلق " ٩١/١٠ .

(3) - انظر السيف المسنون ق ٤/ ٢.

صلى الله عليه وسلم، وما كان سبب عبادة الجاهلية الأصنام إلا من هذا الباب؛ ولأجل ذلك كره علماؤنا التمسح بجـدار الكعبـة أو بجـدران المـساجد أو بالمصحف، إلى غير ذلك مما يتبرك به، سدا لهذا الباب، ولمخالفة السنة؛ لأن صفة التعظيم موقوفة عليه صلى الله عليه وسلم، فكيف عظم نتبعه فيه"(١).

وأورد من أدلة هذا المنع قوله عليه الصلاة والسلام :" لعـن الله اليهـود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٢)؛ " فإذا كان هذا الذم العظيم فيمن اتخذ الموضع مسجداً، فكيف بالطواف عنده ؟!"(٣).

١٤- موقفه من بدع متعلقة بالجنائز:

وبدع الجنائز كثيرة جداً، وقد تحدث البقاعي عن بعضها لدخولها في أدلته في إنكار البدع. وبما أنه لم يقصدها قصداً أوليا، فربما اختصر الكلام عنها، وقـد يتوسع في بعضها لأهميتها أو نحو ذلك.

ومن هذه البدع التي أنكرها رحمه الله:

أ - القراءة بالألحان والتمطيط :

حكى عن النووي فتوى في ذلك، حيث سئل "عن هذه القراءة التي يقرؤها بعض الجهال على الجنائز بدمشق ؛ بالتمطيط الفـاحش ، والـتغني الزائـد ، وإدخال حروف زائدة، ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم، هل هو مذموم أم لا؟".

فأجاب : (هذا منكر ظاهر ومذموم فاحش، وهو حرام بإجماع العلماء، وقد نقل الإجماع فيه الماوردي وغير واحد، وعلى ولي الأمر - وفقه الله زجرهم عنه،

---

(1)- إنارة الفكر ص ٨٥ .

(2)- أخرجـه البخـاري كتـاب الجنـائز،بـاب مـا يكـره مـن اتخـاذ المـساجد علـى القبور٤٤٦/١رقم١٢٦٥،ومسلم كتاب المـساجد،بـاب النـهي عـن بنـاء المـساجد علـى القبور٣٧٦/١رقم٥٢٩، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(3) - إنارة الفكر ص ٥٤.

وتعزيرهم واستتابتهم، ويجب إنكاره على كل مكلف تمكن من إنكـاره...) [١] انتهى"[٢].

ب - بدعة المأتم وهو الاجتماع للتعزية :

عرف الإمام الشافعي المأتم - فيما نقله عنه البقاعي رحمهما الله - بقوله :" هي الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء"[٣]، يعني عند أهل الميت. وتشتمل هذه البدعة - عادة مع ذلك - على صنع أهل الميت الطعام للمجتمعين[٤].

وقد عد البقاعي هذا الأمر من البدع، فنقل في تكملة كلام الشافعي السالف أنه قال :" وأكره المأتم، وهي الجماعة...؛ فإن ذلك يجدد الحزن ويكلف المؤنة ، ونقل عن البغوي قوله :" ويكره الجلوس للتعزية؛ فإنه محدث، وكـل محدثـة بدعة". ثم ذكر بأن :" إصلاح أهل الميت طعاماً وجمعهم الناس عليه لم ينقل فيه شيء، وهو بدعة، غير مستحب... وكره الغزالي الأكل منه"[٥].

ج - بدعة اليوم الثالث للميت وجمع الناس فيه وعمل الطعام لهم:

قال البقاعي :" وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من فعل الثالث للميـت، وعملهم للأطعمة فيه، حتى صار عندهم كأنه أمر معمول به. ولم يقتصروا على ذلك حتى يقرأوا هناك القرآن على عوائدهم المعهودة منهم بالألحان والتطريب الخارج عن حد القراءة المشروعة، بسبب الزيادة والنقصان المتفق على تحريمها،

---

(1) – انظر :المدخل، تأليف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الـشهير بابن الحاج، دار النشر: دار الفكر - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

(2)- إنارة الفكر ص٩٧.

(3) - الأم للشافعي١/٤٦٧.

(4) – انظر : إنارة الفكر ص٥٧.

(5) - إنارة الفكر ص٥٧.

ويأتون مع ذلك بالفقراء[١] يذكرون ويحرفون الذكر عن موضعه، على الترتيب المعروف عندهم، وبعضهم يزيد على ذلك، فيأتي بالمؤذنين يكبرون كتكبير العيد، وقد صار هذا الحال في هذا الزمان أمراً معمولاً به، حتى لو تركه أحـد منـهم لكثر فيه القيل والقال فكيف لو أنكر ذلك"[٢].

وفي هذا النص ما يدل على بدعية هذا العمل؛ إذ بين فيه أنه عمل مبتـدع حادث، لم يجر عليه عمل، وهذا عين البدعة، وكل بدعة ضلالة!

د - بدعة الغسالين في قراء م أذكاراً وقراءات غير مأثورة:

قال - رحمه الله - :" ومنها ما أحدثه الغسال من القراءة والأذكار عند كل عضو، وذلك بدعة لم ترد عن السلف"[٣].

١٥- بدعة صيام شهر رجب كاملا :

أنكر رحمه الله بدعة صيام رجب كله. وذلك في معرض استدلالاته رحمه الله على مخالفيه بأحكام العلماء على عدة أفعال بالبدعية وفقاً للقواعد التي طبقهـا هو في مثل ذلك.

قال البقاعي - رحمه - :" وقال فقيه القيروان وعالم أهل زمانه بالفروع أبو محمد بن أبي زيد : وكره ابن عباس رضي الله عنهما صيام رجب كله، خيفة أن يرى الجاهل أنه مفترض"[٤].

١٦- بدعة لباس الصوفية للشهرة [٥] :

---

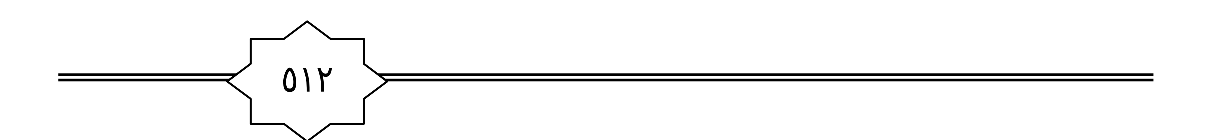
(1) - يعنى المتصوفة .

(2)- إنارة الفكر ص55.

(3) - السيف المسنون ق ٢/١٥.

(4) - إنارة الفكر ص ٨٦ . وروى عبد الرزاق في مصنفه رقم ٧٨٥٤ ، ٢٩٢/٤ ، عـن ابـن عباس أنه كان ينهى عن صيام رجب كله لأن لا يتخذ عيدا ، ورواه عنه الطبراني في الكبير بـرقم ١٠٦٨١ ٢٨٧/١٠ .

(5)- إنارة الفكر ص ٦٧ .



وغالب هذه البدع بل كلها مما يمارسه أهل التصوف الذين انحرفوا بـه إلى هوةٍ سحيقة بعيدة عن الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.فلذلك قال البقاعي - رحمه الله- فيهم :" فإن الشيطان يتلاعب بصوفية زماننا كتلاعـب الـصبيان بالكرة،وأكثرهم صدهم عن العلم مشقة الطلب ،فاستدرجهم الشيطان" [(١)].

ونقل عن بعضهم قائلاً:

ليس التصوف لبس ثوب ترقعه	ولا بكاؤك إن غنى المغنـونا
ولا صياح ولارقص ولا طـرب	ولا ارتعاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر	وتتبع الحق والقـرآن والدينـا
وأن ترى خاشعاً لله مكتئـباً	على ذنوبك طول الدهرمحزوناً[(٢)]

وبعد هذا العرض لجهود البقاعي في إنكار الكثير من البدع ، يتـضح لنـا مدى تعظيمه للسنة ، واتباعها لها ، ومحاربته لصنوف البدع ، وإن كان قد وقع هو في مخالفات عقدية ، وبدع صوفية فنسأل الله أن يعفو عنا وعنه ، ولعله إنما أوتي من سوء الفهم للنصوص ، وليس بسوء نية وقد قال – عفا الله عنه - : " وسوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة ، بل أصل كل خطـأ في الأصول والفروع ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد"[(٣)] .

---

(1)- المصدر السابق ص ٨٥ .

(2)- إنارة الفكر ص ٦٨ .

(3) سر الروح للبقاعي ص ٢٤٧ .

الخاتمـــــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده .. أمابعد

فقد أكرمني ربي بالانتهاء من هذا البحث ؛ الذي هو بعنوان " آراء الإمام البقـاعي الاعتقادية وجهوده في الرد على المخالفين " وقد خلصت فيه إلى النتائج التالية :

– أن الإمام البقاعي رحمه الله نشأ نشأة صالحة ، ووفقه الله لحفظ كتابـه وتجويـده ، وطلب العلم وتعليمه ، واستفاد من علماء عصره ، وفي مقدمتهم العلامة ابن حجـر – رحمه الله _ ، فالبقاعي من أبرز تلامذته .ثم قام رحمه الله بواجب التبليغ فأخذ العلم على يديه الكثير من التلاميذ .

– كان البقاعي موسوعيا ؛ فدرس وألف في شتى فنون العلم .

– كان مكثرا من التأليف ؛ حيث أحصيت له ثمانية وثمانين مؤلفـا ، منـها المطـول والمختصر ، ومنها المطبوع والمخطوط .

– كان البقاعي شديد العناية والاهتمام والتعظيم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

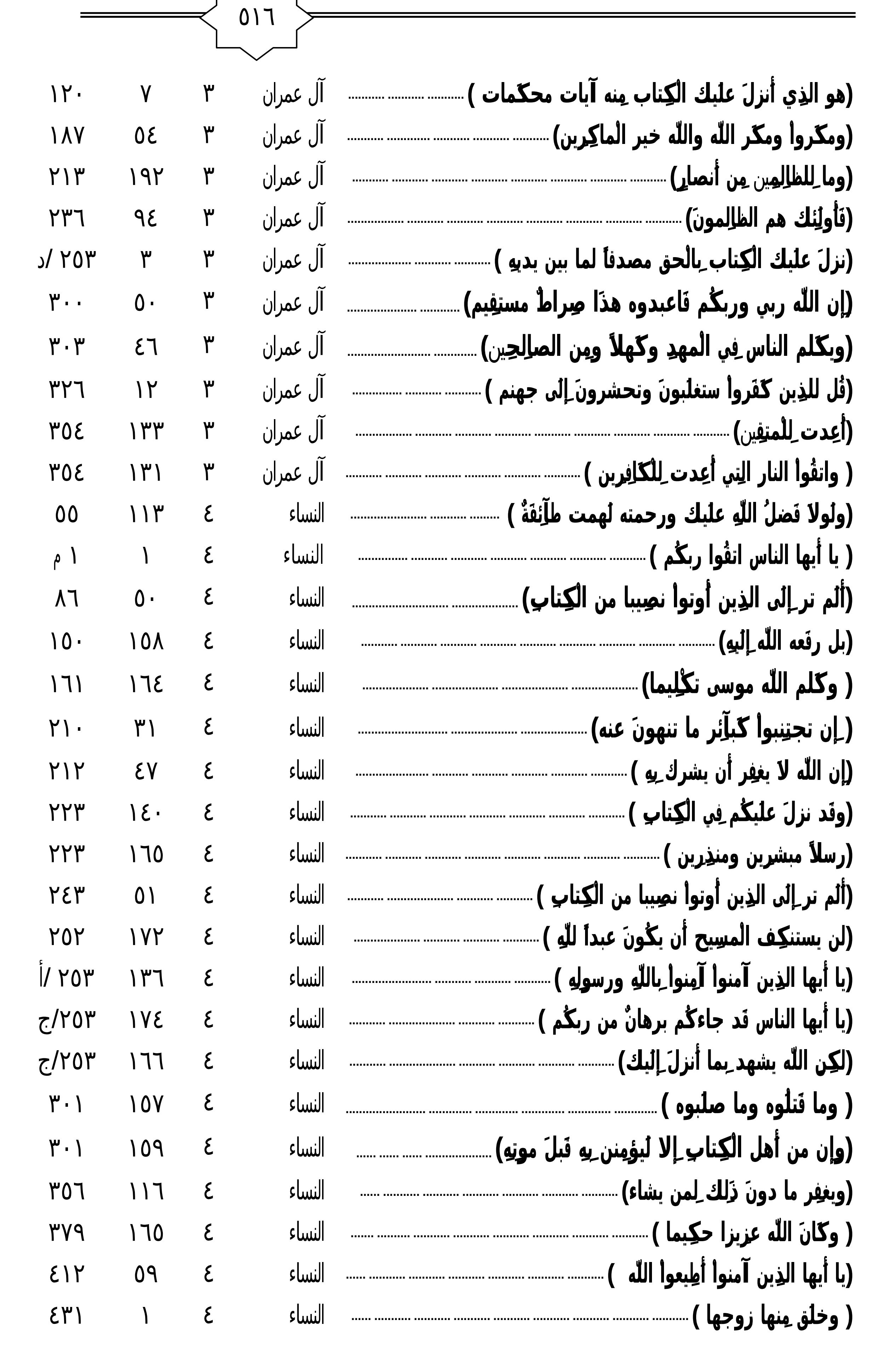
– ومع ذلك فقد خالف منهج أهل السنة والجماعة في بعض مسائل العقيدة ، حيـث وافق الأشاعرة في موقفه من صفات الله تعالى ، وتعريف الإيمان ، وبعض مسائل القدر وغيرها ، ووافق غلاة المتصوفة في ضلالهم بقولهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول مخلوق وأن الكون مخلوق من نوره .وماعدا ذلك من أركان الإيمان فكان موافقا لأهـل السنة والجماعة.

–كان للبقاعي صولات وجولات في إنكار المنكرات والبدع ، وخاصة بدعة الاتحـاد التي اشتهرت عن ابن عربي حيث ألف الكتب في الرد على هذه البدعة الكفرية ، وكفر ابن عربي ، ونقل أقوال العلماء في بيان ضلاله وكفره . كما رد البقاعي على مقولـة :

ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وألف كتبا في ذلك ، وتعرض لأجل ذلك للكثير مـن الأذى.وله ردود على المعتزلة والجبرية في ثنايا كتبه ، عفا الله عنا وعنه ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهـــــــارس

فهرس الآيــــــــات













(فَإِلَهُكُم إِلَه واحِد)	الحج	٢٢	٣٤	٤٣٣
(فَكَذبوهما فكَانوا مِن الْمهلكِين)	المؤمنون	٢٣	٤٨	٤٤٦
(ومِن ورائِهم برزخ إِلى يومِ يبعثُونَ)	المؤمنون	٢٣	١٠٠	٣٠٩
(فَمن ثَقُلت موازينه فَأولئِك هم الْمفْلِحونَ)	المؤمنون	٢٣	١٠٢	٣٤٨
(لِيكُونَ لِلْعالمِين نذِيرا)	الفرقان	٢٥	١	٢٧٧
(وجعلَ بينهما برزخا)	الفرقان	٢٥	٥٣	٣٠٩
(تاللهِ إِن كُنا لَفِي ضلَالٍ مبِينٍ)	الشعراء	٢٦	٩٧	٢٣٤
(نزلَ بِهِ الروح الْأَمِين)	الشعراء	٢٦	١٩٣	٢٤٦
(قُلِ الْحمد لِلهِ وسلَام على عِبادِهِ الَّذِين اصطَفَى)	النمل	٢٧	٥٩	٧٦
(جعلَ الْأَرض قَرارا)	النمل	٢٧	٦١	٧٧
(ومكَروا مكْرا ومكَرنا مكْرا وهم لَا يشعرونَ)	النمل	٢٧	٥٠	١٨٧
(كُل شيءٍ هالِك إِلَّا وجهه)	القصص	٢٨	٨٨	١٤٣
(يا موسى إِني أنا الله رب الْعالمِين)	القصص	٢٨	٣٠	١٦٨
(إِنك لَا تهدِي من أحببت)	القصص	٢٨	٥٦	٣٩١
(فَأَخذْناه وجنوده فَنبذْناهم فِي الْيم)	القصص	٢٨	٤٠	٤٤٦
(ولَئِن سأَلْتهم من خلَق السماواتِ والْأَرض وسخر الشمس والْقَمر)	العنكبوت	٢٩	٦١	٦٦
(فَإِذَا ركِبوا فِي الْفُلْكِ دعوا الله)	العنكبوت	٢٩	٦٥	٨٨
(أَحسِب الناس أن يتركُوا أن يقُولُوا آمنا وهم لَا يفْتنونَ)	العنكبوت	٢٩	٢	٤١٦
(فِطْرةَ اللهِ الَّتِي فَطَر الناس علَيها)	الروم	٣٠	٣٠	٦٥
(فَهذَا يوم الْبعثِ)	الروم	٣٠	٥٦	٣٢٢
(فَأَقِم وجهك لِلدين حنِيفًا)	الروم	٣٠	٣٠	٣٩٣
(أَسبغَ علَيكُم نِعمه ظَاهِرةً وباطِنةً)	لقمان	٣١	٢٠	٦٩
(يا بني لَا تشرِك بِاللهِ إِن الشرك لَظُلْم عظِيم)	لقمان	٣١	١٣٠	٨٧
(إِن الله عِنده عِلْم الساعةِ)	لقمان	٣١	٣٤	٣١٢
(إِن الله عِنده عِلْم الساعةِ وينزلُ الْغيثَ)	لقمان	٣١	٣٤	٣٦١
(ثُم استوى على الْعرش)	السجدة	٣٢	٤	١٧٧
(جزاء بِما كَانوا يعملُونَ)	السجدة	٣٢	١٧	٣٨٤
(يا أَيها الَّذِين آمنوا اتقُوا الله وقُولُوا قَولًا سدِيدا)	الأحزاب	٣٣	٧٠	١ م
(ولَيس علَيكُم جناح فِيما أَخطَأْتم بِهِ)	الأحزاب	٣٣	٥	٢٢٥
(ما كَانَ محمد أَبا أَحدٍ من رِجالِكُم)	الأحزاب	٣٣	٤٠	٢٧٤

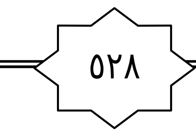






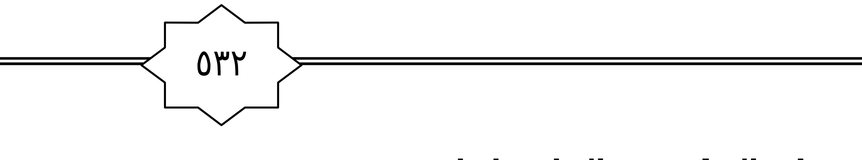


فهرس الأحـ ـ ـ ـ ـاديث

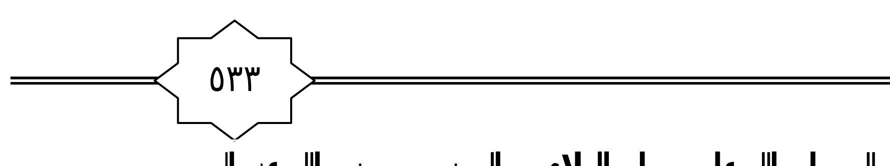








فهرس الآثـــــــــــــار



فهرس الأعــــــــلام

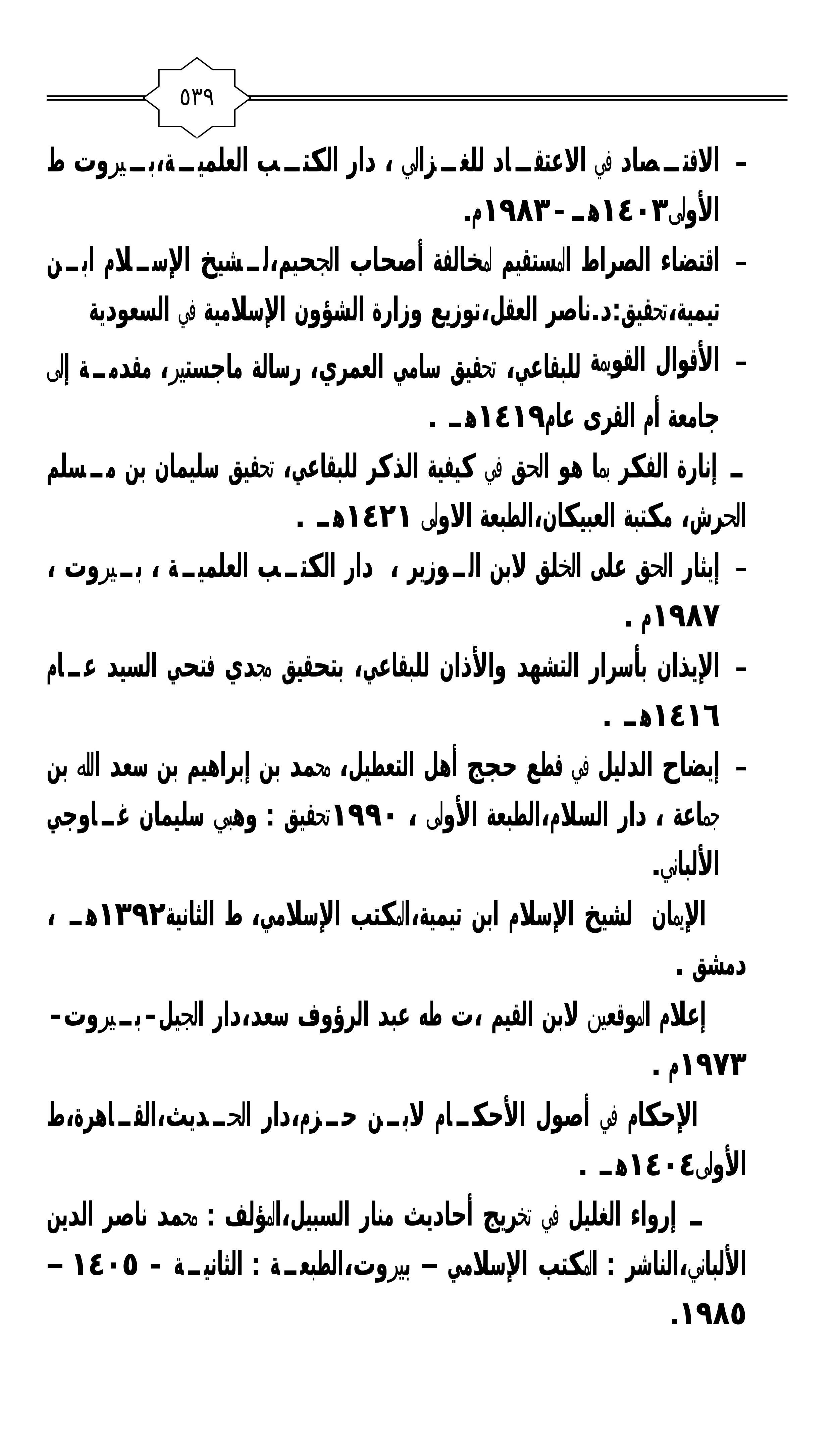


فهرس المصـــــــادر

- الإبانة عن أصول الديانة" للأشعري،ت د.فوقيـة حـسين محمـود ، دار الأنصار-القاهرة- ط الأولى١٣٩٧هـ.
- اتحاف السادة المتقين للزبيدي ، دارالفكر ، بيروت ، لبنان.
- الإتقان في علـوم القـرآن الكـريم ٦/٢ ،دار الحـديث- القـاهرة- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ،المؤلف : محمد بـن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعـة الأولى ١٤٠٤ – ١٩٨٤
- أحكام أهل الذمة ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : رمادى للنشر ، دار ابن حزم ، الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ – ١٩٩٧ ، تحقيق : يوسف أحمد البكري ، شاكر توفيق العاروري .
- الإحكام في أصول الأحكـام لابـن حـزم ،دار الحـديث،القـاهرة ، ط الأولى١٤٠٤هـ .
- إحياء علوم الدين ،المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ،الناشر : دار االمعرفة – بيروت .
- الإرادة والأمر لابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكـبرى ،دار البـاز ،مكـة المكرمة .
- الأربعين في أصول الدين للرازي،ط الأولى ، دائرة المعارف العثمانية الهنـد ،١٣٥٣هـ .
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة للجويني، تحقيق الدكتور محمد يوسف موسـى ، مطبعة دار السعادة بمصر ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

- الإرشاد إلى معرفة الأحكام ، مكتبة المعارف ، الرياض١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- أساس التقديس للرازي ،الناشر مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،ط١٣٥٤ه/١٩٣٥م
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر .
- الإشارات والتنبيهات لابن سينا ، تحقيق سليمان دينا، ط دار المعارف ، مصر.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ، حققه:أحمد أبو العينين ،دار الفضيلة،ط الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة . تأليف د.محمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار الصميعي، الطبقة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- أصول الدين للبغدادي ، ط الأولى١٣٤٦هـ/١٩٢٨م ، استانبول .
- أضواء البيان ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، طبع الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م .
- الاعتصام للشاطبي،تحقيق:سليم الهلالي،دار ابن عفان ،السعودية،١٤١٢هـ
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، المؤلف : هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم الناشر : دار طيبة - الرياض ، ١٤٠٢ ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان
- الأعلام للزركلي ،دار العلم للملايين ، بيروت لبنان-الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٥م.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت،الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥تحقيق : محمد حامد الفقي



- الاقتـصاد في الاعتقـاد للغـزالي ، دار الكتـب العلميـة،بـيروت ط الأولى١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،لـشيخ الإسـلام ابـن تيمية،تحقيق:د.ناصر العقل،توزيع وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية

- الأقوال القويمة للبقاعي، تحقيق سامي العمري، رسالة ماجستير، مقدمـة إلى جامعة أم القرى عام١٤١٩هـ .

ـ إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر للبقاعي، تحقيق سليمان بن مـسلم الحرش، مكتبة العبيكان،الطبعة الاولى ١٤٢١هـ .

- إيثار الحق على الخلق لابن الـوزير ، دار الكتـب العلميـة ، بـيروت ، ١٩٨٧م .

- الإيذان بأسرار التشهد والأذان للبقاعي، بتحقيق مجدي فتحي السيد عـام ١٤١٦هـ .

- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، دار السلام،الطبعة الأولى ، ١٩٩٠تحقيق : وهبي سليمان غـاوجي الألباني.

الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية،المكتب الإسلامي، ط الثانية١٣٩٢هـ ، دمشق .

إعلام الموقعين لابن القيم ،ت طه عبد الرؤوف سعد،دار الجيل-بـيروت- ١٩٧٣م .

الإحكام في أصول الأحكـام لابـن حـزم،دار الحـديث،القـاهرة،ط الأولى١٤٠٤هـ .

ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل،المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني،الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت،الطبعـة : الثانيـة - ١٤٠٥ – ١٩٨٥.



ـ الإصابة في تمييز الصحابة،لابن حجر تحقيق : علي محمد البجـاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

ـ أحكام الداهرين بالكبائر، ، للشيخ ذياب الغامدي، مكتبـة المـورد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ،

ـ الإتقـان في علـوم القـرآن الكـريم ،دار الحـديث- القـاهرة- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ،المكتبة التجاريـة،مـصطفى الباز،مكة المكرمة.

- بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية،تحقيق علي عمران ،دار عـالم الفوائـد،ط الأولى ١٤٢٥هـ .

- البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق أحمد بن ملحم، دار الكتب العلميـة – بيروت لبنان- ط الرابعة ١٤٠٨هـ .

ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تأليف : محمـد بـن علـي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ،

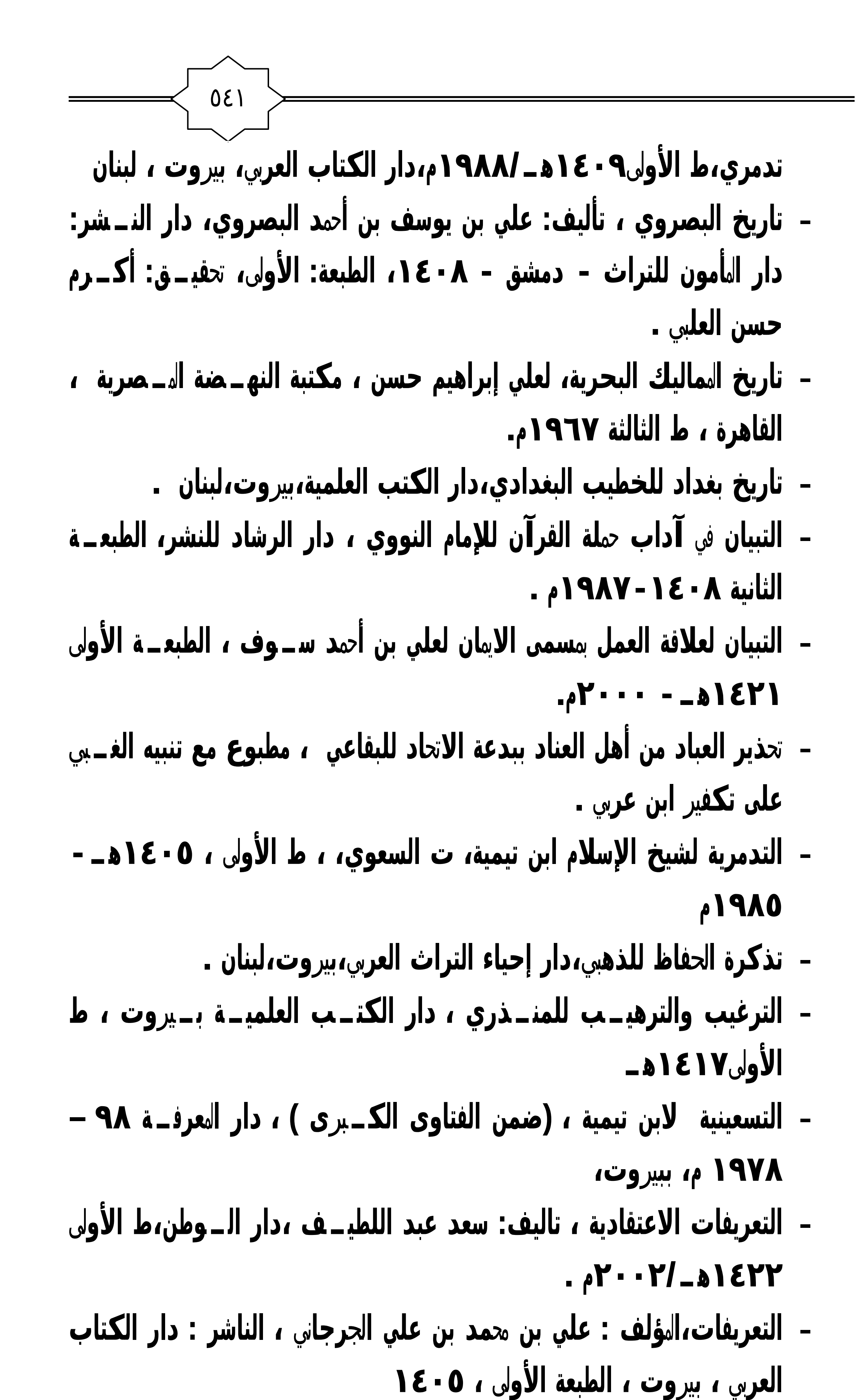
- البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي،ط الثانية ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م ، دار البصائر،دمشق .

- البقاعي وجهوده في التفسير، لمحمد بحيري ،رسالة دكتوراه مقدمـة لكليـة أصول الدين ، جامعة الأزهر١٣٩٤هـ .

- تاج العروس للزبيدي ، تحقيق عبد الكريم الغربـاوي – مطبعـة حكومـة الكويت ط١٤٠٣هـ.

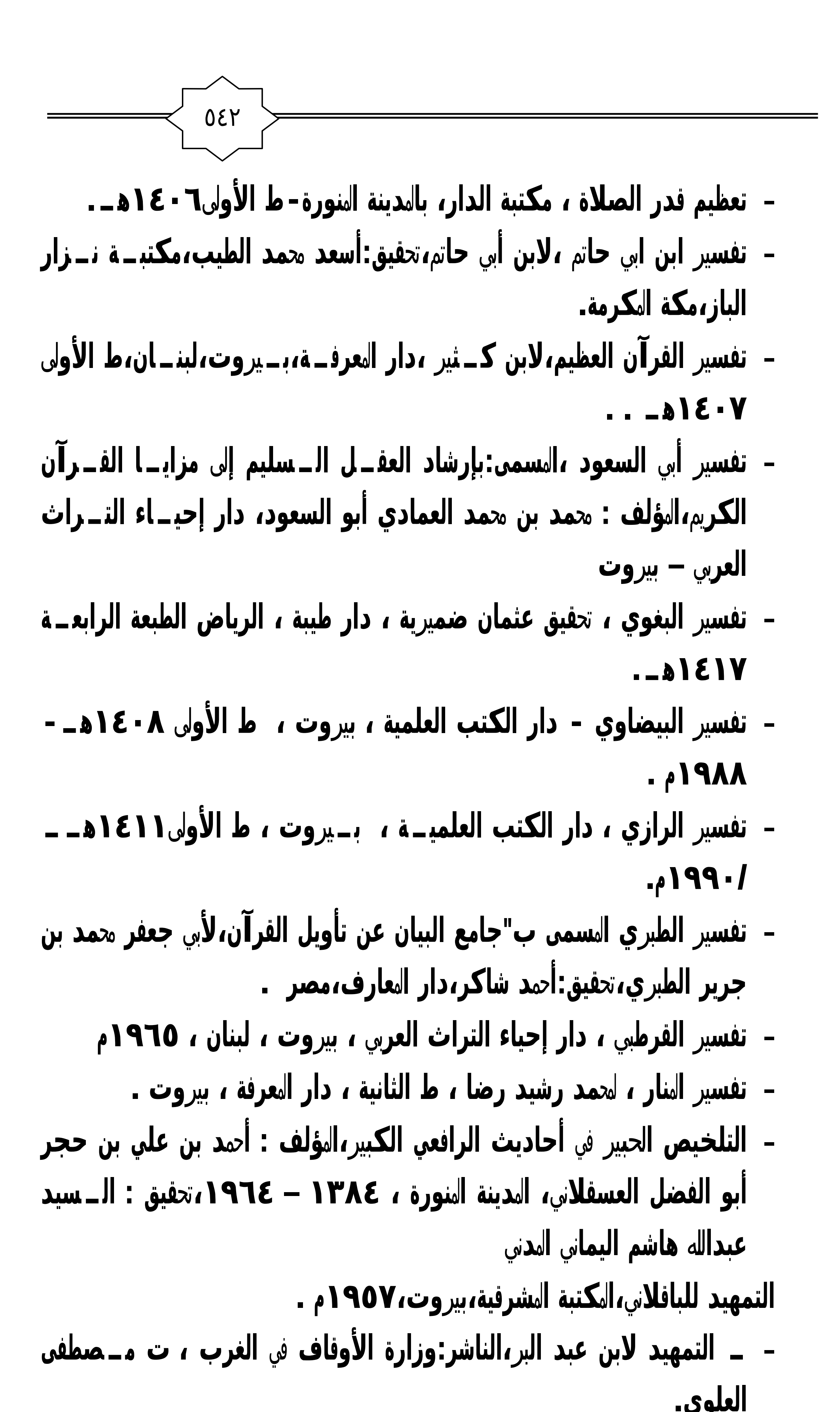
- تاريخ آداب اللغة العربية ،لجرجي زيدان ، تحقيـق شـوقي ضـيف- دار الهلال.

- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والإعلام للذهبي،تحقيق:د.عمر عبد السلام



تدمري،ط الأولى١٤٠٩هـ/١٩٨٨م،دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان

- تاريخ البصروي ، تأليف: علي بن يوسف بن أحمد البصروي، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: أكرم حسن العلبي .
- تاريخ المماليك البحرية، لعلي إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط الثالثة ١٩٦٧م.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان .
- التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ، دار الرشاد للنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٨-١٩٨٧م .
- التبيان لعلاقة العمل بمسمى الايمان لعلي بن أحمد سوف ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد للبقاعي ، مطبوع مع تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي .
- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت السعوي، ، ط الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- تذكرة الحفاظ للذهبي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان .
- الترغيب والترهيب للمنذري ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى١٤١٧هـ
- التسعينية لابن تيمية ، (ضمن الفتاوى الكبرى) ، دار المعرفة ٩٨ – ١٩٧٨ م، ببيروت،
- التعريفات الاعتقادية ، تاليف: سعد عبد اللطيف ،دار الوطن،ط الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .
- التعريفات،المؤلف : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥



- تعظيم قدر الصلاة ، مكتبة الدار، بالمدينة المنورة- ط الأولى١٤٠٦هـ.
- تفسير ابن ابي حاتم ،لابن أبي حاتم،تحقيق:أسعد محمد الطيب،مكتبة نزار الباز،مكة المكرمة.
- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير ،دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط الأولى ١٤٠٧هـ. .
- تفسير أبي السعود ،المسمى:بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،المؤلف : محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- تفسير البغوي ، تحقيق عثمان ضميرية ، دار طيبة ، الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.
- تفسير البيضاوي - دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- تفسير الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى١٤١١هـ ـ /١٩٩٠م.
- تفسير الطبري المسمى ب"جامع البيان عن تأويل القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري،تحقيق:أحمد شاكر،دار المعارف،مصر .
- تفسير القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م
- تفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا ، ط الثانية ، دار المعرفة ، بيروت .
- التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير،المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، المدينة المنورة ، ١٣٨٤ – ١٩٦٤،تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني

التمهيد للباقلاني،المكتبة المشرقية،بيروت،١٩٥٧م .

- ـ التمهيد لابن عبد البر،الناشر:وزارة الأوقاف في الغرب ، ت مصطفى العلوي.

- التنبيه والرد على أهل الأهواء،للملطي ، علق عليه محمد الكوثري ، مكتبة المثنى،بغداد١٣٨٨ .

ـ " تحديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان"،مخطوط نـسخة منــه في مكتبة الأسد بدمشق برقم ١٧٣٨١ في ٢٦ورقة.

- تهذيب اللغة للأزهري،تحقيق:عبد السلام هارون،المؤسسة المـصرية العامـة للتأليف والنشر،القاهرة١٣٨٤هـ .

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، زهير الشاويش،المكتب الإسلامي ، بيروت،الطبعـة الثالثة ، ١٤٠٦ .

التوقيف على مهمات التعاريف ،المؤلف : محمد عبد الـرؤوف المنـاوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بـيروت ، دمشق الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م .

ـ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ، شـرح أحمـد صـقر، ط الثالثـة ١٤٠١هـ .

ـ تقريب التهذيب،المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق : محمد عوامة ،الناشر : دار الرشيد – سوريا،الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

ـ تعظيم قدر الصلاة ،للإمام المروزي، مكتبة الدار، بالمدينة المنـورة- ط الأولى١٤٠٦هـ.

ـ تهذيب التهذيب،المؤلف : أحمـد بـن علـي بـن حجـر أبـو الفـضل العسقلاني،الناشر : دار الفكر – بيروت،الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤

- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب،الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، لابن ناصر السعدي ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .
- جامع الترمذي ،المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر،تحقيق أبي الأشبال الزهيري،ط الأولى١٤١٤هـ/١٩٩٤م،دار ابن الجوزي،الدمام .
- الجهل بمسائل الاعتقاد ، تأليف عبد الرزاق معاش ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- الجواب الهاد الى تحقيق المراد من تلبيس اهل الاتحاد،مصورة من مكتبة جامعة ليدن ضمن مجموع برقم٩٧١
- جهود البقاعي في محاربة إلحاد الاتحادية والبدع العملية ، اعداد الطالب محمد مسلم : رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٢هـ
- جوهرة التوحيد، للشيخ إبراهيم اللقاني مع حاشيتها ، مطبعة الاستقامة، القاهرة .
- الحجة في بيان المحجة ، للأصبهاني،ت محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم،ط الأولى١٤١١هـ/١٩٩٠م ، دار الراية للنشر الرياض .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط الأولى١٩٦٨.
- حقيقة التوحيد بين اهل السنة والمتكلمين لعبد الرحيم السلمي،دار المعلمة

للنشر والتوزيع،ط الأولى١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى. د. محمد المدخلي،مكتبة لينة،دمنهور،ط الأولى١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الرابعة١٤٠٥هـ .
الحوادث والبدع لابي بكر الطرطوشي،ت محمد الطالبي،دار الاصفهاني،جدة.
ـ الحياة الآخرة مابين البعث إلى دخول الجنة أو النار د.غالب عواجي دار لينة الطبعة الأولى ١٤١٧ه-١٩٩٧م.

ـ الحجة في بيان المحجة ،للأصبهاني،ت محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم، ،دار الراية للنشر الرياض، ط الأولى١٤١١هـ/١٩٩٠م

- الخصائص الكبرى ، الحلبي (ت:١٠٤٤) دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٠هـ .
- الخطط للمقريزي ، دار صادر-بيروت-لبنان،
- خلق أفعال العباد للبخاري،ت أبو هاجر البسيوني،مكتبة التراث الإسلامي،القاهرة.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ،ت الدكتور محمد رشاد سالم ،ط الثانية مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ،ت:محمد سيد جاد الحق،دار الكتب الحديثة،القاهرة،ط الثانية ١٣٨٥هـ .
- دلائل النبوة للبيهقي ،ت الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط الأولى١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ديوان ابن الفارض،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي،القاهرة،ط١٣٧٢هـ .

- الذيل الشافي لابن تغري .
- ذيل معجم الشيوخ لابن فهد .تحقيق محمد الزاهي، دار اليمامـة ، المطبعـة الأهلية للأوفست.
- الرد على الجهمية للدارمي،ت:زهير الشاويش،المكتبالاسلامي،بـيروت،ط الاولى١٣٥٨هـ .
- الرد على الزنادقة والجهمية ، لأحمد بن حنبل، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٣،تحقيق : محمد حسن راشد .
- الرسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ت محمد السيد الجليند ،مطبعة التقدم ،القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- رسالة تحكيم القوانين ، لمحمد بن إبراهيم ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ط الثانية١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- رسالة في إثبات الإستواء والفوقية، ومسألة الحرف والـصوت في القـرآن المجيد،لأبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني، تحقيق :أحمد معاذ بـن علـوان حقي، دار طويق ، الرياض،الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر ، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي،ص٤٨-٤٩، تحقيق : أسعد محمد المغربي، دار حراء ، مكـة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

ـ الروح لابن القيم ،مطبوعات مكتبة محمد علـى صـبيح وأولاده، بميـدان الأزهر، القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

- الروضـة ، للإمـام النـووي ، دار عـالم الكتـب ، الـسعودية،ط خاصة١٤٢٣هـ٢٠٠٣م
- زاد المسير لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعـة الثالثـة ، ١٤٠٤.
- سر الروح للبقاعي ، ت عبد الجليل البكـري ، دار البـشائر دمـشق ،

١٤١٤هـ/١٩٩٠م .

السلسلة الضعيفة .المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني،الناشر : مكتبة المعارف – الرياض.

- السلوك للمقريزي ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة،ط الأولى١٩٥٨م،٣/٣٦١،

- سمط النجوم العوالي، عبد الملك بن حسين العصامي ، المطبعة السلفية ، ط١٣٨٠هـ

- السنة لعبد الله بن أحمد ، ت محمد بن سعيد القحطاني،ط الثانية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م،رمادي للنشر ، الدمام.

- شرح السنة للبغوي،تحقيق:شعيب الارناؤوط،ط الثانية١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،المكتب الاسلامي،بيروت،لبنان

سنن البيهقي الكبرى المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ - ١٩٩٤

تحقيق : محمد عبد القادر عطا

ـ سنن ابن ماجه،المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر : دار الفكر - بيروت

سنن الدارقطني،المؤلف : علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني،الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٨٦ – ١٩٦٦.

السنة لعبد الله بن أحمد ،ت محمد بن سعيد القحطاني،ط الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م،رمادي للنشر- الدمام

ـ سمط النجوم العوالي، عبد الملك بن حسين العصامي – المطبعة السلفية- ط١٣٨٠هـ.

ـ السلوك للمقريزي تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنـة التـأليف والترجمة والنشر- القاهرة،ط الأولى١٩٥٨م.

ـ سنن الدارمي،المؤلف : عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، الناشر : دار الكتاب العربي

بيروت،الطبعة الأولى ، ١٤٠٧

ـ سر الروح للبقاعي ،ت عبد الجليل البكـري،دار البـشائر دمـشق ١٤١٤هـ/١٩٩٠م.

ـ سنن أبي داود،المؤلف : سليمان بن الأشعث أبـو داود السجـستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر : دار الفكر .

ـ سنن الترمذي،المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ،تحقيـق : أحمد محمد شاكر وآخرون،الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت

ـ السنن،المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة،الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب،الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

- سـير أعـلام النـبلاء للـذهبي،ت:شـعيب الرنـاؤوط،ط الاولى١٤٠١هـ/١٩٨١م،مؤسسة الرسالة،بيروت ،لبنان

- السيف المسنون اللماع، على المفتي المفتون بالابتداع، وهي إحدى رسـائل ثلاث حققها الطالب محمد مسلم إبراهيم،رسالة ماجستير بالجامعة الإسـلامية بالمدينة المنورة،بعنوان:"جهود البقاعي في محاربـة إلحـاد الاتحاديـة والبـدع العملية٧٩ - شأن الدعاء، للإمام الخطـابي،.ت أحمـد يوسـف الـدقاق،ط الأولى١٤٠٤هـ/١٩٨٤م،دار المأمون للتراث،دمشق،بيروت

- شـذرات الـذهب لابـن العمـاد ، دارابـن كـثير ، دمـشق ، ط الأولى١٤٠٦هـ.
- شرح الأصفهانية . الكتاب : شرح العقيدة الأصفهانية المؤلف : أحمد بـن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : مكتبة الرشد – الريـاض الطبعة الأولى ، ١٤١٥ تحقيق : إبراهيم سعيداي
- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن العز الحنفي الدمشقي،تحقيق الدكتور عبد الله التركي وشعيب الأرنـاؤوط ، مؤسـسة الرسـالة ، ط الثالثـة عـشرة ١٩٩٨/١٤١٩م.
- شرح العقيدة الواسطية، للهراس ، ت علوي السقاف ، دار الهجـرة ، ط الثالثة١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- شرح المقاصد في علـم الكـلام للتفتـازاني،دار المعـارف،باكـستان،ط الاولى١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- شرح المواقف للجرجاني،ط الاولى١٣٢٥هـ/١٣٠٧م،مطبعـة الـسعادة بمصر .
- شرح الواسطية لابن عثيمين،دار ابن الجوزي،ط الرابعة١٤١٧هـ . ٧
- شرح العقيدة الواسطية، للهراس ،ت علوي السقاف،دار الهجرة،

ـ شرح العقيدة الطحاوية ،لابن العز الحنفي الدمشقي،تحقيق الدكتور عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط-مؤسسة الرسالة-ط الثالثة عشرة ١٩٩٨/١٤١٩م

- شرح صحيح مسلم للنووي ، المطبعة المصرية ، القاهرة .
- الشريعة للآجري.تحقيق الدكتور عبد الله الدميجي ، دار الوطن ، ط الثانية ، ١٤٢٠-١٩٩٩م .
- شفاء العليـل لابـن القـيم،ت:عمـر الحفيـان،مكتبـة العبيكـان،ط الاولى١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- الصحاح للجوهري،ت:احمد عطار،مطابع دار الكتاب العربي بمصر .
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألبـاني الناشـر : مكتبـة المعارف – الرياض الطبعة : الخامسة

صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته،المؤلف : محمد ناصـر الـدين الألباني،الناشر : المكتب الإسلامي.

ـ صحيح البخاري ،المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفـي، تحقيق : د. مصطفى ديـب البغـا ،الناشـر : دار ابـن كـثير ، اليمامـة – بيروت،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

ـ صحيح مسلم،المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرنـؤوط،الناشـر : مؤسـسة الرسـالة – بيروت،الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.

ـ صحيح أشراط الساعة،،تأليف مصطفى الشلبي،مكتبة الـسوادي جـدة،ط الأولى١٤١٣هـ/١٩٩٣م،

ـ صون المنطق والكلام عن علم المنطق، للسيوطي، تحقيق على سامي النشار

- الصفات الإلهية في الكتاب والـسنة ، لمحمـد أمـان جـامي،ط الثانيـة ،١٤١١هـ/١٩٩١م.
- صفة الـ ول الإلهي ورد الشبهات حولها ، تأليف عبد القادر الغامـدي،دار البيان الحديثة،الطائف،ط الاولى١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

صواب الجواب للسائل المرتاب الـادل المعارض في كفر ابن الفارض،للبقاعي، وهي إحدى الرسائل التي قام بتحقيقها الطالب محمد مسلم إبراهيم، في الجامعة الإسلامية، في المدينة النبوية، في رسالة ماجستير بعنوان"جهود البقاعي في محاربة إلحاد الاتحادية والبدع العملية".

- الصواعق المرسلة ، لابن القيم، تحقيق الـدكتور علـي الـدخيل الله،دار العاصمة ، السعودية،الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٨م
- صون المنطق والكلام عن علم المنطق، للسيوطي، تحقيق على سامي النشار
- الضوء اللامع للسخاوي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.
- طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بـن أبي يعلـى،مطبعـة الـسنة المحمدية،القاهرة،ط ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ،ت:محمود الطناحي،عبد الفتاح الحلو،ط الاولى١٣٨٣هـ/١٩٦٤م،مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- طبقات المفسرين للحافظ الدوادي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى١٣٩٢هـ -١٩٧٢م .
- العصر المماليكي، لسعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط الأولى١٩٦٥م .

- عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق ، مكتبة الآداب ، الجمايز ط١٣٦٩هـ .
- العقائد للتفتازاني
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث،للامام الصابوني،ت:د.ناصر الجديع،دار العاصمة،ط الاولى ١٤١٥هـ .
- العقيدة السلفية في كلام رب البريه تأليف عبد الله الجديع،ط الاولى١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية،المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ تحقيق : خليل الميس
- علماء نجد خلال قرن للبسام .
- العلو للعلي العظيم للذهبي ، تحقيق:عبد الله البراك ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ،١٩٩٩م، دار الوطن،الرياض.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران،للبقاعي يوجد منه نسخة في مكتبة ثوبرلي باسطنبول برقم ١١١٩ ، وهي المصورة في الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية ، برقم ٢٩٨٥.
- العواصم والقواصم لابن الوزير ، ت :شعيب الأرناؤوط ، ط الأولى١٤١٢هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الغنية عن الكلام وأهله للخطابي .
- الفتاوى الكبرى المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٨٦ تحقيق : حسنين محمد مخلوف

- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجـر أبـو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ، ط الأولى١٤١٢هـ ،المكتبة التجارية،مكة المكرمة .
- الفرق بين الفرق للبغدادي. الكتاب : الفرق بين الفـرق وبيـان الفرقـة الناجية المؤلف : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور الناشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٧٧
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ضمن مجموع الفتـاوى لابـن تيمية .
- الفروق للقرافي،دار السلام بالقاهرة،ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
- الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- فصوص الحكم لابن عربي،ط الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،مطبعة مـصطفى البابي الحلبي
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، المؤلف : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، دار العربي ، بيروت ، ١٤٠٢، الطبعة الثانية، تحقيق : د. إحسان .
- فهرست مصنفات البقاعي لابن اللبودي ،مركز المخطوطـات ، الجامعـة الإسلامية ، المدينة المنورة ، مخطوط رقم٧٣٩٤.
- الفواكه العديدة في المسائل المفيدة لأحمد النجدي ،شركة الطباعة العربيـة السعودية،ط الخامسة ١٤٠٧هـ .

فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، للغزالي ، ت :محمد أبو العـلا ، مكتبـة الجندي ، القاهرة .

ـ فتح الباري لابن رجب الحنبلي، طارق عـوض الله،دار ابـن الجـوزي،ط الأولى١٤١٧هـ/١٩٩٦م

ـ ـ الفـرق الكلاميـة،د.ناصـر العقـل ،دار الـوطن،الريـاض،ط الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي،مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط الاولى ١٤٠٦هـ
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للدكتور عبد الرحمن المحمود، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م دار الوطن.
- القواعد المثلى لابن عثيمين، بتعليق كاملة الكواري، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى .
- القول السديد في مقاصد التوحيد للسعدي، مكتبة المعارف،الرياض.
- الكافية في الجدل ، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق د.فوقية حـسن محمـود ، مطبعة عيسى الباب الحلبي ١٣٩٩ - ١٩٧٩م القاهرة (بدون) .

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة ، ت الـدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان،ط الأولى١٤٠٨هـ ـ/١٩٨٨م،دار الرشـد، الرياض.

ـ الكواكب السائرة للغزي ،تحقيق جبرائيل سليمان جبور، نـشر:محمـدأمين وشركاه-بيروت-لبنان.

ـ الكافية في الجدل ، لإمام الحرمين الجويني، ، تحقيق د.فوقية حسن محمـود ، مطبعة عيسى الباب الحلبي ١٣٩٩ - ١٩٧٩م القاهرة

ـ كشف الظنون لحاجي خليفة دار الكتـب العلميـة –بـيروت-لبنـان-ط١٤١٣هـ،

- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري،ط دار المعرفة،بيروت .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة النـاس تأليف اسماعيل العجلوني ١١٣/١.
- كشف الظنون لحاجي خليفة ،دار الكتب العلميـة ، بـيروت ، لبنـان ، ط١٤١٣هـ .
- الكواكب السائرة للغزي ،تحقيق جبرائيل سليمان جبور، نـشر:محمـدأمين وشركاهـ ، بيروت-لبنان.

ـ لسان العرب،المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،الناشر : دار صادر – بيروت،الطبعة الأولى.

- لسان الميزان . الكتاب : لسان الميزان المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبـو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت
- الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية، للسفاريني ، المكتب الإسلامي ، ط الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩١م
- مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : عبد العزيـز زيـد الرومي ، د. محمد بلتاجي ، د. سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سـعود ، الرياض.
- المجروحين لابن حبان . الكتاب : المجروحين المؤلف : أبو حاتم محمد بن حبان البستي الناشر : دار الوعي – حلب تحقيق : محمود إبراهيم زايد
- مجلة آفاق الثقافة والتراث،تصدر في الإمـارات، العـدد التاسـع محـرم ١٤١٦هـ
- مجلة الأحياء،العدد السابع الرقم١٩،المغرب شهر رمضان ١٤١٦هـ،.

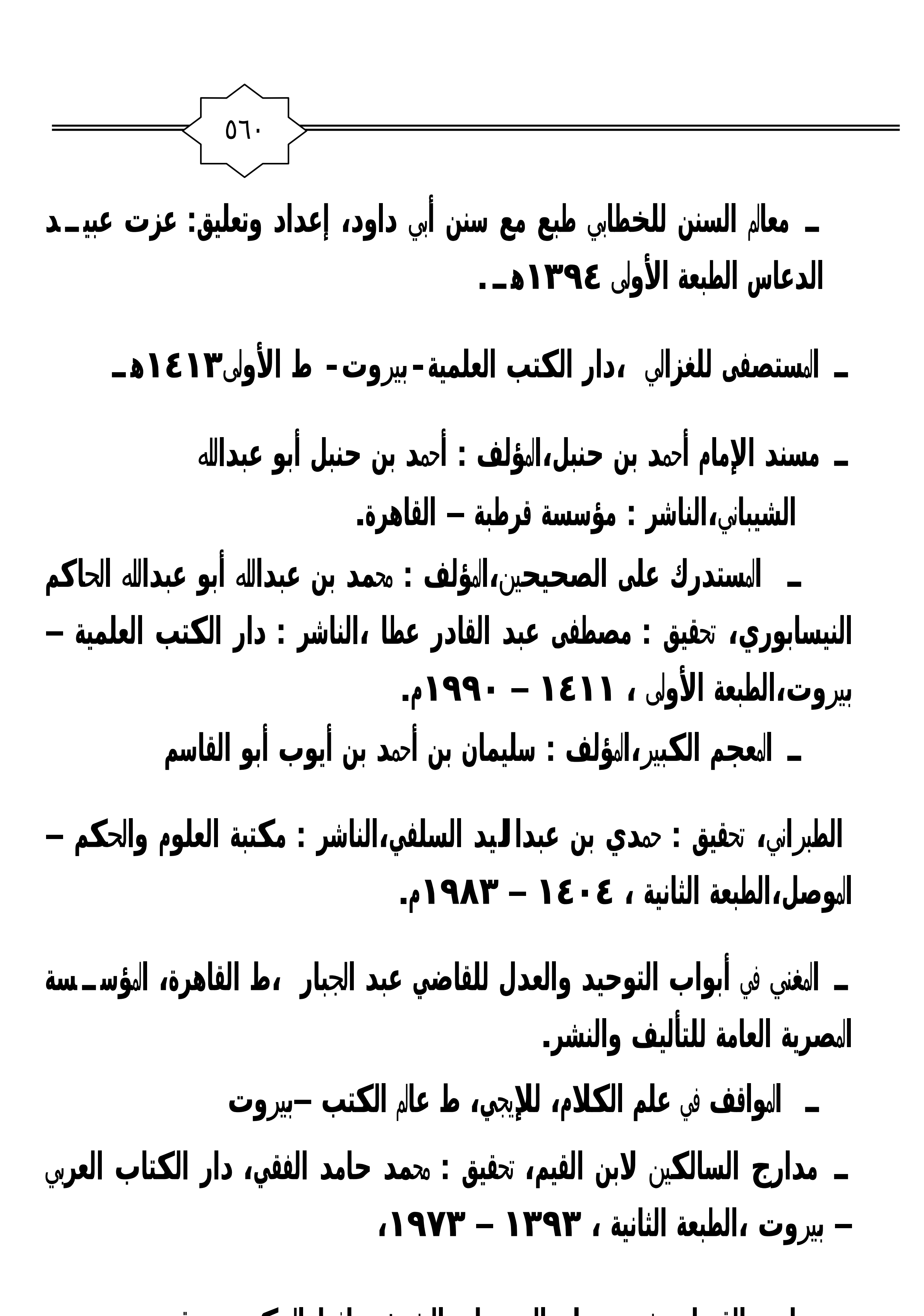
- مجلة دراسات أندلسية، العدد السادس ،١٤١١هـ ـ،١٩٩١م تـصدر في تونس.
- مجلة لغة العرب، السنة السابعة،بغداد .
- المجموع شرح المهذب، للنووي، المطبوع مع العزيز والتلخيص الحـبير، دار الفكر،والمغني لابن قدامة ٣٥١/٣ ، تحقيق عبد الله التركي ، هجر للطاعبة والنشر ، القاهرة ، ط الثانية١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة مجمع الملـك فهـد لطباعـة المصحف١٤١٦هـ -١٩٩٥م .
- المحلى ، تحقيق : أحمد شاكر،مكتبة التراث ، القاهرة .
مجمع الزوائد . ١١٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،المؤلف : نور الدين علـي بن أبي بكر الهيثمي،الناشر : دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ
- مختار الصحاح . ١١٩ ـ مختار الصحاح،المؤلف : محمد بن أبي بكـر بـن عبدالقادر الرازي،الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،الطبعـة طبعـة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥م.
- المختارة للضياء
- مختـصر الـصواعق المرسـلة علـى الجهميـة والمعطلـة لابـن القـيم الجوزية،ت:د.الحسن بن عبد الرحمن العلـوي،اضـواء الـسلف،ط الاولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- مدارج السالكين ، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي ، بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ .
- مراصد الاطلاع لابن عبد الحق البغدادي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى١٣٧٣هـ .
- المستطرف في كل فن مستظرف ، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفـتح الأبشيهي، تحقيـق د.مفيـد محمـد قميحـة، دار الكتـب العلميـة ،

بيروت،الطبعة الثانية ، ١٩٨٦.
- مشكل الحديث وبيانه لابـن فـورك،ت:موسـى محمـد علـي،المكتبـة العصرية،بيروت .
- مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور للبقاعي ،ت: د. عبد الـسميع حسنين،مكتبة المعارف،الرياض،ط الاولى١٤٠٨هـ .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول الشيخ حافظ الحكمي ، تحقيق عمـر بن محمود أبوعمر، دار ابن القيم ،ط الثالثة،١٤١٥هـ ١٩٩٥م
- معالم أصول الدين للرازي،مكتبة الكليات الازهرية،القاهرة
- المعجم الأوسط للطبراني ،ت:طارق بن عوض الله، د ار الحرمين بالقـاهرة ،الطبعة الاولى ١٤١٥ - ١٩٩٥م
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنـان ، ط الأولى١٤١٤هـ .
- المعجم الوسيط ،مجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة،المكتبـة الاسـلامية للطباعة،استانبول،تركيا.
- معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكريا،تحقيق:عبد السلام هـارون،ط الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،مطبعة البابي الحلبي ،مصر
- المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ، ط القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- المغني لابن قدامة ٣٥١/٣ ، تحقيق عبد الله التركي ، هجر للطاعبة والنشر ، القاهرة ، ط الثانية١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ،
- مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، ت علي الحلبي ،دار ابن القيم ،الدمام.

- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصـفهاني ، ت: نـديم مرعـشلي ،دار الفكر،بيروت،١٣٩٢هـ .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة للسخاوي،ت:عبـدالله محمد الصديق،مكتبة الخانجي بالقاهرة١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .
- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري،ت:محمـد محـي الـدين عبـد الحميد،ط:الثانية١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .
- مقالة الأستاذ خير الله الشريف "الإمام البقاعي ومؤلفاته "في مجلـة آفـاق الثقافة والتراث،تصدر في الإمارات، العدد التاسع محرم ١٤١٦هـ ص ٨١ .
- مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها .د. جابر بن إدريس ، أضواء السلف الرياض ،ط الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، المؤلف:برهان الدين إبراهيم محمد بن مفلح ، تحقيق: د/عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٠، الطبعة الأولى.
- الملل والنحل للشهرستاني ،ت/محمد سـيد كـيلاني،ط مـصطفى البـابي الحلبي،مصر١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
- منهاج السنة النبوية لابن تيمية . ومنهاج السنة النبويـة ٥/ ٢٣٩تحقيـق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط الأولى١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عن أهل السنة والجماعـة، تـأليف عثمان بن علي،مكتبة الرشد،الرياض،ط الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة .
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود ، مكتبة الرشد الرياض،ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥.
- النبوات لابن تيمية، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويان ، أضواء

السلف - الطبقة الاولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي للبقاعي ، ت عبد الرحمن الوكيل طباعة إدارة البحوث والإفتاء في السعودية ١٤١٥هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني،ت:علي حسن الحلبي،الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع،الدمام.
- نظم العقيان للسيوطي .المطبعة السورية الأمريكية ، نيويورك، ط١٩٢٧م .
- نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، طبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ/١٩٥١م
النكت على العقائد ، للبقاعي . ١٣٩ـ النكت والفوائد على شرح العقائد،وهو مخطوط في مكتبة الأسد برقم ٢٩٦٣
- ـاية الإقدام في علم الكلام للشهر ستاني.،حرره وصححه الفرد جيوم،طبعة مصورة عن طبعة ليدن
النهاية في غريب الحديث والأثر: المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي،الناشر : المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- نواقض الايمان القولية والعملية، للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- هدية العارفين للبغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١٤١٣هـ.

الوافي بالوفيات .



ـ معالم السنن للخطابي طبع مع سنن أبي داود، إعداد وتعليق: عزت عبيـد الدعاس الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ.

ـ المستصفى للغزالي ،دار الكتب العلمية-بيروت- ط الأولى١٤١٣هـ

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل،المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني،الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة.

ـ المستدرك على الصحيحين،المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

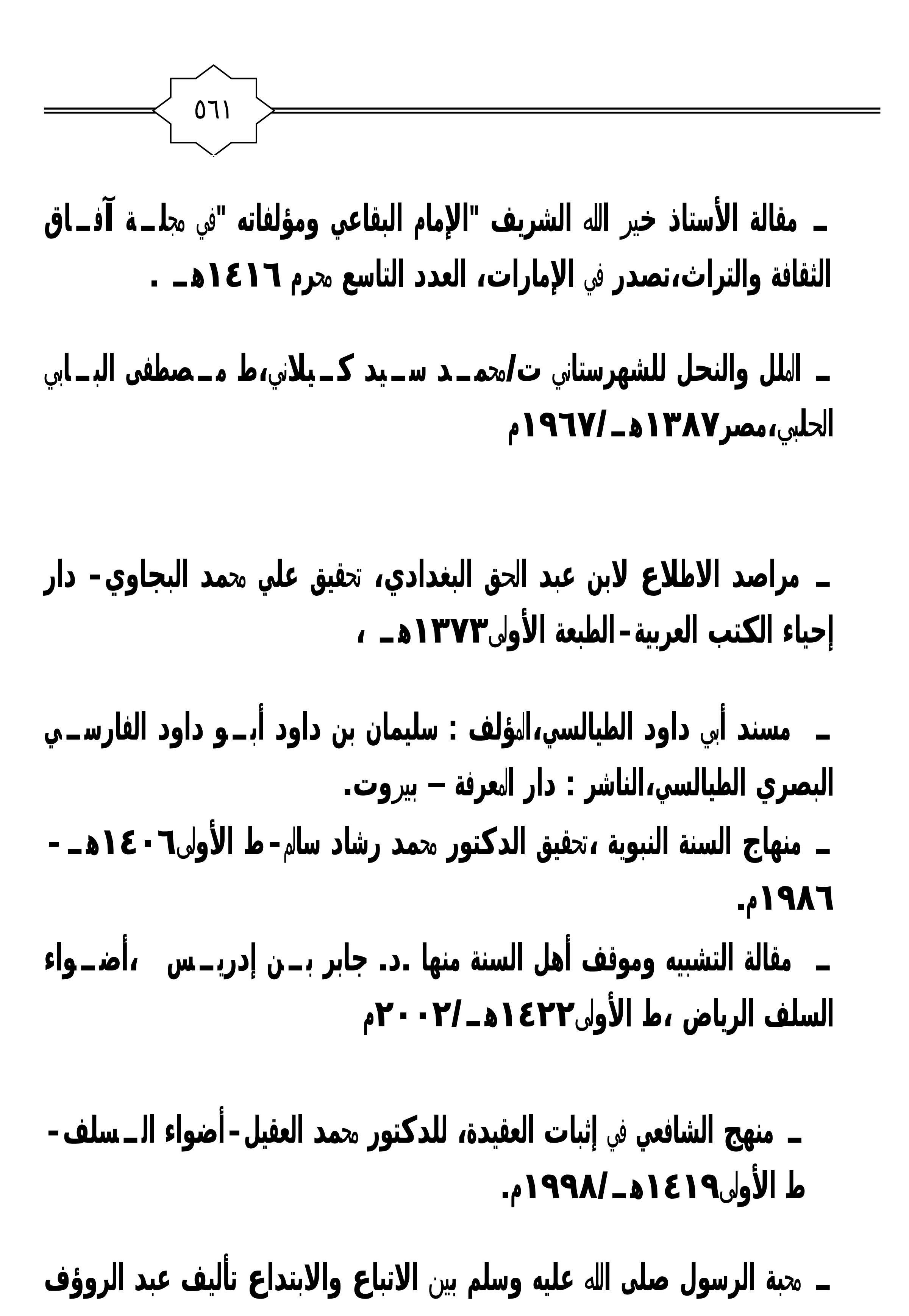
ـ المعجم الكبير،المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي،الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل،الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م.

ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ،ط القاهرة، المؤسـسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

ـ المواقف في علم الكلام، للإيجي، ط عالم الكتب –بيروت

ـ مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣،

ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول الشيخ حافظ الحكمي ،تحقيق عمر بـن محمود أبوعمر، دار ابن القيم ،ط الثالثة،١٤١٥هـ ١٩٩٥م.



ـ مقالة الأستاذ خير الله الشريف "الإمام البقاعي ومؤلفاته "في مجلــة آفــاق الثقافة والتراث،تصدر في الإمارات، العدد التاسع محرم ١٤١٦هـ .

ـ الملل والنحل للشهرستاني ت/محمــد ســيد كــيلاني،ط مــصطفى البــابي الحلبي،مصر١٣٨٧هـ/١٩٦٧م

ـ مراصد الاطلاع لابن عبد الحق البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي- دار إحياء الكتب العربية-الطبعة الأولى١٣٧٣هـ ،

ـ مسند أبي داود الطيالسي،المؤلف : سليمان بن داود أبــو داود الفارســي البصري الطيالسي،الناشر : دار المعرفة – بيروت.

ـ منهاج السنة النبوية ،تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم-ط الأولى١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

ـ مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها .د. جابر بــن إدريــس ،أضــواء السلف الرياض ،ط الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

ـ منهج الشافعي في إثبات العقيدة، للدكتور محمد العقيل-أضواء الــسلف- ط الأولى١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ـ محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف محمد عثمان، طبعة دار الافتاء ١٤١٤هـ .

ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النـووي- دار إحيـاء التراث العربي- بيروت- ط الثانية١٣٩٢هـ. الكتاب : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الناشر : المكتبة العلمية – بيروت عدد الأجزاء : ٢

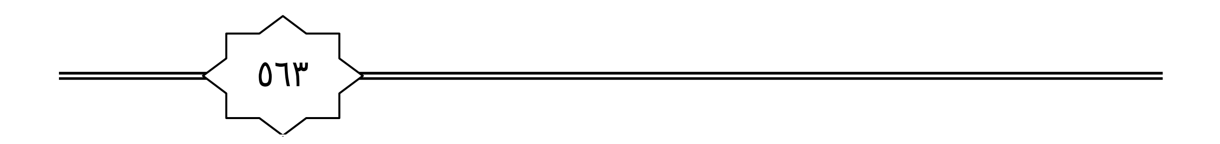
ـ النكت الوفية بما في شرح الألفية، رسالة ما جستير للطالب عبد الرحمن بن عبد اللطيف الرشيدان، في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ،١٤١٥هـ ـ ـ ١٤١٦هـ.

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي- طبعة دائـرة المعارف العثمانية بحيدر آباد- ط الأولى١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

ـ النبوات لابن تيمية، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويان ـ أضواء السلف ـ الطبقة الاولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

ـ نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ،تحقيق : الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، طبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ/١٩٥١م

ـ نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للإمام عثمان بن سـعيد الدارمي، ت منصور السماري، ، الطبعة الأولى١٤١٩هـ ، أضواء السلف، الرياض



ـ نواقض الايمان القولية والعملية، للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف، دار الوطن، الطبعة الثانية **١٤١٥**هـ.

ـ نظم العقيان للسيوطي،المطبعة السورية الأمريكية-نيويورك، ط**١٩٢٧**م .

ـ اليوم الآخر،القيامة الصغرى ،للدكتور عمـر سـليمان الأشـقر،مكتبـة الفلاح،ط الثالثة **١٤١١**هـ/**١٩٩١**م.

فهرس الموضوعـ ـ ـ ـات

